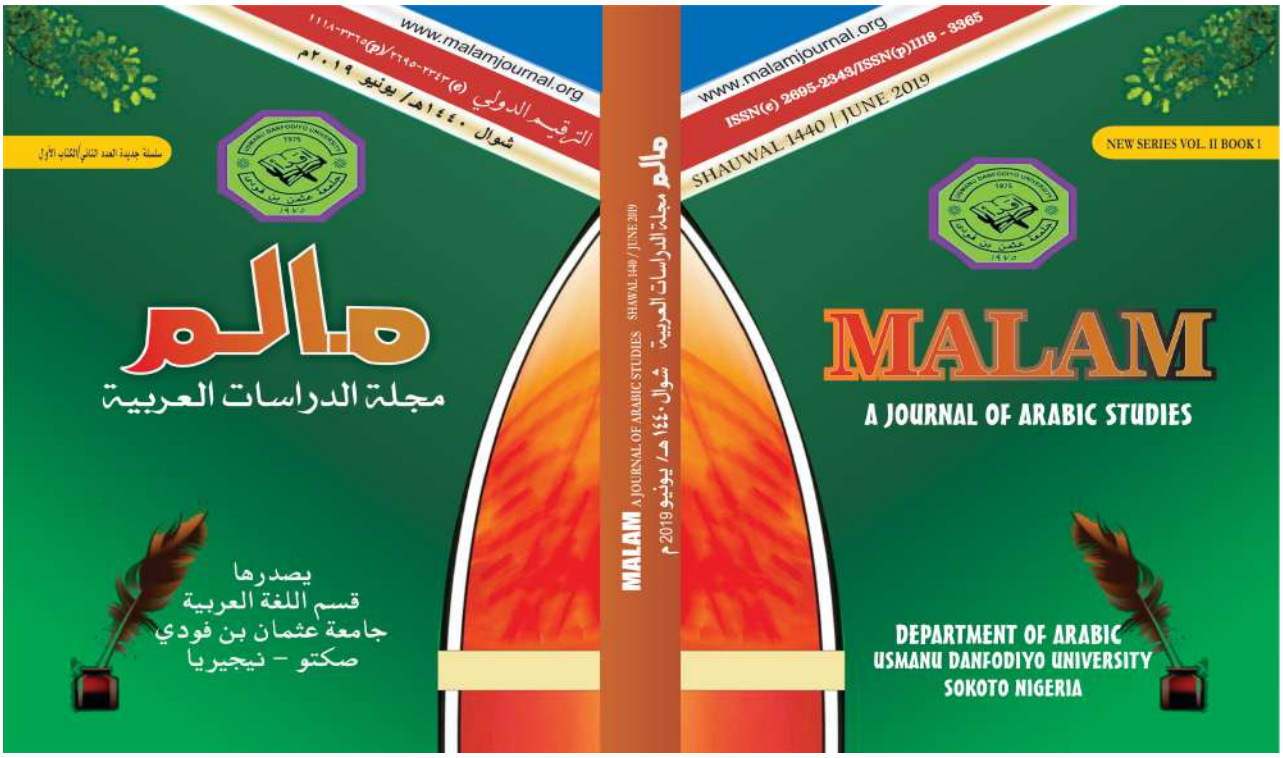
www.malamjournal.org
ISSN(e) 2695-2343/ISSN(p)1118 - 3365
SHAUWAL 1440 / JUNE 2019
NEW SERIES VOL. II BOOK 1
MALAM
A JOURNAL OF ARABIC STUDIES
DEPARTMENT OF ARABIC
USMANU DANFODIYO UNIVERSITY
SOKOTO NIGERIA
مالم
مجلة الدراسات العربية
يصدرها
قسم اللغة العربية
جامعة عثمان بن فودي
صكتو - نيجيريا
MALAM A JOURNAL OF ARABIC STUDIES SHAWAL 1440 / JUNE 2019
مالم مجلة الدراسات العربية شوال ١٤٤٠ هـ / يونيو 2019 م

مالم

مجلة الـــدراسات العربية

(سلسلة جديدة العدد الثاني).

شوال1440هـ/ يونيو2019م

يصدرها

قسم اللغة العربية

جامعة عثمان بن فودي

صكتو – نيجيريا

© Department of Arabic, Usmanu Danfodiyo University, Sokoto
All Rights reserved. No part or whole of this journal is allowed to be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, without prior permission of the Copyright owner.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة العدد الثاني)

يصدرها

قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو – نيجيريا

شوال1440هـ/ يونيو2019م

ISSN(e)2695-2343/ISSN(p) 1118-3365

عنوان المراسلات

صندوق البريد : PMB2346
موقع المجلة: www.malamjournal.org
البريد الإلكتروني: malam@udusok.edu.ng

Published by:
Department of Arabic,
Usmanu Danfodiyo University,
SOKOTO - NIGERIA

شروط النشر في المجلة

- يشترط في الأبحاث والدراسات المقدمة للنشر في مجلة "مَالَمْ" أن تكون مبتكرة ولم يسبق نشرها في أي وسيلة نشر أخرى.
- يجب أن يستهل البحث بصفحة مستقلة تحتوي على ملخص البحث.
- ترسل البحوث والدراسات عبر هذا الموقع،(www.malamjournal.org) أو عن طريق البريد الألكتروني: (malam@udusok.edu.ng) مرفقا في محرر (وورد Word).
- ألا يتجاوز البحث المرسل عشرين صفحة، ولا يقل عن عشر صفحات، بنوع الخط Sakkal majalla حجم (18) مع كتابة الإحالات والمراجع في آخر البحث.
- أن يلتزم الباحث التدقيق في كتابة النص، إذ لا تتحمل المجلة الأخطاء اللغوية والإملائية الواردة في البحث.
- تعرض البحوث على محكمين متخصصين لبيان مدى صلاحيتها للنشر، وتبقى عملية التحكيم سرية.
- لا ترد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أم لم تنشر.
- لغة المجلة هي اللغة العربية، وقد تُقبل البحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية في حالات استثنائية نادرة.
- يمكن تسليم البحث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة: www.malamjournal.org
- البحوث والدراسات المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة.

هيئة التحرير

الدكتـــور محمد أرزكـــــا طنزاكي	رئيس التحرير
الأستـــاذ الدكتور كمـــــال بابكر	عضو
الدكتـــور أبـــوبكر عبـــــد الملك	" "
الأستـــاذ الدكتور صالح بلا ألجناري	" "
الأستاذ الدكتور أبوبكر أبوبكر ياغول	" "
الدكتـــور نـــــاصر أحمد صكتو	" "
الدكتـــور علـــي مـــــــالمـــي	" "
الدكتـــور نـــــور عتيق بلارِبـــي	" " وسكرتير

المستشارون

الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاك
قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو

الأستاذ الدكتور ثاني عمر موسى
قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو

الأستاذ الدكتور محمود مشهود جمبا
جامعة ولاية كورا، مليتي

الأستاذ الدكتور يحيى إمام سليمان
قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو

الدكتور عمر محمد آدم
معهد كدونا للفنون التطبيقية

محتويات العدد

(1) شروط النشر في المجلة.....ت
(2) هيئة التحرير.....ث
(3) المستشارون.....ج
(4) محتويات العدد.....ح
(5) التفسير التداولي عند الزمخشري: دراسة تطبيقية لتأويلات "قاعدة الكيف" في نماذج من سورة النساء
الدكتور/ علي أبولاجي عبدالرزاق والأستاذة/ حبيبة ألوا تنو 1-16
(6) اعتراض ابن هشام على الزمخشري في دلالة "أنزل" و "نزّل" في القرآن الكريم
الدكتور مصطفى تجّاني.....17-32
(7) التحليل النحوي والدلالي للآيات الداعية إلى الوسطية
الدكتور بلو محمد وعبد الله محمد إِغُوَا.....33-54
(8) تأويل المصطلحات النحوية في قصيدة حرف الراء من ديوان مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد
(9) الدكتور الشيخ عثمان أحمد.....55-67
(10) الحقول الدلالية لألفاظ الطبيعة في معلقة امرئ القيس: دراسة دلالية
أول إبراهيم إمام.....68-93
(11) المماثلة الصوتية في سورةالبقرة: دراسة تطبيقية في ضوء علم اللغة الحديث
عمر عبد الله.....94-115
(12) ظواهر الاتساق المعجمي في رواية "السيّد الرئيس" للروائي حامد الهجري: دراسة اتساقية نصية
إبراهيم عبدالله إمام التنكيوي الإلوري.....116-137
(13)إعادة الترتيب في شعر القاضي عمر إبراهيم دراسة تركيبية

الدكتور محمد الماحي بللو.....150-138

(14)الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر دراسة تحليلية لنماذج

الدكتور المتبولي شيخ كبر.....171-151

(15) من فنون الكناية في بعض أحاديث جامع الترمذي: دراسة تحليلية

الدكتور إدريس أبوبكر أرغنغ.....185-172

(16) أساليب القصر في كتاب العلم من صحيح البخاري: دراسة بلاغية

الدكتور يحيى غوني يهوذا طن زرغا.....199-186

(17) الهُوِيَّةُ العربيَّةُ الإسلاميَّةُ بين الاندِفاع والتقَهْقُر في بلاد الهَوْسَا

مَكِيُ أبوبكر طَنْ يَايَا و الدكتورإبراهيم عمر محمد.....219-200

(18) فن المديح لدى محمد النظيفي القرموي: دراسة وتحليل "فائيته نموذجا"

د. عمر علي حطيجه.....235-220

(19) عرض وتحليل لمرثية "الدموع المدرار" للشاعر أبابا ثاني أباغوني

الدكتور علي عبد القادر العسلي ومحمد رمضان يونس.....251-236

(20) فن النثر لدى الكاتب الشيخ أبي بكر غنيمي البرناوي: كتاب الآداب

والأخلاق الكريمة أنموذجا

الدكتور محمد الحاج ميدغو.....268-252

(21) صور من الخيال في مراثي الشيخ جنيد محمد زَارِيَا: دراسة تحليلية

الدكتور عبد الله عمر زُورُ.....280-269

(22) دراسة أدبية تحليلية لقافيَّة الدكتور عيسى ألبي أبي بكر

جامع سعدالله عبدالكريم 298-281

(23) صور من المظهر التصويري في مدائح الشيخ محمّد الناصر كبر

ديوان نغمات الطار أنموذجا

أبوبكر عبدالله صلاتي وعبدالغني أبمبولا عبدالسلام.....316-299

(24) نشأة الشعر العربي وتطوره

د. آدم إبراهيم ياكسي ومحمد رمضان يونس.....335-317

(25) الالتزام والفن في قصيدة " فلسطين تناديكم" حسب تصوير الأدب الإسلامي

د. بنت عبد الرزاق طاهر.....351-336

(26) مِفْتاح الأَغْلاق في مدح حبيب الخَلَّاق" قافيّة الشيخ أبي بكر عتيق في المديح النبوي: عرض ودراسة

الدكتور حسين إنو موسى.....373-352

(27)النهر الطافح للبيب الرَّابح للشيخ عبد القادر التالكي عرض وتقديم

طاهر يحيى و أ.د. آدم محمد جبريل.....391-374

(28)همزية الشاعر أبجده أبوبكر أبه النوح في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم "دراسة تحليلية"

عبد الكافي عثمان البشير ومحمد خاله جده وإدريس محمد صالح.....406-392

(29)أحمد أويلينجي وإعماله حروف المعاني الثّنائية في قصيدته "المدح": دراسة نحوية بلاغية

بولاجوكو عبد الوهاب أفولبي.....419-207

كلمة العدد

يسرني أن أقدم إلى القراء الأعزاء في الساحة الأكاديمة العدد الثاني من هذه السلسلة الجديدة من "مالم" مجلة الدراسات العربية التي يصدرها قسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي. وتتميز هذه السلسلة (وأعدادها) على سابقتها في أنها تصدر إلكترونيا على الإنترنت، – إضافة إلى صدورها في الكتاب - وهي موجودة على رابطها: http://www.malamjournal.org . ويشتمل هذا العدد على أربع وعشرين مقالة في موضوعات عربية مختلفة، من نحو وصرف وأدب ونقد وبلاغة وثقافة، وحين أشيد بجهد الإخوة النجباء أصحاب المقالات، أساتذة الجامعات والكليات الذين بفضل تحركهم نجحنا في إخراج هذا الجهد العظيم، فإني أقدم جزيل الشكر إلى الأساتذة الكرام الذين قاموا بتقويم تلك المقالات، مبدين فيها ملاحظاتهم الثاقبة وموجهين لها بإرشاداتهم القيمة، حتى خرجت المجلة بهيجة تسر الناظرين وتغذي أفكار القراء. وأشكر كذلك الهيئة الاستشارية للمجلة لحسن تجاوبهم مع هيئة التحرير ولما أخلصوه لها من النصائح على الدوام. وأبوح بخالص التقدير والامتنان لسكرتير التحرير، الأخ النجيب، الدكتور نور عتيق بلاربي لما يبذله من جهد دؤوب من غير كلل ولا سآمة نحو هذه المجلة، والله أسأل أن يجزي الجميع خيرا على ما قدم، ويجعل هذه المجلة إضافة مفيدة في خدمة اللغة العربية. وأخيرا، أنوّه بأن ما أبدي فيها يعبر عن آراء أصحاب المقالات ولا يعكس بالضرورة رأي المجلة.

الدكتور محمد أرزكا طنزاكي
رئيس قسم اللغة العربية
جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

التفسير التداولي عند الزمخشري: دراسة تطبيقية لتأويلات "قاعدة الكيف" في نماذج من سورة النساء

إعداد:
الدكتور/ علي أبولاجي عبدالرزاق
كلية اللغة العربية والعلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية بالنيجر
والأستاذة/ حبيبة ألوا تنو
كلية البنات للدراسات الإسلامية واللغة العربية الجامعة الإسلامية بالنيجر

ملخص

تناول البحث إحدى القضايا التّداولية في اللسانيات الحديثة، وهي قضية الاستلزام الحواري، وبالذات (قاعدة الكيف) بوصفها إحدى القواعد الفرعية لمبدإ التعاون من مبادئ هذه القضية، من حيث تجلّيات هذه الاستراتيجية التّأويلية المعاصرة في تأويلات القدامى للخطاب القرآني. والزّمخشريّ في تفسيره (الكشّاف) يعدّ من أبرز من يمثّلون هذا التّوجه في تحليل النّصوص القرآنيّة. واتخذ هذا البحث سورة النّساء في تفسير الكشّاف نموذجًا. وتوصّل الباحثان إلى مجموعة من النتائج أهمها أن تفسير الزمخشري يصلح –شأن غيره من كتب التراث العربي- للتعاطي مع اللسانيات الحديثة، بما اشتمل عليه من التطبيق العملي لمعطيات اللسانيات التداولية قبل بروزها نظريًا بعدة قرون، كما أن تأويلات الزمخشري التداولية

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

للخطاب القرآني لا تخرج عن مقاصد القرآن الكريم؛ بحكم توافقها في الغالب مع تأويلات كل من الطبري وابن كثير للآيات محل الدراسة.

Abstract

This paper aims to study one of Pragmatic issues in Modern Linguistics, which is the issue of "Conversational Implicature", with special focus on the maxim of "Quality" as one of the rules guiding the principle of "Conversational co-operation", as to highlight the reflections of this issue in the interpretations of "Az-zamakshary" for verses of Suratu An-nisai. Thus, the research discovered among its outcomes: that Az-zamakshary's tafseer in this regard, is counted as one of the earliest practical works on Pragmatics, and that the pragmatic analysis of Az-zamakshary for the concerned verses are not generally in contradiction with the view of other Islamic Exegesis of the Holy Qur'an.

مقدمة

يُعَدُّ الاستلزام الحواري من أبرز الظواهر التي تميز اللغات الطبيعية؛ لأنه كثيرًا ما يلاحَظ أثناء عملية التخاطب العادي أن معنى العديد من الجمل إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها، لا ينحصر في ما تدل عليه صيغها الصورية، مما يعني أن التأويل الدلالي الكافي للكثير من الجمل يصبح متعذرًا إذا اقتُصِر فيه على المعطيات الظاهرة وحسب، الأمر الذي يتطلب تأويلاً دلاليًا آخر، ومن ثمّ يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى معنى غير مصرّح به (معنى مستلزم حواريًا)، إلا أن هذا الانتقال من معنى إلى آخر يطرح العديد من الإشكاليات تتعلق أساسًا بماهية التأويل الممكن إعطاؤه للجملة التي تحمل هذه المعاني: هل يعتمد المعنى الصريح وحده؟ أو المعنى الصريح والمعنى المستلزم معًا؟ بناء على أن الثاني مترتب عن الأول، ثم كيف تتم عملية الاستلزام هذه؟ أي كيف يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم حواريًا؟ وكيف يتم ضبط ومعرفة المعنى الذي تخرج إليه جملة محددة؟ وجدير بالإشارة أن أهم مميزات الاستلزام من حيث كونه آليةً من آليات إنتاج الخطاب وتأويله، أنه يقدم تفسيرًا صريحًا لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل، أي أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة، فجملة **"ناولني الكتابمن فضلك"** -على سبيل المثال- المنجزة في مقام محدد، يخرج معناها من الطلب **(الأمر)** إلى معنى الالتماس، وهو ما تفيده القرينة "من فضلك".

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

. أما إشكالية الدراسة فتتمثل فيما يزعمه بعض الدّارسين أنّ اللّسانيّات الحديثة بفروعها المختلفة التي تشمل التّداوليّةَ، صناعةٌ غربيّةٌ محضة، وليس للتّراث اللّغوي العربيّ فيها أيّ إسهام. والحقيقة أنّ البحث الدّقيق في هذا التّراث بمجالاته المختلفة بما في ذلك مجال تفسير القرآن الكريم سيكشف لنا كنزًا لا يستهان به في هذا الجانب. وعلى ذلك فمهمّة هذه الدّراسة تسليط الضّوء على إحدى القضايا التّداوليّة التي سبق أن تنبّه لها اللّغويّون العرب القدامى، ونوّهوا بها تطبيقيًّا، والبرهنة بأدلة ملموسة على أن التراث العربي سبّاق من الناحية التطبيقية إلى كثير من معطيات اللسانيات الحديثة عمومًا والتداولية خصوصًا في مجال تحليل الخطاب، ثم محاولة البرهنة على أن توظيف معطيات اللسانيات الحديثة في قراءة التراث لا يزيد التراث إلا قيمة وثراء. وفرضت طبيعة الموضوع أن يقاربه الباحثان بالمنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قاما من خلال سورة النساء بتتبع التأويلات الزمخشرية الموافقة لمعطيات الاستلزام الحواري في اللسانيات التداولية، ومن ثمّ قاما بتحليل هذه التأويلات على ضوء آليات الاستلزام الحواري، و"قاعدة الكيف" منها بالتحديد.

١. مفهوم "الاستلزام الحواري"

١,١: إطلالة على اللسانيات التداولية

التداولية مصطلح مركب من مورفيمين، الأول: "التداول" وهو في الأصل مصدر من الفعل "تداول" على صيغة "تفاعل" الدالة على المشاركة، والمورفيم الثاني: هو اللاحقة "ية" الدالّة على البعد المنهجي والعلمي. ومن هذا المنظور اللغوي نرى أن المفهوم اللساني لهذا المصطلح لا يخلو من دلالة التفاعل. ومن أشهر التعريفات الاصطلاحية للتداولية أنها: "مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث في العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية. بمعنى أنها تدرس استعمال اللغة بوصفها كلامًا محدّدًا صادرًا من متكلم محدّد، وموجّهًا إلى مخاطب محدد، بلفظ محدّد، في مقام تواصلي محدّد، لتحقيق غرض تواصلي محدد".[١]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٢,١: مفهوم الاستلزام الحواري

يعدّ "الاستلزام الحواري" من أبرز الموضوعات التداولية وأحدثها؛ فقد ظهر لأول مرة في المحاضرات التي ألقاها بول غرايس (P. Grice) بعنوان "**المنطق والحوار**" سنة ١٩٧٥م، ثم فصل الحديث عنه في بحثين آخرين له منشورين سنة ١٩٧٨ و١٩٨١م. وعلى الرغم من أن عمل (غريس) هذا كان قليل التماسك كثير الفجوات في بعض جوانبه، أصبح من أهم النظريات في البحث التداولي، ومن أكثرها تأثيرًا في تطوره.[٢]

انطلق غريس من حقيقة تواصلية مفادها أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وكثيرًا ما يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يُقصَد. فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيَمها اللفظية، وما يُقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلّغه السامع على نحو غير مباشر، اعتمادًا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال. فأراد أن يقيم معبرًا بين ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله من معنى متضمن، ومن ثم نشأت عنده فكرة الاستلزام الحواري.[٣]

ويرى المتوكل أن مفهوم مصطلح الاستلزام الحواري في اللسانيات التداولية يعود إلى كون "معنى جمل اللغات الطبيعية إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر في ما تدل عليه صيغها الصورية من "استفهام" و"أمر" و"نهي" و"نداء" إلى غير ذلك من الصيغ المعتمدة في تصنيف الجمل"،[٤]وإنما يتجاوز ذلك إلى معان وأغراض تواصلية مستلزمة عن هذه الصيغ؛ ذلك أن التأويل الدلالي للجمل في اللغات الطبيعية لا يكفي إذا اعتمدنا فيه على معلومات صيغة الجملة وحدها.[٥]

٣,١: مبادئ الاستلزام الحواري:

هناك عدة مبادئ وضعها العلماء لضبط استراتيجيات التأويل في الاستلزام الحواري، ومن أبرزها **مبدأ التعاون Principle of co-operation**، وهو مبدأ حواري عام يشتمل على أربع قواعد هي:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

١. **قاعدة الكمّ Quantity:**

مفاد هذه القاعدة أن تكون إفادة المخاطب على قدر حاجته بحيث لا تزيد عليه ولا تنقص عنه.

٢. **قاعدة الكيف Quality:**

ومفادها ألّا يقول المتكلم ما يعتقد أنه غير صحيح، ولا يقول ما ليس له عليه دليل.

قاعدة المناسبة Relevance:

ويقصد بذلك أن يكون الكلام ذا علاقة بالموضوع.

٣. **قاعدة الطريقة Manner:**

وهي أن يكون المتكلم واضحًا ومحدّدًا، فيتجنب الغموض واللبس، ويرتّب كلامه ترتيبًا منطقيًّا.[٦]

فهذه هي القواعد التي يتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب، للوصول إلى إجراء حوار مثمر، وكان قصد غريس من هذه القواعد أن الحوار يجري على ضوابط وتحكمه قواعد يدركها كل من المخاطب والمتكلم. ولتوضيح المسألة أكثر ضرب الدكتور نحلة المثال بالحوار الآتي بين زوج (أ) وزوجة (ب):

أ- أين مفاتيح السيارة؟

ب- على المائدة.

من الواضح أن مبدأ التعاون والقواعد الحوارية المتفرعة منه متحققة كلها في هذه المحاورة القصيرة؛ فقد أجابت الزوجة إجابة واضحة (الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة (الكمّ)، وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها (المناسبة). ولذلك لم يتولّد عن قولها أي استلزام؛ لأنها قالت بالضبط ما تقصد.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

لكن غرايس يقرّ بأن هذه القواعد كثيرًا ما تنتهك، وعلى هذا الانتهاك قامت النظرية؛ فانتهاك قواعد مبدأ التعاون الحواري هو الذي يولّد الاستلزام، مع مراعاة الإخلاص لمبدأ التعاون، بمعنى أن يكون المتكلم حريصًا على إبلاغ المخاطب معنى بعينه، وأن يبذل المخاطب الجهد الواجب للوصول إلى المعنى الذي يريده المتكلم، وألا يريد أحدهما خداع الآخر أو تضليله. وعلى ذلك فإذا انتهك المتكلم قاعدة من قواعد الحوار أدرك المخاطَب اليقِظُ ذلك وسعى للوصول إلى هدف المتكلم من هذا الانتهاك.

ونقل الدكتور نحلة مثالاً آخر لتوضيح المسألة بحوار يجري بين أم (أ) وولدها (ب):

أ- **هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسّالة؟**

ب- **اغتسلت.**

ففي هذا الحوار خرق أو انتهاك لقاعدة الكمّ؛ لأن (أ) سألت (ب) عن أمرين أجاب عن أحدهما وسكت عن الآخر، فإجابته بذلك أقلّ من المطلوب، ويستلزم هذا أن تفهم (أ) أن (ب) لم يضع ثيابه في الغسّالة، وأنه لم يرد أن يجيب بنعم حتى لا تشمل الإجابة شيئا لم يقم به، ولم يرد أن يواجه (أ) بتقاعسه عن وضع ثيابه في الغسّالة، تأدّبًا أو استحياء.[٧]

وفي حوار آخر بين تلميذ (أ) من غير الناطقين بالعربية في نيجيريا، قرأ كلمة الكندي في اسم الشاعر امرئ القيس بفتح الكاف والنون وأستاذه (ب):

أ- **هل صحيح أن امرؤ القيس من كَنَدا؟**

ب- **لا، بل هو من واشنطن!**

يبدو في هذا الحوار أن (ب) انتهك قاعدة الكيف التي تقتضي ألا يقول إلا ما يعتقد صوابه، وألا يقول ما لا دليل عليه، وقد تعمد (ب) انتهاك هذا المبدأ ليظهر لـ(أ) أن كلامه غير صحيح، وليؤنبه على جهله بمثل هذه الحقيقة، و(أ) –حسب حيثيات السياق- قادر على الوصول إلى مراد (ب)، لأنه يعلم أن امرؤ القيس ليس من واشنطن، وذلك يستلزم أن (ب) يقصد بقوله شيئا غير ما تقوله كلماته، وهو أن مضمون سؤال (أ) غير صحيح.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٢. نماذج من تأويل الزمخشري للآيات وفق خرق قاعدة الكيف

سبق أن مما يدعو للجوء للاستلزام الحواري في تأويل الخطاب أن يواجه المتكلّمُ المخاطبَ بما ظاهره عدم احترام مبدأ التعاون، بخرق قاعدة "الكيف" التي تتطلّب ألّا يقول المتكلّم ما لم يتيقّن من صدقه، وليس له دليل على صحّته.

لقد وظّف الزمخشري هذه الاستراتيجية في مواضع كثيرة من تفسيره لسورة النساء، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١. قال الزمخشري في تأويل قوله تعالى: ((وآتوا اليتامى أموالهم)).[٨]"... فإن قلت: فما معنى قوله: "وآتوا اليتامى أموالهم" قلت: إما أن يراد باليتامى الصغار، وبإتيانهم الأموال: أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته، ويكفّوا عنها أيديهم الخاطفة، حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمةً غير محذوفة. وإمّا أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس، أو لقرب عهدهم –إذا بلغوا- بالصغر، كما تسمّى الناقة عشراء بعد وضعها، على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حدّ البلوغ، ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد، وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار".[٩]

ظاهر الآية الكريمة أنها منافية للواقع، من حيث إن اليتامى الصغار لا تقدّم لهم الأموال، مما يعني خرقًا لقاعدة الكيف. فأوّل الزمخشري ذلك بما يستلزمه سياق الخطاب من احتمال أن يقصد باليتامى الصغار فعلاً، على أن يكون القصد من إتيانهم الأموال ألاّ يطمع فيها ولاة السوء حتى يحصلوا عليها سالمةً بعد بلوغهم.

وهناك احتمال آخر لتأويل الآية بما يستلزمه سياق الخطاب أيضا، وهو أن يراد باليتامى الكبار منهم تسمية لهم (باعتبار ما كان) من باب المجاز المرسل حسب اصطلاح البلاغة العربية لقرب عهدهم بالصغر، على أن يكون في ذلك إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حدّ البلوغ، ولا يماطلوا إن أونس منهم الرشد، وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ويتوافق تأويل الزمخشري للفظ اليتامى هنا مع تأويل ابن كثير له في قوله: "يأمر تعالى بدفع مال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم كاملةً موفَّرةً..."[١٠].

وهو التأويل نفسه عند الطبري: "... وأعطوا يا معشر أوصياء اليتامى اليتامى أموالهم، إذا هم بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد".إلا أن الزمخشري فصّل القول في تأويل إطلاق لفظ اليتامى والقصد إذا بلغوا سنّ الرشد.

٢. وفي تأويل ربط قلة العيال بالتسرّي في قوله تعالى: ((فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)).قال الزمخشري: "... فإن قلت: كيف يقلّ عيال من تسرّى، وفي السراري نحو ما في المهائر؟ قلت: ليس كذلك، لأن الغرض بالتزوّج التوالد والتناسل بخلاف التسرّي، ولذلك جاز العزل عن السراري بغير إذنهن، فكان التسرّي مظنّة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوّج، كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع".[١٣]

ظاهر الآية حسب التساؤل الذي افترضه الزمخشري يوحي بخرق قاعدة الكيف، ما دامت السراري يحملن ويلدن مثل الحرائر؛ فكأنه بعيد عن الواقع ربط قلّة العيال بالتسرّي. وظّف الزمخشري ما يستلزمه سياق الخطاب لتوجيه ودفع هذا الوهم، وذلك انطلاقًا من أن الواقع أن الغرض من التزوج من الحرائر هو التوالد والتناسل بخلاف السراري اللائي يجوز العزل معهنّ بدون إذنهنّ، مما جعل التسرّي وسيلة لتقليل العيال قدر الإمكان مقارنة بالزواج من الحرائر، تمامًا مثل تقليل العيال بالزواج بالواحدة مقارنة بالزواج بالأربع.

ويعترض ابن كثير على تأويل الزمخشري هذا بالاعتراض الذي افترضه الزمخشري وألجأه إلى التأويل على حسب ما تستلزمه الخلفية المعرفية السابقة عن جواز العزل عن السراري دون الحرائر، مما يترتب عليه قلة عيال من تسرّى. وها هو نصّ اعتراض ابن كثير: "... قال بعضهم: أدنى ألا تكثر عائلتكم. قاله زيد ابن أسلم، وسفيان بن عيينة، والشافعي –رحمهم الله- وهو مأخوذ من قوله تعالى: ((وإن خفتم عيلة)). أي: فقرًا ((فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء)). وقال الشاعر:

فَمَا يَدْرِي الفقيرُ متى غِناه # وما يدري الغَنِيُّ متى يَعِيلُ.[١٤]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وتقول العرب: عال الرجل، يعيل عيلة: إذا افتقر. ولكن في هذا التفسير هاهنا نظر، فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر، كذلك يخشى من تعداد السراري أيضا، والصحيح قول الجمهور چ ں ڻ ڻ چ أي: لا تجوروا..."."[١٥]

والطبري هو الآخر لا يرى تأويل الزمخشري صحيحًا حين قال: "(ألا تعولوا)، يقول: ألا تجوروا ولا تميلوا، يقال منه: عال الرجل فهو يعول عولا وعيالة: إذا مال وجار، ومنه عول الفرائض؛ لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص؛ وأما من الحاجة فإنما يقال: عال فلان يعيل عَيْلةً: وذلك إذا احتاج، كما قال الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه # وما يدري الغنيّ متى يَعِيلُ

بمعنى متى يفتقر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".[١٦]يقصد بالعبارة الأخيرة أن أكثر المفسّرين على رأيه بأن الفعل عال يعول بمعنى جار ومال، واستشهد على ذلك بشواهد لغوية ونقلية.

لكن التأويل في الحقيقة يحتمل الوجهين من الناحية اللغوية؛ ففي المعجم الوسيط مثلا: "عال الميزان يعول: لم يستو طرفاه، فمال أحدهما وارتفع الآخر.... وعال الحكمُ يعول: مال عن الحق فظلم.... وعال الرجلُ عيالَه يعول: قام بما يحتاجون إليه من طعام وكساء وغيرهما، فهو عائل. وفي الحديث: "وابدأ بمن تعول"..."."[١٧]وفيه أيضًا: "عال فلانٌ يعيل عيلاً وعَيْلةً: افتقر، وكثر عياله فهو عائل..."."[١٨]

٣. وفي تأويل إضافة الأموال إلى أولياء اليتامى في قوله تعالى: ((وارزقوهم فيها واكسوهم)).[١٩]قال الزمخشري: "والخطاب للأولياء، وأضاف الأموال إليهم لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم... والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله: ((ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)). ((جعل الله لكم قياما)) أي تقومون بها وتنتعشون، ولو ضيّعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم"."[٢٠]

الظاهر في الآية أن الأموال لأولياء اليتامى، والواقع أن المال المعنيّ حسب تفسير الزمخشري لليتامى، واستدلّ على هذا التفسير بقوله تعالى: ((وارزقزهم فيها واكسوهم))، وبقوله تعالى: ((جعل الله لكم قياما))، الأمر الذي يوحي بوجود

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

شيء من خرق (قاعدة الكيف)؛ لمخالفة ظاهر الآية للواقع، فأوّل الزمخشري الآية بما يدفع وهم خرق قاعدة الكيف، وهو أن الله أضاف الأموال إلى أولياء اليتامى بحكم أنهم يتاجرون فيها ويستفيدون من أرباح هذه التجارة في معيشتهم، فإذا دفعوا هذه الأموال إلى السفهاء اليتامى فكأنهم ضيّعوها، وإذا ضاعت ضاعوا معها.

وعلى التأويل نفسه كان ابن كثير في تفسير الآية بقوله: "ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قيامًا، أي تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها".[٢١]

٤. وفي تقديم الوصية على الدين في قوله تعالى: ((من بعد وصية يوصي بها أو دين)) قال الزمخشري: "فإن قلت: لِمَ قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة؟ قلت: لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض، كان إخراجها مما يشقّ على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها، فكان أداؤها مظنة للتفريط، بخلاف الدين، فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه، ولذلك قدّمت على الدين بعثًا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين، ولذلك جيء بكلمة "أو" للتسوية بينهما في الوجوب...".[٢٣]

قد يتبادر إلى الذهن أن في تقديم الوصية على الدَّيْنِ في الآية الكريمة ما يخالف واقع الأشياء من أن الشريعة تقتضي قضاء دين الميّت قبل العمل بوصيّته، مما يعني خرق قاعدة الكيف، وتمكّن الزمخشري من تأويل ذلك بما يستلزمه مقام الخطاب من أن إخراج الوصيّة كان مما يشقّ على الورثة ولا تطيب به أنفسهم بخلاف الدين الذي تطمئن نفوسهم لأدائه. ويرى الزمخشري أن ذلك يكفي مسوّغًا لتقديم الوصيّة في هذا السياق؛ بعثًا على المسارعة إلى إخراجها مع الدين.

على أن الطبري من جانبه وجّه ظاهرة تقديم ما حقه التأخير هنا توجيهًا مخالفًا لتوجيه الزمخشري، وذلك بقوله: "... فقدِّم ذكر الوصية على ذكر الدين؛ لأن معنى الكلام: إن الذي فَرَضْتُ لمن فرضت له منكم في هذه الآيات، إنما هو له من بعد إخراج أيِّ هذين كان في مال الميّت منكم من وصية أو دَين. فلذلك كان سواء تقديم ذكر الوصية قبل ذكر الدين، وتقديم ذكر الدين قبل ذكر الوصية؛ لأنه لم يُرِدْ من معنى ذلك إخراج أحد الشيئين؛ الدين والوصية من

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ماله، فيكون ذكر الدين أولى أن يبدأ به من ذكر الوصية".كأني بالطبري هنا لم يجد للتقديم أية دلالة تداولية خاصة، في حين رأى الزمخشري كما سبق أن التقديم لم يكن عبثًا، وإنما لتحقيق غرض خطابي تداولي يتمثّل في التعجيل بذكر ما يشق على الورثة إخراجه.

أما ابن كثير فكان حديثه في الظاهرة أقلّ تفصيلا من حديث الطبري، حيث اكتفى بالقول: "أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصيّة، وذلك عند إمعان النظر يفهم من فحوى الآية الكريمة".ثمّ استدلّ على ذلك بالأحاديث النبوية التي تؤكّد أسبقية الدين على الوصية في الإخراج من مال الميّت قبل القسمة، دون أدنى إشارة منه إلى فحوى التقديم.

هذا، ولا يخفى أن تأويل خرق قاعدة الكيف هنا صالح للاندراج تحت باب التقديم والتأخير في البلاغة العربية، مما يؤكّد أن المقاربة التداولية تتناول في الإطار الواحد ظواهر خطابية مبعثرة في أبواب بلاغية مختلفة.

٥. وفي تأويل قوله تعالى: ((وآتوهن أجورهن))[٦]قال الزمخشري: "فإن قلت: الموالي هم ملاك مهورهنّ لا هنّ، والواجب أداؤها إليهم لا إليهنّ، فَلِمَ قيل: وآتوهنّ؟ قلت: لأنهنّ وما في أيديهنّ مال الموالي، فكان أداؤها إليهنّ أداءً إلى الموالي..."[٢٧].

يشير ظاهر الآية في عبارة ((وآتوهن أجورهن)) إلى دفع الأجور إلى الإماء، والواقع على حسب المذهب المتّبع عند الزمخشري أن الأجور تدفع لموالي الإماء، مما قد يعني أن مضمون العبارة مجافٍ للواقع، خارق لقاعدة الكيف، فأوّل الزمخشري العبارة بما يستلزمه الواقع والمنطق من أنهنّ وما في أيديهنّ لمواليهنّ، فكان أداء الأجور إليهنّ أداءً إلى مواليهنّ.

٦. وفي تأويل قوله تعالى: ((للذكر مثل حظ الأنثيين))[٧]قال الزمخشري: "فإن قلت: فإن حظ الأنثيين الثلثان، فكأنه قيل للذكر الثلثان. قلت: أريد حال الاجتماع لا الانفراد، أي إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

سهمان، كما أن لهما سهمين. وأما في حال الانفراد، فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين. والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه أتبعه حكم الانفراد، وهو قوله:[٢٩]((فإن كنّ نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك)).[٣٠]

حسب التساؤل الذي افترضه الزمخشري قد يبدو في عبارة ((للذكر مثل حظ الأنثيين)) في الآية الكريمة عدم مطابقة الواقع؛ لأنه يفهم من ذلك أنه ما دام للأنثيين ثلثان فحق الذكر أيضا ثلثان فقط. والواقع أن الثلثين للذكر لا يكون في جميع الأحوال، فكأن في الآية بذلك شيئًا من خرق قاعدة الكيف. ودفع الزمخشري هذا الزعم باللجوء إلى الاستلزام الحواري الذي استفاد منه أن العبارة مطابقة للواقع؛ لأن المراد منها حال الاجتماع لا الانفراد، بمعنى: إذا اجتمع الذكر والأنثيان فله سهمان كما لهما سهمان. أما في حال انفراد الذكر فالمال كله له، وفي حال انفراد الأنثيين يظلّ لهما الثلثان، وأيّد الزمخشري دلالة العبارة على حالة الاجتماع بالاستشهاد بعبارة أخرى من الآية نفسها صريحة في حالة الانفراد ((فإن كنّ نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك)).

٧. وفي تأويل تبديل الجلود في قوله تعالى: ((إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارًا كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا لعذاب إن الله كان عزيزًا حكيمًا))[٣١] قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف تعذّب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص؟ قلت: العذاب للجملة الحسّاسة، وهي التي عصت لا للجلد".[٣٢]

قد يتبادر إلى الذهن أن العدل غير متحقق في تبديل الجلود غير العاصية بالجلود العاصية عند تعذيب الكفّار كما ورد في قوله تعالى: ((كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودًا غيرها))، فمضمون العبارة بهذا الشكل منافٍ للعدل الإلهي، مما يعني خرق قاعدة الكيف، لكن الزمخشري كعادته تمكّن من دفع هذا الوهم بالاستلزام الحواري المتمثّل في أن المعذّب هو الإنسان نفسه الذي يحسّ بالعذاب، فهو العاصي وليس جلده.

٨. وفي تأويل ذكر الوِلْدان مع المستثنين في قوله تعالى: ((إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً))[٣٣] قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

من أهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا؟ قلت: الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك. وأما الولدان فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك، فلا يتوجه عليهم وعيد، لأن سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد إنما هو كونهم عاجزين، فإذا كان العجز متمكنًا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة..."[٣٤].

استعان الزمخشري بالاستلزام الحواري في دفع ما يوهم خرق قاعدة الكيف من كون عبارة ((إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان)) تعني أن الولدان مستثنون من أهل الوعيد في حالة عدم استطاعة الحيلة والاهتداء إلى السبيل للهجرة، أي أنهم في حالة القدرة والاهتداء إلى السبيل لا يستثنون من الوعيد إذا لم يقوموا بالهجرة شأن الرجال البالغين والنساء البالغات في حالة القدرة، والواقع على خلاف ذلك. دفع الزمخشري هذا الوهم بما يستلزمه المنطق من أن الرجال والنساء قد يقدرون وقد لا يقدرون، في حين أن الأصل في الولدان عدم القدرة، وعلى ذلك فالوعيد لا يشملهم؛ لأن سبب استثناء الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد إنما هو كونهم عاجزين، أما والعجز هذا متمكن في الولدان لا يزول عنهم فمنطق الأشياء يقتضي استثناءهم.

الخاتمة والنتائج

لقد قام الباحثان بتسليط الضوء على تطبيقات الزمخشري التداولية في تعامله مع الآيات المشتملة على ما ظاهره خرق قاعدة **"الكيف"** في سورة النساء، بعد عرض نظري موجز عن مفهوم الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون وقواعده التي تمثل قاعدة **"الكيف"** واحدة منها.

وتوصل الباحثان إلى النتائج الآتية:

- اللسانيات التداولية بفروعها المختلفة بما فيها الاستلزام الحواري فرع لساني حديث بوصفه علمًا، لكنه غير جديد على التراث العربي بوصفه آلية تطبيقية لتأويل النصوص.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

- يصلح الزمخشري في تفسيره نموذجًا لإثبات دعوى أن توظيف الآليات التداولية في تحليل الخطابات ليس بأمر جديد على التراث العربي، وإن لم يتوصّل التراث العربي إلى إنتاج علم مستقلّ لدراسة الظاهرة.
- حسن توظيف معطيات اللسانيات الحديثة والتداولية منها خصوصًا في قراءة التراث العربي يخدم هذا التراث ويرفع قيمته بين التراكمات التراثية اللغوية لمختلف الأمم، أكثر من إحاطة هذا التراث بسياج حديدي من التقديس يحول دون إشعاع نوره على الأمم الأخرى فيقدّرونه حق قدره.
- التراث العربي مليء بالكنوز المعرفية المبثوثة في ثنايا الكتب، مما يمكن استغلاله في الإسهام في تقدم ركب اللسانيات الحديثة، وإنتاج ما يمكن تسميته باللسانيات العربية الحديثة التي لا تنفكّ عن التراث ولا تكون أسيرة للتراث.
- أن كثيرًا من تأويلات الزمخشري للآيات القرآنية المدروسة تتطابق تماما مع معطيات اللسانيات التداولية فيما أطلق عليه غريس مؤخرا (الاستلزام الحواري).
- أن كثيرًا من تأويلات الزمخشري التداولية للآيات المدروسة متوافقة في الغالب مع تأويلات كل من الطبري وابن كثير، مما يعني أن هذه التأويلات لا تخرج عن مقاصد الخطاب القرآني.
- أن التراث اللغوي العربي سابق من الناحية التطبيقية لكثير من مكتشفات الدراسات اللسانية الحديثة.

الهوامش والمراجع:

---

[١]- فيليب بلانشيه، **التداولية من أوستن إلى غوفمان**، تر: صابر الحباشة، (سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م)، ص١٩.

[٢]- محمود أحمد نحلة، ***آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*** (دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م)، ص٣٢.

[٣]- نفسه، ص٣٣.

[٤]- أحمد المتوكل، **دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي** (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٦م)، ص٩٣.

[٥]- باديس لهويمل، **الملازمات بين المعاني في مفتاح العلوم للسكاكي: مقاربات تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري**، (مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ماليزيا، ع/٢، ٢٠١٣م)،ص٢٩.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٦]- رحيمة شيتر، **التداولية وآفاق التحليل**، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع/٢-٣ ٢٠٠٨م)، ص١٠-١١.

[٧]- نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص٣٥-٣٦.

[٨]- النساء/٢.

[٩]- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ***الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، ، تح: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوّض (الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٩٨م)، ٤٩٥/١.

[١٠]- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تح: مصطفى السيّد محمد وآخرين، (جيزة: مؤسسة قرطبة، ط١، ٢٠٠٠م)، ٣٣٦/٣.

[١١]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تح: عبدالله بن عبدالمحسن التركي (القاهرة: دار هجر، ط١، ٢٠٠١م)، ٣٥١/٦.

[١٢]- النساء/٣.

[١٣]- الزمخشري، **الكشّاف**، ٥٠٠/١.

[١٤]- على بحر الوافر.

[١٥]- ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ٣٤٧/٣.

[١٦]- الطبري، **تفسير الطبري**، ٣٧٦/٦.

[١٧]- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ***المعجم الوسيط*** (مصر: مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م)، مادة (ع ول)، ص٦٣٧.

[١٨]- المرجع نفسه، مادة (ع ي ل)، ص٦٤٠.

[١٩]- سورة النساء/٥.

[٢٠]- الزمخشري، **الكشّاف**، ٥٠٢/١-٥٠٣.

[٢١]- ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ٣٥٠/٣.

[٢٢]- سورة النساء/١١.

[٢٣]- الزمخشري، **الكشّاف**، ٥١٥/١.

[٢٤]- الطبري، **تفسير الطبري**، ٤٧٤/٦.

[٢٥]- ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ٣٧٥/٣.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٢٦]- النساء/٢٥.

[٢٧]- الزمخشري، **الكشّاف**، ٥٣٢/١.

[٢٨]- النساء/١١.

[٢٩]- الآية نفسها.

[٣٠]- الزمخشري، **الكشّاف**، ٥١١/١.

[٣١]- النساء/٥٦.

[٣٢]- الزمخشري، **الكشّاف**، ٥٥٤/١.

[٣٣]- النساء/٩٨.

[٣٤]- الزمخشري، **الكشّاف**، ٥٨٨/١-٥٨٩.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

اعتراض ابن هشام على الزمخشري في دلالة "أنزل" و "نزّل" في القرآن الكريم

إعداد:
الدكتور مصطفى تجّاني
قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو-نيجيريا

ملخص:

لم تزل الدراسة النحوية تحمل أشكالا مختلفة بعد المدرستين؛ البصرية، والكوفية، فكان النحاة يظهرون على أشكال متنوعة، فتارة يظهرون في شكل المفسرين، وتارة في شكل النحاة الخلص، فإذا ظهروا في شكل المفسّرين تهمهم الدلالات، والمعاني القرآنية، كما أنّهم إذا ظهروا في شكل النحاة الخلص، تهمهم آراء النحاة السابقين. وجّه هذا المقال اهتمامه إلى الجانب التفسيري بين العلمين الكبيرين، هما: ابن هشام الأنصاري، وجار الله الزمخشري، وفي لفظتين قرآنيتين، هما: "أنزل" و "نزّل" ليبرز كيف كان تناول الشخصيتان القضية؟ وهل كانا يقارنان دلالات المفردات القرآنية بدلالات الصيغ المعروفة عند الصرفيين؟ أم ينظرون إلى دلالات أخرى؟ وهدف المقال كشف النقاب عن الاعتراض الذي وجّهه ابن هشام إلى الزمخشري. ويستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليل لمعالجة الموضوع.

Abstract:

The grammatical study continued to take on different forms after the two schools; Basrah and kufa. The grammarians were shown in a variety of forms, sometimes purified in the form of interpreters, while sometimes in the form of Natural Grammarians. If they appeared in the form of interpreters, they were implicated in semantics and Quranic meanings, while if they appeared in natural grammarians they were implicated in views of

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

the ex-Grammarians. This article draws attention to the explanatory aspect between the two great scholars: Ibn Hisham Al-Ansari and Jarullah Al-Zamakhshari, and in two Qur'anic Words: "Anzala" and "Nazzala" to see how the two personalities dealt with the issue. Did they compare the meanings of the Quranic vocabulary with the meanings of the formulas known to the artisans? Or they look at other signs? The article aims to reveal the objection of Ibn Hisham to Zamakhshari in that particular issue. The researcher uses descriptive analysis to address the subject

مقدمة:

يدور هذا المقال حول شخصيتين عظيمتين، هما: ابن هشام الأنصاري، والزمخشري حيث كان لكل منهما دور كبير في النحو العربي، وهما يتفقان في معالجة الآيات القرآنية مع إظهار آرائهما النحوية عليها، فتجد كلًا منهما يبحث عن الدلالة التي ترمي إليه ألفاظ القرآن الكريم، فتارة يتفقان وتارة أخرى يختلفان كما في المسألة المدروسة في هذا المقال.

هذا، ويشمل المقال النقاط التالية:

١-التعريف بكل من ابن هشام، والزمخشري.

٢-معنى الاعتراض لغة واصطلاحا.

٣-اعتراض ابن هشام الأنصاري على الزمخشري في دلالة "أنزل" و "نزّل" في القرآن الكريم.

٤-تعليق الباحث على المسألة.

٥-الخاتمة.

١-التعريف بكل من ابن هشام والزمخشري:

أ-التعريف بابن هشام:

هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن هشام جمال الدين أبو محمد النحوي الفاضل المشهور.[١] ولد بالقاهرة، يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ٧٠٨هـ[٢]عاش ابن هشام في عصر المماليك، وهو ما بين (٦٥٦هـ-١٢٢٠هـ) وكانت مصر أيام المماليك-بالنسبة لبقية الأقطار العربية-موئل الرجاء، ومركز الحضارة. اتخذ المماليك

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

موقفاً إيجابياً من العلماء، وأنفقوا على نوابغ الأساتذة وكبار العلماء من غير تضييق أو بُخلٍ. وأمّا بالنسبة للحياة الفكرية، والثقافية، والدينية لعصر ابن هشام؛ فكانت مصر منذ الخلافة العباسية محل سكن العلماء، ومحط رحال الفضلاء، وهكذا ظلت مصر مركز إشعاع كبير للفنون والنشاط الفكري في مجالات عدة، وهي في حقيقة أمرها تنشط نشاطاً موسوعياً واسعاً.[٤]

نشأ ابن هشام نشأةً متواضعة؛ إذ لم تكن أسرته من ذوي الثروة والغنى والجاه.[٥]

حصل ابن هشام على فرصة التعلم الأولى على أيدي المؤدبين الذين يبدئون مع الصبيان بتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة، فيعلمونهم قراءة القرآن، وكتابة اللغة وقواعدها، وبعض الشعر، وآداب الدين، وبعد ذلك إلى المدارس حيث يواصل الطالب تعلّمه، فيدرس فيها الفقه، والحديث، والتفسير، والعلوم اللغوية كالنحو، والصرف، والبيان، وغير ذلك.[٦]

أخذ ابن هشام علومه من عددٍ غفيرٍ من الأساتذة، منهم:

-الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف بن المرحّل، المكنى بأبي فرج(ت٧٤٤هـ). لزمه ابن هشام وأخذ عنه النحو. وقد نوّه به وذكر قدره أكثر من مرة، وكان يفضله على أبي حيّان وغيره من العلماء ويقول: "كان الاسم في زمانه لأبي حيّان والانتفاع بابن المرحّل"[٧]

-ابن السرّاج محمد بن محمد بن نمير الشيخ شمس الدين بن السرّاج(ت٧٤٩هـ). أخذ عنه ابن هشام القراءات.[٨]

-والشيخ تاج الدين الفاكهاني(ت٧٣٤هـ)، قرأ ابن هشام عليه جميع شرح "الإشارة" في النحو إلا الورقة الأخيرة.[٩]

-وسمع من أبي حيّان(ت٧٤٥هـ) ديوان زهير بن أبي سلمى، ولم يلازمه، ولا قرأ عليه، وكان كثير المخالفة له شديد الانحراف عنه.[١٠] وغيرهم من العلماء.

وممّا يلاحظ أنّ هؤلاء الأساتذة اتصفوا بصفات علمية مختلفة تجسّدت وتمثلت في ابن هشام، فهم علماء نحوٍ، وقراءاتٍ، ولغةٍ، وأدبٍ، وفقهٍ، وحديثٍ، وتفسيرٍ، فلا عجب إن وُجد ابن هشام يتتبع آراء نحاة مفسرين مؤيداً أو معارضًا.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وقد تتلمذ على ابن هشام طلاب كثيرون منهم: عليّ ابن أبي بكر البالسي (ت٧٦٨هـ)، وابن الملاح الطرابلسي(ت٧٧٥هـ)، والنويري(ت٨٨٦هـ) وابن جماعة(ت٧٩٠هـ)، وابن إسحاق الدّجوى(ت٨٣٠هـ) ومحبّ الدين ابن هشام (ت٧٩٩هـ) وغيرهم كثيرون.[١١]

وفاته:

توفي ابن هشام ليلة الجمعة الخامس من ذي القعدة ٧٦١هـ[١٢]

آثاره:

لابن هشام الأنصاري آثار علمية غزيرة، منها:

أ-إقامة الدليل على صحة التمثيل، وفساد التأويل في الصرف.

ب-عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب: وهو شرح لشافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط.

ج-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وهو شرح لألفية ابن مالك في النحو والصرف.

د-شذور الذهب في معرفة كلام العرب. وشرحه.

هـ-قطر النّدى وبلّ الصّدى، وشرحه.

و-شرح اللمحة البدرية، لأبي حيّان.

ز-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب[١٣]

فهذه بعض آثار ابن هشام الأنصاري في مجال النحو والصرف، وهي التي تدل على تمكّنه وثقافته الواسعة في هذا المجال، وهي أيضاً ما حققت وحفظت شخصيته النحوية والصرفية، وفكرته الثاقبة، وبعد نظره فيه.[١٤]

مكانته العلمية:

يقول ابن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ) في مكانة ابن هشام الأنصاري: "...لقد اشتهر في حياته، وأقبل الناس عليه، وتصدّر لنفع الطالبين، وانفرد بالفوائد الغريبة، والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البالغ، والاطلاع المفرط، والاقتدار على التصرف في الكلام، والملكة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد مسهباً

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

موجزاً، مع التواضع واليسر، والشفقة، ورقة القلب، إنّها لعمري سمات العلماء الذين بارك الله في أعمالهم، ومآثرهم..."[١٥]

وممّا يدل على مكانة ابن هشام العلمية ورسوخ قدمه في المجال النحوي أيضاً؛ ما قاله ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) عنه: "...ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم

بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه..."[١٦]

بالنظر إلى ما سبق يتبين جلياً مدى مكانة هذا العالم وثقافته العلمية، لأنها بمثابة شهادة شاهد من أهلها، حيث إنها صدرت من عالمين جليلين ذكرا ما عرفا من ابن هشام الأنصاري ومكانته العلمية.

ب-التعريف بالزمخشري:

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري جار الله. ولد بزمخشر

يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧هـ[١٧]وزمخشر: إحدى قرى خوارزم[١٨]ويلقّب بجار الله؛ لأنه سافر إلى مكة وجاورها زمنًا.[١٩]

عاش الزمخشري في بيئة خوارزم التي كانت ذات أهمية في تقدّم الحضارة في آسيا الوسطى، وفي عهد السلطان جلال الدنيا والدين أبي الفتح مَلِكْشَاهْ الذي يقاس عهده في عظمته وفخامته بأزهر عهود الدولة الرومانية، حيث ازدهرت التجارة والصناعة وزهت الآداب والفنون. وكان يعاونه في إدارة الملك وزيره نظام الملك الذي يُعد من أقدر وزراء الإسلام بعد يحي البرمكي. وكان له مجالس يحضرها أئمة الدين من قرّاءٍ وفقهاء ومحدّثين، كما أنّه أنشأ المدارس في الأمصار المختلفة لتعليم الحديث، بل كان يمليه بنفسه.[٢٠]ومن ثمّ نشأ في هذا العصر طبقات من الكتّاب المجيدين الذين وُلوا المناصب العالية، ووُفّر لهم الرزق، ووُسع عليهم العيش، لكيلا يشغلوا بمأكلهم. ففي هذا العصر الذي يشجع العلم، ويبسط حمايته، نشأ الزمخشري، وعليه تفتحت عينه.[٢١]

وأمّا بالنسبة لحياة الزمخشري العلمية؛ فقد درج في مدينة خوارزم، وفيها تعلّم أصول القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ العلم عن جماعة من شيوخها، ثم ارتحل في سبيل العلم، ونهل من علماء كثيرين، كما نهل من

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

مؤلفاتهم التي كانت منتشرة في زمانه، ثم رحل إلى الحجاز، وأقام بها مدةً للتعلّم.[٢٢]وكان الزمخشري رأساً في العربية، وله نظم جيّد في الشعر.[٢٣]

أساتذته:

تعلّم الزمخشري من علماء عديدين أشهرهم:

_أبوبكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري الأندلسي، من أهل يابرة، فهو نحوي أصولي فقيه. قرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه. والذي توفي سنة(٥١٨هـ).[٢٤]

-أبو مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني الذي كان يلقّب بـ (فريد دهره ووحيد عصره) في علم اللغة والأدب والنحو، ومضروبًا به المثل في أنواع المكارم والفضائل، أخذ عنه الزمخشري اللغة، وتأثر بمذهبه الاعتزالي أيضاً، والذي توفي سنة (٧٠٥هـ).[٢٥]

-ركن الدين محمد الأصولي، الذي تلقّى عنه أصول الدين، وتعلّم عنه التفسير أيضاً.[٢٦]

-كما أنّه سمع من شيخ الإسلام ابن منصور الحارثي، ومن أبي سعد الشفاني وغيرهم.[٢٧]

وكان الزمخشري محبًا للعرب والعربية. قال في مقدمة كتابه المفصّل:"...الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب، والعصبية، وأبى لي أن أتفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وانضوى إليّ لفيف الشعوبية وأنحاز..."[٢٨]

تلامذته:

تتلمذ عند الزمخشري طلاب كثيرون أمثال: أبي الحسن علي بن هارون العمراني الخوارزمي، الملقّب (حجة الأفاضل)، تلقّى الأدب والحديث عن الزمخشري ومحمد بن أبي القاسم بن بَايَجُوكَ البقالي الخوارزمي، وأبو يوسف يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي، وغيرهم.[٢٩]

وفاة الزمخشري:

توفي الزمخشري في خوارزم، -كما ذكر الأنباري في نزهة الألباء-في ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ. وكان مقطوع الرجل قبل موته؛[٣٠]فقد جُعل له رِجلٌ من خشب يستعين بها في المشي.[٣١]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

آثاره:

خلّف الزمخشري آثارًا علمية غزيرة في فنون مختلفة، يذكر الباحث النحوية والصرفية منها على سبيل المثال: "نكت الأعراب في غريب الإعراب في إعراب القرآن، و"المفصّل في علم العربية في النحو والصرف" و" الأنموذج في النحو" و" الأمالي في النحو" و" المفرد والمؤلف في النحو" وألف حاشية على المفصل في النحو" ثم شرح المفصل في النحو" و "شرح كتاب سيبويه" وألف المحاجاة ومتمم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي والألغاز" و "المفرد والمركب" و"الكشاف". وغير ذلك من الكتب القيَمة.[٣٢]

مكانته العلمية:

للزمخشري مكانة عظيمة في مجال العلم عامة بما في ذلك النحو والتفسير، فقد أفرغ شطراً كبيراً من حياته للعلم، والتأليف، ذلك منذ أول الأمر ابتعد عن كل مشغلة، فقد اعتزل النساء ونسلهن يقول:[٣٣] وممّا يدل على ما ناله الزمخشري من مكانة علمية، ومنزلة بالغة الأهمية، آراء العلماء التي ضمتها كتب التراجم والطبقات فيه، قال القطفي(٦٢٤هـ): " وكان رحمه الله ممن يُضرب به المثل في علم الأدب، والنحو، واللغة. لقي الأفاضل والأكابر، وصنّف التصانيف في التفسير، وغريب الحديث..."[٣٤]وقال عنه السمعاني: "برع في الأدب وصنّف التصانيف، ورد العراق، وخراسان، ما دخل بلدًا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له، وكان علامةً نسّابةً..."[٣٥]ووصفه السيوطي، بسعة العلم والذكاء، وجودة القريحة والتفنن في العلوم الكثيرة.[٣٦]ووصفه الدكتور شوقي ضيف من المحدثين؛ بأنّه عالم من علماء التفسير وإمام من أئمة اللغة والنحو.[٣٧]فهذا قليل من شهادة العلماء بالنسبة لمكانة الزمخشري في الفنون العلمية المختلفة.

٢-معنى الاعتراض لغة واصطلاحا:

الاعتراض لغة: وقد ورد لفظ الاعتراض في المعاجم اللغوية بمعانٍ مختلفة، منها:

أ-المنع: "...والاعتراض المنع، قال الصاغاني: والأصل فيه أنّ الطريق المسلوك إذا اعترض فيه بناء أو غيره كالجذع أو الجبل من السابلة من سلوكهن، فوضع الاعتراض موضع المنع لهذا المعنى..."[٣٨]

ب-عدم الاستقامة: "...واعترض الفرس في رَسَنِه، لم يستقم لقائده..."[٣٩]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ج-الوقوع في الشيء: "...واعترض فلان فلانا: أي وقع فيه وعارضه: أي جانبه وعدل عنه..."[٤٠]

د-الابتداء بالشيء من غير أوّله: "...واعترضت الشهر: إذا ابتدأته من غير أوله..."[٤١]

الاعتراض اصطلاحاً:

هو تقابل الدليلين على سبيل الممانعة بحيث يقتضي أحدهما ثبوت أمر، واقتضى الآخر انتفاءه.[٤٢]

والاعتراض أيضا: هو دفع القول ورده، والحيلولة بين أمرٍ وآخر بما يشبه الخشبة المعترضة في النهر.[٤٣]

٣-اعتراض ابن هشام على الزمخشري في دلالة: "أنزل" و"نزّل" في القرآن الكريم.

ذكر ابن هشام أنّ هناك سبعة أشياء يتعدى بها الفعل القاصر(اللازم) وهي على النحو التالي:[٤٤]

١-**همزة أفعل:** نحو قوله تعالى: **{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا}** الأحقاف: ٢٠ . ونحو: جلس زيد: أجلسته.

وقد ينقل المتعدي إلى مفعول واحد إلى التعدي إلى مفعولين، وذلك نحو: ألبست زيداً ثياباً. ولم ينقل متعدٍ إلى اثنين بالهمزة إلى التعدي إلى ثلاثة، إلا في "رأى" و"علم"

٢-**ألف المفاعلة:** تقول في نحو: جلس زيد-جالست زيداً. وفي نحو: مشى أحمد _ ماشيته. ونحو ذلك.

٣-**صوغه على فعلتُ:** بالفتح أفعُل لإفادة الغلبة، تقول: "كرمت زيداً" بالفتح أي غلبته في الكرم.

٤-**تحويل الفعل الثلاثي اللازم إلى صيغة " استفعل" التي تدل على الطلب:** نحو: حضر الغائب، استحضرت الغائب. أو على النسبة، نحو: حسن الصنيع. استحسنت الصنيع.

٥-**تضعيف العين:** تقول في "فرح زيد" فرّحته.

٦-**التضمين:** وهو أن يؤدي فعل-أو ما في معناه-مؤدى فعل آخر، أو ما في معناه، فيعطى حكمه. مثاله في التعدية: "لا تعزموا السفر" فقد عدّي الفعل "تعزم" إلى المفعول به مباشرة. مع أنّ الفعل لازم لا يتعدى إلا بحرف الجرّ. فتقول: أنت تعزم على السفر. وذلك لأنّ الفعل "تعزم" ضمن معنى الفعل المتعدي "تنوي" فالمعني = "لا تنووا السفر".

٧-**إسقاط الجار توسعاً:** وذلك نحو قوله تعالى: **{وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا}** البقرة: ٢٣٥. أي "على سرّ" أي النكاح. ومنه أيضاً قوله تعالى: {أَعَجِلْتُمْ أَمْرَرَبِّكُمْ} الأعراف: ١٥٠. أي عن أمره.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

هذه هي الأمور التي يتعدى بها الفعل القاصر. ومحل اعتراض ابن هشام على الزمخشري: هو في تضعيف العين، وإدخال همزة "أفعل". وليس في كونهما من الأمور التي يتعدى بها الفعل اللازم؛ بل في دلالة المعنى، وخاصةً في قوله تعالى: **{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ}** آل عمران: ٣.كما يقف عليه المقال في التحليل الآتي:

الفعل القاصر (اللازم): هو الفعل الذي لا يحتاج إلى مفعولٍ به بل يقتصر برفع فاعله فقط. مثل: لا يُضيع حقٌ طالبه أنصاره. ضاع الكتابُ. وغير ذلك من الأمثلة.[٤٥]

ينقسم الفعل باعتبار معناه إلى متعدٍ ولازم:

الفعل اللازم: وهو ما لا يتعدى أثره فاعله ولا يتجاوزه إلى المفعول به، بل يبقى في نفس فاعله. مثل: ذهب سعيد. سافر خالد. وهو يحتاج إلى الفاعل ولا يحتاج إلى المفعول به، لأنه لا يخرج من نفس فاعله فيحتاج إلى مفعول به، بل يقع عليه. ويسمى الفعل القاصر لقصوره عن المفعول به، واقتصاره على الفاعل. ويسمى بالفعل غير الواقع؛ لأنه لا يقع على المفعول به. ويسمى الفعل غير المجاوز، لأنه لا يجاوز فاعله.[٤٦]

الفعل المتعدي: وهو ما يتعدى أثره فاعله ويتجاوزه إلى المفعول به مثل: فتح طارق الأندلس. وهو يحتاج إلى فاعل، ومفعول به يقع عليه. ويسمى أيضاً الفعل الواقع؛ لوقوعه على المفعول به. والفعل المجاوز لمجاوزته الفاعل إلى المفعول به. وعلامته أن يقبل هاء الضمير التي تعود إلى المفعول به. مثل اجتهد الطالب فأكرمه أستاذه.

وينقسم إلى قسمين: -

١ المتعدي بنفسه: وهو ما يصل إلى المفعول به مباشرة، أي بغير واسطة حرف الجر. مثل: بريت القلم. ومفعوله يسمى: صريحاً.

٢-المتعدي بغيره: وهو ما يصل إلى المفعول به بواسطة حرف الجر. مثل ذهبت بك. بمعنى: أذهبتك. ومفعوله يسمى غير صريح.[٤٧]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ومن الأمور التي يتعدى بها الفعل القاصر(اللازم): تضعيف العين. تقول: فرح زيد. "فرّحته". فالأصل من هذا الفعل اللازم الذي هو: "فرح" والذي لا يحتاج إلى مفعول بل اقتصر على فاعله (زيد) فجئ بتضعيف العين ليصير متعدياً: فصار الفعل" فرّح" متعدياً أي: كان له فاعل، وهو "تاء المتكلم" ومفعول به وهو "الهاء".

وقد اجتمعت التعدية بالهمزة والتضعيف في قوله تعالى: **{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ}** آل عمران: ٣.

ذهب الزمخشري إلى أنّ بين التعديتين فرقاً، فقال في كشّافه عند تفسير الآية: "...قلت: لأن القرآن نزل منجماً، ونزل الكتابان جملة..."[٤٨]

يرى الزمخشري أنّ هناك فرقاً بين "نزّل" و"أنزل". ويرى أنّ "نزّل" فيه دلالة على أنّ استعمال هذا التضعيف يوحي إلى أنّ النزول يكون منجماً. و"أنزل" فيه إيحاء إلى أنّ المعنى: نزوله جملة واحدة.

وقد جيء بنزّل في الأول(القرآن) لنزوله منجّماً. وأنزل في الثاني (التوراة وللإنجيل) لأنّهما أنزلا جملة واحدة. ولذلك قال في خطبة كشّافه:" الحمد للّه الذي أنزل القرآن كلامًا مؤلفاً منظمًا، ونزّله بحسب المصالح مُنَجمًا..."[٤٩] لأنّه أراد بالأول: أنزله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وهو الإنزال المذكور في قوله تعالى: **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}** القدر: ١. وفي قوله تعالى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}** البقرة: ١٨٥. وأراد بالثاني: تنزيله من سماء الدنيا إلى رسول الله صلى لله عليه وسلّم، نجومًا في ثلاث وعشرين سنةً.

اعترض عليه ابن هشام بقوله: "... ويشكّل على الزمخشري قوله تعالى: **{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ}** الفرقان: ٣٢ فقُرن "نزّل" بجملة واحدة. وقوله تعالى أيضاً: **{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}** النساء: ١٤٠ ..."[٥٠]

يرى ابن هشام؛ أنّه لا يوجد فرق بين التعديتين، بل هو مجرد التعدية، التي تجعل الفعل اللازم متعديًا. لذلك برهن ببعض الآيات التي تشير إلى عدم موافقته الزمخشري فيما ادّعاه.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٤-تعليق الباحث في المسألة.

يرى الباحث أنّ هذا التنويع اللفظي بين كلمة "نزّل" و"أنزل" له فائدة في دلالة اختلاف المعنى، بل هو المساحة الواسعة التي تمشي فوقها اللغة العربية، وإحدى خصائصها. وليس كما ذهب إليه ابن هشام من أنّه ليس هناك فرقٌ بينهما.

وأمّا قول الزّمخشري، إنّ "نزّل" في الآية المدروسة؛ تفيد أنّ القرآن نزل منجماً مفرقاً، و "أنزل" تفيد أنّ التوراة والإنجيل نزلا جملة واحدة. فمردودٌ، وذلك بالنظر إلى بعض الآيات القرآنية التي أجاب عنه ابن هشام، من أمثال قوله تعالى: {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**} الفرقان: ٣٢ فكيف "نزّل" في هذه الآية مقرونة ب "جملة واحدة" وكذلك قوله تعالى: {**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**} القدر: ١. أي أنزلناه من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا جملة واحدة.

فالذي يبدو للباحث أنّ الفرق بينهما هو: أنّ "نزّل" تفيد الاهتمام والتأكيد، وذلك نحو: وصّى، وأوصى، وكرّم، وأكرم. ينظر على سبيل المثال، قوله تعالى: {**أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ**} الأعراف: ٧١. وقوله أيضا: {**مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ**} يوسف: ٤٠.

ففي سورة الأعراف: محاورة شديدة حيث قالوا: "أجئتنا لنعبد الله وحده" إلخ فيها تهديد لكلام شديد من أولئك، كيف تجعلنا نترك آلهتنا ونعبد الله وحده. ففيها اهتمام لهذه المحاورة فجاء بلفظ "نزّل". وأمّا في سورة يوسف: فلم يردّ عليه السجينان، وليس فيها تهديد، فالموقف يختلف عن آية سورة الأعراف، فجاء بلفظ " أنزل". ف " نزّل" في موطن الاهتمام، أشدّ وأقوى وآكد من "أنزل". والله أعلم.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الخاتمة:

ناقشت المقالة اعتراضات ابن هشام الأنصاري، على جار الله الزمخشري، في لفظتين قرآنيتين، هما: "أنزل" و "نزّل" فبدأت بتعريف الشخصيتين، ثم بعرض موجز لمعنى الاعتراض لغة واصطلاحا، ثم إلى الاعتراض الذي صدر من ابن هشام على الزمخشري، ثم ذكر الباحث رأيه في المسألة. وقد توصل المقال إلى بعض النتائج، منها:

-أنّ الشخصيتين يبحثان في دلالات مفردات القرآن الكريم.

-أنّ ابن هشام وإن لم يكن معروف في مجال التفسير إلا أنّه مفسر، فغني اللبيب عن كتب الأعاريب شاهد على ذلك إذ إنّه مملوء بالبحث عن دلالات الألفاظ القرآنية.

-قد يترك المفسّر النحوي دلالة الصيغة إلى دلالة أخرى وخاصة عند تفسير الآيات القرآنية، كما حدث للزمخشري في اللفظتين المدروستين.

المراجع والهوامش:

---

[١]-ينظر: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، (بدون عدد الطبعة؛ بيروت لبنان: دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ)، ج٢، ص٣٠٨.

[٢]-أثبتت أكثر المراجع هذا التاريخ. ينظر: عمران عبد السلام شعيب، **منهج ابن هشام من خلال كتابه المغني**، (ط١؛ بنغازي ليبيا: دار الكتب الوطنية، ١٩٩٨م)، ص٢٠.

[٣]-ينظر: عبد العال سالم مكرم، **المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة**، (ط١؛ بدون مكان النشر: دار الشروق، ١٩٨٠م) ص١٩٧.

[٤]-ينظر: عصام نور الدين، **الفعل في نحو ابن هشام**. (ط٢؛ لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م)، ص١٣.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٥] -ينظر: عصام مصطفى يوسف عبد الواحد، **ردود ابن هشام الأنصاري على النحاة**، (ط١؛ القاهرة مصر: مؤسسة المختار، ١٤٢٩هـ-٢٠٠م)، ص١٩.

[٦]-ينظر: **الفعل في نحو ابن هشام**، المرجع السابق، ص١٥.

[٧]-ينظر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، المرجع السابق، ج٢، ص٢٩٣.

[٨]-المرجع نفسه، ج٢، ص٤١٥.

[٩]- نفسه، ج٢، ص٣٠٨.

[١٠]-نفسه، والصفحة.

[١١]-**ردود ابن هشام الأنصاري على النحاة**، المرجع السابق، ص١٩-٢٠.

[١٢]-**منهج ابن هشام الأنصاري من خلال كتابه المغني**، المرجع سابق، ص٢٨-٢٩.

[١٣]-**الفعل في نحو ابن هشام**، المرجع السابق، ص: ٢١.

[١٤]-المرجع نفسه، ص: ٢١.

[١٥]-**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، المرجع السابق، ص ٤١٥.

[١٦]-عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، (دون عدد الطبعة؛ بيروت: مطبعة بيروت، بدون تاريخ)، ص٥٣٢.

[١٧]- كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، الأنباري. **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الطبعة الأولى؛ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٦٤هـ٢٠٠٣ م) ص٣٣٨-٣٣٩

[١٨]-**نفسه**، والصفحة.

[١٩]-ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، **الأنموذج في النحو**: اعتنى به سامي بن حمد المنصور (ط١؛ بدون مكان النشر: والناشر، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص١١

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٢٠]-ينظر: مصطفى الصّاوي الجويني الدكتور، **منهج الزمخشري في تفسير القرآن**، (ط٢؛ مصر: دار المعارف، بدون تاريخ)، ص٢٣.

[٢١] -المرجع، نفسه، ص٣٤.

[٢٢]- نفسه، ص ٣٤.

[٢٣]-ينظر: **الأنموذج في النحو**، المرجع السابق، ص١١.

[٢٤]-ينظر: بغية الوعاة، المرجع السابق، ص٢٨٤.

[٢٥]-ينظر: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم الأدباء**، (بدون عدد الطبعة؛ بيروت: دار المشرق، د.ت)، ج١٩، ص١٢٣-١٢٤.

[٢٦]-المرجع، نفسه، والصفحة.

[٢٧]-ينظر: فاضل صالح السامرائي (الدكتور)، **الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري**، (بدون عدد الطبعة؛ بغداد: مطبعة الارشاد، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م)، ص١٦-١٧

[٢٨]-ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، **المفصّل في علم العربية**، (ط١؛ صيدا-بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ)، ص٥.

[٢٩]-ينظر: **الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري**، المرجع السابق، ص١٦-١٧.

[٣٠]-قيل إنّه لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني سأله عن سبب قطع رجله فقال: دعاء الوالدة، وذلك أني في صباي أمسكت عصفورًا وربطته بخيط في رجله وأفلت من يدي، فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي لذلك، وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي فأصيبت بداء أوجب قطعها. ينظر: mahkan.yoo7.com يوم السبت ٢٠١٧/٥/١٣م الساعة الخامسة مساء.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٣١]-**الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري**، المرجع السابق، ص٣٣٨-٣٣٩.

[٣٢]-جمال الدين على بن يوسف القطفي. **أنباه الرواة على أنباء النحاة**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (. الطبعة الأولى؛ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م)، ج ٣، ص٢٦٦.

[٣٣]-ينظر: **منهج الزمخشري في تفسير القرآن**، المرجع السابق، ص٤٣.

[٣٤]-ينظر: **إنباه الرواة على أنباء النحاة**. المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٥-٢٦٦.

[٣٥]-ينظر: القاسم بن الحسين بن احمد صدر الأفاضل، **التخمير وهو شرح المفصل للزمخشري** تحقيق: محمد السيد عثمان (الطبعة الأولى؛ لبنان: دار الكتب العلمية،٢٠١١م)، ص ١٩.

[٣٦]-ينظر: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٨٨.

[٣٧]-ينظر: شوقي ضيف(الدكتور). **المدارس النحوية**، (ط٩؛ القاهرة: دار المعارف، د.ت) ص٢٨٣.

[٣٨]-ينظر: **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية** المرجع السابق، م٣، ص١٠٨٤، مادة: (عرض) ومحمد الزبيدي، **تاج العروس**: تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (دون عدد الطبعة؛ الكويت: التراث العربي،١٩٦٥م)، ج١٨، ص٤٠٨.

[٣٩]-ينظر: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**، (ط١؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ)، ج١، ص٤٦٣.

[٤٠]-ينظر: **الصحاح**، المرجع السابق، ص١٠٨٤-١٠٨٥.

[٤١]-نفسه، والصفحة.

[٤٢]-ينظر: محمد بن علي الشريف الجرجاني، **كتاب التعريفات**، تحقيق: عبد الرحمن المرعشلي، (ط١؛ بيروت لبنان: دار النفائس، ٢٠٠٣م)، ص١٢٤.

[٤٣]-ينظر: **معجم المصطلحات النحوية والصرفية**، المرجع السابق، باب العين، ص١٥

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٤٤] -جمال الدين ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب كتب الأعاريب**، تحقيق وتعليق د. مازن المبارك محمد علي حمد الله، (ط٣؛ بدون ذكر مكان الطبع: دار الفكر،١٩٧٢م)، ص٦٧٨-٦٨١.

[٤٥] -**النحو الكافي**. المرجع السابق، ص ٤٣.

[٤٦] -ينظر: mwkipedia.org. https//ar يوم الإثنين: ٢٠١٥/٩/٢٨م.

[٤٧] -نفسه، والتاريخ.

[٤٨] -محمود بن عمر الزمخشري. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. (دون عدد الطبعة؛ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ج١، ص٣٣٦.

[٤٩] -المصدر نفسه، والصفحة.

[٥٠] -**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، المصدر السابق، ص٦٨٠.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

التحليل النحوي والدلالي للآيات الداعية إلى الوسطية

إعداد:

الدكتور بلو محمد

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الفيدرالية غسو

وعبد الله محمد إغُوَا

طالب الماجستير بقسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي صكتو

الملخص:

إن هذه المقالة بعنوان" التحليل النحوي والدلالي للآيات الداعية إلى الوسطية "وقد تناولت الحديث عن مفهوم الوسطية لغة واصطلاحا، وتحدثت عن أُسس الوسطية كالغلو أو الإفراط، والجفاء أو التفريط، والصراط المستقيم، ومنهج الوسطية يوجد في كل من العقائد والعبادات والأخلاق والتشريع، والقرآن الكريم يقرر منهج الوسطية في العبادة بأساليب متعددة ومتنوعة، ثم انتقلت إلى عرض خمس آيات من آي القرآن الكريم التي تحمل في طياتها ومضامينها معنى الوسطية، وتناولت نماذج من التحليل النحوي والدلالي للآيات المختارة

Abstract

This paper titled “the grammatical and semantical analysis of the verses that are calling for moderateness, the paper contains the literal and technical meaning of moderateness, discussion on the fundamentals of moderateness, like falsity or immoderation, disloyalty or carelessness, and the right path, the methodology of moderateness found in each of the creeds, acts of worship, behaviours and Islamic regulations, the Glorious Qur'an emphasizes on the methodology of moderateness in acts of worship, with different procedures, then

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

the paper focuses on the content of moderateness, it also contains the samples from grammatical and semantical annalistic of the selected verses.

المقدمة:

الحمد لله الفعال لما يريد الذي بيده زمام الأمور كلها، يصرفها على النحو الذي يريده، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

النحو دعامة العلوم العربية، وقانونها الأعلى؛ منه تستمد العون، وتستلهم القصد، وترجع إليه فى جليل مسائلها، وفروع تشريعها؛ ولن تجد علماً منها يستقل بنفسه عن النحو، أويستغنى عن معونته، أويسير بغير نوره وهداه. وهذه العلوم النقلية - على عظيم شأنها لا سبيل إلى استخلاص حقائقها، والنفاذ إلى أسرارها، بغير هذا العلم الخطير؛ فهل ندرك كلام الله تعالى، ونفهم دقائق التفسير، وأحاديث الرسول عليه السلام، وأصول العقائد، وأدلة الأحكام، وما يتبع ذلك من مسائل فقهية، وبحوث شرعية مختلفة تزْقى بصاحبها إلى مراتب الإمامة، وتسمو به إلى منازل المجتهدين - إلا بإلهام النحو وإرشاده؟ ولأمرٍ ما قالوا: إن الأئمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه شرْط فى رتبة الاجتهاد، وأن المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم النحو، فيعرف به الدلالي التى لا سبيل لمعرفتها بغيره. فرتبة الاجتهاد متوقفة عليه، لا تتم إلا به وهو وسيلة المستعرب، وسلاح اللغوى، وعماد البلاغىّ، وأداة المشرّع والمجتهد، والمدخل إلى العلوم العربية والإسلامية جميعًا. فليس عجيباً أن يصفه الأعلام السابقون بأنه: "ميزان العربية، والقانون الذى تُحكَم به فى كل صورة من صورها". وتحتوي المقالة على النقاط التالية:

- مفهوم الوسطية لغة واصطلاحا وأسسها
- عرض الآيات المختارة من القرآن الكريم
- التحليل النحوي والدلالي للآيات المختارة
- الخاتمة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

مفهوم الوسطية لغة واصطلاحا وأسسها

الوسطية في اللغة:

وَسَطَ الشيء يَسْطُهُ وسطا، وسِطة: صار في وسطه ويقال: وسط القوم، ووسط المكان. فهو واسط والقوم، وفيهم وساطة: توسط بينهم بالحق والعدل[١] وسط الرجل يوسط وساطة وسطة صَار شريفا وحسيبا فَهُوَ وسيط[٢] وكلمة وسطا: قال ابن فارس: وَسَطَ: الواو والسّين والطّاء: بناء صحيح يدلّ على العدل والنّصف، وَأَعْدَلُ الشَّيْءِ: أَوْسَطُهُ وَوَسَطُهُ. ويقولون: ضربتُ وَسَطَ رأسِه بفتح السين ووسْط القوم بسكونها، وهو أوسَطُهم حسبًا إذا كان في واسطةِ قومه وأرفعهم محلا [٣] مما سبق أن وسط تأتي بفتح السّين وسكونها، وفتحها أكثر استعمالا، وسْط بسكون السّين تكون ظرفًا بمعنى: بين، قال في لسان العرب: وأمَّا الوسْط بسكون السّين فهو ظرف لا اسم، جاء على وزان نظيره في المعنى وهو بين، جلست وسْط القوم، وَيُقَالُ جَلَسْتُ وسْط الْقَوْمِ، بِالتَّسْكِينِ، لأَنه ظَرْفٌ، أي: بينهم؛ ومنه قول سَوَّارُ بْنُ المُضَرَّب:

إنيّ كأنّي أرى مَنْ لاَ حَياء له ** ولا أمانةَ وسْط النَّاسِ عُريانًا

وَمِنْهُ قَوْلُ أَبي الأَخْزَر الحِمَّانيّ: سَلُّومَ لوْ أَصْبَحْتِ وَسْط الأَعْجَمِ أَي: بَيْنَ الأَعْجم وَجَلَسْتُ وسَط الدَّارِ بِالتَّحْرِيكِ لأَنه اسْمٌ وأَنشد ابْنُ بَرّيٍّ لِلرَّاجِزِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ العَشِيَّ والسفَرْ ** ووَسَطَ الليلِ وساعاتٍ أُخَرْ

وقال صاحب المصباح المنير: الْوَسَطُ بِالتَّحْرِيكِ الْمُعْتَدِلُ يُقَالُ شَيْءٌ وَسَطٌ أَيْ بَيْنَ الْجَيِّدِ وَالرَّدِيءِ[٤]وكيفما تصرّفت هذه اللفظة لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية، والنصف والبينيَّة، والتوسط بين الطرفين، مثلا: سوطًا: بمعنى المتوسّط المعتدل، ومنه قول الأعرابي: علمني دينًا وسوطًا، لا ذاهبًا فروطًا، ولا ساقطًا سقوطًا، فإن الوسط هاهنا المتوسّط بين الغالي والتَّالي[٦]والعرب تصف فاضل النّسب بأنه وسط في قومه، وفلان من واسطة قومه، أي: من أعيانهم، وهو من أوسط قومه، أي من خيارهم وأشرافهم[٧]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الوسطية في الاصطلاح:

وردت مادة وسط في القرآن الكريم في خمسة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعددة، حيث وردت بلفظ: وسطًا والوُسْطَى وأَوْسَطَ وأَوْسَطُهم وفَوَسَطْن، وكذلك في السنة و هي في كل ذلك تدور حول المعاني التالية:

العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، ومن ذلك قوله عز وجل "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا"[٨]أي: عُدُول[٩] وبهذا المعنى فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري فقال: الوسط: العدل.[١٠]وفسرها أبو حيان بمعنى: التوسط بين الإفراط والتفريط.[١١]وابن كثير فسرها: بالْخِيَار وَالْأَجْوَد.[١٢]

وتأتي الوسطية في السنة كذلك بمعنى الأوسط والأعلى كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الفردوس بأنه "أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ".[١٣]وفسر بعضهم: أوسط في الآية بأنه: الأعدل والأمثل، فتكون الآية على هذا التفسير مندرجة تحت المعنى الأول الذي هو العدالة والخيار والأجود، كما تأتي الوسطية بمعنى: ما بين طرفي الشيء وحافتيه. ومن ذلك قوله تعالى: "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى" [١٤]هي أفضل أوقات الصلاة عند المفسرين، وقيل في تفسير الصلاة الوسطى: إنها صلاة العصر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وقيل: الوسطى بمعنى الفضلى[١٥]

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «وَسِّطُوا الْإِمَامَ وَسُدُّوا الْخَلَلَ"[١٦]أي اجعلوه وسط الصّف في منتصفه من أمامه، بحيث يكون طرفا الصّفّ متساويين بالنّسبة لموقف الإمام.[١٧]

أسس الوسطية:

اتضح مما سبق أن الوسطية تكمن في أمرين وهما: الخيرية والبينية، وإذا أُريدَ أن يُفهَمَ الوسطية على الوجه الدقيق، هناك أسس لا بد من بيانها، لتحديد معنى الوسطية، وهذه الأسس هي:

أ ـ الغلو أو الإفراط.

ب ـ الجفاء أو التفريط.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ج ـ الصراط المستقيم.

فالصراط المستقيم، وهو وسط بين الغلو والجفاء، أو الإفراط والتفريط، كما يمثل الخيرية ويحقق معناها وبذلك يتحقق في الصراط المستقيم أمران من لوازم الوسطية، ويبدأ الباحثان بيان الأسس مبتدئا بالغلو والإفراط، ثم الجفاء والتفرتيط، ثم معنى الصراط المستقيم.

الغلو والإفراط:

أولا: الغلو: أما الغلو فقد عرفه أهل اللغة بأنه مجاوزة الحد، فقال ابن فارس: غلو: الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلوا، إذا جاوز حده، وغلا بسهمه غلوا إذا رمي به سهما أقصى غايته[١٨]وفي التنزيل: "لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ"[١٩]وفي الحديث: "إياكم والغلو في الدين[٢٠]" أي التشدد فيه ومجاوزة الحد، مجاوزة الحد في الأمر المشروع، وذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحد الذي يخرجه عن الوصف الذي أراده وقصده الشارع العليم الخبير الحكيم.

والغلو على نوعين: اعتقادي وعملي.

الاعتقادي على قسمين: اعتقادي كلي، واعتقادي فقط.

والمراد بالغلو الكلي الاعتقادي ما كان متعلقا بكليات الشريعة وأمهات مسائلها.

أما الاعتقادي فقط فهو ما كان متعلقا بباب العقائد دون غيرها كالغلو في الأئمة وادعاء العصمة لهم، أو الغلو في البراءة من المجتمع العاصي أو تكفير أفراده واعتزالهم، ويدخل في الغلو الكلي الاعتقادي الغلو في فروع كثيرة إذ أن المعارضة الحاصلة به للشرع مماثلة لتلك المعارضة الحاصلة بالغلو في أمر كلي[٢١].

وأما الغلو الجزئي العملي، فهو ما كان غلوًا في جزئية من جزئيات الشريعة ومتعلقا بباب الأعمال دون الاعتقاد، فهو محصور في جانب الفعل سواء أكان قولا باللسان أم عملا بالجوارح[٢٢].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

والغلو الكلي الاعتقادي أشد خطرًا، وأعظم ضررًا من الغلو العملي إذ أن الغلو الكلي الاعتقادي هو المؤدي إلى الشقاق والانشقاق، وهو المظهر للفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم، وذلك كغلو الخوارج والشيعة.[٢٣]

ثانيا: الإفراط: لغة هو: التقدم ومجاوزة الحد. قال ابن فارس: يقال: أفرط: إذا تجاوز الحد في الأمر، ويقولون: إياك والفرط، أي لا تجاوز القدر، وهذا هو القياس، لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن وجهته[٢٤]

والإفراط: الإعجال والتقدم وأفرط في الأمر: أسرف وتقدم وكل شيء جاوز قدره فهو مفرط.[٢٥] قال تعالى: "إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ".[٢٦] قال الطبري -رحمه الله-: وأما الإفراط فهو الإسراف والإشطاط والتعدي، يقال منه: أفرطت في قولك، إذا أسرف فيه وتعدى، وأما التفريط فهو التواني، يقال منه فرّطت في هذا الأمر حتى فات، إذا تواني فيه.[٢٧]

وخلاصة القول أن معنى الإفراط: تجاوز الحد، والتقدم عن القدر المطلوب وهو عكس التفريط. وقد تبين مما سبق من تعريفي الغلو والإفراط أن كلا منهما يصدق عليه تجاوز الحد، وقد فسر الغلو بالإفراط كما سبق وإن كل واحد منهما يحمل معنى أبلغ من الثاني في بعض ما يستعمل فيه، فالذي يشدد على نفسه بتحريم بعض الطيبات، أو بحرمان نفسه منها وصف الغلو ألصق به من الإفراط، والذي يعاقب من اعتدى عليه عقوبة يتعد بها حدود مثل تلك العقوبة، والذي يهم الباحثان في هذا أن كلا من الغلو والإفراط خروج عن الوسطية، فكل أمر يستحق وصف الغلو أو الإفراط فليس من الوسطية في شيء.

التفريط والجفاء:

أما التفريط في اللغة: فهو التضييع كما في لسان العرب. وفي حديث علي -رضي الله عنه-: "لا يرى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا" وهو بالتخفيف المسرف في العمل، وبالتشديد المقصر فيه، وفرط في الأمر يفرط فرطا أي: قصر فيه وضيعة حتى فات، وكذلك التفريط.[٢٨]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ومنه قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِيَّ النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ عَلَى مَنْ لَمْ يُصَلِّ الصَّلَاةَ حَتَّى يَجِيءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ الْأُخْرَى"[٢٩]إذن فالتفريط هو التقصير والتضييع والترك. قال تعالى: "قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا" قال الطبري -رحمه الله-: يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها[٣٠]وقال تعالى: "وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا"[٣١]روى عن مجاهد -رحمه الله-: (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) ضائعا وروى عنه: ضياعا.

ويتبين مما سبق أن لفظ التفريط يدل على الترك والتهاون والتقصير والتضييع مع اختلاف بسيط بين مدلول هذه المعاني وكلها في مقابل الإفراط والغلو.

أما الجفاء: فقال ابن فارس: الجيم والفاء والحرف المعتل يدل على أصل واحد: نبو الشيء عن الشيء، من ذلك: جفوت الرجل، جفوة، وهو ظاهر الجفوة، أي الجفاء، وجفاء السرج عن ظهر الفرس، وأجفيته أنا. وكذلك كل شيء إذا لم يلزم شيئا، يقال: جفا عنه يجفو، والجفاء: خلاف البر، والجفاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجفاء[٣٢]وقال ابن منظور: جفا الشيء يجفو جفاء وتجافي: لم يلزم مكانه، كالسرج يجفو عن الظهر وكالجنب يجفو عن الفراش، وفي التنزيل: "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"[٣٤]قال الطبري -رحمه الله-: تتنحى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله الذين وصفت صفتهم، وترفع عن مضاجعهم التي يضجعون لمنامهم، ولا ينامون.تتجافى: تتفاعل من الجفاء، والجفاء النبو، وإنما وصفهم - تعالى ذكره- بالتجافي في جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة، ثم قال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا، وذلك نبو جنوبهم عن المضاجع ليلا [٣٥]وقال تعالى: "فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً"[٣٦].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وبذلك يتضح أن الجفاء هو النبو والترك، والبعد، وهو غالبا ما يحدث خلاف الأصل والعادة، وأكثر ما تستعمل كلمة جفاء لما هو محرم منهي عنه كالجفاء بما يقابله الصلة والبر، والجفاء الذي هو من الشدة والغلظة وهذه أمثلة يتضح فيها معنى التفريط والجفاء:

١ - عقوق الوالدين: جفاء.

٢ - تأخير عمل اليوم إلى الغد - دون سبب-: تفريط.

٣ - إهمال تربية الأولاد: تفريط.

٤ - ترك الأخذ بالأسباب: تفريط.

٥ - رؤية المنكرات وعدم إنكارها مع القدرة على ذلك: تفريط.

٦ - الغلظة في المعاملة: جفاء.

٧ - تأخير الصلاة عن وقتها: تفريط.

٨ - السلبية مع واقع المسلمين وشؤونهم وشجونهم: جفاء وتفريط.

٩ - عدم القيام بحقوق العلماء وضعف الصلة بهم: جفاء وتفريط.

١٠ - قطع الأرحام وعدم صلتهم: جفاء وتفريط.

وبهذا يتبين معنى التفريط والجفاء، وأن بينهما عموما وخصوصا وهما يقابلان معنى الغلو والإفراط. وعند استعمال العرب للفظين يلاحظ، أن الجفاء يستعمل -غالبا- فيما فيه قصد الأمر من الترك والبعد وسوء الخلق. أما التفريط فمنشؤه -غالبا- التساهل والتهاون، أن كل أمر اتصف بالتفريط أو بالجفاء فإنه يخالف الوسطية، وبمقدار اتصافه بأي من هذين الوصفين يكون بعده عن الوسطية وتجافيه عنها.

الصراط المستقيم:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

بدون فهم معنى الصراط المستقيم، وتحديد مدلوله لايفهم كلمة الوسطية على معناها الصحيح، وقد ورد لفظ الصراط المستقيم، في القرآن الكريم عشرات المرات، وجاء أيضًا بلفظ "صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا"[٣٧]و "صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ"[٣٨]و"صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا"[٣٩]

قال الطبري -رحمه الله-: في قوله تعالى: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا إعوجاج فيه، وذلك في لغة جميع العرب، ومنه قول الشاعر:

أمير المؤمنين على صراط ** إذا اعوج الموارد مستقيم[٤١]

وقال ابن عباس: قال جبريل لمحمد -صلى الله عليه وسلم-: اهدنا الصراط المستقيم: يقول ألهمنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج له.[٤٢] قال الطبري -رحمه الله-: وإنما وصفه الله بالاستقامة، لأنه صواب لا خطأ فيه.[٤٣]

وقال: وكل حائد عن قصد السبيل، وسالك غير المنهج القويم فضال عند العرب، لإضلاله وجه الطريق . وقال ابن كثير -رحمه الله-: واختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله ورسوله؛[٤٤] أقوال المفسرين في الصراط المستقيم كثيرة منها:

فيقول بعضهم: الصراط المستقيم: كتاب الله أو اتباع كتاب الله. ويقول الآخر: الصراط المستقيم هو الإسلام أو دين الإسلام. ويقول الآخر: الصراط المستقيم: هو السنة والجماعة. ويقول الآخر: الصراط المستقيم: طريق العبودية، أو طريق الخوف والرضا.

وبهذا يتضح أن معنى الصراط في جميع هذه الآيات الواردة في القرآن الكريم بمعنى واحد، وإن اختلفت العبرة والسياق.

عرض الآيات المختارة من القرآن الكريم:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

اختار الباحثان خمس آيات من آي القرآن الكريم التي تحمل في طياتها ومضامينها معنى الوسطية.

١ ـ "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"[٤٥]

٢ ـ "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[٤٦]

٣ ـ "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"[٤٧]

٤ ـ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"[٤٨]

٥ ـ "فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا"[٤٩]

التحليل النحوي والدلالي للآيات المختارة:

يبدأ الباحثان في هذه النقطة بالتحليل النحوي عن قضية الوسطية لخمس آيات المختارة من القرآن الكريم.

أولاً: التحليل النحوي:

أولا-قوله تعالى: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"[٥٠]

التحليل النحوي: "اهْدِنَا" لَفْظُهُ أَمْرٌ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره أنت، وَالْأَمْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، وَمُعْرَبٌ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ، "نا" ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول الأول، "الصِّرَاطَ" مفعول ثان منصوب أو منصوب بنزع الخافض والتقدير: اهْدِنَا إِلَى الصِّرَاطِ المستقيم ، "الْمُسْتَقِيم" صفة للصراط منصوب على التبعية، وَ(هَدَى) يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُول واحد، فَأَمَّا تَعَدِّيهِ إِلَى مَفْعُول ثان فيجوز، وَمِنْهُ هَذِهِ الْآيَةُ، وَقَدْ يكون بِإِلَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم" وَ"صِرَاطٌ" الثَّانِي بَدَلٌ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، وَهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَكِلَاهُمَا مَعْرِفَةٌ. وَ"الَّذِينَ" اسْمٌ مَوْصُولٌ، وَصِلَتُهُ أَنْعَمْتَ، وَالْعَائِدُ عَلَيْهِ الضمير (هم)[٥١]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

"أَنْعَمْت" فعل وفاعل، وجملة أنعمت لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول "عَلَيْهِمْ" جار ومجرور متعلقان بأنعمت "غَيْرِ" بدل من الضّمير في عليهم أو من الذين أو نعت للذين، "الْمَغْضُوبِ" مضاف اليه "عَلَيْهِمْ" جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل للمغضوب لأنه اسم مفعول "وَلَا" الواو حرف عطف ولا زائدة لتأكيد معنى النفي وهو ما في غير من معنى النفي وهذه الزيادة مطّردة "الضَّالِّينَ" معطوفة على المغضوب، مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم.[٥٢]

ثانيًا-قوله تعالى: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[٥٣]

التحليل النحوي: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً" كان واسمها وخبرها "واحِدَةً" صفة "فَبَعَثَ" الفاء عاطفة على جملة مقدرة اختصارا وإيجازا، أي كان الناس متفقين على الحق حتى اختلفوا، فبعث: الكلام مستأنف مسوق للدلالة على كيفية الاختلاف السائد بين الناس والزيغ المؤدي إلى التفريق بينهم، وذلك بدلالة ما بعده وبعث فعل ماض "اللَّهُ" لفظ الجلالة فاعل "النَّبِيِّينَ" مفعول به "مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ" حالان والثاني معطوف على الأول "وَأَنْزَلَ" عطف على فبعث "مَعَهُمُ" ظرف زمان متعلق بمحذوف حال من الكتاب أي: وأنزل الكتاب مصاحبا لهم وقت الإنزال "الْكِتابَ" مفعول به "بِالْحَقِّ" جار ومجرور متعلقان بأنزل والباء للملابسة، أي أنزله إنزالا ملتبسا بالحق "لِيَحْكُمَ" اللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ولام التعليل ومجرورها المؤول متعلقان بأنزل أيضا "بَيْنَ النَّاسِ، الظرف المكاني متعلق بيحكم، والناس مضاف إليه "فِيمَا" الجار والمجرور متعلقان بيحكم "اخْتَلَفُوا" فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة (ما) الموصولية "فِيهِ" الجار والمجرور متعلقان باختلفوا "وَمَا" الواو عاطفة وما نافية "اخْتَلَفَ" فعل ماض "فِيهِ" الجار والمجرور متعلقان باختلف "إِلَّا" أداة حصر "الَّذِينَ" فاعل اختلف "أُوتُوهُ" فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل هو المفعول الأول والهاء مفعول به ثان "مِنْ بَعْدِ" الجار والمجرور متعلقان

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

باختلف "مَا" مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضاف إليه، أي من بعد مجيء البينات "جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ" فعل ومفعول به مقدم والبينات فاعل مؤخر "بَغْياً" مفعول لأجله، أي: حسدا منهم، وقيل: حال مؤولة، وليس ببعيد "بَيْنَهُمْ" الظرف المكاني متعلق بمحذوف صفة لبغيا "فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا" الفاء عاطفة وهدى فعل ماض والله فاعل والذين وصلتها مفعول به "لِمَا" الجار والمجرور متعلقان بهدى وما موصولية "اخْتَلَفُوا" فعل وفاعل والجملة صلة ما "فِيهِ" الجار والمجرور متعلقان باختلفوا "مِنَ الْحَقِّ" الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من (ما) "بِإِذْنِهِ" الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الذين آمنوا، أي: مأذونا لهم فهو حال من المفعول به "وَاللَّهُ" الواو استئنافية والله لفظ الجلالة مبتدأ "يَهْدِي" فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى، والجملة في محل رفع خبر الله "مِنْ" اسم موصول مفعول به "يَشاءُ" الجملة صلة الموصول لا محل لها "إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ" الجار والمجرور متعلقان بيهدي ومستقيم صفة[٥٤]

ثالثًا- قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"[٥٥]

التحليل النحوي: "وكَذَلِكَ...."الواو" عاطفة "كذا" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف مفعول مطلق لفعل جعلنا، و"اللام" للبعد، و "الكاف" حرف خطاب "جعلنا" فعل ماض مبنيّ على السكون و "نا" فاعل و "كم" ضمير مفعول به أوّل "أمّة" مفعول به ثان منصوب "وسطا" نعت لأمّة منصوب مثله "اللام" لام التعليل "تكونوا" مضارع ناقص منصوب ب "أن" مضمرة بعد لام التعليل والواو اسم تكون "شهداء" خبر تكونوا منصوب ومنع التنوين لأنه على وزن فعلاء، والمصدر المؤوّل "أن تكونوا" في محلّ جرّ باللام متعلّق ب "جعلنا. على الناس" جارّ ومجرور متعلّقان بشهداء. "الواو" عاطفة "يكون" مضارع منصوب ب "أن" مقدّرة دل عليها المذكورة "الرسول" اسم يكون مرفوع "على" حرف جرّ و "كم" ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب "شهيدا" وهو خبر يكون منصوب، والمصدر المؤوّل (أن يكون) معطوفة على المصدر المؤوّل الأول ويتعلّق بما تعلّق به الأول.[٥٦]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

رابعًا- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"[٥٧]

التحليل النحوي: "يا" أداة نداء "أي" منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محلّ نصب و "ها" حرف تنبيه "الذين" اسم موصول مبني في محلّ نصب بدل من أي أو نعت له "آمنوا" فعل ماض وفاعله "لا" ناهية جازمة "تحرموا" مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون والواو فاعل "طيبات" مفعول به منصوب وعلامة النصب الكسرة "ما" اسم موصول مبني في محلّ جر مضاف إليه، "أحلّ" فعل ماض "الله" لفظ الجلالة فاعل مرفوع "اللام" حرف جر و "كم" ضمير في محلّ جر متعلق بـ "أحلّ" "الواو" عاطفة "لا تعتدوا" مثل لا تحرّموا "إنّ" حرف مشبه بالفعل "الله" لفظ الجلالة اسم إن منصوب "لا" نافية "يحب" مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو "المعتدين" مفعول به منصوب وعلامة النصب الياء.[٥٨]

خامسًا- "فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا"[٥٩]

التحليل النحوي: وقيل (ما) ذهابا إلى الصفة. ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء: ومنه قوله تعالى: (أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ) مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ معدولة عن أعداد مكررة، وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين: عدلها عن صيغها، وعدلها عن تكررها، وهي نكرات يعرّفن بلام التعريف. تقول: فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع، ومحلهن النصب على الحال مما طاب، تقديره: فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد، ثنتين ثنتين، وثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعا. فإن قيل: الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع، فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع؟ يجيب: الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له، والواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع، إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاءوا متفقين فيها، محظورًا عليهم ما وراء ذلك. وقرأ إبراهيم: وثلث وربع، على القصر من ثلاث ورباع

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فَواحِدَةً فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا. فإن الأمر كله يدور مع العدل، فأينما وجدتم العدل فعليكم به. وقرئ (فَواحِدَةً) بالرفع على: فالمقنع واحدة، أو فكفت واحدة، أو فحسبكم واحدة أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ سوّى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء، من غير حصر ولا توقيت عدد:[٦٠]

والفاء رابطة للجواب وأنكحوا فعل أمر مبنيّ على حذف النون والواو فاعل والجملة في محل جزم فعل الشرط وما اسم موصول في محل نصب مفعول به، "طاب" فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: هو وهو العائد وجملة طاب لا محل لها لأنها صلة ولكم جار ومجرور متعلقان بطاب ومن النساء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ضمير الفاعل، ومثنى وثلاث ورباع أحوال.[٦١]

ثانيًا: التحليل الدلالي:

أولا: قول الله تبارك وتعالى: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"[٦٢]

ووجه دلالة في الآية: أنه سبحانه وصف "الصراط المستقيم" بأنه غير صراط المغضوب عليهم، وهم اليهود أهل الغلو في الدين، وغير صراط النصارى، وهم أهل الغلو في الرهبانية والتعبد، حتى خرجوا عن حدود الشرع، ليس فقط في العبادة، بل حتى في الاعتقاد، يقول تبارك وتعالى: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا"[٦٣]فإذا كان الصراط المستقيم غير صراط اليهود والنصارى، وكان صراط اليهود والنصارى صراط غلو في الدين، دل ذلك على أن الصراط

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

المستقيم صراط لا غلو فيه، فهو بين طرفين: الإفراط والتفريط، وهذا هو معنى الوسطية التي هي منهاج الدين الإسلامي[٦٤]

ثانيًا: قال الله تبارك وتعالى: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[٦٥]امتنّ الله سبحانه على عباده المؤمنين أن هداهم إلى الصراط المستقيم، الذي هو سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن يتبعه، قال تعالى: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[٦٦]

وللغواية والضلال سبل، وكل سبيل غير سبيل الحق فهو معوج، وسبيل الحق هو سبيل الرشد، وهو الصراط المستقيم، فالصراط المستقيم وسط بين السبل، التي أشارت إليها الآيات الكثيرة. فإن هذه الأمة وسط بين الأمم. فوصف الأمة بكونها هديت إلى صراط مستقيم، وأنها على صراط مستقيم، وصف يقتضي الوسطية لها في دينها، بين السبل المعوجة، ذات اليمين وذات الشمال.

ثالثًا: قال الله تبارك وتعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"[٦٧]

فأمة الإسلام جعلت أمة وسطا: عدلا خيارا، والعدل الخيار يدل على كونهم بين الإفراط والتفريط. قال الطبري: "وأرى أن الله تبارك وتعالى إنما وصفهم بأنهم وسط، لِتَوَسُّطِهِمْ فِي الدِّينِ فَلَا هُمْ أَهْلُ غُلُوٍّ فِيهِ، غُلُوَّ النَّصَارَى الَّذِينَ غَلَوْا بِالتَّرَهُّبِ وَقِيلِهُمْ فِي عِيسَى مَا قَالُوا فِيهِ، وَلَا هُمْ أَهْلُ تَقْصِيرٍ فِيهِ تَقْصِيرُ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ وَكَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ وَكَفَرُوا بِهِ؛ وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ تَوَسُّطٍ وَاعْتِدَالٍ فِيهِ، فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، إِذْ كَانَ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ أَوْسَطَهَا[٦٨]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

رابعًا: قال الله تبارك وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"[٦٩] ومعنى لا تُحَرِّمُوا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم. أو لا تقولوا حرّمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهداً،[٧٠] ظهرت عند بعض الصحابة نزعة شديدة إلى العبادة والغلو فيها والانقطاع لها وحرموا على أنفسهم طيبات أحلت لهم، فأنزل الله آيات تنكر عليهم هذا السبيل، وتردهم إلى طريق الوسطية والاعتدال، ذكر الإمام الطبري: "إن مجموعة من الصحابة منهم عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود: تبتلوا فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالخصاء، وأجمعوا لقيام الليل، وصيام النهار، فنزلت هذه الآية.

يقول: لا تستنوا بغير سنة المسلمين، يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار، وما هموا به من الخصاء، فلما نزلت فيهم بعث إليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[٧١] فقال: "إن لأنفسكم حقا، وإن لأعينكم حقا، صوموا وأفطروا، وصلوا وناموا فليس منا من ترك سنتنا"، فقالوا: اللهم أسلمنا واتبعنا ما أنزلت.[٧٢]

خامسًا:" قال الله تبارك وتعالى: "فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ"[٧٣] هذا نموذج من نماذج الوسطية في باب تشريع تعدد الزوجات حيث وُسّط بين الإفراط والتفريط، وكان المجوس وعبدة البقر والمشركون من العرب قبل الإسلام، يتزوج واحد منهم بمئات النساء، وأما أهل الكتاب فكانوا لا يسمحون للرجل بأكثر من زوجة، فجاء الإسلام وقيد الزواج بأربع نسوة واشترط في ذلك العدل، في جميع الحقوق التي في إمكان الزوج كالمبيت، والجماع، والنفقة، والمسكن، وغير ذلك، ولم يستثن من ذلك إلا الميل القلبي الذي لا يملكه أحد، بشرط ألا يكون له تأثير في المعاملة الظاهرة، ولذلك حث الله تعالى من يخشى التقصير على اجتناب التعدد، فقال تعالى في ختام الآية السابقة: "فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا"[٧٤] فجعل الله تعالى العدل أمرًا لازما يتحرى بقدر الوسع والطاقة كما قال تعالى: "وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا"؟[٧٥]لأن العدل الكامل المطلق غير مستطاع، خاصة ميل القلب، فأمر الله تعالى بالعدل الممكن، الذي لا يترخص فيه صاحبه ولا يتنطع، ولا شك أن الطريق التي هي أقوم وأعدلها، هي إباحة تعدد الزوجات لأمور محسوسة يعرفها كل العقلاء. أن المرأة الواحدة تحيض وتمرض، وتنفس إلى غير ذلك من العوائق المانعة من قيامها بأخص لوازم الزوجية، والرجل مستعد للتسبب في زيادة الأمة، فلو حبس عليها في أحوال أعذارها لعطلت منافعه باطلا في غير ذنب.[٧٦]

ومنها: أن الله أجرى العادة بأن الرجال أقل عددًا من النساء في أقطار الدنيا، وأكثر تعرضا لأسباب الموت منهن في جميع ميادين الحياة، فلو قصر الرجل على واحدة لبقي عدد ضخم من النساء محروما من الزواج، فيضطرون إلى ركوب الفاحشة، فالعدل عن هدي القرآن في هذه المسألة من أعظم أسباب ضياع الأخلاق، والانحطاط إلى درجة البهائم في عدم الصيانة والحافظة على الشرف والمروءة، والأخلاق.[٧٧]

ومنها: أن الإناث كلهن مستعدات للزواج، وكثير من الرجال لا قدرة لهم على القيام بلوازم الزواج لفقرهم، فالمستعدون للزوج من الرجال أقل من المستعدات له من النساء، لأن المرأة لا عائق لها، والرجل يعوقه الفقر وعدم القدرة على لوازم النكاح، فلو قصر الواحد على الواحدة، لضاع كثير من المستعدات للزواج أيضًا بعدم وجود أزواج، فيكون ذلك سببا لضياع الفضيلة وتفشي الرذيلة، والانحطاط الأخلاقي، وضياع القيم الإنسانية، فإن خاف الرجل ألا يعدل بينهن، وجب عليه الاقتصار على واحدة، أو ما ملكت يمينه، والميل بالتفضيل في الحقوق الشرعية بينهن لا يجوز، أما الميل الطبيعي بمحبة بعضهن أكثر من بعض، فهو غير مستطاع دفعه للبشر، لأنه انفعال وتأثر نفسي لا فعله[٧٨]

الخاتمة:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

تحدث الباحثان في هذه المقالة عن مفهوم الوسطية لغة واصطلاحا وأسسها وعرضا خمس الآيات المختارة من القرآن الكريم وحللاها تحليلا نحوية ودلالية، واتضح من المقالة أن الوسطيَّة تعني التَّنازل والتَّساهل، فإذا رأوا مسلمًا قد التزم الصّراط المستقيم، وسار على هدي النبوَّة، قالوا له: لماذا تُشدِّد على نفسك وعلى الآخرين ودين الله وسط؟ ولذلك نجد في واقعنا المعاصر أن أكثر الذين يُرمَون بالتَّطرف والغلوّ وأخيرًا بالأصوليَّة هم من الذين التزموا بالمنهج على وجهه الصَّحيح.

من أهم النتائج التي وصل إليها الباحثان خلال إجراء هذا البحث:

- إن منهج الوسطية يوجد في كل من العقائد والعبادات والأخلاق والتشريع.
- إن القرآن الكريم يقرر منهج الوسطية في العبادة بأساليب متعددة ومتنوعة فأحيانا بيان الانحراف الواقع في حقيقة العبادة وأحيانا بيان كيفية عبادته وحده سبحانه _ وتعالى.
- إن سورة الفاتحة تقرر منهج الوسطية من أولها إلى آخرها ووضعت القاعدة والمنطلق ورسمت منهج الوسطية وحددت معالمه ثم جاءت الآيات بعد ذلك مقررة لذلك وداعية له.
- إن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد، لا يتم الإيمان إلا به، والملائكة من عوالم الغيب التي امتدح الله المؤمنين بها، تصديقًا لخبر الله سبحانه وإخبار رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأخيرا وليس آخرا اللهَ نسألُ أن ينفع هذا البحث الدارسي اللغة العربية، والله الموافق للصواب، وبالله التوفيق.

الهوامش والمصادر

[1] إبراهيم مصطفى، وزملاءه، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر:دار الدعوة،ج/٢، ص:١٠٣١.

[2] إبراهيم مصطفى، وزملاءه، المرجع السابق،ج/٢، ص:١٠٣١.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٣] ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر،١٣٩٩هـ،١٩٧٩م، ج/٦، ص:١٠٨.

[٤] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى، **لسان العرب**، نشر: دار صادر – بيروت، ط/٣، ١٤١٤ هـ، ج/٧، ص:٤٢٨.

[٥] الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، نشر: المكتبة العلمية – بيروت، ج/٢، ص:٦٥٨.

[٦] ابن منظور، المرجع السابق، ج/٧، ص:٤٢٩.

[٧] ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط/١، ١٩٨٧م، ج/٢، ص:٨٣٨.

[٨] سورة البقرة، الآية:١٤٣.

[٩] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر، **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
ط/١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م،ج/٢، ص:٦٢٧.

[١٠] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)
ط/١، ١٤٢٢هـ، ج/٦، ص:٤٤٨٧.

[١١] الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل،نشر: دار الفكر – بيروت،ط/١٤٢٠ هـ، ج/٦، ص:٥٨٧.

[١٢] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٢، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م، ج/١، ص:٤٥٤.

[١٣] البخاري، المرجع السابق، ج/٩، ص:٧٤٢٣.

[١٤] سورة البقرة، الآية:٢٣٨.

[١٥] محمد بن أحمد الصالح، أ. د.، **وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار**، نشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص:٣.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[١٦] السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ج/١، ص:٦٨١.

[١٧] ناصر بن سليمان العمر، **الوسطية في ضوء القرآن الكريم**، نشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص:٣٥.

[١٨] ابن فارس، المرجع السابق، ج/٤، ص:٣٨٧.

[١٩] سورة النساء، الآية:١٧١.

[٢٠] القزويني، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، ج/٢، ص:٣٠٢٩.

[٢١] الصَّلاَّبي، عَلي مَحَّمد محمد (الدكتور)، **الوسطية في القرآن الكريم**، نشر: مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة – مصر، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١م، ص:٤٩.

[٢٢] الصَّلاَّبي، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[٢٣] الصَّلاَّبي، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[٢٤] ابن فارس، المرجع السابق، ج/٤، ص:٤٩٠.

[٢٥] الصَّلاَّبي، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[٢٦] سورة طه، الآية:٤٥.

[٢٧] الطبري، المرجع السابق، ج/١٦، ص:٧٦.

[٢٨] ابن منظور، المرجع السابق، ج/٧، ص:٣٦٨.

[٢٩] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج/١، ص:٦٨١.

[٣٠] سورة الأنعام، الآية:٣١.

[٣١] الطبري، المرجع السابق، ج/١١، ص:٣٢٥.

[٣٢] سورة الكهف، الآية:٢٨.

[٣٣] ابن فارس، المرجع السابق، ج/١، ص:٤٦٥.

[٣٤] سورة السجدة، الآية:١٦.

[٣٥] الطبري، المرجع السابق، ج/٢١، ص:٩٩-١٠٢.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٣٦] سورة الرعد، الآية:١٧.

[٣٧] سورة الفتح، الآية:٢.

[٣٨] سورة الأعراف، الآية:١٦.

[٣٩] سورة الأنعام، الآية:١٥٣.

[٤٠] سورة الفاتحة، الآية:٥.

[٤١] الطبري، المرجع نفسه، ج١، ص:٧٣.

[٤٢] الطبري، المرجع نفسه، ج١، ص:٧٤.

[٤٣] الطبري، المرجع نفسه، ج١، ص:٧٥.

[٤٤] ابن كثير، المرجع السابق، ج١، ص:٢٧.

[٤٥] سورة الفاتحة، الآية: ٦ ـ٧.

[٤٦] سورة البقرة، الآية:١٤٣.

[٤٧] سورة البقرة، الآية:١٤٣.

[٤٨] سورة المائدة،الآية:٨٧.

[٤٩] سورة النساء،الآية:٣.

[٥٠] سورة الفاتحة، الآية: ٦ ـ٧.

[٥١] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، **التبيان في إعراب القرآن**، تحقق : علي محمد البجاوي، نشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص:٨.

[٥٢] الدرويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، نشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، دار اليمامة - دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دمشق – بيروت، ط/٤، ١٤١٥ هـ،ج/١، ص:١٥.

[٥٣] سورة البقرة، الآية:١٤٣.

[٥٤] الدرويش، المرجع نفسه، ج/١، ص:٣١٣ ـ ٣١٤.

[٥٥] سورة البقرة، الآية:١٤٣.

[٥٦] صافي، محمود بن عبد الرحيم، **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، نشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط/٤، ١٤١٨ هـ،ج/٢، ص:٢٨٩ ـ ٢٩٠.

[٥٧] سورة المائدة،الآية:٨٧.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٥٨] صافي، المرجع نفسه، ج/١٠،٧-١١.

[٥٩] سورة النساء،الآية:٣.

[٦٠] الزمخشري، المرجع السابق، ج/١، ص:٤٦٧.

[٦١] الدرويش، المرجع السابق، ج/٢، ص:١٥٣.

[٦٢] سورة الفاتحة، الآية: ٦ -٧.

[٦٣] سورة النساء، الآية:٧١.

[٦٤] مجموعة من العلماء، **بحوث ندوة أثر القرآن الكريم**، في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، نشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط/٢، ١٤٢٥هـ، ص:٢٠ - ٢٤.

[٦٥] سورة البقرة، الآية:٢١٣.

[٦٦] سورة الأنعام، الآية:١٥٣.

[٦٧] سورة البقرة، الآية:١٤٣.

[٦٨] الطبري المرجع السابق، ج/٢، ص:٦٢٧.

[٦٩] سورة المائدة،الآية:٨٧.

[٧٠] الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط/٣، ١٤٠٧ هـ،ج/١، ص:٦٧٠.

[٧١] البخاري، المرجع السابق،ج/٦، ص:١٤٥.

[٧٢] الطبري، المرجع السابق،ج/٧، ص:١١.

[٧٣] سورة النساء،الآية:٣.

[٧٤] سورة النساء،الآية:٣.

[٧٥] سورة النساء،الآية:١٢٩.

[٧٦] الصَّلاَّبي، المرجع السابق، ص:٥١٦.

[٧٧] الصَّلاَّبي، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[٧٨] الصَّلاَّبي، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

تأويل المصطلحات النحوية في قصيدة حرف الراء من ديوان مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد

إعداد:
الدكتور الشيخ عثمان أحمد
المحاضر بقسم اللغة العربية جامعة بايرو، كنو – نيجيريا

ملخص البحث:

يتمتع الأدب الصوفي بألفاظ وعبارات ذات تجربة روحية حساسة , وذوق نفساني عميق، مما جعل هذه الألفاظ والعبارات – في أغلب الأحيان – ذات دلالات متنوعة ، وقابلة لكثير من التأويلات، الأمر الذي أتاح للصوفية الفرصة بأن يؤولوا النص من معناه الأصلي والإتيان بمعان ثانوية من فضاء الفكر الصوفي مما يناسب سيرهم وسلوكهم، فتصبح لكلمة أو جملة دلالة خاصة لهم. ومن بين هذه الدلالة تحويل مصطلحات نحوية إلى معان صوفية تحتاج إلى دراسة عميقة، لفك هذه الرموز من معانيها اللغوية إلى معان ثانوية صوفية. تسعى هذه الورقة إلى تتبع تلك الكلمات ذات المعاني التورية الصوفية في هذا الديوان بالتحليل الأدبي لإبراز مزاياها الفني، ومحاولة مسخ الغبار عما يقوله بعض المعاصرين عن هذا التأويل أو الإشارة أوالرمز الصوفي، آلا أنه تكلف من الشاعر. وللوصول إلى هذا الهدف وضعت المقالة خطتها على النحو التالي:المقدمة، خلفية تاريخية عن الشاعر وكذلك مضمون القصيدة ، ثم المعنى والتأويل حسب ورودهما في الديوان، ثم الخاتمة والهوامش والمراجع.

ABSTRACT

Sufi literature is indeed rich in words and expressions containing delicate spiritual experience, and deep psychological appreciation,. This makes these words and expression.-dominantly-availing the sufists the avenue to interpreted the text figuratively in line with the sufirealm, and in consonance with their norms and attitudes, giving the term a new specified meanings related to their domain:- This include grammatical terms interpreted from sufi perspective, requiring a deep study, thus the paper aims at conducting a literary study of

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

these technical words with sufi connotation in the anthology, with a view of uncovering its artistic advantages, in a rejoinder to some modern critics who claim that the poet uses these interpretations by way of mannerisms; to attain its objectives the paper is set in the following sub-themes: introduction, Background on the author and the anthology, meaning and interpretation in the anthology, conclusion, and notes and references.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا ونبينا سيد الأولين والآخرين، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، وعلى آله وصحبه أصحاب الكرامات الظاهرة والفصاحات الباهرة.

أما بعد؛ فالمدائح النبوية باب كبير من أبواب الشعر الصوفي، وركن أساس ورصين من أركانه , وقد قال فيه الشعراء – في مختلف العصور – الكثير، وأجادوا إجادة بارعة، ولا ينسى التاريخ الإسلامي ما قام به الصوفي الجليل الإمام البوصيري، والإمام يوسف النبهاني، والإمام البرعي في هذا المجال، وقد وجد في غرب إفريقيا ممن سلكوا مسلك هؤلاء الفطاحلة ونهجوا طريقهم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. منهم الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي السنغالي، الصوفي، والذي خلّف وراءه ديوانه المشهور "نزهة الأسماء والأفكار في مديح الأمين ومعاني المختار" ، وهو مجموع دواوينه الستة في مدح الرسول، وديوانه "مناسك أهل الوداد"واحد من مجموع هذه الدواوين الستة.

نبذة وجيزة عن الشيخ

هو الشيخ إبراهيم إنياس بن الحاج عبدالله الكولخي، يكنى بأبي إسحاق، ولد يوم الخميس ١٥/رجب/١٣٢٠هـ = ١٨/١٠/١٩٠٠م في قرية طَيْبَ أَنِيسَ.[١]

نشأ الشيخ في كنف والده الذي تولى كفالته وتربيته وتعليمه , حتى حفظ القرآن الكريم، وأتقن العلوم الدينية والعربية.[٢] ويقال إن الشاعر كان يختم القرآن الكريم مرتين في كل أسبوع، ختمة عن ظهر قلب ليلا، وأخر نظرا في المصحف نهارا.[٣]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ومن إسهاماته ما أفتى به من إبقاء مقام إبراهيم على مكانه، حينما اقترح مفتي المملكة السعودية على نقل رابطة العالم الإسلامي بأن ينقل مقام إبراهيم لغرض توسعة المطاف، فألف الشيخ كتابه "سبيل السلام في إبقاء المقام"، فذكر حججه وأدلته، فرجعت الرابطة عن موقفها.(٤)

وبعد حياة حافلة بالعطاء الفكري والثقافي، انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى في الخامس عشر من رجب عام ١٣٩٠م-١٩٧٥م.(٥)

ديوان "مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد".

وهو الديوان السادس من مجموع الدواوين "نزهة الأسماع والأفكار في مدح الأمين ومعاني المختار". يحتوي على تسعة وأربعة وأربع مائة بيت (٤٤٩) على اختلاف القوافي للأبيات، ونظمه الشيخ على بحر الطويل، واتخذ طريقة الأبجدية في بداية كل قصيدة، مما جعل النظام نظاما منطقيا، بدأ بحرف الألف ثم الباء، ثم الجيم، وهكذا إلى آخر القصيدة. خصصه الشاعر بمدح حبيبه صلى الله عليه وسلم ولم يستطرد فيه لمدح أحد من شيوخه في الطريقة أو غيرهم .

واختارت المقالة قصيدة حرف (الراء)(٦) لورود هذه المصطلحات النحوية فيها والتي افتتحها بقوله:

أمن ذكر خير الخلق وهو منير سما لك شوق لات حين تسير

وهي تحتوي على اثنين وسبعين بيتا (٧٢).

المعنى الأصلي والتأويل في المستوى اللغوي والاصطلاحي.

المعنى الأصلي كما يبدو من المنظور اللغوي، هو اللفظ الذي حمل على معناه الظاهر الذي ينساق إليه بدون صرف عن ظاهره، فيتقيد اللفظ على وضعه الأصلي الذي وضعه الواضع، فيفيد معناه الأصلي. وقال بعض علماء اللغة : لايقال عنيت بحاجتك إلا على معنى قصدتها , من قولك عنيت الشيء أعنيه , إذا كنت قاصدا له, ويقال أيضا عنيت فلانا عنيا , أى قصدته , ومن تعني بقولك؟ أى من تقصد ؟ ويقال : عرفت ذلك في معنى كلامه ومعناة كلامه , وفي معنى كلامه . (٦) أما التأويل فقد جاء في المراجع اللغوية في مادة (أول) تأويل وهو الرجوع إلى الشيء، وفسر أول الكلام

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وتأوله: دبره وقدره.(٧) وفي الاصطلاح: نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.(٨)

وجاء في حاشية السيد الشريف الحسيني الجرجاني على كتاب الكشاف: "... وتأويله أن يصرف خلاف ظاهره لأمارة تدل عليه".(٩) فهو – إذا – استحضار المعنى الضمني بالرجوع إلى المعاني الظاهرة ، إلى السياق على ما تفيده الكلمة في رحابها اللغوي، ليكون ذلك تقريبا إلى ذهن القارئ.

فإنتاجات الصوفية سواء شعرا كانت أو نثرا تأتي نتيجة الذوق الروحي، فتحمل معان عميقة، ورؤية نفسانية، بعد تدريبات وجدانية مما قد لا يستطيع اللفظ إبراز هذه المعاني الروحية، ومن ثم يؤولونه من معناه الظاهر والإتيان بمعنى ثان من فضاء الفكر الصوفي الذي يناسب مع سيرهم وسلوكهم. "فالصوفيون بعد النظرة الأولى للنص (اللفظ) يعودون للمرة الثانية ويستخرجون منه معان غريبة بعيدة عن المعنى الأساس للنص (أو اللفظ) ويعرف هذا النوع بالتأويل الصوفي، وهو يعني نقل الكلام من الظاهر إلى الباطن باعتماد نوع من الإشارة".(١٠)

وذلك لأن اللغة عندهم تكونت من منظور صوفي خاضع لسلسلة من الاستعدادات والممارسات الخاصة. "... فالنص لا يكون بعد إجهاد عقلاني وتخطيط إنشائي مسبق، بل من إجهاد استعداد روحي وراء النظر العقلي،... ولأن الكلمة أو الشيء عندهم لا يماثلان الدال والمدلول، بل هما يستمدان معناهما من خلال التمثيل الثقافي، وهذا التمثيل هو الذي يطابق الدال والمدلول بالكلمة أو الجملة".(١١)

لاشك أن هذا التمثيل الثقافي، إنما يطبق خارجا على اللغة الأصلية، ومثلوا على ذلك بكلمة (الجوع)، فهي "كلمة عربية ومفهوم اقتصادي له أسبابه، ومصطلح سياسي، ويمكن أن يكون مجازا أدبيا. أما عند الصوفية فمصطلح له أركانه وأسلوبه وغايته، فهم – الصوفية – يأخذون نتيجة الكلمة لينطلقوا إلى مجال آخر، فالجوع عندهم وسيلة للتقرب في الله تعالى، وهو أحد أركان المجاهدة".(١٢)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أما وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي قد لا توجد في الرموز الصوفية، فإن كلمة الجوع لا تعطي من قريب أو بعيد معنى مجاهدة النفس، وعلى هذا "من العبث البحث فيه (الأدب الصوفي) عن قرينة لفظية مانعة من إرادة المعنى الظاهري، وتتجاوزه إلى المعنى الرمزي، فالقرينة لا توجد إلا نادرا، وبذلك تبقى شخصية الصوفي ذات الاعتبار والعنصر المهم الذي تعتمد عليه العلاقات الرمزية".(١٣)

ولعل هذا من الأسباب التي جعلت الصوفية يفضلون التأويل، فيعبرون عن أحاسيسهم بهذه المدلولات تقريبا إلى أفهام الناس إلى ما يجدونه من الأذواق.

وعلى أي حال، فالكلمة أو الجملة تأتي على حالتين، الأولى حالة اكتشاف معنى الكلمة أو الجملة من حيث أنها مكونة من مدلول لغوي قاموسي ، والثانية من حيث ورودها مؤولة إلى معنى ثان، يمكن للقارئ الغوص فيها والانسياق وفكها على نحو تترابط فيه الأمور وتتدعى.(١٤)

على أن هذا الاستعمال المؤول من المعنى الأصلي لم يسلم للنقد، فقد اتهم بعض النقاد الصوفية بالمبالغة والتكلف، وحمل اللغة على ما لم توضع لأجله، وهو تأويل بدون أي مبرر لغوي(١٥) ويرى الكاتب أن مثل هذه التأويلات – ولاسيما في المصطلحات العلمية – غالبا ما تعتمد على المشابهة بين الدال والمدلول، فالمجازات اللغوية تلعب دورا مهما جدا في هذا التنقل الدلالي من الظاهر إلى الباطن.

فالمبتدأ والخبر مصطلحان نحويان، فالأول هو الاسم المرفوع العاري عن العوامل اللفظية، والثاني هو الاسم المرفوع المسند إلى الأول، بينما نظر الصوفية إلى المعنى اللغوي لهذين المصطلحين النحويين ، فقاسوا على هذا، فقالوا: المبتدأ به والمنتهى إليه هو الحق سبحانه وتعالى، فـ(هو الأول والآخر والظاهر والباطن).(١٦)

المعنى والتأويل حسب ورودهما في الديوان

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

في ضوء ما سبق من أقوال الباحثين، وعلى نسج كل تلك الخطوط التأويلات، تسير هذه المقالة، وتأخذ منهجها في وصف بعض أبيات هذا الديوان، وصفا لظاهر النص حينا، وفك غموضه ورموزه الباطني حينا آخر.

وقد وردت بعض المصطلحات النحوية في الديوان رمزا وإشارة وتلويحا لمعان عجزت اللغة الصريحة عن إفصاحها وإبرازها، على نحو ما يقوله الشيخ إبراهيم إنياس في الأبيات التالية:

محمد محمود المقام منبأ وآدم طين والبشير نذير
كلام قديم ليس حرفا وإنه لوحي وباري العالمين مشير
ولا إسم ولا فعل فرّق كلامه عن السمع والتعبير وهو زبور
بل أمر مضى مستقبلا كان لم يكن يضارع وحي الغير وهو خبير[١٧]

يمدح الشاعر حبيبه صلى الله عليه وسلم، يضيف اليه صفات المجد والشرف التي خصه الله تعالى بها، فهو مختار الإله وصفيه، أرسله بشيرا ونذيرا.

محمد مختار الإله صفيه ومن عنده قد جاء وهو بشير

ثم استطرد إلى وصف كلام الله تعالى على أنه كلام قديم ليس اسم ولا فعل ولا حرف، وإن كان يتضمن أوامر تطلب تنفيذها، إما أنها مضت في الأمم السابقة أو هو أمر مستقبل يراد الإتيان به في حينه.

فالشاعر لجأ في بعض الأحيان إلى الذوق كمرجع أساسي لإفصاح عما ما تنطوي اليه سريرته، وساعده على ذلك آليات لغوية، مما يدل على عبقرية الشاعر وتبحره في العلوم العربية، استمع إليه في هذه الأبيات وهو يقول:

فكسّر أصناما بفتح وضمنا إلى حزبه جزما وتم سرور
فقسم برفع خصه بنيابة وآخر مخفوض وذاك جزور
تعرّف فيه الحق وهو منكر وهو مبتدأ الكونين وهو أخير
فإني به الموصول وهو إشارتي به وإليه فالمشير منير

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

هو الفاعل المرفوع بالضم نائبا عن الحضرة العليا وهو جدير (١٨)

استخدم الشاعر هذه المصطلحات النحوية كرمز وتلويح بمعان روحية عميقة، وهو يصور حالات صوفية وجدانية، وإن كان يبدو من خلال ظاهر النص، أن الشاعر يتحدث عن فتوحات النبي عليه الصلاة والسلام، حيث أبلى فيها بلاء حسنا، بِيدِ أن المعاني الروحية الباطنة في هذه الأبيات تخص بعض القوم بفيوضات ربانية، حيث أن الله تعالى تولى أمرهم، فكسر أصناما أي كل ما يصرف الإنسان عن طاعة الله تعالى من هوى النفس، وحب الدنيا، وغواية الشيطان، فمن عليهم أيضا بالفتح الذي هو – عند الصوفية – فتحة القلوب وتنقيتها من الكروب بمفاتحات الغيوب.(١٩)

ثم تعقب على هذا الفتح بذكر خصلة أخرى وهي ضم الله تعالى إياهم، وهي إشارة أخرى إلى ضم النفس وكفها عن حظوظها وهواها بلجام المجاهدة والمخالفة، فيرتفع الصوفي إلى مقام المشاهدة.(٢٠) فلما ظفروا بهذه العناية من الله تعالى تحققوا واتصلوا بحزبه عليه الصلاة والسلام، التي هي غايتهم القصوى، فجزموا جزما روحيا، واستطاعوا حذف جميع العلائق، وسكنوا تحت جريان أحكام الحقيقة من غير إخلال بشيء من آداب الشريعة.[٢١] ويقال "الجزم بشهود الحق حذف علائق القلب وشواغله، فلا يبقى إلا قلب مفرد، فيه توحيد مجرد، وقد جعل الهموم هما واحدا، فكفاه الله هم دنياه، وضمن له عاقبة أخراه". (٢٢)

فقسم برفع خصه بنيابة وآخر مخفوض وذاك جزور
تعرف فيه الحق وهو منكر وهو مبتدا الكونين وهو أخير

عبر الشاعر بهذين البيتين عن تجربة صوفية، فقسم الخلائق إلى فئتين، فئة آمنت بالرسول واتبعوا النور الذي جاء به، فنجت وارتفع قدرها وشأنها عند الله تعالى، بينما هلكت فئة أخرى لعدم إيمانها بالرسول، فرمز بالفئة الأولى بالرفع (فقسم برفع) والآخر بالخفض (وآخر مخفوض).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

بينما توحي المعاني الباطنة أن (الرفع) في البيت يأتي على معنى رفع الهمم إلى الله تعالى، ويأتي أيضا – عند الصوفية – على صفات متنوعة، "... يكون (الرفع) بأن ترفع قلبك عن الدنيا وهو نعت الزهاد، وقد يكون بأن ترفع قلبك عن اتباع الشهوات والآمال الموبقة ، وهو نعت العباد، وأصحاب الأوراد والاجتهاد، وقد يكون بأن ترفع قلبك عنك، وتعتقد إنه لا يجيء منك شيء، وهذا نعت أصحاب الانكسار وأرباب الخضوع والافتقار".(٢٣)

أما كلمة (نيابة) في البيت، فمن إيحاءها الدعاء والرجاء من الشاعر، فلعله يرجو ويدعو من الله تعالى أن يكون من ضمن ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن العلماء هم الورثة الأنبياء.

أما الفئة الهالكة فوصفهم بالخفض (مخفوض) وأصله – عند الصوفية – الجهل، وقد ورد في كتاب خلاصة شرح ابن عجيبة قول الكوهيني: "الخفض وهو الذل والهوان، وعامله الجهل وارتكاب المعاصي واتباع الهوى".(٢٤)

يمدح الشاعر الرسول صلى الله علبيه وسلم في البيت الثاني، ويؤكد عقيدة الصوفيين من عدم إدراك الحقيقة المحمدية، فيقول لا يعرف حقيقته صلى الله عليه وسلم إلا الله وحده، أما الخلائق فقد خفي عليهم هذه الحقيقة. ومن خصوصيته عليه الصلاة والسلام أنه جاء أخيرا نبيا مرسلا، وهو مقدم على جميع الخلق .

ولعل الشاعر يرمز بهذه الجمل إلى أن الرسول تعرف عند الخلق بالمعجزات الحسية والمعنوية، فشخصيته تشبه صفة المشبهة باسم الفاعل، والحال أنه صلى الله عليه وسلم تنكر عليهم، إذ المعرفة على حسب تأويل الصوفية تأتي على معنى "... المعرفة ظاهرة بما استدل عليها بعلامتها، والنكرة باطنة بما أبهم من خفي مشكلاتها، فلذلك سبحانه وتعالى تعرف إلى خلقه بآياته ومصنوعاته، فكان هو الظاهر، ثم تنكر بعزيز ذاته، فكان هو الباطن".(٢٥)

وعلى هذه النتيجة صار الرسول عليه الصلاة والسلام مقدم في الخلق ومؤخرا في الإرسال والإبلاغ، فجمع بين المزيتين، فأعطى الأعلى للأعلى، إذ المبتدأ والخبر في المصطلح الصوفي يأتي على "المبتدأ أعطى رتبة التقدم، لتجرده عن العوامل

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

اللفظية، فاستحق أن يبتدأ به، وأعطى من الإعراب حكم الرفع، لأنه مقدم على النصب والجر، فأعطى الأعلى للأعلى".(٢٦)

فإني به الموصول وهو إشارتي به وإليه فالمشير منير

اختصت بعض الكلمات العربية لتعلقها بغيرها في إفادة المعنى، فلا تفيد معنا تاما إلا إذا اقترنت بغيرها، ومن بين هذه الكلمات اسم الموصول الذي لا تتم الفائدة بذكره وحده إلا بعد تعلقه بصلته، فكلمة (ما) و(من) و(الذي) وغير ذلك من الأسماء الموصولة، لا تستقل بمعنى وحدها أبدا إلا بعد إيرادها في النظم.

فإذا كان اسم الموصول الموصوف بتلك الصفة لا حول له ولا قوة في استقلاله فإن الشاعر يشبه اسم الموصول أمام محبوبه صلى الله عليه وسلم، فهو الموصول، والنبي صلى الله عليه وسلم هو صلة الموصول، فلا حيلة ولا تدبير له. فالصوفية يؤولون اسم الموصول على أنه "... من الناس من لا يستقل بتدبيره، ولا يكون له بدٌّ من غيره، ثم إن أراد الله به خيرا منَ عليه طريق المخلوقين، وفتح عليه طريق شهود الحق".(٢٧)

وكان الشاعر ممن يتبع سنن العرب الفصحاء حينما لاحظوا إنكار منكر عليهم أو سؤال من يتردد في الأمر، فيقتضي الحال والمقام رد الفعل بما يناسبه من الحكم، فبعد توكيد الشاعر في البيت على تعلقه بمحبوبه اتبع ذلك بتوكيد آخر، فعبر بالضمير المنفصل (هو) في البيت الثاني، دفعا لهذا الإنكار.

فكما أن الفاعل هو العامل الحقيقي للفعل مستحق للرفع أو بما ينوب عنه ، فإذا وجود الفاعل، فلا وجود لنائبه ولا عمل له، فكذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الفاعل الحقيقي لتصرفات الشاعر، وقد تولى أمره، مما سيّره بأن يكون نائبا عنه.

هو الفاعل المرفوع بالضم نائبا عن الحضرة العلياء وهو جدير
وقد شغل الهادي جمال الإله فلازمه طول الزمان حضور
فإحسانه والحسن فيه تنازعا وسبحان من ما شا عليه قدير

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ولم يزل يصور حالته وعدم سيرورته أمام محبوبه صلى الله عليه وسلم مستخدما مصطلحات نحوية ذات معان ظاهرة، وأُخَر متشابهة، طيا لأسرار روحية وجدانية، قد تخفى على الخواص فضلا على العوام، يقول في ذلك:

ترى كل مفعولي بفعل محمد وحالي وتمييزي إليه يشير
أضيف إليه كل نعت مؤكدا ذمامي وعطفي والأمين مجير
فجمعي وتصريفي لحب محمد وفيه بيوعي هل تراه يبور

يبدو من إيحاء معاني هذه الأبيات أن الشاعر يحاول الإفصاح عما يجود ويفيض عليه حبيبه من الفيوضات الربانية والتي يفتخر بها.

إذا عدد الأقوام يوما وفاخروا فخارا فإني بالأمين فخور

شبه الشاعر نفسه بالمفعول به الذي يقع عليه فعل الفاعل، فجميع تصرفاته كانت نتيجة فعل المصطفى عليه السلام، فهي مستعملة بعامل "كل ميسّر لما خلق له". فالمفعول به عند الصوفية يأتي على "... الاسم المنصوب بجريان المقادير عليه، لم يبق له تدبير ولا اختيار، وهو الذي يقع به الفعل مع الله، وهو آلة لفعله".(٢٨) ويأتي على معنى أيضا "... الذي تحقق فناؤه، وكمل بقاؤه بالله، فغاب عن وجوده ووجود فعله، فهو مفعول به في كل ما يفعل ويذر، ليبس له عن نفسه اختبار ولا مع غيره الله قرار، فعله بالله ولله ، وتركه بالله ولله ".(٢٩)

ثم أكد هذا التسليم الكلي لله تعالى ولرسوله عليه السلام فينص على أن أصله (جمعي) وفرعه (تصريفي) وحاله (حالي) وتمييزه (تمييزي) من فيوضات الرحمان والتي يفيض به الرسول عليه السلام، فهو لا يطلب الشاعر شيئا من أحد سوى رسول الله حبيبه.

ولكنه جار محب وخادم بفضلك ها هو بالعطاء جدير
فليس يبالي من سواك أما درُ أم البرمكي أو ذو غنى وفقير
فسيان عندي ذان لم أرج غيره منال حبيبي يستمر يدير

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

انتهز الشاعر الفرصة السانحة ليقترن مدحه لحبيبه مع شكره لله وإجلاله لله تعالى مستطلبا المزيد، ((لئن شكرتم لأزيدنكم))، إذ (الحال) هو وارد يرد على القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها".(٣٠) والتميز "لا يكون العارف عارفا (بالله) حتى يحصل له التميز بين الضدين اللذين وقع بهما التجلي، فيتميز بين الربوبية والعبودية في مظهر واحد، وبين الروحانية والبشرية، وبين الحس والمعنى".(٣١) فهذه المعاني الروحية المذكورة في تلك الأبيات من النعم التي أنعم الله تعالى بها على الشاعر، فيكون ذكرها في هذا المقام تحدثا بنعمة الله تعالى، ((وأما بنعمة ربك فحدث)).

ونختتم هذه المقالة بما قاله الشاعر في ديوانه – تيسير الوصول إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم –:

فإن تسألوني عن حبيبي وسيدي	فطه حبيب الله ما الغير ما وما
فوقتي وساعاتي صرفت لذكره	صلاة ومدحا منه قد صرت جيلما
فآثرت حب المصطفى دون غيره	ولو أم كلثوم ولو كان مريم
فوالله ما في القلب حظ لغيره	فغير رسول الله ليس لتعلما(٣٢)

الخاتمة

تناولت الورقة إنتاج شخصية عالمية صوفية، نشأت في غرب إفريقيا، جمعت بين الشريعة والحقيقة، أو قل اغترفت وزودت بالعلوم اللغوية والشريعة والعلوم الوجدانية، أبرزت الورقة مزايا هذين العلمين حسب معنى الظاهر وتأويله من خلال أسلوب الديوان، ودرست هذه المصطلحات بمنظار الصوفية، إذ أنهم استخدموها وأرادوا بها معاني روحية نفسانية. وأخيرا حصلت الورقة على النتائج الآتية:

- إن الشيخ إبراهيم إنياس ممن أوتي حظ وافر في العلوم اللغوية والسلوك الصوفي.
- إن ديوان الشيخ في المديح النبوي كان من أمهات الكتب، ومصدر من مصادر الدراسة الأدبية .
- سعة الكلمات العربية في رحاب المعاني اللغوية أو الاصطلاحية مما أتاح للصوفية أن يؤولوا الألفاظ أو الجمل.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

- اعتمد الصوفية– في كثير من الأحيان – على الذوق كمرجع أساسي لافصاح عما تنطوي عليه شعورهم وسلوكهم، فاستخدموا لأجل ذلك الرمز والإشارة والتلويح لغرض صوفي.
- يبدو أن تعبيرات الصوفية قد تخفى – غالبا – على بعض الخواص، فضلا عن العوام غير الصوفية.

الهوامش والمراجع

١- محمد الناصر آدم (الإمام): الشيخ إبراهيم إنياس، الداعية العالمي، وبعض المحاضرات، مطبعة مي نصر، بدون بيانات النشر، ص: ٣٩.

٢- مقري، إبراهيم أحمد: الصورة الشعرية عند الشيخ إنياس الكولخي، بحث علمي مقدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، تكملة لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، ٢٠٠٩م، ص: ١٦.

٣- محمد الناصر آدم: مرجع سابق، ص: ٤٠.

٤- المرجع نفسه.

٥- مقري، مرجع سابق، ص: ٢٤.

٦- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، بيروت، ج/١، مادة (عني)

٧- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، بيروت، ج/١، مادة (أول) .

٨- حاشية السيد الشريف علي بن محمد على كتاب الكشاف للزمخشري، دار الفكر، ج/١، بدون تاريخ وعدد الطباعة، ص: ١٨.

٩- المرجع نفسه.

١٠- طاهر لون معاذ: التأويل العرفاني للنصوص الأدبية عند الشيخ أبي بكر عتيق سنك: كتاب إظهار الميس في أبيات امرئ القيس نموذجا، ص: ١.

١١- شريف هزاع شريف، رئيس رابطة إحياء تراث الشيخ الأكبر: المعنى والتأويل في الخطاب الصوفي عند الحلاج، بدون بيانات النشر، ص: ٩.

١٢- المرجع نفسه.

١٣- رشد علي حسن: المرأة في شعر ابن الفارض، دراسة في الرمز الشعري، مجلة دراسات الأردن، المجلد ٢٨، العدد ١، ٢٠٠١م، ص: ٧٤.

١٤- لمزيد من البيان، راجع: حماد صمود: الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، دار التونسية للنشر، ١٩٨٨م، ص: ١٤١-١٤٢.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١٥- راجع: شوقي ضيف (الدكتور): فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، ط/٣، ١٩٨٨م، ص: ٢٠٩-٢١٠.

١٦- الشيخ عبدالقادر الكوهيني: خلاصة شرح ابن عجيبة على متن الآجرومية في التصوف؛ بدون بيانات النشر، ص: ٢٩. وتلخيص العبارات في نحو أهل الإشارة، للشيخ عز الدين عبدالسلام المقدسي دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٢م، ص: ٢٧.

١٧- إنياس، ابراهيم الكولخي، ديوان مناسك أهل الوداد، ص: ١٦٤.

١٨- المرجع نفسه، ص: ١٦٥.

١٩- القشيري، أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن: نحو القلوب، بدون بيانات النشر، ص: ١٦.

٢٠- الكوهيني، الشيخ عبدالقادر، خلاصة شرح ابن عجيبة على متن الآجرومية في التصوف، بدون بيانات النشر، ص: ٣٢.

٢١- القشيري، نحو القلوب، مرجع سابق، ص: ١٠.

٢٢- الكوهيني: خلاصة شرح ابن عجيبة، مرجع سابق، ص: ٤٠.

٢٣- القشيري، نحو القلوب، مرجع سابق، ص: ٩.

٢٤- الشيخ عبدالقادر: خلاصة شرح ابن عجيبة، مرجع سابق، ص: ٢٩.

٢٥- المرجع نفسه، ص: ٢٧.

٢٦- المقدسي، عز الدين عبدالسلام بن أحمد: تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة، تحقيق خالد زهري (الدكتور)، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٢م، ص: ٢٦-٢٧.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الحقول الدلالية لألفاظ الطبيعة في معلقة امرئ القيس دراسة دلالية

إعداد :

أول إبراهيم إمام

قسم اللغة العربية و الدراسات الإسلامية الجامعة الفدرالية غسو ولاية زنفرا، نيجيريا

الملخص:

من المعلوم أن الإنسان يعيش على هذا الكوكب الأرضي محاطا بظواهر طبيعية لها تأثير على حواسه ومشاعره وأفكاره التي تدفعه أحيانا إلى تصور بعض المعاني المتعلقة بتلك الظواهر الطبيعية استجابة ذهنية لمثير خارجي و هذا المثير الخارجي لابد له من الارتباط بإحدى الحواس الخمس (السمع ، البصر، الشم، الذوق، اللمس) وبالتالي تتحول هذه الإستجابة الذهنية مثيرا لرموز لغوية توافرت فيها شروط حمل المعنى الذي هو موضوع علم الدلالة والذي تشعبت منه نظرية الحقول الدلالية ، القائمة على أساس تصنيف الكلمات التي تشترك دلاليا للكشف عن العلاقات بينها عن طريق تحديد العناصر التكوينية لمعاني الكلمات ، ومع أن عملية تحليل معنى الكلمة إلى عناصر امتداد نظرية الحقول الدلالية ، فإنه يمكن قبول نظرية الحقول ، بدون التحليل العناصري أو العكس ، ومن ثم يمكن القول بتصنيف مجموعة معينة من الكلمات تشكل حقلا وتملك علاقات متنوعة بينها دون أن يسير الباحث بالتحليل إلى مرحلة تحديد العناصر التكوينية لكل كلمة ... وعلى هذا النمط جاءت هذه المقالة متناولة دراسة موجزة عن حياة امرئ القيس و التعريف بمعلقته، و تحدثت عن نظرية الحقول الدلالية ، ابتداء من المفهوم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

اللغوي و الإصطلاحي،مرورا بالكلام عن نشأتها وتطورها ، ثم توظيف العملية التصنيفية لكلمات الظواهر الطبيعية في معلقة إمرئ القيس مختتمة بالنتائج ثم الهوامش والمراجع .

Abstract:
It's known that the mankind lives on this earth surrounded by the natural phenomenon which has impact on his sense، thought، and feelings، which sometime make him imagine some meanings related to the natural phenomenon as a response to an external stimuli، and this external stimuli must has a relation with one of the five sense organs thus;- ear، sight، smel، test ،and touch.- and then، that sense response would turned into a stimuli for linguistic symbols which had completed the conditions of making sense.
The sense is the basic topic of semantics، from which the semantic field's theory، was branched out، which bases mainly on arranging the words that are associated in meaning in order to discover the relations between them through detecting the componential elements of the meaning.
Although the word meaning analytical operation is an extension of semantic fields theory، it can also be ccepted without elemental analysis، in view of this it's possible to bear out that، the arrangement of certain group of words which forms a field and shares deferent kinds of relations، without taking the operational analysis up the level of detecting the elemental components for each word.This article had discussed a brief history of the poet Imri،il-qais ، and had defined the (muallaqat) linguistically and technically and it also talked about the both linguistical and terminological meaning of the semantic fields theory as well as its beginning pointing on its development and then applied the operational arrange of the words of natural phenomenon in the (muhg،allaqat) and lastly the article concluded with the outcome،endnotes، and references.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة و السلام على أفصح العرب نطقا بالضاد محمد خير خلق الله أجمعين و على آله الطاهرين وصحابته المهتدين . وبعد،

مما لا شك فيه أن دراسة ألفاظ نصوص الأدب العربي بأسلوب حديث يثري النص الأدبي كما يضفي عليه ظلال الروعة الجمالية والبهاء الفني الراقي، وخصوصا هذه النظريات الحديثة التي تأخذ شكلا خاصا ومنهجا متميز ا في

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الدراسة الدلالية ، أمثال الأسلوبية و الحقول الدلالية ، وغيرهما من البحوث اللغوية المستجدة ، و تبرهن على قدرة اللغة العربية لمسايرة كل تقدم وقمع كل تحديات قد تواجهها من قبل أعدائها القرآن والإسلام.

وبما أن معلقات الشعراء الجاهليين من أقوى النصوص الأدبية وأحكمها وأفصحها، وفي مقدمة هذه المعلقات معلقة إمرئ القيس ،اختار الباحث أن يقوم بتصنيف ألفاظ الطبيعة في معلقة إمرئ القيس ، على ضوء نظرية الحقول الدلالية الحديثة ذلك لماتمتاز به المعلقة من الألفاظ الخاصة بالظواهر الكونيةالطبيعية المحيطة بالإنسان .

وتحتوي المقالة على النقاط التالية :

النقطة الأولى : نبذة عن حياة الشاعر و التعريف بالمعلقة .

النقطة الثانية : المفهوم اللغوي للحقول الدلالية .

النقطة الثالثة : المفهوم الإصطلاحي للحقول الدلالية .

النقطة الرابعة :نشأة الحقول الدلالية وتطورها .

النقطة الخامسة : الحقول الدلالية لألفاظ الطبيعة .

الخاتمة والنتائج،الهوامش، المراجع و المصادر .

نبذة عن حياة الشاعر.

اسمه ، كنيته ، لقبه :

هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، كنيته أبو وهب، أو أبو الحارث. قيل: إن اسمه جندح وإن امرأ القيس لقب غلب عليه، ومعناه رجل الشدة، لقب به لِمَا لقي من الشدائد. ولد امرؤ القيس في أوائل القرن السادس الميلادي بنجد. وذكر مؤرخون أن أمه هي فاطمة بنت ربيعة بنت الحارث أخت كليب والمهلهل.

نشأته :

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

نشأ امرؤ القيس ذكيًّا متوقّد الفهم فلما ترعرع أخذ يقول الشعر ، فبرَّزَ فيه إلى أن تقدَّم على سائر شعراء عصره و كان مع صغر سنه يحبّ اللهو، و يستتبع صعاليك العرب و يتنقَّل في أحيائها فيغير بهم ، و كان يكثر من وصف الخيل و يبكي على الدمن و يذكر الرسوم و الأطلال و غير ذلك.[٢]

التعريف بالمعلقة :

وأمّا لمعلّقات فهي : قصائد جاهليّة بلغ عددها سبعا أوعشرا،- على قول بعض النقاد،-برزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح، حتّى عدّت أفضل ما بلغنا عن الجاهليّين من آثار أدبية[٣] وقد اختلفت الآراء في سبب تسميتها "معلقات" ذهب صاحب العقد الفريد، وابن رشيق في العمدة، وابن خلدون في المقدمة: إلى أنه بلغ من شغف العرب بالشعر أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي (ثياب كانت تنسج بمصر) و علقتها في أستار الكعبة ؛ فمنه يقال: مذهَّبة امرئ القيس ومذهبة زهير ، و المذهبات السبع ، و قد يقال لها المعلقات .

بينما يرى البعض أنها سميت بالمعلقات ، لأن بعض الملوك كان إذا استحسن قصيدةً قال علقوا لنا هذه و أثبتوها في خزانتي ، لكن المشهور هو الرأي الأول ، و الراجح اليوم أنها سميت بالمعلقات لتشبيهها بالسموط، أي العقود التي تُعلَّق بالأعناق ، و قد سميت أيضًا بالمذهبات لأنها جديرة أن تكتب بماء الذهب لنفاستها.[٤]،و المعلقات هي أشهر ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، و أطولها نَفَسًا و أبعدها أثرًا، [٥]و من هذا القبيل جاءت معلقة إمرئي القيس ، التي مطلعها:-

قفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ * بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فحَوْملِ

وهي قصيدة لامية على البحر الطويل، و قد اختلف الرواة في عدد أبياتها، فهي برواية الأصمعي سبعة وسبعون بيتاً ، و في شرح المعلقات للزوزني واحد وثمانون بيتاً.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

المفهوم اللغوي للحقول الدلالية :

فالحقول جمع حقل و قد وردت لفظة " الحقل " في المعاجم لعدة معان منها : -الزرع ، الأرض القراح ، وفي تهذيب اللغة للأزهري ، الحقل: الزرع: وقال إذا ظهر ورق الزرع واخضر فهو حقل، وقد احقل الزرع ؛وفي المصباح المنير للفيومي، الحقل : الأرض القراح وهي التي لا شجر بها وقيل هو الزرع إذا تشعب ورقه ومنه أخذت (المُحاقلة) وهي بيع الزرع في سنبله بحنطه وجمعه (حقول) مثل فلس وفلوس؛وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي ، الحقل : قراح طيب يزرع فيه كالحقلة ومنه : لا ينبت البقلة إلا الحقلة والزرع قد تشعب ورقه وظهر وكثر أو إذا استجمع خروج نباته[٨]

وأما اللفظ " الدلالية " .فنسبة إلى الدلالة .

والدلالة لفظة ذات معان واسعة في اللغة و منها ما جاء في المصباح المنير للفيومي ، أن الدلالة ، من دللت على الشيء وإليه من باب قتل و (أ دللت) بالألف لغة والمصدر (دلولة) والاسم (الدلالة) بكسر الدال وفتحها وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه واسم الفاعل،؛وفي تهذبي اللغة للأزهري ، دللت بهذا الطريق دلالة ، أي عرفته ، ودللت به أدل دلالة ، وقال أبو زيد: أدللت بالطريق إدلالا.[١٠]

وبالنظر إلى ماتقدم من التعاريف اللغوية للفظة " الحقل " يتبن للباحث أن الحقل عبارة عن مساحة أرضية صالحة للزاعة ، أوبقعة أرضية معدة للأعمال الزاعية ،كما أن اللفظة "الدلالة " تتضمن من حيث إشاراتها اللغوية معنى " العلامة "والمغزى ، والمقصود ، والهداية ، والإرشاد ، ومفاد الشي ، ومؤداه .

وقد وردت اشتقاقات اللفظة "الدلالة " بمعنى " الإرشاد " في مواطن عديدة في القرآن الكريم منها :- (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُون) سورة القصص ، الآية (١٢) وقوله

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ الآية (١٠) سورة الصف (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) الآية (٧) سورة السبأ

المفهوم الاصطلاحي للحقول الدلالية :-

فقدعرفها أولمان ، (Ullmann)بأنها قطاع متكامل من المادة اللغوية تعبر عن مجال معين من الخبرة ،[١]وكأنه يشير بعريفه للحقل الدلالي أنه دراسة تتضمن آفاقا دلالية متماسكة تتركز على مفردات اللغة التي تسعى إلى تفسير تصور أورؤية ، أو موضوع ، أوفكرة معينة . ويلاحظ في تعريف أولمان هذا أنه من حيث وجهة نظره إلى الحقل الدلالي يعاكس " لوهير " الذي يرى أن الدراسات الحقلية ليست كاملة ... ويعرفها جون ليونز (Lyons) بقوله ، "إن الحقل الدلالي ، هومجموعة جزئية لمفردات اللغة [٢]كأنه يقول إن الحقل الدلالي دراسة لطائفة من الكلمات اللغوية المتعلقة بموضوع خاص لهدف تفسيره والتعبير عنه ، ويرى جورج مونان: (gorge monin)أن الحقل الدلالي هو مجموعة من الوحدة المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل ،[٣]ويعني ذلك أن الحقل الدلالي ، عبارة عن حشد من الكلمات تنطوي على مواضيع ومعان خاضعة للفظ شامل يمثل حقلامعينا .

وكذلك جاء الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، موضحا لجميع ماسبق ذكره من التعاريف ، بتعريف له،قائلا :الحقل الدلالي (Semantic field)أو الحقل المعجمي،(Lexical field) هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها ، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها .ثم مثَّل لذلك بكلمات الألوان في اللغة العربية ، قائلا : فهي تقع تحت المصطلح العام "لون " وتضم ألفاظا مثل : أحمر – أزرق – أصفر – أخضر – أبيض ...إلخ .[١٤]

ويلاحظ من هذا التعريف الأخير أن الفكرة الأساسية للحقول الدلالية هي أنها تقوم على أساس جمع الكلمات أوالمعاني المتقاربة ذات الملامح الدلالية المشتركة، وجمعها تحت لفظ عام يجمعها ، فكلمة "العقل " مثلا يمكن اندراج ألفاظ تحتها أمثال :لب ، نهية ، حجر ،أرب ، حجى ،...إلخ .

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وكلمة "الكرم " تحوي كلمات مثل :- جود ، سخاء ، رفد ، عطاء ، مير ، قرى ،ضيافة ، نائل ، وغير ذلك من الكلمات التي لها اشتراك مع الكرم في الملامح الدلالية .

ولاشك أن هذه الفكرة هي التي أشارإليها " فندريس " بقوله: إن الذهن يميل دائما، إلى جمع الكلمات وإلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها، فالكلمات تتثبت دائما بعائلة لغوية.[١٥]وإن دلت مقولة "فندريس " على شيء إنما تدل على أن تصنيف الكلمات للاستجلاء العلاقات بينها، كي يتمكن فهمها بسبب ارتباط بعضها بالبعض ، وتعرُّف على الفروق القائمة بينها ، من الخصائص العقلية .

هذ:، وبالتأمل في جميع التعريفات المتقدمة ، يمكن القول بأن نظرية الحقول الدلالية ، عبارة ٰعن مستوى المادة الخام يستلهمها الدارس منهجا تطبيقيا على موضوع من الموضوعات اللغوية أو الأدبية ، وذلك بأن النظرية هي عبارة عن المبادئ والقواعد والقوانين العلمية المنظَّمة والمنسَّقة لهدف وصف أوشرح مجموعة من الأحداث ، والظواهر .[١٦]

نشأة نظرية الحقول الدلالية :

أما عن نشأتها كأقدم النظريات في تحليل عناصر المعنى اللغوي ، فقد بدأ ضوءها في الإشراق حين صدور بعض إشارات وتلميحات تتعلق باستعمالات المصطلح ظهرت منذ عام ١٨٧٧ على أيدي علماء الغرب أمثال تيجنر السابق الذكر و " آبل " (ABEL) في عام ١٨٨٥ و" ماير " (MEYER) الذي اعتبر أول من عرض أفكار بشكل منظم في مقالته المسماة ،نظم المعنى (BEDEUTUNGSS) وقد حدد النظم الدلالية ، على أنها ارتباط منظَّم لعدد محدود من التعبيرات من وجهة نظر فردية ،ثم جاءت إشارات العالم اللغوي دي سوسير في كتابه المعنون ب – دراسات في علم اللغة العام حيث أشار إلى فكرة وجود العلاقة بين الكلمات أوالمفردات اللغوية ذات تقارب دلالي وأنها تندرج تحت مفهوم عام وهذا المفهوم العام هو الذي قسمه أهل اللغة إلى مفاهيم جزئية ثم عبروا عن كل مفهوم جزئي بواحدة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

من تلك الكلمات ،[١٨]وتتابعت دراسات وأبحاث شتى كلها أصداء وإشارات وبدايات النبضات القلبية لبلورة الحقول الدلالية كفرع من فروع علم الدلالة منضبط بالقوانين والقواعد والمبادئ ، حتى أوائل العشرينات من القرن العشرين ،ظهرت بحوث على أيدي علماء سويسرين وألمانيين و في مقدمتهم العالم إيسبين (Ispen) الذي أشار في بداية أمره إلى فكرة الحقل الدلالي ، بقوله (وبالاضافة إلى ذلك فإن هناك كلمات خاصة لاتقف وحيدة في اللغة ولكنها ترتبط بمجموعة دلالية ...)[١٩]وبعد ذلك ظهر له كتاب جمع فيه مفردات الأغنام في اللغة الهندية الأوربية ، وكان صدور هذا الكتاب في عام ١٩٤٤م،ومنهم " جولز " (Jolles) بروزيج (Prozig) و تريز(Trier)[٢٠]صاحب الجهود المحمودة والأعمال الجليلة في تنشأة هذه النظرية وتثبيت دعائمها ، مماجعل بعض الدارسين يعتبره مؤسس الحقول الدلالية ، لأنه قام بإسهامات إيجابية ومناظرات مكثفة ، تبلورت منها نظرية الحقول الدلالية ، ويؤكد ذلك ماقاله الدكتور أحمد عزوز "ومهما كان من التاريخ الدقيق الذي استعمل فيه المصطلح في معناه اللساني ، فإننا نلفيه في عشرات المؤلفات قبل صدور كتاب ترايز في عام ١٩٣٤الذي لايعود إليه الفضل في الأسبقية إلى النظرية ، إنما يكمن فضله فيما قام به من المناظرات والدراسات العديدة حتى أصبح الدارسون لايباشرون هذه النظرية بالدراسة من غير الوقوف على أعماله بصورة متأنية ، ونظرات فاحصفة ، ..."[٢١]ذلك بأنه وفق إلى تأسيس تيار أو منهج عرف بنظرية الحقول الدلالية من خلال دراسته المنظمة والمحكمة للألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية مقارنا مفردات اللغة الألمانية في حقل الفكر والادراك بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر . وهي على رأي بعض الدارسين أشهر دراسات وبحوث الحقول الدلالية في طفولتها المبكرة ، .ثم توالت اسهامات وتتابعت بشكل مكثف ، وأدى ذلك كله إلى تطور ملموس ورقي مرموق .

وبهذا يتبين أن الحقول الدلالية من حيث النشأة و التطور لاتكاد تختلف عن غيرها من العلوم اللغوية أوالدراسات اللسانية .إذبدأ في صورة مناظرات وإشارات متناثرة مبثوثة في كتابات العلماء ومقالاتهم ، ثم أخذت في النمو والرقي

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

شيئا فشيئا مرورا بأطوار مختلفة حتى تم لها التكامل والنضوج فأنتظمت في سمط النظريات ذات المناهج التنظرية والتطبيقية القائمة على المبادئ والقوانين القواعد.

وقدتوصل الباحث من خلال قراءته لهذه المعلقة، إلى أنها تعج من حيث مفرداتها وعباراتها بحقول دلالية متنوعة تتعلق بالطبيعة يمكن تقسيمها إلى حقول دلالية عدة هي:-

- حقل الألفاظ الخاصة بالسماء و النجوم .
- حقل الألفاظ الخاصة بالرمال .
- حقل ألألفاظ الخاصة بالرياح .
- حقل ألألفاظ الخاصة بالجبال.
- حقل الألفاظ الخاصة بالنباتٍ .
- حقل الألفاظ الخاصة بالأماكن .
- حقل الألفاظ الخاصة بالحيوان و الطيور .
- حقل الألفاظ الخاصة الأزمنة الطبيعية .
- حقل الألفاظ الخاصة بالألوان .
- حقل الألفاظ الخاصة بالمياه والأنهار .
- حقل الألفاظ الخاصة بالضياء والظلام .
- حقل الأراضي المنخفضة والمستوية والمرتفعة

الحقول الدلالية لألفاظ الطبيعة ، في النص .

حقل الألفاظ الخاصة بالسماءو النجوم.

قال الشاعر :

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

إذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ * تَعَرُّضَ أثْنَاءِ الوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ

فيا لكَ من لَيْلٍ كَأَنَّ نُجومَهُ * بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمّ جَندَلِ

دلالات الألفاظ :

السَّمَاءِ : ما يقابل الأرض، ويُشاهد فوقها كقُبَّة زرقاء، وتصغيرها سُمَيَّة " {وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [٢٣]

الثُّرَيَّا : مجموعة من النجوم في صورة الثَّوْر، وهي سبعة كواكب، سُمِّيت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحلّ.[٢٤]

نُجومَهُ : جمع نجم و النجم هو: جسم سماويّ مضيء ذاتيًّا يتألف من كُتلة من الغازات تتكتّل بسبب جاذبيّتها الذاتيّة وتولّد طاقة بتفاعلات ذرّية في داخله " {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} "[٢٥]

التحليل: تشترك ألفاظ هذا الحقل في الدلالة على الظواهر الطبيعية العلوية.

العلاقات الدلالية :

تقع علاقة التنافر بين اللفظ " السماء ولفظي " نجوم والثريا " وتقع علاقة الاشتمال بين اللفظين "نجوم والثريا".

حقل الألفاظ الخاصة بالرمال : قال الشاعر :

قِفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ، ومنزِلِ * بسقط اللّوى بينَ الدَّخولِ، فَحَوْمَلِ

وَيومًا عَلَى ظَهرِ الكَثيبِ تَعَذّرَتْ * عَلَيّ و آلَتْ حَلْفَةً لم تَحَلَّلِ

فلمّا أجزْنا ساحَةَ الحيّ وانْتَحَى * بنا بطنُ خَبْتٍ ذي حقَافٍ عقَنقَلِ

دلالات الألفاظ:

السقط: منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه.

اللوى: الرمل الملتوي، أي المعوج .

الكثيب: رمل كثير، والجمع أكثبة وكُثُب وكثبان.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

حقاف جمع حقف: رمل مشرف معوج، والجمع أحقاف وحقاف.

العقنقل: الرمل المنعقد المتلبد. وأصله من العقل وهو الشد .

التحليل : تلتقي مفردات هذا الحقل في الدلالة على الرمال.

العلاقات الدلالية :

تقع علاقة التنافر بين جميع المفردات .

حقل الألفاظ الخاصة بالرياح :

قال الشاعر :

فتُوضِحَ فالْمِقراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها * لما نَسَجَتْها من جنوبٍ وشَمْأَلِ

إذا قامَتا تَضَوّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا * نسيمَ الصَّبا جاءت بريّا القَرَنْفُلِ

دلالات الألفاظ:

جنوبٍ : الجَنُوب: ريح تَهُبُّ من جهة الجَنوب، وهي الرِّيح القبليّة.[٢٦]

شَمْأَلِ: الرِّيح التي تهبُّ من تلك الجهة، وهي ريح باردة.[٢٧]

نسيمَ: ريح خفيفة لا تُحرِّك شجرًا ولا تعفّي أثرًا " .[٢٨]

الصَّبا:من صَبَتِ الرِّيحُ: إذا هبَّت من جهة الشَّرق.[٢٩]

التحليل : تشترك مفردات هذاالحقل في الدلالة على الريح.

العلاقات الدلالية :

تقع علاقة التضاد الامتدادي بين لفظي " الجنوب والشمأل "كما تقع بينهما وبين اللفظ " صبا " علاقة التضاد العمودي ثم تقع بين هذه الالفاظ الثلاثة وبين لفظ "نسيم " علاقة التنافر .

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

حقل الألفاظ الخاصة بالجبال وأعلامها :

قال الشاعر :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا * كجُلمود صَخرٍ حطَّهُ السيلُ مِنْ عَلِ

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللّبْدُ عن حالِ مَتْنِه * كَمَا زَلّتِ الصّفْواءُ بالْمُتَنَزّلِ

على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أيْمَنُ صَوْبِهِ * و أيْسَرُهُ على السّتارِ فَيَذْبُلِ

وَمرّ عَلَى القَنَّانِ مِنْ نَفَيانِهِ * فَأَنْزَلَ منه العُصْمَ من كلّ منزِلِ

كأنّ ثَبِيرًا في عَرانينِ وَبْلِهِ * كَبيرُ أُناسٍ في بجاد مُزَمَّلِ

كأنّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيْمِرِغُدْوَةً * من السّيلِ والأغْثاء فَلكة مِغزَلِ

فيا لكَ من لَيْلٍ كَأَنَّ نُجومَهُ * بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمّ جَندَلِ

دلالات الألفاظ :

الجلمود والجلمد: الحجر العظيم الصلب، والجمع جلامد وجلاميد.

الصخر: الحجر، الواحدة صخرة، وجمع الصخر صخور.

الصفواء والصفوان والصفا: الحجر الصلب .

القَطَن: جبل.

الستار : جبل.

ويذبل : جبل.

القنان: اسم جبل لبني أسد.

ثبير: جبل بعينه.

المجيمر: أكمة بعينها.

الغبيط: أكمة قد انخفض وسطها وارتفع طرفاها، سميت غبيطًا تشبيهًا بغبيط البعير.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الجندل: الصخرة، و الجمع جنادل.

التحليل:

تنقسم ألفاظ هذاالحقل إلى أربع مجموعات المجموعة الأولى هي الألفاظ المشتركة في الدلالة على جبال بعينها(والجبل هو: ما ارتفع من الأرض إذا عظُم وطال وجاوز في ارتفاعه التلّ)[٣٠]وهذه الألفاظ هي "القَطَن\ جبل\الستار\ يذبل\القنان\ثبير" و المجموعة الثانية عبارة عن اللفظين المشتركتين في الدلالة على الصخور،- و الصخور مفرده الصخر، وهو:(حجرٌ عظيمٌ صُلْب)[٣١]وهما " الصخر\الجندل" و المجموعة الثالثة عبارة عن اللفظين اشتركا في الدلالة على الحجر - (و الحَجَر مفرد: وجمعه، أحجار وحِجارة: صخر صغير، مادَّة صُلبة تُتَّخذُ من الجبال)[٣٢]وهما " الجلمود،\ الصفواء" والمجموعة الرابعة عبارة عن اللفظين يشتركان في الدلالة على ألأكمة، - (أَكَمَة مفرد: وجمعه، أَكَمات وآكام وإكام وأَكَمٌ:وهو تلّ صغير، أو موضع يكون أكثر ارتفاعًا ممّا حوله)[٣٣]هما" الغبيط\المجيمر ".

العلاقة الدلالية:

علاقة جزء من كل، بين المجموعة الأولى وبين مجموعتي الثانية و الثالثة .

علاقة تنافر بين المجموعة الأولى وبين المجموعة الرابعة ، وعلاقة تنافر أيضا بين مجموعتي الثانية والثالثة وبين المجموعة الرابعة ثم علاقة تنافر أخرى بين المجموعة الثانية والمجموعة الثالثة.

حقل الألفاظ الخاصة بالنباتِ :

قال الشاعر :

ترى بَعَرَ الأَرْآمِ في عَرَصاتِها * و قيعانها كأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

وَفَرْعٍ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ * أثيثٍ كَقِنْوِ النخلة الْمُتَعَثْكِلِ

وتَعْطو برَخْصٍ غيرِ شَثْنٍ كأَنَّهُ * أساريعُ ظبْيٍ أوْ مساويكُ إسْحِلِ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

كأني غَداةَ البَينِ يَوْمَ تَحَمَّلوا * لدى سَمُراتِ الحيّ ناقِفُ حَنظلِ

كأنّ دِماءَ الهادِياتِ بنَحْرِهِ * عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بشَيبٍ مُرَجَّلِ

وكَشْحٍ لطيفٍ كالجديلِ مُخَصَّرٍ * وَساقٍ كأنْبوبِ السّقيّ الْمُذَلَّلِ

فأضْحَى يَسُحُّ الماءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ * يكُبّ على الأذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

كأنّ السّباعَ فِيهِ غَرْقَى عَشِيّةً * بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أنابيشُ عُنْصُلِ

إذا قامَتا تَضَوّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا * نسيمَ الصَّبا جاءت برَيّا القَرَنْفُلِ

دلالات الألفاظ :

الفلفل: كهدهد وزبرج، حب هندي، ونسب الصاغاني الكسر للعامة،

وفي المصباح: الفلفل بضم الفاءين من الأبزار، قالوا: لا يجوز فيه الكسر.

سمرات جمع سمرة، بضم الميم: من شجر الطلح.

القنو: من التمر كالعنقود من العنب، يجمع على الأقناء والقنوان.

المتعثكل من العثكول والعثكال وهما بمعنى القنو وقيل بمعنى قطعة من القنو، والنخلة المتعثكلة: التي خرجت عثاكيلها أي: قنوانها.

النخْلة: جنس شجر من فصيلة النخليّات أنواعه عديدة، تعيش جميعها في المناطق الحارّة، ساقُه رفيعة مستقيمة طويلة ذات عُقَد، أوراقه سعفيّة ريشيّة الشّكْل. [٣٤]

الأنبوب: ما بين العقدتين من القصب وغيره، والجمع الأنابيب

الإسحل: شجرة تدق أغصانها في استواء، تشبه الأصابع بها في الدقة والاستواء.

الحنّاء: هو شجر يُتَّخذ من ورقه خضاب أحمر، والشائع تسهيل الهمزة [٣٥]

الدوحة: الشجرة العظيمة، والجمع دوح.

الكنهبل، بضم الباء وفتحها: ضرب من شجر البادية.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

العنصل: البصل البري.

القرنفل : جنس شجر مُعمّر مِن الفصيلة الآسيّة، يُزرع في البلاد الحارّة لاستعمال أزهاره المجفَّفة تابلاً.[٣٦]

التحليل : تشترك مفردات هذاالحقل في الدلالة على النبات .

العلاقة الدلالية :

تقع علاقة جزء من كل بين لفظي " النخلة \ القنو " .

ثم تقع بين اللفظين (النخلة \القنو) وبين سائر ألفاظ الحقل ،علاقة التنافر .وذلك لانتفاء علاقات الاشتمال ، التضاد بينها.

حقل الألفاظ الخاصة بأسماء الأماكن :

قال الشاعر :

قِفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ،ومنزِلِ * بسِقطِ اللّوى بينَ الدَّخول فَحَوْمَلِ

وَتَيْمَاءَ لم يَتْرُكْ بها جِذْعَ نخلَةٍ * و لا أُطُمًا إلا مَشيدًا بِجَنْدَلِ

وألْقَى بصَحراءِ الغَبيط بَعاعَهُ * نزُولَ اليماني ذي العُيابِ المُحمّل

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتي بينَ ضارِجٍ * وَبَيْنَ العُذَيبِ بَعْدَ مَا مُتَأَمِّلِي

فَعَنّ لنا سِرْبٌ كأنّ نِعاجَه * عَذارَى دَوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

تصُدّ وتُبْدي عن أسيلٍ وتَتَّقي * بناظرَةٍ من وَحشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

كدأبكَ من أمِّ الْحُوَيْرِثِ قبْلها * وجَارَتِها أم الرَّبابِ بِمَأسَلِ

كَأنَّ مَكاكيّ الجواءِ غُدَيّةً * صُبحنَ سُلافًا مِن رَحيقٍ مُفَلْفَلِ

دلالات الألفاظ:

الدخول وحومل: موضعان.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ضارج والعُذَيب: موضعان.

وجرة: موضع.

تيماء: قرية عادية في بلاد العرب.

الجو: الوادي والجمع الجواء، والجواء في البيت موضع بعينه.

الدوار: حجر كان أهل الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله تشبيهًا بالطائفين حول الكعبة إذا نأوا عن الكعبة.

مأسَل، بفتح السين: جبل بعينه، ومأسِل، بكسر السين: ماء بعينه والرواية فتح السين.

ظبي: موضع بعينه..يكون في غير هذاالمكان.

التحليل: تشترك مفردات هذاالحقل في الدلالة على الأمكنة.

العلاقة الدلالية :

تقع علاقة التنافر بين جميع ألفاظ هذا الحقل،ذلك لانتفاء علاقات التضاد والاشتمال والجزء بالكل،بينها.

حقل الأراضي المنخفضة والمستوية والمرتفعة :

قال الشاعر

وألْقَى بِصَحراءِ الغَبيطِ بَعاعَهُ * نزُولَ اليماني ذي العُيابِ المُحمّل

ضَليعٍ إذا استَدْبَرْتَهُ سَدّ فَرْجَهُ * بضافٍ فُوَيق الأرضِ ليس بأعزَلِ

مِسَحٍّ إذا ما السَّابِحَاتُ على الوَنَى * أَثَرْن الغُبَارَ بِالكَدِيدِ الْمُرَكَّلِ

ترى بَعَرَ الأَرْآمِ في عَرَصاتِها * و قِيعانِها كأنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

وَوَادٍ كَجَوفِ العَيرِ قَفْرٍ قطعتُهُ * بِهِ الذئبُ يَعوي كالْخَليعِ الْمُعَيَّلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا * كجُلمودِ صَخرٍ حطَّهُ السيلُ مِنْ عَلِ

فلمّا أجزْنا ساحَةَ الحيّ وانْتَحَى * بنا بطنُ خَبْتٍ ذي حِقَافٍ عقَنقَل

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

دلالات الألفاظ:

الصحراء : أرض فضاء واسعة نادرة الماء مرتفعة درجات الحرارة ولا حياة فيها [٣٧]

الكديد: الأرض الصلبة المطمئنة.

عرصة الدار: ساحتها، وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء والجمع عراص مثل كلب وكلاب.

قيعان: جمع قاع وهو المستوي من الأرض، وقيعة مثل القاع،

الوادي: يجمع على الأودية والأوداية.

القفر: المكان الخالي، والجمع القفار، ويقال أقفر المكان إقفارًا إذا خلا، ومنه خبز قفار لا إدام معه.

الخبت: أرض مطمئنة.

التحليل: تشترك مفردات هذاالحقل في الدلالة على الأرض وأنواعها.

العلاقة الدلالية :

تقع علاقة التنافر بين جميع ألفاظ هذا الحقل،ذلك لانتفاء علاقات التضاد والاشتمال والجزء بالكل،بينها

حقل الألفاظ الخاصة بالحيوان و الطيور :

قال الشاعر :

تقولُ، وقد مال الغَبيطُ بنا معًا * عَقَرْتَ بَعيري يا امرأَ القَيس فانزِلِ

لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وساقا نَعامَةٍ * وَإِرْخاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْريبُ تَتْفُلِ

وَقَدْ أَغْتَدِي، و الطَّيْرُ في وُكنَاتِهَا * بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكلِ

كَأَنَّ مَكاكِيّ الجواء غُدَيّةً * صُبحنَ سُلافًا مِن رَحيقٍ مُفَلْفَلِ

تصُدّ وتُبْدي عن أسيلٍ وتَتَّقي * بناظرَةٍ من وَحشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

فَعَنّ لنا سِرْبٌ كأنّ نعاجَه * عَذارَى دَوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وَوَادٍ كَجَوفِ العَيرِ قَفْرٍ قطعتُهُ * بِهِ الذئبُ يَعوي كالْخَليعِ الْمُعَيَّل

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ ليسَ بفاحشٍ * إذا هي نَصّتْهُ وَلا بِمُعَطَّلِ

كأنّ السِّباعَ فِيهِ غَرْقَى عَشِيّةً * بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أنابيشُ عُنْصُلِ

وَمرّ عَلَى القَنَّانِ مِنْ نَفَيانِهِ * فَأَنْزَلَ منه العُصْمَ من كلّ منزِلِ

وتَعْطو برَخْصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنَّهُ * أساريعُ ظبْيٍ أوْ مساويكُ إسْحِلِ

دلالات الألفاظ:

أساريع: جمع أسروع، والأسروع :دود يكون في البقل والأماكن الندية، تشبه أنامل النساء به، والجمع الأساريع واليساريع.

الظبي: حيوان ثديّ مُجْتّر من ذوات الأظلاف والمجوّفات القرون، رشيق القوام، نحيف القوائم طويلُها، عيناه كبيرتان وقرون ذكوره منتصبة لولبيَّة الدورة،[٣٨]

والنعامة: (النعامة) طَائِر كَبِير الْجِسْم طَوِيل الْعُنُق والوظيف قصير الْجنَاح شَدِيد الْعَدو وَهُوَ مركب من خلقَة الطير والجمل (ج) نعام ونعائم.[٣٩]

السرحان: الذئب .

التتفل: ولد الثعلب.

الطير : جمع طائر مثل الشَّرْب في جمع شارب.

المكاء: ضرب من الطير، والجمع المكاكي.

العُصم: جمع أعصم، وهو الذي في إحدى يديه بياض من الأوعال وغيرها.

العير: الحمار، والجمع الأعيار.

النعاج: إناث بقر الوحش، الواحدة نعجة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

السباع: وسِباع وسُبُوع وسُبوعة: كل ما له نابٌ كالأسد والنمر والذِّئب، أو ما له مخْلَب كالصقر والحدأة، ويعدو على الناس والدوابّ ويفترسها[٤٠]

الرئم: الظبي الأبيض الخالص البياض، والجمع آرام.

الذئب: يجمع على الذئاب والذياب والذؤبان .

البعير : ما صلَح للركوب والحَمْل من الجِمال، وذلك إذا استكمل أربع سنوات، يُطلَق على الجمل والنَّاقة[٤١]

التحليل : تشترك مفردات هذاالحقل في الدلالة على الحيوانات والطيور.

العلاقة الدلالية :

تقع علاقة التنافر بين جميع ألفاظ هذا الحقل،ذلك لانتفاء علاقات التضاد والاشتمال والجزء بالكل بينها.

حقل الألفاظ الخاصة بالأزمنة :

قال الشاعر :

ألا أيّها اللّيلُ الطويلُ ألا انْجَلِي * صُبْحٍ، وما الإصْبَاحُ مِنكَ بأمثَل

كأني غَداةَ البَينِ يَوْمَ تَحَمَّلوا * لدى سَمُراتِ الحيّ ناقِفُ حَنظلِ

تُضيءُ الظَّلامَ بالعِشاءِ كأنَّها * مَنَارَةُ مُمْسَى راهبٍ مُتَبَتّلِ

وتُضْحِي فتيتُ الْمِسكِ فوق فراشها * نؤومُ الضحى لم تَنْتَطِقْ عن تفضّلِ

ألا رُبّ يَومٍ لكَ مِنْهُنّ صَالِحٍ * و لا سيَّمَا يومٍ بِدَارَةِ جُلْجُل

كأنّ السّباعَ فِيهِ غَرْقَى عَشِيّةً * بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أنابيشُ عُنْصُلِ

دلالات الألفاظ:

والغداة : نقيض العشي وهي مؤنثة قال ابن الأنباري: ولم يسمع تذكيرها، ولو حملها حامل على معنى أول النهار جاز له التذكير.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

العشي والعشية: ما بعد الزوال إلى طلوع الفجر وكذلك العشاء.

اليوم: معروف، مقداره، من طلوع الشمس إلى غروبها، وقد يراد باليوم الوقت مطلقًا

الليل :وقت يبدأمن غروب الشمس وينتهي إلى طلوع الفجر.

الضحى: وقت ارتفاع النهار وامتداده.[٤٢]

ممسى: من المساء،ومساء : زمانٌ وقتُه من بعد الظُّهر إلى المغرب أو إلى نصف اللَّيل، ما يقابل الصَّباح [٤٣]

التحليل: تشترك مفردات هذاالحقل في الدلالة على الأوقات والأزمنة.

العلاقة الدلالية :

تقع علاقة التنافر بين ألألفاظ " الضحى \الغداة\ العشي \ممسى "

تقع علاقة الجزء من الكل بين اللفظ "اليوم " وبين الألفاظ " الضحى \الغداة\ العشي \ممسى "

تقع علاقة التضاد بين لفظي" الليل و اليوم "

وهناك علاقة تضاد أخر بين لفظي " الغداة\ العشي "

حقل الألفاظ الخاصة بالألوان :

قال الشاعر

كَبِكْرِ الْمُقاناةِ البَيَاضَ بِصُفْرَةٍ * غَذَاها نَمِيرُ الْمَاءِ غيرُ الْمُحَلَّلِ

وَفَرْعٍ يَزِينُ الْمَتنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ * أثيثٍ كَقِنْوِ النخلةِ الْمُتَعَثْكِلِ

دلالات الألفاظ

البياض : لون الثلج النقي، أو ملح الطعام النقيّ، عكس السواد "[٤٤]

أسود : لَوْن كلون الفحم ينتج من امتصاص أشعّة النُّور امتصاصًا تامًّا، عكسه أبيض[٤٥]

صفرة :مصدر صفِر الشَّيءُ كان في لون الذَّهب أو اللَّيمون أو الكبريت.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فاحم :من فحُمَ الشَّيءُ: اسودّ، اشتدّ سواده يقال"فحُم وجهُهُ، وشَعر أو ليل فاحِم".[٤٦]

التحليل: تشترك ألفاظ هذه الحقل في الدلالة على الألوان .

العلاقة الدلالية

تقع علاقة التضاد بين اللفظ " البياض " وبين لفظي "أسود\ فاحم "

وتقع علاقة التنافر بين اللفظ " صفرة " وبين الألفاظ " البياض\ أسود\ فاحم "

وتقع علاقة الترادف الجزئي بين لفظي " أسود\ فاحم "

حقل الألفاظ الخاصة بالمياه والأنهار:

قال الشاعر :

وَليلٍ كَمَوْجِ البَحرِ أرْخَى سُدولَهُ * عليّ بأنواعِ الهُموم ليَبْتَلي

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا * كجُلمودِ صَخرٍ حطَّهُ السيلُ مِنْ عَلِ

على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أيْمَنُ صَوْبِه * و أيْسَرُهُ على السّتارِ فَيَذْبُلِ

كأنّ ثَبيرًا في عَرانينِ وَبْلِهِ * كَبيرُ أُناسٍ في بجاد مُزَمَّلِ

فأضْحَى يَسُحُّ الماءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ * يكُبّ على الأذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

دلالات الألفاظ

الصوب: المطر، وأصله مصدر صاب يصوب صوبًا أي نزل من علو إلى سفل.

الوبل: جمع وابل وهو المطر الغزير العظيم القطر، ومثله شارب وشَرْب وراكب ورَكْب وغيرهما،

موج: (مَوَجَ) الْمِيمُ وَالْوَاوُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ فِي الشَّيْءِ، وَمَاجَ النَّاسُ يَمُوجُونَ، إِذَا اضْطَرَبُوا. وَمَاجَ أَمْرُهُمْ وَمَرِجَ: اضْطَرَبَ ; وَالْمَوْجُ: مَوْجُ الْبَحْرِ، سُمِّيَ لِاضْطِرَابِهِ، وَمَاجَ يَمُوجُ مَوْجًا وَمَوَجَانًا، وَكُلُّ شَيْءٍ اضْطَرَبَ فَقَدْ مَاجَ.[٤٧]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

البحر: ضِد البَرّ، وهو مُتَّسع من الأرض أصغر مِن المحيط مغمور بالماء المِلْح أو العَذب [٤٨]

السيل: ماء كثير يسيل، أو ماء المطر إذا تجمّع فوق الأرض وجرى مسرعًا غزيرًا "[٤٩]

الماء: سائل عليه عماد الحياة في الأرض، وهو في نقائه شفّاف لا لون له ولا رائحة ولا طعم، "[٥٠]

التحليل: تشترك ألفاظ هذاالحقل في الدلالة على الماء ومواطنه.

العلاقة الدلالية :

علاقة اشتمال بين ألألفاظ " الماء \الصوب \ الوبل "

علاقة تنافر بين لفظي " الصوب \ الوبل " وبين سائر ألفاظ هذا الحقل " البحر\ السيل\موج".

علاقة نتافر أخرى بين الألفاظ الثلاثة وهي : البحر\ السيل\موج".

حقل الضياء والظلام :

قال الشاعر :

تُضيءُ الظَّلامَ بالعِشاءِ كأنَّها * مَنَارَةُ مُمْسَى راهبٍ مُتَبَتِّلِ

يُضيءُ سَناهُ أو مَصابيحُ راهِبٍ * أمالَ السَّليطَ بالذُّبالِ المُفَتَّلِ

أصاحِ تَرَى بَرْقًا أُريكَ ومَيضَهُ * كَلَمْعِ اليَدَينِ في حَبيٍّ مكلَّل

دلالات الألفاظ:

يضيء من الإضاءة.

المنارة: المسرجة: الجمع المناور والمنائر.

الظلام : انعدام الضَّوء، ذهابُ النُّور [٥١]

السنا: الضوء.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

مصابيح:جمع مصباح و هو : اسم آلة من صبُحَ، بمعنى سراج، وكُلُّ ما يستضاء به

لمع: لمَعَ البرقُ: أضاء، برَق[٥٢]

وميض: ومَض البرقُ: لمع لمعانًا خفيفًا وظهر وأنار "[٥٣]

التحليل: تشترك ألفاظ هذا الحقل في الدلالة على الضيا والظلام.

العلاقة الدلالية :

علاقة التضاد بين الألفاظ " يضيء\ السنا\ وميض " وبين اللفظ " الظلام "

علاقة تنافر بين الألفاظ " يضيء\ السنا\ وميض " وبين لفظي "المنارة \ مصابيح "

علاقة تنافر أخرى بين لفظي "المنارة \ مصابيح "وبين اللفظ" الظلام "

الخاتمة و النتائج:

لقد تبين من خلال ما قام به الباحث من الدراسة النظرية ، أن الحقول الدلالية نظرية تقوم على أساس تصنيف المواد اللغوية ذات صلة دلالية عن طريق استجلاء العلاقات داخل حقل معين ، كما أنها منهج علمي دقيق لدراسة المعنى والتعرف على الفروق الدقيقة بين الألفاظ التي تبدو مشابهة في دلالتها وذلك بعد تحديد الملامح التميزية لكل من الكلمات المتصلة دلاليا ، وكذلك تهدف إلى تصنيف المفردات اللغوية حسب المفاهيم و الموضوعات تصنيفا يجعلها أكثر منطقية وفائدة في صناعة المعاجم وأن للحقول الدلالية أصالتها العريقة في التراث العربي التليد منه والطريف.

وقد ظهر للباحث في الدراسة التطبيقية أن معلقة إمرئ القيس ، تحوي في طياتها حقولا دلالية كثيرة ومن أهمها حقول تختص بألفاظ الطبيعة و التي ينطلق - الواقف عليها - إلي تصور وتخيل البيئة التي عايشها الشاعر ، بمافيها من وديان وجبال و قفار و سيول و وحوش و أنواع الطقوس و أحوالها كنزول الأمطار و هبوب الرياح إلى غير ذلك من الظواهر الكونية، كما يظهر أن الشاعر تمكن من الوصول إلى الغرض المنشود من قصيدته بمافي ذلك من

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وصف، وطرد ، وفخر ، وغزل ، عن طريق استعمال الحقول الدلالية ،ويتجلى من ذلك أن الألفاظ باختلاف حقولها الدلالية هي اللبنات الأولية و الأساسية لبناء كل نص من النصوص الشعرية أو النثرية منطوقة كانت أو مكتوبة ، كما أن الشعر هو ديوان العرب قديما و حديثا.

الهوامش والمراجع:

[١] **أحمد مختارعمر: (الأستاذ الدكتور) علم الدلالة عالم الكتب ،القاهرة ، الطبعة السابعة ٢٠٠٩ ص-١٢١**

[٢] المرجع نفسه ص-١٧

[٣] -المعلقات العشر من الموسوعة الشعرية ص-٢.

[٤] - الزوزني. الحسين بن أحمد الحسين ، المرجع السابق .

[٥] **الكندي ، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث ديوان امرئ القيس اعتناء عبد الرحمن المصطاوي الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ص- ١٤**

[٦] الأزهري الجزء الأول ص- ٤٥٦

[٧] الرافعي ، المرجع السابق ص- ١٤٤

[٨] **الفيروزآبادي القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروزآبادي عدد الأجزاء : ١**

[٩] **أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي نشر المكتبة العلمية – بيروت عدد الأجزاء : ٢ ص- ١٩٩**

[١٠] - **الأزهري تهذيب اللغة مصدر الكتاب : موقع الوراق،الجزء الرابع ص- ٤٣٧.**

[١١] الدكتور أحمد عزوز ، المرجع السابق ص- ١٢.

[١٢] المرجع نفسه ص- ٧٩ .

[١٣] - المرجع نفسه ص ١٣.

[١٤] الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ص- ٧٩ .

[١٥] الدكتور أحمد عزوز المرجع السابق ص- ١٣.

[١٦] المرجع نفسه ص- ١٠.

[١٧] المرجع نفسه ص- ١٥

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[١٨] محمد أرزك طن زاك علم الدلالة في التراث العربي عند اللغويين والبلاغيين راسالة دكتورة في جامعة عثمان بن فودي صكتو ،عام ١٤٢٧ ص- ١١٠.

[١٩] هيفاء عبد الحميد كلنتن المرجع السابق ص-١٦

[٢٠] محمد أرزك طن زاك المرجع السابق ص- ١١٢.

[٢١] -الأستاذالدكتور أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ص-٨٢.

[٢٢] الدكتور أحمد عزوز المرجع السابق ص- ١١بتصرف .

٣١- د أحمد مختارعبد الحميد عمر معجم اللغة العربية المعاصرة، نشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ص- ١١١٥

٣٢- د أحمد مختار عبد الحميد عمر المرجع السابق ص-٣١٥

٣٣- المرجع نفسه ص- ٢١٧٣

٣٤- المرجع نفسه ص- ٤٠٢

٣٥- المرجع نفسه ص- ١٢٣٦

٣٦- المرجع نفسه ص- ٢٢٠٦

٣٧- المرجع نفسه ص- ١٢٦٦

٣٨- المرجع نفسه ص- ٣٤٢

٣٩- المرجع نفسه ص- ١٢٧٥

٤٠- المرجع نفسه ص- ٤٤٦

٤١- المرجع نفسه ص- ١٠٨

٤٢- المرجع نفسه ص- ٢١٨٤

٤٣- المرجع نفسه ص- ٥٧٠

٤٤- المرجع نفسه ص- ١٨٠٧

٤٥- المرجع نفسه ص- ١٢٧١

٤٦- د أحمد مختار عبد الحميد عمر المر جع السابق ص- ١٤٣٣

[٣٩]- **(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار) المعجم الوسيط نشر دار الدعوة ص- ٩٣٥**

٤٨- د أحمد مختار عبد الحميد عمر المرجع السابق ص- ١٠٢٧

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٤٩- المرجع نفسه ص- ٢٢٦

٥٠- المرجع نفسه ص- ١٣٥٠

٥١-الرجع نفسه ص- ٢١٠٠

٥٢-المرجع نفسه ص-٢٧٠

٥٣- المرجع نفسه ص-١١٣٠

٥٤- المرجع نفسه ص-١٦٧٧

[٤٧] - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون نشر دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ص- ٢٨٤

٥٦- د أحمد مختار عبد الحميد عمر المرجع السابق ص- ١٦٣

٥٧-المرجع نفسه ص- ١١٥٠

٥٨- المرجع نفسه ص-٢١٤١

٥٩- المرجع نفسه ص- ١٤٣٩

٦٠- المرجع نفسه ص-٢٠٣٧

٦١-المرجع نفسه ص- ٢٤٩٩

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

المماثلة الصوتية في سورةالبقرة: دراسة تطبيقية في ضوء علم اللغة الحديث

إعداد:

عمر عبد الله

طالب من كلية التربية حتوب قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية الدرسات العليا بالجامعة الجزيرة جمهورية السودان.

ملخص البحث

لمّا كانت اللغة عبارة عن أصوات، فقد عدت الدّراسات الصّوتية من أصل العلوم اللغوية والدّينية، ومنطلق لتوجيه الأداء السليم أثناء القراءة لاتصالها المباشر بتلاوة القرآن الكريم بصورة سليمة. ويهدف هذا البحث إلى قانون المماثلة الصوتية، ومأأنواع المماثلة الصوتية، وأما المشكلة تمثّلتْ في عدم توفر الأجهزة الصوتية المتقدمة التي يمكن الإفادة منها، وقلة البحوث المتخصصة على هذه الدراسة مثل: المماثلة، و يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي.

وردت ظاهرة المماثلة بصورة مطّردة في آيات سورة البقرة، وهذه العملية لا تؤثر على المعنى، لارتباطها ببعض اللهجات العربية ، وبيانات البحث هي الآيات القرآنية التي تشتمل قضية المماثلة الصوتية ، ومصادر البيانات لهذا البحث هي القرآن الكريم. وأما البحوث والدراسات الخاصة في المماثلة الصوتية وعلم الأصوات فهي تساعد الباحث في تحليل البيانات، وانطلاقا من عرض البيانات نتائج أن:أنواع المماثلة في

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

سورة البقرة هي:أولا المماثلة التقديمية ،وهي"اتَّخَذْتُمُ" ،و"بِاتِّخَاذِكُمُ"، و"اتَّخَذْتُمُ"،و" وَاتَّقَوْ"،و" اتَّبَعْتَ"، المماثلة التراجعية، وهي: "الصَّلَاةَ " و"الصَّلَاةَ " و"النَّاسِ" و "النَّار " و" السُّفَهَاءُ".

من هذا البحث يعرف أن الآيات القرآنية فيها قضية المماثلة الصوتية، واعتمادا على نتائج البحث يرجى من الباحثيين الآخرين ليبحثوا في الدراسة الأخرى تشبه هذه الدراسة،لزيادة معلوماتنا ومعرفتنا في فهم العلوم اللغوية خاصة فا للغة العربية من القرآن.

ABSTRACT.
At the time that sounds in a language must be given due consideration sincerely, the study of sounds is incented in the study of language and religion, the aims is to target the learners interest in other to achieve the goof of the study of the Holy- Qur'an in good perception, this research is aim at the assimilation of sounds and its branched in all perspectives that has to do with the recitation of the verse of the Holy-Qur'an. Although, the problems of this research ranges from inadequate facilities of studying sounds particular language which could enhance and simplify the study: the research is arrowed due to the aforementioned, less to say, and researchers divisibility to motion but a few. Assimilation, this research is targeted at the ingredients of necessitating sound to be compulsory or otherwise. Assimilation is to be viewed in some verse of the Suratul Baqarah this work can never be overnphalized.

Do to its usage in the various arms of Arabic language. The aim of this research is to slow assimilation in the verse of the holy Qur'an itself entirely at a whole embodiment and the origin in the particular. The researcher both in writhen and reading of Assimilation sounds with regards to the study of information which tends to help the researcher in simplifying and explaining some meanings, and directly to slower case the outcome of the meanings to actualize the patterns of Assimilation in Suratul Baqarah:
-Preceding Assimilation.
-Un-preceding Assimilation
Following this research with good faith and understanding you will come accorss the different palterns of Assimilation in the verse of the holy qur'an, also, to stand in a format of good and staroadize to the student of research and academia itself in others to increase the knowledge not in Arabic arms of Assimilation but the entire knowledge of knowledge of human endeavors.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، ووضعه ليكون لنا مرجعاً ومصدراً في جميع أمورنا، وفي ما يحتاجه بنو البشر من شريعة وصلاح مجتمع وسعادة للحياة بأكملها، أنزله بلسان عربي مبين، وصار حافظاً له من الهدم والانقراض، كما زاد به نشراً ورفعاً وقبولاً بما لم تجده من قبل ومن بعد.

هذه الدراسة في علم الأصوات بعنوان المماثلة الصوتية في سورةالبقرة :دراسة تطبيقية في ضوء علم اللغة الحديث،ركز الباحث اهتمامه على دراسة الأصوات العربية والوحدات الصوتية، وحاول الباحث أن يبرز بعضا من التغيرات الصوتية في هذه السورة ا لكريمة ليكشف ما فيها من المماثلة ، لذا اشتملت هذه الدراسة على ثلاثة فصول، أفردالباحث الفصل الأول لمفهوم علم الأصوات وموضوعه وفوائده وأهمية علم الأصوات، و خصص الفصل الثاني: لتعريف المماثلة، وقانون المماثلة، وأنواع المماثلة، الفصل الثالث: عالج في الفصل الثالث: المماثلة الصوتية في سورة رالبقرة.

مفهوم علم الأصوات وموضوعه

أولاً الصوت في اللغة:

الصوت: مفرد وجمعه: الأصوات ، في المدلول اللغوي، كما عرفه علماء المعاجم، من "صات" قال ابن منظور: الصَّوتُ: الجَرْسُ، مَعْرُوفٌ، مُذَكَّرٌ؛ فأَما قَوْلُ رُوَيْشِدِ بْنِ كَثِيرٍ الطَّائِيِّ:

يَا أَيُّها الراكبُ المُزْجِي مَطِيَّتَه، ... سائلْ بَني أَسَدٍ: مَا هَذِهِ الصَّوْتُ؟

فإِنَّما أَنثه، لأَنه أَراد بِهِ الضَّوضاءَ والجَلَبة، عَلَى مَعْنَى الصَّيْحةِ، أَو الِاسْتِغَاثَةِ؛().

ووردت كلمة صوت في القرآن الكريم في أربع سور وفي ثمانية مواضع، وبتتبعها تبين أنها جاءت حاملة معنيين وكلاهما يدلان على معناه اللغوي، وهي:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الأولى تعنى ارتفاع الصوت واتصاله بالمسامع، وهذا هو الذي جاء في الآيات الآتية: - ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لصوت الْحَمِيرِ﴾ ()

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.()

- وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يغضون أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.()

- وفي قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.()

أماالمعنى الثاني فيدل على الشيطان الداعي إلى الضلال وأعماله وطرقه في الإغواء عن طريق الله المستقيم وهذا هو الذي دل عليه هذه الآية عند قوله عز وجل: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٦].

يلاحظ أن الدلالات التي جاءت في كلمة الصوت في القرآن الكريم، جميعها تدل على معنى اللغوي.

وورد لفظ الصوت كذلك في كثير من الأحاديث النبوية، ومن ذلك ما يتعلق باستحباب تحسين الصوت عند قراءة القرآن الكريم. وكما جاء في إخراج أبي داود، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ("زينوا القرآن بأصواتكم").[٧]

فالصوت في هذا الأثرإنتاج الحروف القرآنية عند قراءته قراءة صحيحة مجودة. فالصوت بهذا المعنى هو ضوضاء منتظم، (كما يقول علماء اللغة)، الذي ينتفخ به إبان قراءة القارئ لآيات الذكر الحكيم.[٨]

ثانيا. الصوت في الاصطلاح:

عرف أبو الفتح عثمان ابن جني الصوت حيث قال: "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا".[٩]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وللصوت مدلول ومعنى خاص في علم اللغة الحديث وهو بالضرورة: "أصغر وحدة لغوية ليس لها معنى. وهى محدودة العدد في أية لغة بشرية، إذ لا تتجاوز بضعة عشرات في أبجدية كل لغة إنسانية[0] والأصوات تنتظم على حسب النظام الصرفي والبنيوي لتكون أصغر وحدة لغوية ذات المعنى ألا وهى اللفظ أو الكلمة [١٠].

وذهب الأستاذ الدكتورتمام حسان أن الصوت عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية تأتى من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي، ومركز استقباله وهو الأذن.[١١]

ثالثاً. مفهوم علم الأصوات:

وعرفه توفيق شاهين بقوله:"علم الأصوات أو الفوناتيك (Phonetics)، وهو يتناول عنصر الصوت من اللغة، لتحديد مخارج الأصوات وطرق إحداثها وتصنيفها وما يعرض لها من تبدلات على مر الزمان، وأسباب ذلك، ودراسة أعضاء النطق التي تتصل بالصوت وأثر بعضها على بعض.[١٢]

وقد عرف اللغويان: ماريو باي، وفرنك غينور علم الأصوات بأنه: "علم دراسة الأصوات Sounds وتحليلها وتصنيفها متضمناً دراسة إنتاجها (Production) وانتقالها (transmission) وإدراكها (Rerception) [١٣]

رابعا. موضوع علم الأصوات:

إن موضوع علم الأصوات هو الصوت اللغوي الذي يصدر من جهاز النطق الإنساني بقصد الكلام[١٤]كما يدرس الأصوات اللغوية، من ناحية وصف مخارجها، وكيفية حدوثها، وصفاتها، التي يتميز بها صوت عن صوت. كما يدرس القوانين التي تخضع لها هذه الأصوات في تأثيرها بعضها بعض، عند تركيبها في الكلمات أو الجمل. فالصوت الإنساني الحي، هو موضوع علم الأصوات.

خامسا. من فوائد علم الأصوات:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١- تحديد مخارج الأصوات وبيان الأصوات التي تخرج من كل مخرج على حدة، ليؤدي الكلام غرضه المنشود وهو إيصال الرسالة كما يقصدها المتكلم.

٢- معرفة صفات الأصوات التي تميز صوتاً عن آخر.

٣- معرفة نظام بناء الكلمات في اللغة، لأن كل لغة تقبل ما يلائم خصائصها وطبيعتها وترفض ما يخالف ذلك.

٤- أنه يعين على معرفة الأصوات الأصلية للغة معينة والأصوات الغريبة عنها، وخير مثال على ذلك عدم وجود الأصوات الآتية في اللغة العربية مع وجودها في اللغة الإنجليزية وهي V/ P.

٥- معرفة ما يسمح به النظام الصوتي للغة معينة في تركيب كلماتها وما لا يسمح به.

٦- أنه يساعد على حل كثير من المسائل اللغوية وخاصة الصرفية منها كالمسائل التي استعصى تحليلها لغوياً على اللغويين القدماء فحللوها فلسفياً[١٩].

سادساً. أهمية علم الأصوات:

تظهر أهمية الدراسة الصوتية في كونها وسيلة من وسائل تعليم اللغة العربية الفصحى تعليماً سليماً، فالمتعلمون في المراحل الأولى معرضون للخطأ في اللغة، نظراً لاختلاف البيئات التي نشئوا في أحضانها، ولكل عادات نطقية تخالف الأخرى من جهة، والفصحى من جهة ثانية.

فإذا ما أرشد هؤلاء المتعلمون إلى أصوات اللغة ونطقها النطق السليم سهل عليهم إجادتها ونطقها وحسن أدائها، وبالتالي تخلصوا بالتدرج من العادات النطقية التي نشئوا عليها. ومن هنا تظهر لنا أهمية دراسة علم الأصوات في المحافظة على اللغة وتعمل على إجادتها والتمكن منها. فتعليم أصوات اللغة المشتركة أمر ضروري للغاية للتخلص من الخلاف في المخارج أو الخلاف في صفات الحروف، ويظهر لنا الفرق جلياً في اختلاف القاف في العامية عنها في الفصحى، وكذلك الهاء والضاد[٢٠].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وتظهر أهمية دراسة علم الأصوات في المباحث الصرفية، إذ أن القواعد الصرفية منبعثة أساساً على ما تقرره الدراسة الصوتية من حقائق وما ترسمه من حدود، وكل دراسة صرفيّة لا تراعي الدرس الصوتي مصيرها الفشل والضياع. وهذه الحقيقة تظهر جلية لمن يعالج المسائل الصرفية، ولدية قدر كاف من الدرس الصوتي[١٧].

المماثلة: Assimilation

تعريف المماثلة :

قال الزمخشري : المُمَاثَلَةُ كَون مَا فِي إِحْدَى القرينتين أَو أَكْثَره مثل مَا يُقَابله فِي الْأُخْرَى من الْوَزْن[١٨].وفي مقاييس اللغة جاء على صيغة كلمة تسوية، يُقَالُ: هَذَا مِثْله ومَثَله كَمَا يُقَالُ شِبْهه وشَبَهُه بِمَعْنًى؛ قَالَ ابْنُ بَرِّيّ: الْفَرْقُ بَيْنَ المُمَاثَلَة والمُساواة أَن المُساواة تَكُونُ بَيْنَ المختلِفين فِي الجِنْس والمتَّفقين، لأَن التَّساوِي هُوَ التكافُؤُ فِي المِقْدار لَا يَزِيدُ وَلَا ينقُص، وأَما المُمَاثَلَة فَلَا تَكُونُ إِلا فِي الْمُتَّفِقِينَ[١٩].

المماثلة في الاصطلاح :عملية إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثاني قريب منه في

ويعرف "دانيال جونز"D. GONES المماثلة بأنها: عملية استبدال صوت بصوت آخر، تحت تأثير صوت ثالث قريب منه، في الكلمة أو في الجملة:[٢٠]

قانون المماثلة: Assimilation:

تتأثر الأصوات اللغوية، بعضها ببعض، عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتتغير مخارج الأصوات أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة، مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام، بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات، ذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها .كما نعرف .في المخارج، والشدة والرخاء، والجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، وما إلى ذلك، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً، حدث بينهما شد وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها، أو في بعضها.[٢١]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أنواع المماثلة:

في أنواع الآثار الناتجة عن قانون المماثلة، فإن أثر الصوت الأول في الثاني، فالتأثر(مُقْبِل)، وإن حدث العكس فالتأثر(مُدْبِر)، وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين، فالتأثر(كلي)، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت، فالتأثر(جزئي). وفي كل حالة من هذه الحالات، قد يكون الصوتان متصلين تماماً، بحيث لا يفصل بينهما فاصل، من الأصوات الصائتة أو الحركات، وقد يكون الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض بفاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات.[٢٢]

وفيما يلي نضرب الأمثلة لكل نوع من أنواع التأثر السابقة:

١- **التأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال:** من أمثلته ما يلي:

أ- تتأثر تاء الافتعال دائما بالدال أو بالطاء قبلها، فتقلب دالا أو طاء مثل: ادترك> ادرك ؛ ادتهن> ادّهن؛ اطتلب> اطّلب؛ اطتلع> اطّلع؛ اطترد> اطّرد.

ب- تتأثر تاء الافتعال غالباً بالذال أو بالصاد أو بالضاد قبلها فتقلب ذالاً أو ضاداً؛ مثل: اذتكر> اذّكر؛ اضتجع> اضجّع؛ اصتبر>اصبّر.

ج- تتأثر الواو الساكنة بالكسرة القصيرة قبلها، فتتحول إلى كسرة مماثلة، وتتحد مع الحركة المؤثرة في كسرة طويلة؛ مثل مِوْزان> ميزان؛ مِوْعاد> ميعاد[٢٣]

٢- **التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال:** ومن أمثلة ما يلى:

تتأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر(ه) والجمع المذكر(هُم) والجمع المؤنث(هُنَّ) والمثنى(هُما) .بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء، فتقلب الضمة كسرة، مثل برجلِهُ> برجلِه؛ فيهُ> فيهِ؛ عليهُ> عليهِ؛ ضربتهُ> ضربتِه؛ بصاحبِهُم> بصاحبِهِم؛ قاضيهُم> قضيهِم؛بهُنَّ> بهنّ؛ بِهُما> بِهما. وفي قراءة حفص عن عاصم:(وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ)[٢٤]على الأصل في حركة هذا الضمير، وفيها كذلك:(وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

اللَّهَ)[٢٩].وقد حافظت القبائل الحجازية على هذا الأصل في نطقها، قال سيبويه:(فالهاء تكسر إذا كانت قبلها ياء أو كسرة ... وذلك قولك: مررت بهى قبلُ، ولديهى مال، ومرر بدارهى قبلُ، وأهل الحجاز يقولون:مررت بهُو قبلُ، ولديهو مال، ويقرءون(فخسفنا بهُو وبدارهُم الأرض). كما يقول المبرد:(فأما أهل الحجاز خاصة، فعلى الأمر الأول فيها، يقرءون: فخسفنا بهُو وبدارهُو الأرض ... ومن لزم اللغة الحجازية، قال: عليْهُ مالُ)[٣٠]

وفي التسهيل لابن مالك:(وهاء مضمومة للغائب، وإن وليت ياء ساكنة أو كسرة، كسرها غير الحجازيين)[٣١]

٣- التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال: من أمثلته ما يلي:

أ- تتأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالضاد أو بالزاي قبلها فتقلب طاء في الحالتين الأوليين، ودالا في الثانية مثل: اصتبغ> اصطبغ؛ اضتجع> اضطجع؛ ازتجر> ازدجر. ويقول الزجاج في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾[٣٢] إن اصطفاه(افتعل من الصفوة. الأصل: اصتفاه، فالتاء إذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاء؛ لأن التاء من مخرج الطاء، والطاء مطبقة، كما أن الصاد مطبقة، فأبدلت الطاء من التاء ليسهل النطق بما بعد الصاد).

ب- تتأثر تاء الافتعال بالجيم، إذا كانت فاء للفعل، فتقلب دالاً في بعض اللهجات القديمة، مثل: اجتمع> اجدمع؛ اجتزّ> اجدزّ.

ويقول ابن جني:(وقد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم في بعض اللغات.قالوا: اجدمعوا، في: اجتمعوا، واجدزّ، في، اجْتزّ.

٤- التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال: من أمثلة ما يلي:

تتأثر الدال بالراء قبلها، في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري بنظيرها المفخم، وهو الضاد لأن الراء صوت ذو قيمة تفخيمية مثل: معربد)) معربض.

وهذه إحدى خصائص صوت الراء في العربية، يميل هذا الصوت إلى تفخيم بعض الأصوات المجاورة له، مثل قولنا: (صور) في (سور) و(أخرص) في (أخرس) و(رفص) في (رفس)،وفي كراسة الامتحان كتب بعض الطلاب كلمة((أضران))

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

بدلا من: ((أدران))؛ وقد روى مثل ذلك كثيرا في العربية الفصحى؛ إذ فيها (الخرَّاس)و(الخرَّاص)بمعنى: صاحب الدنان، و (رسخ الشيء) و((رصخ))بمعنى: ثبت و(رجل أرسخ) و(أرصخ) بمعنى: خفيف لحم الوركين، و((السراط)) و((الصراط)) بمعنى: الطريق: وغير ذلك[٢٩].

٥-**التأثر المدبر الكلى في حالة الاتصال:** من أمثلته ما يلي:

أ- تتأثر النون في: إنْ وأنْ ومنْ وعن، بالميم واللام التي تليها، فتقلب ميما أو لاماً، مثل: إمآ وأماّ وألّا وممّا وعمّا، وما إلى ذلك.

ب- في العربية القديمة، تتأثر لام التعريف بما بعدها، من أصوات الصفير والأسنان والأصوات المائعة(الراء واللام والنون)، هي ما تسمى عند اللغويين العرب بالحروف الشمسية، فتدغم فيها.

ج- تتأثر الراء في بعض قراءات القرآن، باللام بعدها، في ميل قوله تعالى:﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٣٠] فقلبت لاما، وإن كان ابن جني ينكر ذلك ويقول:((اعلم أن الراء لما فيها من التكرير، لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف، لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير، فأما قراءة أبي عمرو: يغفر لكم، بإدغام الراء في اللام، فمدفوع عندنا، وغير معروف لكم، وغير معروف عند أصحابنا، إنما هو شيء رواه القراء، ولا قوة له في القياس) [٣١].

٦- **التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال:** من أمثلته ما يلي:

تطورت كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة: (مِفْعَل ومِفْعلة)، وذلك مطرد تمام الاطراد في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري، إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين، وذلك من نوع التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال، مثل: مَقْود، ومَسَنّ، ومَقْنع للثوب الذي يغطى به الرأس، ومَطْرد للرمح الصغير، ومَخَدّة زمَرْدغة للوسادة.

٧-**التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال:** من أمثلته ما يلي:

تقول العامة في عصرنا الحاضر:((يسحف)) بدلا من:((يَزْحف)) فقد تأثرت الزاي في هذا المثال، وهي صوت مجهور، بالحاء التالية لها، وهي صوت مهموس، فقلبت الزاي إلى نظيرها المهموس وهو السين.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٨- **التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال**: من أمثلته ما يلي:

أ- روى ابن هشام اللخمي أن الناس كانوا في الأندلس والمغرب، في القرن السادس الهجري، يقولون في: سِرْداب، زِرْداب.[٣٢]

ب- تميل الراء إلى تفخيم الأصوات المجاورة لها، ومن هذا الأثر قولنا في مصر:((طُور)) في:((ثُور)) المنقلبة عن:(ثَوْر)، كما نطلق كلمة:(الضرب) على:(الدَّرب) بمعنى الطريق المسدود.

ب- السين قبل الطاء تقلب صاداً في بعض قراءات القرآن، فقد روى((عن ورش عن نافع: (أم هم المصيطرون) و﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[٣٣]باختصار الصاد، وروى محمد بن الجهم عن الفراء، قال: الكتاب

وخط المصحف بالصاد في: مصيطر والمصيطرون، والقراءة بالسين.[٣٤]

المماثلة الصوتية في سورة البقرة:

Progressive[٣٥] تقدمى: يتأثر الصوت الثانى بالأول وسموا هذا بالتأثر التقدمى

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ **اتَّخَذْتُمُ** الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) [٣٦]

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ **بِاتِّخَاذِكُمُ** الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[٣٧]

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ **اتَّخَذْتُمُ** الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[٣٨]

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا **وَاتَّقَوْا** لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٩]

﴿وَقَالُوا **اتَّخَذَ** اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾:[٤٠]

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا **وَاتَّخِذُوا** مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.[٤١]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ **اتَّبَعْتَ** أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٤٢]

من خلال الآيات السابقة وجد الباحث كلمة "اتَّخَذْ"، وهذه الكلمة من نوع المماثلة التقدمية وإذا نظرنا من ناحية علم الأصوات، نجد أن كلمة "اتَّخَذْ" أصلها "إأْتَخَذ" قلبت الألف تاء وتشدد التاء الأولى للثاني فصار "اتَّخَذ". وهذه يراد بها سهولة النطق وتحقيق الانسجام الصوتي، ولا يؤثر على المعنى.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ **اتَّبِعُوا** مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)[٤٣]

وتوجد في الآية السابقة كلمة "اتَّبَعَ"، وهذه الكلمة من نوع المماثلة التقدمية، وإذا نظرنا من ناحية علم الأصوات، نجد أن كلمة"اتَّبَعَ" أصلها "ايْتَبع" قلبت الياء تاء لعسر النطق بحرف اللين الساكنة مع التاء لما بينهما من مقارنة المخرج لأن مخرج الياء من وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، والتاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، ومنافاة الوصف بينهما لأن الياء مجهورة والتاء مهموسة فصار ايْتَبع، فأدغمت التاء الأولى في الثانية للمجانسة فصار"اتَّبعَ" وهذا يراد به سهولة النطق وتحقيق الانسجام الصوتي وهذه العملية لاتؤرعلى المعنى.

٢_ رجعي: وفيه يتأثر الصوت الأول بالثانى. وهذا النوع كثير الشيوع في اللغة العربية والفرنسية.[٤٤]

مماثلة لام(أل) للصوت التالي لها:

من الأصوات التي عرفت بالشمسية هي:" التاء والثاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء واللام والنون" حيث يتأثر صوت اللام من(ال) بالصوت التالي إذا كان من مجموعة الأصوات السابقة، فيتماثل صوت اللام معه تماثلاً ويذوب فيه ذوباناً كاملاً متأثراً به تأثراً رجعياً، مثل الكلمات: الرحمن . الدين . الصراط . الضالين . الذين . الناس . السماء . الثمرات . الشهداء . الظالم . التواب . الزاد . الطيب . الذكر.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ففي الكلمات السابقة يتأثر صوت اللام بالصوت التالي له تأثيراً مدبراً فيماثله مماثلة تامة ويذوب فيه ذوباناً كاملاً ذاتاً وصفةً، فيطق بالكلامات السابقة هكذا: أرَّحمن . أدَّين . أصَّراط . أضَّالَّين . ألَّذين . أنَّاس . أسَّماء . أثَّمرات . أشُّهداء . أظَّالم . أتَّواب . أزَّاد . أطَّيب أذَّكر. فهذه المماثلة بين لام(ال) والأصوات الشمسية كثيرة بالغة، الأصوات تمثل نصف الأصوات الصامتة[٤٩].

في العربية القديمة، تتأثر لام التعريف بما بعدها، من أصوات الصفير والأسنان والأصوات المائعة(الراء واللام والنون)، وهي ما تسمى عند اللغويين العرب بالحروف الشمسية، فتدغم فيها، وقد جمعها بعض الشعراء في أوائل كلمات البيت الآتي:

طب ثم صل رحما تفز ضف ذا نعم دع سوء ظن زر شريفا للكرم

كما ضبطها أبو العلاء المعرى بقوله:"والحروف التي تدغم فيها لام التعريف تنقسم في ترتيب حروف المعجم ثلاثة أقسام، فالقسم الأول: حرفان متواليان، وهما الثالث من حروف المعجم والرابع، وذلك: التاء والثاء، والثاني: عشرة أحرف متواليات، أولها الدال على ترتيب حروف المعجم، وآخرها الظاء. والثالث: حرف فرد تدغم فيه اللام، وهو النون[٥٣].

صوت الصاد مع صوت اللام :

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ **الصَّلَاةَ** وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [٤٧]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا **الصَّالِحَاتِ** وَأَقَامُوا ﴾ [٤٨]

﴿ مِنَ **الصَّوَاعِقِ** حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [٤٩]

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ **الصِّيَامِ** الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ [٥٠]

﴿وَاسْتَعِينُوا **بِالصَّبْرِ** وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [٥١]

﴿ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ **الصَّاعِقَةُ** وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [٥٢]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى **وَالصَّابِئِينَ** مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ ﴾[٥٣]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ **الصَّابِرِينَ**﴾[٥٤]

﴿ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ **الصَّالِحِينَ**﴾[٥٥]

﴿إِنَّ **الصَّفَا** وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾[٥٦]

﴿ وَيُرْبِي **الصَّدَقَاتِ** وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [٥٧]

بعد أن قرأ الباحث الأيات السابقة وجد كلمة "الصَّلَاةَ" و"الصَّالِحَات" و"الصَّواعق" و"الصَّبر" و"الصَّاعقة" و"الصَّابِئين" و"الصَّالحين" و"الصَّابرين" و"الصَّفا" و"الصِّيام" و"الصَّدقات"، وهذه الكلمة من نوع المماثلة التراجعية وإذا نظرنا من ناحية علم الأصوات، نجد أن كلمة "**الصَّلَاةَ**" و"**الصَّواعق**" و"**الصَّالِحَات**" و"**الصَّبر**" في المماثلة يقال ب "أصْ صلاة" و"أَصْ صواعق" و"أَصْ صَلحات" و"أصْ صبر"، تجاور فيه الحرفان المشددتان مما أدى إلى نقل الصوت من عموده إلى عمود الصوت المؤثر، وهي من النوع نفسه تحويل (الْ) الشمسية إلى "الصاد" فصار"**الصَّلَاةَ**" و"**الصَّالِحَات**" و"**الصَّواعق**" و"**الصَّبْرُ**". وهذا يراد به سهولة النطق وتحقيق الانسجام الصوتي، وهذه العملية لا تؤثر على المعنى.

صوت النون مع اللام:

﴿وَمِنَ **النَّاسِ** مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٥٨]

﴿ فَاتَّقُوا **النَّارَ** الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٥٩]

﴿ يَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ **النَّبِيِّينَ** بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[٦٠]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا **وَالنَّصَارَى** وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦١]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وتوجد في الآيات السابقة كلمة "النَّاس"أو "للنَّاس" و"النور" و"النَّار" و"النّبيين" و"النّصارا" وهذه الكلمة من نوع المماثلة التراجعية وإذا نظرنا من الناحية الصوتية، نجد أن كلمة "**النَّاس**" و"النُّورِ" و"**النَّار**" و"**النّبيين**" و"**النّصارا**" وفي المماثلة يقال ب "أنْ ناس" و"أَنْ نُور" و"أَنْ نَار" و"أَنْ نَار" و"أَنْ نبيين" و"أَنْ نصارا"، تجاور فيه الحرفان المشددتان، مما أدى إلى نقل الصوت من عموده إلى عمود الصوت المؤثر، وهي من النوع نفسه تحويل (الْ) الشمسية إلى "النون" فصار" النَّاس" و"النُّور" و"النَّار" و"النّبيين" و"النّصارا" . وهذا يراد به سهولة النطق وتحقيق الانسجام الصوتي، وهذه العملية لا تؤثر على المعنى.

صوت السين مع اللام:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ **السُّفَهَاءُ** أَلَا ﴾[٦٢]

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ **السَّمَاءِ** فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾[٦٣]

﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ **وَالسَّلْوَى** كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[٦٤]

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ **السِّحْرَ**﴾[٦٥]

﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ **السَّبِيلِ** ﴾[٦٦]

﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ **السُّجُودِ**﴾[٦٧]

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ **السَّمِيعُ** الْعَلِيمُ﴾[٦٨]

﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ **وَالسَّحَابِ** الْمُسَخَّرِ ﴾[٦٩]

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ **بِالسُّوءِ** وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٧٠]

﴿وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ **السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ** وَفِي الرِّقَابِ ﴾[٧١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي **السِّلْمِ** كَافَّةً ﴾[٧٢]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وتوجد في الآيات السابقة كلمة "السُّفَهآء" و"السَّمآء" أو"السَّمآوات" و"السَّلْوَا" و"**السِّحر**"و"السَّبيل" و"السُّجُود" و"السَّميع" و"السِّلم" و" السَّحاب" و" السُّوء" و"السائلين"، وهذه الكلمات من نوع المماثلة التراجعية، وإذا نظرنا من ناحية علم الأصوات، نجد أن كلمة "**السَّفَهآء**" و"**السَّلْوَى**" و"**السِّحر**" في المماثلة يقال ب "أَسْ سفهآء" و"أَسْ سَلْوَا " و"أَسْ سحر"، تجاور فيه الحرفان المشددتان، مما أدى إلى نقل الصوت من عموده إلى عمود الصوت المؤثر، وهي من النوع نفسه تحويل (الْ) الشمسية إلى "السين" فصار "**السَّفَهآء**" و"**السَّلْوَى**" و"**السِّحر**". وهذا يراد به سهولة النطق وتحقيق الانسجام الصوتي، وهذه العملية لاتؤثر على المعنى.

صوت الضاد مع اللام (أَلْ):

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا **الضَّلَالَةَ** بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٧٣]

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا **الضَّلَالَةَ** بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[٧٤]

توجدفي الآيتين السابقين وهي كلمة "الضلالة" وهذه الكلمة من نوع المماثلة التراجعية إذا نظرنا من الناحية الصوتية، لأنّ الكلمة "**الضَّلالة**" في المماثلة يقال ب "أَضْ ضلالة"، تجاور فيه الحرفان المشدّدة، مما أدى إلى نقل الصوت من عموده إلى عمود الصوت المؤثر، وهي من النوع نفسه تحويل (الْ) الشمسية إلى "الضاد" فصار"**الضَّلالة**" . وهذا يراد به لسهولة النطق وتحقيق الانسجام الصوتي، وهذه العملية لا تؤثر على المعنى.

صوت الثاء مع اللام (الْ):

﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ **الثَّمَرَاتِ** رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٧٥]

﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ **الثَّمَرَاتِ** ﴾ [٧٦]

﴿ وَالْأَنْفُسِ **وَالثَّمَرَاتِ** وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [٧٧]

﴿ مِنْ كُلِّ **الثَّمَرَاتِ** وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾[٧٨]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وتوجد في الآيات السابقة كلمة "الثَّمَراتَ" وهذه الكلمة من نوع المماثلة التراجعية وإذا نظرنا من الناحية الصوتية، نجد أن كلمة " الثَّمَراتَ" في المماثلة يقال ب، تجاور فيه الحرفان المشدّدة، أن مما أدى إلى نقل الصوت من أثْ ثَمرات عموده إلى عمود الصوت المؤثر، وهي من نفس النوع تحويل (ألْ) الشمسية إلى "الثاء" فصار"الثَّمَراتَ" . وهذا يراد به سهولة النطق وتحقيق الانسجام الصوتي، وهذه العملية لا تؤثر على المعنى.

صوت الشين مع اللام (آلْ):

﴿فَأَزَلَّهُمَا **الشَّيْطَانُ** عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[٩٥]

﴿**الشَّهْرُ** الْحَرَامُ **بِالشَّهْرِ** الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾[٧٩]

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ﴾[٨٠]

﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ **الشُّهَدَاءِ** أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾[٨١]

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ **الشَّجَرَةَ** فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٨٢]

وتوجد في الآيات السابقة كلمة "الشيطان " و"الشَّيْطان" و" الشَّهْرُ" و "الشَّهادة" و" الشَّهداء و"الشَّجَرَةَ" وهذه الكلمات من نوع المماثلة التراجعية وإذا نظرنا من ناحية علم الأصوات، نجد أن كلمة" **الشَّمس**" و"**الشَّجَرَةَ**" وغيرها في المماثلة يقال ب "أَشْ شَمس" و"أَشْ شَجَرَة "، تجاور فيه الحرفان المشددتان، أن مما أدى إلى نقل الصوت من عموده إلى عمود الصوت المؤثر، وهي من النوع نفسه تحويل (ألْ) الشمسية إلى "الشين" فصار"**الشَّيطان**" "**الشَّجَرَةَ**". وهكذا في بقية الكلمات التي تحتها الخط، وهذا يراد به سهولة النطق وتحقيق الانسجام الصوتي، وهذه العملية لا تؤثر على المعنى.

الخاتمة:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبيّه محمد الأمين، المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الطيّبين، الحمد لله على إكمال هذه الدراسة في المماثلة الصوتية ،في ضوء علم اللغة الحديث "دراسة تطبيقية في سورة البقرة" والتي توصلت من خلالها إلى النتائج الآتية :

١_ وردت ظاهرة المماثلة بصورة مطّردة في آيات سورة البقرة ، وهذه العملية لا تؤثر على المعنى، لارتباطها ببعض اللهجات.

٢_ وردت المماثلة التراجعية في سورة البقرة بكثافة ، حيث أنها موجودة في مختلف آيات السورة البقرة، والهدف منها تيسير عملية النطق وتحقيق الانسجام الصوتى.

٣_ وردت التأثير نظام المقاطع الصوتية في حالة المماثلة على مستوىالبنية الواحدة،سواء أكان ذالك على مستى الصيغ الفعلية أم الصيغ الاسمية.

٤_ وردت المماثلة التقدمية في سورة البقرة عدة مرات، يهدف عملية استبدال صوت بصوت آخر.

التوصيات:

١- يوصى الباحث بأهمية إجراء بحوث علم الأصوات اللغوية في مجال تعليم لغة القرآن الكريم.

٢- الاهتمام بمزيد من البحث والتقصّي لاكتشاف مشكلات تعلّم القرآن الكريم، والتي لا تشملها كتب التجويد كنطق الأصوات العربية حال إفرادها.

٣- الاهتمام بمزيد من البحث في إبراز التغيرات الصوتية التي تلحق الأصوات العربية، ووضع تدريبات مكثفة في المناهج العربية تشمل الرياضة الشديدة للتمكّن من اكتساب أصواتها بصفاتها الصحيحة.

٤- معاضدة ونشر فكرة التسجيل الصوتي للقرآن الكريم لتسهيل سماع وترتيل كتاب الله بالطريقة الصحيحة.

٥- تدوين أبجدية صوتية عربية على قرار الأبجدية الصوتية الدولية بغرض احتياجنا لها في تدوين النصوص العربية.

الهوامش والمراجع:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

_ ابن منظور،لسان العرب، ط٣،دار صادر.بيروت.١٤١٤ هـ ، مادة (صوى).

_ سورة لقمان ، آية (١٩).

_ سورة الحجرات، آية (٢).

_ سورة الحجرات، آية (٣).

_ سورة طه، آية (١٠٨).

_ سورة الإسراء، آية (٦٤).

_ المستدرك على الصحيحين، إمام حاكم عن البراء بن عازب، ج:٥،ص:١٦٤.

_ محمد الصادق القمحاوي، البرهان في تجويد القرآن، مكتبة الجمهورية ،القاهرة، (د.ت) ص،٨٧.

_ أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي (المتوفى ٣٩٢هـ) سرصناعة الإعراب ط١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان١٤٢١هـ٢٠٠٠م ج١

_ جعفر مرغنى، جرس للسانى العربي،طبع مطبعة تمدن،بالخرطوم، ١٩٩٧م، ص،٩٧.

_ تمام حسان(الأستاذ الدكتور)اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة،٢٠٠٩م، ص،٦٦.

_ إبراهيم علي يونس،مدخل إلى علم الأصوات،ص:٩٤_٩٥.

_ محمد مصنف القماطي، الأصوات ووظائفها،دار الوليد طرابلس، سنة ٢٠٠٣م، ص١٥.

_ علم اللغة العام، توفيق شاهين، ص٤٣.

_ المزهر في علوم اللغة وأنواعهاللسيوطى، باب المتحمل والمهمل.

_ علم اللغة العام "القسم الثانى" الأصوات ، كمال بشر، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٩٦م، ص٤٢.

_ دراسات في التجويدو الأصوات اللوية، د/ عبد الحميد محمد أبوسكين،ط٢، القاهرة ٢٠٠٧م، ص٢٢.

_ الزمخشري،أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة١٩٢٢.

_ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مقاييس اللغة ، دار الفكرعام ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ج١،ص٤٨٢.

_ د/ رمضان عبد التواب، التطور اللغوي،ص٣٠.

_ المرجع نفسه.

_ المرجع السابق،ص٤٣.

_ المرجع السابق،ص٤٣.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

_ سورة الكهف الآية ٩٣.

_ سورة الفتح، الآية ٢٩.

_ المرجع السابق، ص٣٤.

_ التطور اللغوي، د/ رمضان عبد التواب،ص٣٥.

_ سورة البقرة الآية،٢٤٧.

_ المرجع السابق،ص٣٨.

_ سورة آلعمران، الآية: ٣١.

_ التطور اللغوي،د/ رمضان عبد التواب، ٤٢.

_ المرجع نفسه، ص٤٧.

_ سورة الغاشية،الآية: ٢٢.

_ التطور اللغوي، د/ رمضان عبدالتواب، ص٤٧_٤٨.

الأصوات اللغوية، د/إبراهيم أنيس، ص: ٢٦٩._

_ سورة البقرةالآية: ٢٤٧.

_ سورة البقرةالآية: ٥٤.

_ سورة البقرةالآية: ٩٢.

_ سورة البقرةالآية:١٠٣.

_ سورة البقرةالآية: ١١٦.

_ سورة البقرةالآية:١٢٥.

_ سورة البقرةالآية:١٤٥.

_ سورة البقرةالآية: ٢٧٠.

_ الأصوات اللغوية، د/إبراهيم أنيس، ص: ٦٩.

_ المماثلة الصوتية في البنية و التراكيب، د/ إبراهيم جميل محمد إبراهيم، ط١، سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ص٩.

_ الصاهل والشاحج، أبي العلاء المعرى، تحقيق د/ عائشة عبد الرحمن، القاهرة١٩٧٥م، ص ٨٥.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

_ سورة البقرةالآية:٣:٤

_ سورة البقرةالآية:٢٧٧:٤

_ سورة البقرةالآية:٩١٩:٤

_ سورة البقرةالآية: ١٨٧:٥

_ سورة البقرةالآية: ٤٥:٥

_ سورة البقرةالآية: ٥٥:٥

_ سورة البقرةالآية:٦٢:٥

_ سورة البقرةالآية: ٤٥٣:٥

_ سورة البقرةالآية: ٩٣٠:٥

_ سورة البقرةالآية:٦٥٨:٥

_ سورة البقرةالآية: ٢٧٦:٥

_ سورة البقرةالآية:٨:٥

_ سورة البقرةالآية: ٢٤:٥

_ سورة البقرةالآية:٦١:٦

_ سورة البقرةالآية:٦٢:٦

_ سورة البقرةالآية:٣١:٦

_ سورة البقرةالآية: ٢٩:٦

_ سورة البقرةالآية: ٥٧:٦

_ سورة البقرةالآية:١٠٢:٦

_ سورة البقرةالآية:١٠٨:٦

_ سورة البقرةالآية:٢٥:٦٧

_ سورة البقرةالآية:٢٧:٦٨

_ سورة البقرةالآية:٦٤:٩٦

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

_ سورة البقرةالآية: ١٦٩[٧]

_ سورة البقرةالآية: ١٧٧[٧]

_ سورة البقرةالآية: ٢٠٨[٧]

_ سورة البقرةالآية:٢١٦[٧]

_ سورة البقرةالآية:٢٧٥[٧]

_ سورة البقرةالآية:٢٢٢[٧]

_ سورة البقرةالآية:٢٦١[٧]

_ سورة البقرةالآية: ٢٥٥[٧]

_ سورة البقرةالآية: ٢٦٦[٧]

_ سورة البقرةالآية: ٢٩٤[٧]

_ سورة البقرةالآية: ١٥٨[٨]

_ سورة البقرةالآية: ١٨٢[٨]

_ سورة البقرةالآية:٢٣٥[٨]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ظواهر الاتساق المعجمي في رواية "السيّد الرئيس" للروائي حامد الهجري: دراسة اتساقية نصية

إعداد:

إبراهيم عبدالله إمام التنكيوي الإلوري

إدارة الدرسات العربية والإسلامية، بِرْنِنْ كَبِّ، ولاية كَبِّ - نيجيريا.

ملخص البحث:

تناول هذا المقال موضوع الاتساق المعجمي في رواية "السيّد الرئيس" للروائي حامد الهجري في ضوء علم اللغة النصي؛ وذلك من خلال اختيار الموضوعين المعجميين التاليين: "التكرار" و"التضام"، ويهدف هذا المقال إلى الكشف عن مدى فعالية الاتساق المعجمي وإبراز حدوده وحقيقة مفهومه في تحليل النّص بوصفه أداة من أدوات الاستاق النصي تم توظفيه في النصوص لأنّه آلية تساعد على انسياب المعاني وتدفقها. ومن ثم فهو ظاهرة تستحق الدراسة لتبين معالمه والتعرّف على حقيقته ومواضع استعماله على مستوى النص القرآني، ويهدف المقال إلى بيان هذا الموضوع من أهداف إبراز جمال المعنى، وتوضيح وسائل في تحقيق التماسك، وكذلك ترمي إلى سرد علاقة هذا الموضوع بلسانيات النّصي من تشابك وتلاحم بين المفردات. ولتحقيق هذا الغرض سيعتمد المقال على المنهج الوصفي في بيان ما يتعلق بجمالية الاتساق المعجمي من خلال رواية "السيّد الرئيس" للروائي حامد الهجر من توضيح المفهوم ومواضعه، واستكشاف مدى توفيق الهجري في توظيف أنواع الاتساق المعجمي في روايته، وسيقتصر المقال على توضيح بعضٍ من نماذج حول الاتساق المعجمي في الرواية، ومختتمًا بأهم النتائج التي توصلت إليها المقالة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

Abstract:
This research describes the syntactic cohesion in Novel: "Mr. President" by: Hamid Al-Hijry from the prospective of text linguistic by using some syntactic notions such as Attakrar (Repeatin) and Attadham (compactness). It aims to expose the efficiency range of syntactic cohesion and his understanding in analysis text and its importance in cohesion and uniformity of text.
This syntactic cohesion is a well known topic for a long time by Arabic Language and well uses by glorious book (Al-Qur'an), Hadith and Arab Speech.
The research limits to illustration of some examples on Lexical cohesion in the Novel, conclude with consequence attain in the paper.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيّدنا ونبينا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه وسلّم، أمين. أما بعد:

فتعد اللغة أداة الفكر الإنساني، ووسيلة التفاهم بين بني البشر وخير ما أنعم الله به عليهم فاللغة العربية لغة الدّين والعقيدة ولغة الكتاب الذي شاء الله أن يجعله خير كتاب لخير أمة، فضلا عن كونها وسيلة تواصل بين البشر، ولقد شهد البحث اللغوي تطورًا مذهلاً في العصر الحالي حيث تعددتْ النظريات والاتجاهات التي تهتم باللغة إذ شهدتْ اهتماما متزايدا من قبل الباحثين والدارسين.

ويعد موضوع الاتساق من أبرز المفاهيم التي عنيتْ بها لسانيات النص كونه يحتل موقعًا مركزيًا في الأبحاث والدراسات التي تندرج في إطار هذا العلم، وكونه يسهم في ترابط وتماسك النص، وذلك من خلال آليات تتمثل في: الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل، الاتساق المعجمي، هذا الأخير الذي يقوم بدور مهم في ربط وتماسك واتساق أجزاء النص بعضها ببعض، ونظرا لأهمية الاتساق المعجمي، يأتي هذا المقال محاولة متواضعة للإسهام في هذا الاتجاه، منتهجًا منهجًا وصفيًا تحليليًا لدراسة (الاتساق المعجمي في رواية "السيّد ارئيس" للروائي حامد الهجري)، بنوعيه: "التكرار" و"التضام".

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

إذن، فيهدف هذا المقال إلى التأكيد على أهمية الاتساق المعجمي في تحقيق التماسك النصي، واستكشاف مدى توفيق الهجري في توظيف هذه الظاهرة في روايته "السيّد الرئيس". فيتكون المقال من مقدمةٍ وثلاثة مباحثٍ ثم خاتمةٍ:

المبحث الأول: التعريف بالروائي الهجري وروايته "السيّد الرئيس"

المبحث الثاني: مفهوم نظرية الاتساق المعجمي

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية عن ظاهرة الاتساق المعجمي في الرواية

خاتمة البحث. وبالله التوفيق، آمين.

المبحث الأول: التعريف بالروائي الهجري وروايته "السيّد الرئيس"

فالروائي هو أبو يوسف حامد بن محمود بن إبراهيم الملقب بـ(الهجري). طلع نور حياته يوم الجمعة التاسع من شهر مايو سنة ألف وتسعمائة وستة وسبعين الميلادية (١٩٧٦/٥/٩م), بقرية تسمى أَيْغَوْرَوْ, إحدى قرى وضواحي مدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا بشمال نيجيريا الاتحادية.

قضى طفولته في قريته وتحت رعاية والده، ولما كبر وشبّ عن الطوق, انتقل إلى مدينة إلورن حيث أعمامه وجدّته ليتلقى الرعاية عندها، رحمها الله، ثم كفله وقام برعايته بعد جدته عمّه العزيز معالي القاضي أحمد أَوْلَنْرَيْوَجُو بِيْغَوْرَيْ ولا يزال يمثّل ويقوم بدور الأبّ والعمّ والمرشد والناصح الراعي له إلى اليوم، أطال الله عمره، آمين.

بدأ الهجري بقراءة القرآن على يدّ الشيخ بابا، وقد أكمل قراءة القرآن الكريم في نهاية عام ١٩٨٩, وهو ابن ثلاث عشرة سنة من عمره.

ثم التحق بالمدرسة الابتدائية عام ١٩٨١، وهو في ذلك الوقت ابن خمس سنين, وبعد الدراسة الابتدائية، واصل دراسته الدينية والعربية بمدرسة دار العلوم لجبهة العلماء والأئمة, وكان في السنة الثانية الإعدادية، حين حدثتْ حادثةٌ لم تسمح له بإتمام دراسته بهذه المدرسة (دار العلوم)، وأدّ إلى التحاقه بدار الهجرة للدراسات العربية

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

والإسلامية, بمدينة كنو-نيجيريا، حيث حصل على الشهادتين: الإعدادية والثانوية ما بين ١٩٩٣م و١٩٩٨م, بتقدير ممتاز.

وفي عام ١٩٩٩م التحق بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجمهورية تشاد, أحد فروع كلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى, حصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية عام ٢٠٠٣م, بتقدير ممتاز, ثم واصل دراساته العليا بكلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية العظمى حيث نال شهادة الدبلوم العالي في شعبة اللغة العربية وآدابها عام ٢٠٠٤م, بتقدير ممتاز. حصل بعد ذلك على القبول بنفس الكلية لمواصلة دراسة الماجستير عام ٢٠٠٤م، وتمتْ مناقشةُ رسالة الماجستير تحت عنوان: الاتجاه الإسلامي في روايات نجيب الكيلاني في شهر أبريل عام ٢٠٠٧م, بدرجة الشرف الأولى. ثم رجع إلى وطنه وخدم الوطن في ولاية غومبي، محاضرا بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم الأديان، جامعة ولاية غومبي ما بين ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

وهو حاليا يواصل دراسة الدكتوراه بجامعة التضامن الفرنسية العربية, بجمهورية النيجر. نسأل الله له التوفيق[١].

وللروائي الهجري مؤلفات منشورة:

١- خادم الوطن, رواية فنية في الخدمة الوطنية, وهي باكورة أعماله التى خرجت إلى النور عام ٢٠٠٨م, وانتشرت بين يدي القرّاء في نيجيريا وخارجها.
٢- مع المتنبي في عتاب سيف الدولة, عام ٢٠٠٩م.
٣- الموصولات وأسرارها ٢٠٠٧م.
٤- السيد الرئيس, رواية فنية سياسية نيجيرية، سنة ٢٠١٠م.
٥- الحديقة الغنّاء, "ديوان شعري", ٢٠١٠م.
٦- مأساة الحبّ, رواية فنية أدبية, ٢٠١٣م.

وله مؤلفات مخطوطة، منها:

١- بعد الرحيل, رواية فنية علمية

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٢- لن أدفع الثمن, رواية فنية نيجيرية.

٣- داعية إلى الله, رواية فنية.

٤- دولة الخلود, رواية عربية فنية.

٥- رحلتي إلى التشاد, رواية عربية فنية.

٦- الاتجاه الإسلامي في روايات نجيب الكيلاني.

تزوج الروائي بزوجتين كريمتين فضيلتين، أولاهما السيّدة مدينة بنت أَلاَوْوْ، (أم البيت) وثانيتهما السيّدة بلقيس بنت يوسف، ورزق الله الهجري بخمسة أولاد, هم: يوسف وإبراهيم وأحمد وصفية ومحمود، (بارك الله فيهم) ولا يزال الروائي يعمل محاضرا بكلية آدم أوغي للتربية, أرغنغ- ولاية كبّ- نيجيريا, وتخصصه الأدب.

التعريف برواية "السيّد الرئيس"

رواية "السيّد الرئيس" قصة عربية نيجيرية, متشعبة الأطراف ومتنوعة الأحداث، غير أن أحداثها متناسقة ومتماسكة، بدأت بحركات إسماعيل البطل الأول للقصة في الجامعة مع حبيبته الأولى "بوكي" وما دار بينهما من أحداث الحبّ والغرام في الحرم الجامعي، تلتها تلك الحفلة الرائعة الفريدة من نوعها التي أقامتها كلية الهندسة تكريما لإسماعيل الذي طلع في الترتيب الأول على مستوى الكليات بأسرها.

بعد هذه الحفلة طلعت لائحة الإعلانات لخدمة الطلاب المتخرجين، فوقع إيفاد إسماعيل إلى مدينة كانو، فحزنت لذلك "بوكي" حزنا شديدا، ذلك أنها ستبقى وحيدة في هذه الجامعة تذوق لوعات الشوق ولذعات الوحدة.

بدأ إسماعيل خدمة الوطن في إحدى شركاتها، غير أن زملاءه في الشركة دبروا له مكيدة مفادها أن جارته افترت عليه بأنه أراد اغتصابها، ولكن الله أنقذه بواسطة محامي الشركة وبعض المخلصين من زملائه.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ترك المنزل المستأجر الأول ثم انتقل إلى حيّ جاكرا بالمدينة، حيث التقى بحبيبته الثانية (رقية) التي أدى به الأمر إلى الزواج بها، ورزقه الله منها منصورا وأخويه، كما جمعه الله بالشيخ محيي الدين المرشد العام لجمعية إسلامية بمدينة كانو.

بدأ منصور دراسته الابتدائية بمدينة كنو وأكمل بها، وأما الدراسة الثانوية، فكانت في مسقط رأس والده، ثم سافر بعد ذلك إلى لندن ليواصل دراسته الجامعية، حيث التقى بـ" غريس" فارسة أحلامه، وبعد تخرجه من الجامعة، يرجع إلى نيجيريا ليخدم دولته تحت كنف والد زوجته، "غريس" ووالدتها "بوكي" التي كانت حبيبة أبيه الأولى حين كان في الجامعة.

بدأ منصور يمارس السياسة تحت رعاية والد زوجته، قبل أن ينتقل إلى مسقط رأس والده ليكون حاكما مثاليا، ثم عيّن واليا لولايته، بعد ما لاحظ الشعب صدقه وأمانته في سبيل خدمة الشعب والسعي المستميت في قضاء حوائجهم، وسلامتهم وسعادتهم.

وفي خاتمة المطاف تمّ ترشيح منصور رئيسا للدولة من قبل حزبه المحظوظ، فوفقه الله ليصبح رئيسا حقيقيا، ليحقق أمنيته الكبيرة التي كان يحملها بين جنبيه منذ هذه الفترة الطويلة.

أصبح منصور رئيسا، وكانت اهتماماته تنصب كلها في خدمة الشعب والسهر على رفع راية الدولة خفاقة عالية، أدرك أن سياسة نيجيريا لن تستقيم إلا إذا أسندت باستشارة ذوي العلم والدين والإخلاص، فأنشأ وزارة خاصة تهتم بشؤون الدين وعلمائه، وجعل شيخه ومرشده الشيخ محيي الدين رقيبا عليها.

ولكن لله في خلقه شؤون! فكلما ازداد منصور في إصلاح مجتمعه وغرس العدالة والمروءة والخلق الحميد في نفوس الشعب، زادت عداوة أعدائه وحسد حسّاده، حتى دبروا له أخيرا قنبلة ذرية في إحدى السيارات التي ترافقه إلى المسجد الجامع لصلاة الجمعة، لكن بالعناية الإلهية نجا الرئيس من هذا الاغتيال المدبّر بإحكام، فنصحه شيخه ألا يعيد الكرة في الانتخاب القادم.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

هذه هي خلاصة الأحداث التي احتوتْ بها رواية "السيد الرئيس"، وهي مصممة تصميما متماسكا ومتلاصقا، منسجمة كل الانسجام، تشد القارئ إليها من البداية إلى الخاتمة. ويبلغ عدد صفحات الرواية مائة وثماني عشرة صفحة من الحجم المتوسط, وفيها تسعة عشر فصلا, وتحت كل فصل فقرات متعددة, وأقصر الفصول فيها الفصل الخامس عشر, وأطولها الفصل السادس[٣].

المبحث الثاني: مفهوم نظرية الاتساق المعجمي:

يعد الاتساق المعجمي مظهرًا من مظاهر اتساق النص، ويعدده آخر وسائله, والمعجم هو مجمل الأداءات اللغوية التي استطاع ابن اللغة (ومنهم الشعراء) أن يخزّنها في ذاكرته اللغوية ويستعملها عند الحاجة إلى استعمالها ويوظفها وفقا لقواعد النظم اللغوي العام أو الكفاية أو القدرة[٤]. ويسمى أيضا الربط الإحالي الذي يقوم من خلال المعجم ويتحقق بواسطة اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر لغوي إلى عنصر آخر، فيحدث الربط بين أجزاء الجملة، أو متتاليات الجملة ويمثل هذا النوع من الاتساق مظهرًا من مظاهر التحليل النصي المعاصر، إذ يسهم بشكل واضح في ربط العناصر اللغوية المشكلة للنص[٥].

ويرى م. هوي (m. hoey): أن الاتساق المعجمي جزء من تنظيم النص وهذا التماسك هو الذي يظهر كيفية ارتباط الجمل ببعضها. ويرى اللغويون أنّ التماسك المعجمي يمثل جهازًا أو أداة نافعة في تحديد النص الجيد من غيره[٦].

أقسام الاتساق المعجمي:

ينقسم الاتساق المعجمي -في نظر الباحثَين- إلى قسمين:

١- **التكرار:** "هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي, أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو اسم عام ومثاله في قوله تعالى: "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٣)خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ(١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ(١٥)فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ(١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٨) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ(٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ(٢٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٢٣) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

كَالْأَعْلَامِ(٢٤)فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥)"[٧]، حيث كرر " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " عدة مرات في السورة ومن خلال هذا النوع يظهر الاتساق النصي بين أجزاء أو وحدات السورة.

٢- **التضام:** هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف كل طريقة عن الأخرى، تقديمها وتأخيرا، وقد أطلق عليه في الاصطلاح "التوارد" فقال: "يمكن أن نطلق على هذا النوع من التضام اصطلاح التوارد"[٨]. ومثال ذلك قولهم: (ما لهذا الولد يتلوّى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوى). فـ (الولد والبنات) ليسا مترادفين، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، ومع ذلك فإن ورودهما في خطاب ما يسهم في النصية. ومن هنا يُفهم أن التضام هو إيراد كلمتين أو أكثر، لخلق أعم من أي معنى آخر.

أهمية الاتساق المعجمي:

تتجلى أهمية الاتساق المعجمي فيما يلي[٩]:

١- إنّ السلسلة المعجمية تسهل تحديد السياق الذي ترد فيه الكلمات المعنى المتصل وذلك للمساعدة على إجلاء الغموض وتضييق معاني الكلمات المتعددة المعنى.

٢- تحدد السلاسل المعجمية الحبك وتسهم في تحديد وحدات أكبر من المعنى في النص.

جدير بالذكر أنّ ما مرّ في المبحث الثاني أعلاه عبارة عن مفهوم الاتساق المعجمي وأقسامه وأنواعه حسب نظر الباحثَين اللسانيَين: (هاليدي ورقية حسن)، وهناك وجهات نظر أخرى أقل شهرة لا يتسع المقام لإيرادها هنا.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية عن الاتساق المعجمي في الرواية

يفهم فيما سبق أنّ الاتساق المعجمي يعد من أبرز عناصر التماسك، يربط بين جمل النص بدون وصل أو إحالة، ويتحقق ذلك الربط بواسطة تلك العلاقات المعجمية المتميزة والقائمة بين مفردات النص، وكذلك الوحدات اللغوية المكونة له، وتتجسد تلك العلاقات داخل النص عن طريق عنصرين هما: التكرار والتضام. وسيقوم الباحث بدراستهما على النحو الآتي:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١- قضايا التكرار:

يعتبر التكرار ظاهرة أسلوبية وبلاغية في الوقت نفسه، فهو أسلوب تعبيري يستعمل لتبليغ الأفكار وتوصيلها بقدر أكبر من الإقناع والتأثير في النفوس. والتكرار أسلوب معروف عند العرب منذ الجاهلية, لكنه أصبح على يد الروائي المعاصر تقنية صوتية بارزة يستخدمها الروائيون لتأكيد بعض الوقائع, فالروائي لا يكرر شيئاً في الرواية إلا بهدف تأكيد فكرة ما من خلال ذلك التكرار. وقد مثل هذا النوع أداة واسعة الانتشار في الرواية إما عن طريق تكرير مفردات أو تكرير عبارات أو مقطوعات, ففي الرواية تكرير لكلمات مبنية على أصوات استطاع الروائي أن يخلق بها جوا موسيقيا مميزا وخاصا يشيع دلالة معينة، ولا شك في أن نجاح أي نص شعري أو نثري يعود إلى أسباب مباشرة وغير مباشرة، ومن ذلك ما يستثمره صاحب النص من عناصر مختلفة تتيح له مجال الإبداع وتفتح أمامه آفاق التميز، ومن ضمن هذه العناصر التكرار النصي الذي يعد من أهم العناصر المعجمية التي تسهم كثيرا في اتساق النص وتماسكه.

سيحاول الباحث فيما يلي أن يتتبع بالدراسة أنواع التكرار التي استخدمها الروائي الهجري في روايته "السيّد الرئيس"، وما قامت به هذه الأنواع من دور مهم في تحقيق التماسك النصي. وسيكون التركيز على بعض النماذج من رواية "السيّد الرئيس", لأنها كلها تقوم على بناء واحد فالمرسل هو الروائي (حامد الهجري)، والمتلقى هو القارئ أو السامع. وسيبين أنواعه على النحو الآتي:

أ- تكرار الكلمة التام:

ويقصد به تكرار الكلمات في النص دون تغير في المعنى حينا, فتستمر الإشارة إلى العنصر المعجمي نفسه، وحينا آخر تكرار الكلمة مع اختلاف المرجع (المعنى)، مما يحقق استمرار الترابط في النص, وتختلف أشكال التكرار التام في الرواية. وفيما يلي عرض لنمطي التكرار التام:

– تكرار الكلمة التام مع وحدة المرجع:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وهو تكرار الكلمة الواحدة في المقطوعة الواحد أو في المقطوعات المختلفة من نفس الرواية مع وحدة المرجع, ففي رواية "السيّد الرئيس" تكرر لفظ "إسماعيل" في أكثر الفصول من فصول الرواية, ومن أمثلة ذلك ما يلي:

"كان إسماعيل طالبا مجتهدا موهوبا

وإسماعيل ينزل منها.

لولا أيدي إسماعيل التي تلقفتها

واستطرد إسماعيل في الغزل والإطراء"[١٠].

وفي موضع آخر يردد نفس اللفظ ليعطى نغما متكاملا تتجاوب معه الأذن نحو:

"أقيمت حفلة التكريم للسيد إسماعيل في قاعة المهرجانات بالجامعة

لم يجد إسماعيل فرصة كافية للحوار مع بوكي

أما إسماعيل فقد كان اليوم له عيدا ما بعده عيد

بعد شهر ونصف من حفلة إسماعيل طلعت على لائحة الإعلانات العامة...

ماذا كنت تفعل يا إسماعيل"[١١].

استعمل الروائي التكرار التام لاسم (إسماعيل) من بداية الرواية إلى نهايتها, فجاء التكرار فيها منسجما مع غايات النص يؤثر فيه ويتأثر به.

وقد تكرر لفظ "إسماعيل" في هذه الرواية مئة وسبع وعشرون مرة (١٢٧ مرة), ولعل سر تركيز الروائي الهجري على اللفظ "إسماعيل" يعود إلى أنّه البطل الأول في رواية "السيّد الرئيس" وبهذا تكون سلسلات الأحداث تصدقه أكثر. ومن هنا يبدو أن تكرار اسم إسماعيل بهذا الشكل اللافت للنظر يسهم في تحقيق انسجام نص الرواية من حيث إن شخصية إسماعيل تعتبر إحدى الشخصيات المحورية، إضافة إلى ملاحظة الأغراض التي يحققها تكرار الاسم في كل سياق على حدة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ولمّا كانت رواية "السيّد الرئيس" رواية نيجيرية, مزينة بعدة أحداث, ومن أجلّها قضية السياسة, وجاءت بخبر منصور البطل الثاني للقصة منذ ولادته إلى أن كان رئيس الدولة في هذه الرواية, ولذلك فقد تكرر لفظ "منصور" لدرجة لافتة للنظر وهي في خمس وسبعين مرة (٧٥ مرة), ولعل سبب هذا يرجع إلى أن "منصور" هو البطل الثاني وأنه "السيّد الرئيس" في هذه الرواية. فمنها قوله:

"ثم سمّى الابن بمنصور، وصاح الحضور بصوت جهوري

ولا يتصور مدى فرحة أم منصور بهذا الحفل الكريم

بعد أشهر من ميلاد منصور، نادى مدير الشركة اجتماعا طارئا

هكذا تغيرت مجرى حياة أبي منصور

بدأ منصور حياته الدراسية بمدرسة روضة الأطفال الخاصة بالأغنياء في حيّ ينكبا"[١٢].

وكذلك في موضع آخر:

"استأذن إسماعيل شيخه في أن يواصل منصور دراسته بجنوب البلد.

صدق حدس أبي منصور في تصوراته حول دراسة ابنه في الجنوب.

حيث توكّلا على الله الذي يرعاهما قبل ولادة منصور.

بدأت تجهيزات الرحلة وإعداداتها بعد أن رجع منصور إلى كنو"[١٣].

ويقدم التكرار شكلا من أشكال الترابط داخل الرواية من خلال ربط الأحداث بعنوان الرواية عن طريق تكرار الكلمات. كما يوجد التكرار التام فيها لكلمة (حبيب):

"فقد خرجت لحفلة تهنئة حبيبها بكامل جمالها

كانت في السنة الثانية بقسم الاقتصاد في الجامعة التي يتخرج اليوم فيها حبيبها

.... غطت بها وجهها من غير أن تلقي على حبيبها تحية توديع للانصراف

كل ما يجول في خلدها أنها تظلّ مع حبيبها للأبد"[١٤].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وظف الروائي في هذه الرواية التكرار التام لكلمة حبيب، حيث قال (حبيب) في مقطوعات عديدة. وقد يستشفّ من تكرار الروائي لهذه اللفظة (حبيب) تكرارًا تامًّا، بما تحمله الكلمة من الشحنات العاطفية وبشكل لافت للنظر، أن للجانب العاطفي حضورًا مكثّفًا في أحداث الرواية، ابتداء من العلاقات العاطفية بين البطل الأول (إسماعيل) وبوكي، وانتهاء بالمغامرات الغرامية بين البطل الثاني (منصور) وحبيبته (رقية).

ومن الكلمات المكررة في هذه الرواية "اللقاء" في قوله:

"وقد كان اللقاء بينهما حدثا غريبا تتحدث به زميلاتها
والاتصال متوفر, وفرصة اللقاء سانحة
انقطعت سبل اللقاء
يسمح لهما اللقاء فيتدبر كل واحد لآخر حتى ينتهيا من الكلام
وكان يوم اللقاء بين الأسرتين يوما عبوسا"[١٥].

ولا تبعد هذه الكلمة المكررة (اللقاء) عن سابقتها من حيث تأكيد الحضور المكثّف للجانب العاطفي في تموّجات أحداث الرواية. ومما يؤكّد هذا الادعاء أكثر أن المثال الأخير من الأمثلة المعروضة لتكرار اللفظة هو وحده الوارد خارج السياق العاطفي.

ومنها كذلك كلمة (الشباب) في قوله:

"وكانت محتشدة بالشباب والفتيات من شتى الكليات
هياكل عظماء تثير في قلوب الشباب إجلالا وإكبارا
هذا أبسط ما يمكن أن يقوله الشباب
غريب هو أمر هؤلاء الشباب في الحب
قد راح ضحية جنون الشباب وفتوّة التحضر الطاغي"[١٦].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فالروائي هنا استخدام التكرار التام مع وحدة المرجع وذلك في كلمة (الشباب)، حيث كررها ست عشرة مرة في الرواية. ولا غرو في ذلك فنمط الحياة الشبابية **يعدد** من أبرز جوانب الحياة التي نالت قسطًا من الريشة التصويرية للروائي الهجري في هذه الرواية.

من خلال استقراء ما ورد في الإحصاء يفهم أن الروائي قد اعتمد على التكرار التام مع وحدة المرجع في ربط أجزاء روايته, حيث استعمله في أكثر فصول الرواية، كما أن معظم الكلمات التي كررها تدل على جوانب بارزة من شخصيات الرواية وأحداثها, إذ تشكل العبارة المكررة بؤرة دلالية تصبح بقية العناصر اللغوية مجرد ملحقات, بما تقرره العبارة المكررة من دلالة، وتكون العبارة المكررة نقطة ارتكاز لتوالد الدلالة في النص وتناميها، وبذلك ترد في صورة عبارة تحكم تماسك النص ووحدة بنائه, ومن هنا يمكن القول إن العبارة المكررة تشكل رابطًا من روابط التماسك الشكلي داخل النص، فقد أدى هذا التكرار إلى اتساق المقطوعات والفقرات والأجزاء المختلفة للرواية.

ومما يلاحظه الباحث في إحصائه أن عدد الكلمات المكررة في هذه الرواية يبلغ أربعين, وأقلها عددا وردت مرتين, وأكثرها عددا عشرين مرة, مما يؤدى إلى تماسك نص الرواية. وبالإضافة إلى تكرير الروائي لبعض الكلمات، يجده الباحث أيضا يكرر بعض العبارات داخل الفقرة نفسها أو السطر نفسه أو الرواية كلها، ومن ذلك في رواية (السيّد الرئيس) قوله:

"وأخذ إسماعيل يصبّرها ويخفف من وطأة الفراق"[١٧].

"وأخذ إسماعيل يندم على أمره"[١٨].

فالروائي هنا قد استعمل تكرار الجملة في الرواية في سطرين متقاربين وهو يتحدث عن حال إسماعيل وحركاته مع حبيبتها (بوكي).

كما يوجد مثل ذلك في قوله:

"ثم قادونا إلى هذه الزنزانة الضيقة"[١٩].

"المهمّ أن تبذلوا قصارى جهودكم لإخراجي من هذه الزنزانة اللعينة"[٢٠].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فالروائي هنا كرّر العبارة نفسها وذلك في جملتين متقاربتين، حيث كان يصور للقارئ قدوم منصور إلى الزنزانة وجهوده لإخراجه منها.

وكذلك تكرار العبارة في قوله:

"أراد أن يسميه خالدا، ليكون سندا له إذا بلغ الرتبة التي يبتغي"[٢١].

"أراد أن يسمّيه ناصرا لعله ينصره في سبيل غايته"[٢٢].

"وأراد أن يسميه محيي الدين تبركا بشيخه"[٢٣].

كرّر الروائي عبارة (أراد أن يسميه) في الفصل العاشر في الفقرة الثالثة, وهو يبيّن للقارئ كم تردّد إسماعيل قبل تسمية ابنه (منصور), وزاد ذلك الرواية تماسكا وانسجاما بين فقراتها، وجعل القارئ يواصل القراءة وهو متشوق حتى النهاية.

ويوجد أيضا في موضع أخر في قوله:

"ثمّ فاز في الانتخاب فوزا عظيما"[٢٤].

"فاز في الانتخاب الولائي فأصبح واليا مكرّما في ولايته المحبوبة"[٢٥].

فالروائي هنا استعمل تكرار الجملة (فاز في الانتخاب) في الفقرتين المتواليتين في الفصل السادس عشر, وهو يخبر عن نجابة منصور في الانتخابات في الحكومة المحلية والولائية.

ويمكن القول هنا أن التكرار التام مع وحدة المرجع قد أسهم في ربط وتماسك سطور وفقرات وفصول الرواية بالإضافة إلى وظيفته الجمالية لدى القارئ.

إضافة إلى ذلك، فبإمعان النظر في هذه الرواية، يرى أن الروائي الهجري كرّر عدة كلمات أو عبارات أخرى, وتكرار هذه الكلمات والعبارت لم يكن لمجرد إعادة الكلمة أو العبارة بحروفها وأصواتها, وإنما كانت تلك الكلمات أو العبارات تتكرر في مواضع مختلفة بمعان وإيحاءات مختلفة, وهذا ما زاد في ترابط الرواية وتناسقها.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ب- **التكرار الجزئي:**

وهو شكل من أشكال الاتساق يمنح النص طابع التنوع، ويكون ذلك بتكرار جذر الكلمة فيقوم بدوره في تحقيق التماسك داخل النص وهذا النوع وجده الباحث كثيراً في رواية (السيّد الرئيس) ومن أمثلته فيها قوله: "كان إسماعيل طالبا مجتهدا موهوبا، تفوّق في أكثر حركاته العلمية بالجامعة، .... ليس لنجابته وتفوقه فحسب، بل لتواضعه ودماثة خلقه بين الزملاء"[٢٦].

فالروائي هنا قد ذكر الفعل مع المصدر في قوله (تفوّق, تفوقا) من بداية الفقرة الأولى للرواية. وكذلك في قوله:

"كان إسماعيل طالبا مجتهدا موهوبا"[٢٧].

وقد شاع صيته بين الطلاب بمواهبه النادرة"[٢٨].

أما (بُوكِي) التي تفتخر بحبه لها في الجامعة بين الطالبات، فهي أسعد الناس في هذا اليوم حقا"[٢٩].

لقد وظف الروائي التكرار الجزئي وذلك في (طالبا, الطلاب, الطالبات) حيث جاء باسم المفرد, وجمع التكثير, وجمع المؤنث السالم في نفس الفصل. فالروائي يخبر القارئ بمدى تفوق إسماعيل وحبيبته بوكي في الجامعة.

ومنها قوله:

"أنا مدينة لك بالشكر الجزيل! فأجاب بلا تردّد : بل أنا الشاكر يا عزيزتي"[٣٠]

يبرز التكرار الجزئي في هذا السطر واضحا وذلك في الكلمة (الشكر, الشاكر), باستعمال المصدر (الشكر) واسم الفاعل (الشاكر) وهو يخبر عن حال إسماعيل وبوكي وحركتهما في الكافتيريا.

ومنه قول الروائي:

"....فقد عزمت على الرحيل، ....., ولو ملكت قوّة رادعة على حجزك ومنعك من الرحلة لفعلت، ولكنّ أَخْوَفَ ما أخافه الآن هو بقائي في الجامعة بعد ذهابك!"[٣١].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

لقد استخدم الروائي التكرار الجزئي في كلمتي "الرحيل والرحلة" إذ جاء باسم ومصدر, فالروائي هنا يعبر عن ما يجرى بين إسماعيل وبوكي أثناء استعداده للخدمة الوطنية.

ومنه قوله:

"وربما ينسجم معهم انسجاما تاما، وينغمس في بيئتهم انغماسا كاملا!"[٣٢].

فقد وظف الروائي التكرار الجزئي وذلك في (ينسجم, انسجاما) وأيضا (ينغمس, انغماسا) وهو يصف للقارئ أحوال البيئة التي يريد الانتقال منها واستئجاره لبيت بعيد عن المنطقة, وقد أسهم في تماسك النص خاصة على المستوى الشكلي.

ومما يلاحظه الباحث في رواية "السيّد الرئيس" أن التكرار فيها قد حقق التماسك من الجانبين, الجانب الأول داخلي: وهو الاتساق الذي حصل بين سطور وفقرات الرواية, والتماسك الثاني: هو ذلك الاتساق الحاصل بين الفصول والذي ربط بين مجريات أحداث الرواية من بدايتها إلى نهايتها.

٢- قضايا التضام:

يعد التضام ذكرًا لكل الكلمات التي لها علاقة ما بالكلمة الدالة سواء كانت هذه العلاقة علاقة ترادف أو تضاد أو تقابل الكل من الجزء أو الجزء من الجزء، أو علاقة عناصر من نفس القسم العام.

وكما يبدو للباحث أن التضام يبقى عنصرا مهما من عناصر الاتساق النصي الذي يسهم كثيرا في التماسك والترابط، وأن كل زوج من الكلمات تربط بينهما علاقة إما ترادف أو تضاد أو تجاوز أو غير ذلك من العلاقات التي يحددها القارئ.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

بما أن سلامة أيّ نص نثري أو شعري تعود إلى أسباب مباشرة وغير مباشرة، ومن ذلك ما يستثمره الكاتب من عناصر مختلفة تتيح له مجال الإبداع وتفتح أمامه آفاق التميز ومن ضمن هذه العناصر يوجد عنصر التضام النصي الذي يعد من أهم العناصر المعجمية التي تسهم كثيرا في اتساق النص وتماسكه.

وسيبحث الباحث عن عناصر التضام ودوره الاتساقي في رواية "السيّد الرئيس"، مدعوما ببعض النماذج. يقول الروائي:

"فقد خرجت لحفلة تهنئة حبيبها بكامل جمالها، مزينة بأبهى الأزياء وأجذبها، إذ لبست بنطالا كثيفا ضيّقا أنيقا أخضر غامقا، عليها قميص أبيض فضفاض يلمع كالبرق الساطع في الليلة الظلماء، وفي عنقها عقود جمان مدلاّة على ساحة صدرها متلألئة"[٣٣].

فالروائي في هذا المقطع قد وظف أربعة عناصر من عناصر التضام؛ وكلّها حققت علاقة الجزء من الكل باعتبار كل من "الأزياء، البنطال، القميص، العقود" جزء من اللباس. ولا يخفى إسهام الأسماء المؤسسة للتضام في اتساق هذا المقطع. ثم يقول الروائي:

"وها هو اليوم يقفل راجعا من مكتبه يؤخّر رجلا ويقدّم أخرى في سلّم المبنى"[٣٤].

حيث استخدم عنصرا واحدا من عناصر التضام؛ ويتمثّل في علاقة التضاد باعتبار أن فعل "يؤخر" في مقابل فعل "يقدم". وفي قوله: "فرجعت إلى غرفتها بين حزن دفين يتأجج في صدرها وفرحة مصتنعة غطت بها وجهها من غير أن تلقي على حبيبها تحية توديع للانصراف"[٣٥].

فالهجري هنا وظف عنصرًا آخر من عنصر التضام، وحققته علاقة التقابل باعتبار "حزن" في مقابل فرحة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وكذلك قوله: "سيقولون: "ها هي الآن وحيدة: إسماعيلي! عسلي المصفّى، حياتي ومماتي، سكّرٌ في فنجان قهوتي، وسادةٌ على سريري!"[٣٦]. حيث استخدم الروائي عنصرين من عناصر التضام: وأولها حققته علاقة التضاد باعتبار "حياتي" مضادة لـ "مماتي", وثانيها علاقة الجزء من الكل باعتبار أن "وسادة" جزء من السرير.

وقول الروائي: "فتجهّم قلب شاكرة ألماً أمام الساعات والأيام والأشهر والسنوات التي تنتظرها كأنها شاطئ واسع وفارغ يسير فيه المرء بلا هدف"[٣٧]. فالروائي هنا وظف عنصرا واحدا، وحققته علاقة الجزء من الكل باعتبار أن "الساعات، والأيام، والأشهر، والسنوات" أجزاء من أزمنة الحياة.

ويقول الروائي: "ولكنه تاق إلى رؤية الأشجار وهي تجري خلف سيارته خاطفة كالبرق، والبيوت والقرى على حافة الشارع تقبع في مكانها وتخال للناظر أنها تمرّ أمامه مرّ السحاب"[٣٨]. حيث وظف عنصر علاقة الجزء من الكل، باعتبار "البرق والسحاب" جزء المطر.

ويستمر الروائي في أخباره قائلا:

"ومن ثمّ تبين لغريس أنّه طبيب الأسرة المضيفة لها بلندن.

- هذا هو الأخ منصور، نيجيريّ الجنسية، وطالب في قسم العلوم السياسية بجامعة لندن. وهذه هي "غريس" نيجيرية الجنسية، وهي طالبة في علوم الحاسوب بجامعتك العريقة"[٣٩].

والروائي في هذا المقطع قد استعمل ثلاثة عناصر تضام؛ وكلها حققتها علاقة التضاد باعتبار أن "هذا" مضادة لـ"هذه، وأن "طالب" مضادة لـ "طالبة"، وأن "نيجيري الجنسية" مضادة لـ "نيجيرية الجنسية". فالروائي هنا نوّع في العلاقات المؤسسة لتلك العناصر التضامية، الأمر الذي جعلها تسهم كثيرا في تماسك مقاطع الرواية بشكل ملحوظ كما لعب ذلك التنوع الدلالي والمعنوي دورا كبيرا في رقي هذه المقاطع.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ومما يلاحظه الباحث في دراسته لقضايا التضام هذه أن العناصر التضامية حققتها علاقات التضاد والترادف والجزء، وقد سجل فيها براعة الروائي في انتقاء ألفاظه التي استعملها، وكما تجلى فيها بوضوح الدور البارز الذي لعبته عناصر التضام في تماسك هذه المقطوعات في الرواية وترابطها بشكل ملفت.

ويخلص الباحث من خلال دراسته لنماذج من الرواية أن وجود عناصر التضام فيها أسهم كثيرا في تماسك النص وترابطه على مستوى المعاني أو على مستوى النسج اللغوي وذلك باعتبار الدور الكبير والمهم الذي لعبته تلك العناصر في اكتمال البنية الكلية للنص.

ولا يخفى أن ورود مثل هذه العناصر التضامية يسهم في النصية، وذلك للإضافات التي تضيفها للنص على مستوى المعاني سواء في طابعها الترادفي أو التقابلي أو الجزئي وغيرهم مما يخدم المعنى العام للنص. هذا بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه عناصر التضام تلك على المستوى الشكلي والبنائي للنص.

خاتمة:

هذا المقال محاولة علمية متواضعة لدراسة ظواهر الاتساق المعجمي في رواية "السيّد الرئيس" دراسة اتساقية نصية, وهو جهد متواضع بذله الباحث لإظهار القيمة النصية لهذه الرواية, والكشف عن الظواهر الاتساق المعجمي التي حققت لها النصية. ثم توصّل المقال إلى النتائج الآتية:

- أنّ الهجري روائي نيجيري مطبوع غير متكلف، وكاتب ناجح دون مجاملة.
- أنّ رواية "السيّد الرئيس" مرآة صادقة للحياة الفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية في نيجيريا.
- وأن دور الاتساق المعجمي بنوعيه: "التكرا" و"التضام" في هذه الرواية أسهم بصورة واضحة في تحقيق مبتغاه.

يقترح البحث ما يلي:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

- على المتخصصين في اللغة العربية أن يهتموا بدراسة الأعمال اللغوية والأدبية الجديدة التي تسجل وتصور حقيقة ما يجرى في المجتمع.
- على الروائيين في هذا العصر أن ينقوا رواياتهم قبل إخراجها لأنه سيأتي بعدهم أجيال يهتمون برواياتهم دراسة ونقدا. وصلى الله وسلّم على رسوله المصطفى, آمين.

الهوامش والمراجع:

١- انظر: إبراهيم عبدالله إمام، "**قضايا الاتساق في رواية "السيّد الرئيس" للروائي الهجري، دراسة لسانية نصية**"، رسالة مقدمة إلى مدرسة الدكتوراه بجامعة التضامن الفرنسية العربية، جمهورية النيجر، لنيل درجة التخصص العالي "الماجستير" في اللغة العربية وفي التخصص "اللسانيات" ١٤٣٧/١٤٣٦هـ موافق ٢٠١٧/٢٠١٦م، ص ٩-١٣.

٢- ينظر: إبراهيم عبدالله إمام، مرجع سابق، ص ١٩-٢٠.

٣- انظر: الهجري، **السيّد الرئيس**, قصة فنية نيجيرية.

٤- أحمد عبدالمعطي حجازي, عناصر الاتساق والانسجام النصي, مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد (٢+١)، ٢٠١٣م، ص ٥٣٠.

٥- حنان هيشار والعمرية بالهاني، الاتساق المعجمي في صحيح البخاري كتاب الإيمان والصوم –أنموذجا- مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماجستير تخصص: لسانيات عامة، بقسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ١٤٣٩/١٤٣٨هـ موافق ٢٠١٨/٢٠١٧م، ص ٢٠.

٦- حنان هيشار والعمرية بالهاني، المرجع السابق والصفحة.

٧- سورة الرحمن، الأية: ١٣-٢٥.

٨- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٢١٦.

٩- حنان هيشار والعمرية بالهاني، المرجع السابق، ص ٢١.

١٠- الهجري، المرجع السابق, ص ٥-٨.

١١- الهجري، المرجع نفسه، ص ١٠-١٤.

١٢- الهجري, المرجع السابق, ص ٦١- ٦٥.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١٣- الهجري, المرجع نفسه, ص ٦٦-٦٨.
١٤- الهجري, المرجع السابق، ص ٥-١٣.
١٥- الهجري, المرجع السابق، ص ٦-٣٦.
١٦- الهجري، المرجع نفسه, ص ١٠-٨٠.
١٧- الهجري, المرجع نفسه، ص ١٦.
١٨- الهجري، المرجع نفسه، ص ١٧.
١٩- الهجري، المرجع نفسه، ص ٢٤.
٢٠- الهجري، نفس المرجع والصفحة.
٢١- الهجري، المرجع نفسه، ص ٥٧.
٢٢- الهجري, المرجع نفسه والصفحة.
٢٣- الهجري, المرجع نفسه والصفحة.
٢٤- الهجري, المرجع نفسه، ص ٩٢.
٢٥- الهجري, المرجع نفسه, ص ٩٣.
٢٦- الهجري, المرجع السابق، ص ٥.
٢٧- الهجري، المرجع نفسه.
٢٨- الهجري, نفس المرجع.
٢٩- الهجري, نفس المرجع.
٣٠- الهجري, المرجع السابق، ص ٧.
٣١- الهجري، المرجع السابق، ص ١٤.
٣٢- الهجري, المرجع السابق، ص ٢٠.
٣٣- الهجري، المرجع السابق، ص ٥.
٣٤- الهجري، المرجع السابق، ص ٦.
٣٥- الهجري، المرجع السابق، ص ١١.
٣٦- الهجري، المرجع السابق، ص ١٤.
٣٧- الهجري، المرجع السابق، ص ١٥.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٣٨- الهجري، المرجع السابق، ص ١٧.

٣٩- الهجري، المرجع السابق، ص ٨١-٨٢.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

إعادة الترتيب في شعر القاضي عمر إبراهيم دراسة تركيبية

إعداد:
الدكتور محمد الماحي بللو
كليةالآداب والدراسات الإسلامية قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو

ملخص المقال:

فالمقال عبارة عن تلخيص دقيق من شعر شاعر من شعراء القرن العشرين لظاهرة إعادة الترتيب التي تعد عملية من العمليات العالمية في اللغات الإنسانية. وركز المقال على مراجعة أنواع الظاهرة في أمثلة مشرقة من شعر القاضي، وتهدف الدراسة إلى كشف أغراض إعادة الترتيب؛ الذي من شأنه التكهن على دلالات النص الفكرية والنفسية في بنيتها العميقة، كما تعمل على تحديد الانحراف أو العدول التركيبي من الشاعر "لأن الترتيب المعتاد لا يقدم أسلوبا بالمعنى الأدبي وإنما المخالفة في الترتيب هي التي تخرج الأسلوب من الابتذال إلى الجدة..." ( ). وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي، تحت محتويات الآتية: مقدمة ونبذة عن الشاعر ودراسة ظاهرة إعادة الترتيب ثم الخاتمة.

ABSTRACT

The paper is a summary on the phenomenon of "structural rearrangement", which is a universal phenomenon in all human languages in the poetry of contemporary poet of twentieth century. The article focuses on bright examples from the poet of Al-Qadhi Umar, with a view of discovering the motives of structural rearrangement, which helps in predicting the ideological and psychological connotations of the text in its deep structure, it also tries to identify the poet's structural deviation. The researcher adopts a descriptive methodology of research and the research composed the followings: introduction, brief biography of the poet, study of the phenomenon of structural rearrangement and conclusion. The prospective findings of the research are: that the structural rearrangement in the poems of Al-Qadhi are not without justification and the motive deviations cannot be limited to the traditionally identified purposes, but rather open to the dictates of the context, though the purposes of concern, glorification, emphasis and specification dominate the scene.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

مقدمة

تعتبر اللغة نقطة الالتقاء بين الشاعر والشعر، وبها يكون الشعر الجيد وفيها يصب الشاعر تجربته وأفكاره العاطفية لذلك كان تحكمها قوانين ورتب غير صارمة لتتيح للمبدع الحرية في ترتيب الدوال داخل الجملة ولأن العاطفة لا تعرف القيد. والمعهود أن الفاعل يأتي بعد الفعل ثم المفعول (فعل + فاعل + مفعول) لكن قد يحدث تغيير فيتقدم المفعول على الفاعل: (فعل + مفعول + فاعل) أو يتقدم على الفعل والفاعل: (مفعول + فعل + فاعل) لغرض دلالي يتصل بالنسيج الشعري أو سياق الجملة. لذلك رأى النقاد "أن الجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها" [١]

ونقطة الانحراف deviation هي أول ركيزة تقرب البحث في هذه الظاهرة (إعادة الترتيب) إلى بؤرة مباحث الأسلوب. وتعد عملية إعادة الترتيب من العمليات العالمية في اللغات الإنسانية. بالإضافة إلى ذلك نقف عند قيمته في قول عبد القاهر الجرجاني في دلائله[٢]: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفترّ لك عن بديعة. ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان".

والإشارة إلى وسع التصرف في نص الجرجاني هو الذي يتيح للمبدع أن يقدم أو يؤخر لفظاً على لفظ آخر بفن ولطف بديعين؛ فيعيد ترتيب النص من البنية السطحية Surface structure إلى البنية العميقة Deep structure ليزيد النص وضوحاً في الدلالة. فمثلاً قول زهير بن أبي سلمى:

أمــن أم أوفى دمنـــة لم تكلـــم بحـومانة الــدراج فالمتثلـم [٤]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فالبنية السطحية للبيت هو: من أم أوفى دمنة بتقديم الخبر على المبتدأ بعد همز الاستفهام (أ) فهذه هي الجملة التحويلية, Transformational Sentence) وأما الجملة التوليدية أو البنية العميقة (Sentence Generative)فهو (أدمنة من أم أوفى لم تكلم) بعد إعادة الترتيب أو بإضافة عنصر يزيد الدلالة وضوحاً فتقول: (أدمنة من منازل أم أوفى لم تكلم) فهذا تحويل إجباري لأنه لا يمكن الابتداء بنكرة وذلك خوف اللبس. يقول سيبويه في كتابه الكتاب: "لا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور، وليس هذا بالذي ينزل به المخاطب منزلتك في المعرفة، فكرهوا أن يقربوا باب لبس.... فالمعروف هو المبدوء به... ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس. وهو النكرة، ألا ترى أنك لو قلت: كان إنسان حليماً أو كان رجل منطلقاً، كنت تُلبس، لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا إنسان هكذا، فكرهوا أن يبدءوا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبراً لما يكون فيه اللبس"[٥].

وبالإضافة إلى عنصر الوضوح في النص السابق نفهم أن عملية إعادة الترتيب تدور حول محورين أساسيين هما: التقديم والتأخير؛ فهما مصطلحان في غاية الأهمية عند دراسة التركيب لارتباطهما بالفكر واللغة المتزاوجين في تكوين النص. ذلك "أن تغييراً في حركة الصياغة يتبعه بالضرورة – تغيير في الفكر الذي يجسده."[٦] ولارتباط التقديم والتأخير بالصياغة آثر الباحث مصطلح إعادة الترتيب لاعتبارهما شيئا واحدا؛ لأن تقديم ظاهرة يؤدي إلى تأخير ظاهرة أخرى في السياق. وقد يذكر النقاد بعض الأغراض لإعادة الترتيب مثل: التنبيه أو العناية والاهتمام أو التأكيد وغير ذلك، والذي يظهر أن في هذا التحديد عدم دقة لأن طبيعة السياق هو الذي يحدد الغرض، لا نعني تنافر تلك الأغراض بالكلية, بل قد تكون هي أو غيرها التي أوحى بها قريحة متذوق النص.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

نبذة عن الشاعر

ولد القاضي عمر إبراهيم في قرية رشفا التابعة لمدينة زاريا عام ١٩٢٢م، وكانت القرية وقتئذ تحت إشراف والده إبرهيم بن أحمد بن عمر الوالي[٧].ولد عمر في أسرة كريمة اشتهرت بالعلم والمعرفة وتعدّ من الأسر المالكة، حيث تولت مناسب مختلفة في إماراة زكزك، منذ عهد محمد ثاني أمير زكزك. نشأ عمر في كفالة جدته سودة لوفاة أمه بعد ولادته بثلاثين يوما، فعوضته هذه الجدة ما فقده من بشاشة وجه الأم الرؤوم.

بدأت حياة القاضي التّعلُّميَّة ببيت والده، ثم أرسل إلى كتاتيب أخرى في مدينة زاريا وإلى معهد الشيخ مأجي إسحاق، والتحق القاضي بمدرسة القانون بكنو لمدة أربع سنوات حيث تخرج قاضيا سنة ١٩٤٢م، ثم التحق بمعهد الإدارة جامعة أحمد بللو زاريا سنة١٩٧١م. وله حظ وافر في اللغة الإنجليزية حيث حضر مساقا من الدراسات الإنجليزية في المساء[٨]. عمل القاضي في وزارة الشريعة والقانون بعد تخرجه من مدرسة القانون حتى تقاعد عن القضاء ولم تزل رغبة القراءة والكتابة تحتل منزلة كبيرة من حياته اليومية.

كان القاضي من طليعة شعراء القرن العشرين الذين خلفوا وراءهم إنتاجات أدبية و علمية كثيرة، ومن أهم آثاره الأدبية:"حديقة الأزهار" الذي جمع فيه أشعاره التي صاغها من واقع تجاربه الذاتية والأحوال الاجتماعية والسياسية والعلمية التي مرّ بها.

توفي القاضي عمر إبراهيم رحمه الله يوم الأربعاء ٥_أكتوبر_ عام ١٩٩٧م وله من العمر ٧٥ إثر وطأة مرض شديد، خلف من ورائه بنين و بنات .. ربنا يرحمه وأفادنا الله بأعماله[٩]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

دراسة ظاهرة إعادة الترتيب في شعر القاضي

وبالرجوع إلى شعر القاضي-الذي هو محل الدراسة-نرى أن هذه الظاهرة أضافت لنصوصه أبعاداً جمالية ومعنوية التي تجعل المتلقي يعيش في كنفها ويستبطن المعنى ويتأثر به. وأكثر أنواع التقديم والتأخير بروزاً في الديوان هو: تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور أوالظروف) ثم تقديم الفاعل على الفعل ثم تقديم نائب الفاعل ثم تقديم المفعول على الفاعل ثم على الفعل والفاعل ثم تقديمات خاصة لأغراض شعرية نذكرها في محلها. وقد يعيد القاضي صياغة التركيب إلى الصيغ المذكورة في الديوان ليكون التقديم موافقاً لأغراضه النفسية والعقلية. وسنستعرض هذه الظواهر في الأمثلة الآتية:

تقديم شبه الجملة (جار ومجرور) سواء أكانت في محل رفع خبر مقدم في الجمل ذات المسند الاسمي، أم كانت متعلقة بالفعل في الجمل ذات المسند الفعلي. وهذه الصيغة هي أكثر الصيغ وروداً في الديوان منها قوله[1]:

للذة فهم العلم في الجسم نشوة تميل بها الأعضاء كالسكران

فالتقديم جاء في الصدر في "في الجسم نشوة" فهو متعلق بمسند إسمي، أراد الشاعر أن يخصص الجسم بالنشوة الواردة من لذة فهم العلم. فنجد التركيب بعد إعادة الترتيب هكذا: "نشوة في الجسم" في بنيته السطحية. ثم نجد في العجز تقديماً آخر أدى إلى الفصل بين الفعل والفاعل في قوله: تميل بها الأعضاء حيث جعل الشاعر التمايل خاصة بالأعضاء. ثم انتهى البيت بصورة رائعة تتمشى مع التركيب جنبا إلى جنب. وقد وفّق الشاعر في اختيار مفرداته لتكوين هذا التركيب إذا اعتبرنا بالآتي: اللذة – النشوة – الجسم – التمايل – الأعضاء. كأنه يقول: اللذة في النشوة والنشوة في الجسم والتمايل في الأعضاء في بنية عميقة. وبعد الغرض العام الذي هو الاختصاص فاالسياق يوحي بغرض التشويق

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

والإغراء على طلب العلم والتخويف من الجهل وعقباته. فالتحويل في الصدر إجباري لأنه لا يمكن الابتداء بالنكرة كما ذكرنا وفي العجز اختياري لأن المؤخر معرفة. ومن الأمثلة الموضحة في شعر القاضي قوله:[١٥] في مدح وزير جنيد:

ولا تعـذرن هـذا القطـار بسرعـة ففـي **كبـدي** شيء ثقيل كبير

والشاعر في البيت الأول قدم شبه الجملة على مسند إسمي لغرض تفخيم ما في قلبه من شدة الشوق إلى زيارة الحبيب في الوقت الذي لا يسعه عدم التقديم. وزاد التركيب لطفاً ورونقاً وقرباً إلى المرام بضمير المتكلم (ياء) في: ففي كبدي. ولو قال ففي الكبد لما كان فيه وفاء بالغرض. وزاد الشوق تلهباً في البيت الثاني عند قوله وهو يقدم الجار والمجرور في جملة ذات مسند فعلي "في الفؤاد يفور" أي لظى الشوق يتأجج في القلب. زاد التركيب قوة بهذا التقديم . ثم في البيت إعلان لقطع الحجة وعدم الاعتذار من القطار الذي شخصه الشاعر بخيال مرهف. يقول القاضي في وصف مدينة كنو[١٦]:

ألا ولّ وجهك غربك كـي ترى تلِّ (دوظي)[١٧] **هناك استقام**

فالشاعر في البيت الأول يؤكد بتقديم الظرف كخبر مقدم وتأخير المبتدأ للغرض المذكور، وهذا الجبل هو(Dala) لعل القارئ يحسب جبلاً آخر ولما أعطى التركيب جرعة من القوة فظنّا أنه هو ذاك الجبل المستقر في كنو لا غير. ثم في البيت الثاني كسر رتابة العادة والألف وقدم الجار والمجرور بالفصل بين الفعل ومتعلقاته ليبين نوع السقيا ويخصصه. وبالرجوع إلى هذه الأمثلة تفهم أن إعادة الترتيب ظاهرة تشمل نسيج الشعر في التركيب كله بحيث إذا نقلت كلمة من مكان إلى آخر يلزمك إعادة ترتيب السياق حتى يكون منسقاً تنسيقاً جميلاً تستقيم به الدلالة.

وأما تقديم الفاعل على الفعل فنجده مبثوثاً على أرجاء الديوان حيث يحتل منزلة ثانية كما ذكرنا. ومن أمثلته قوله[١٨] في كرم أهل ميدغري:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

اللـه يعلـم أني قـد سررت بمـا لاقيتـه منكمو يـا أهل ميدغـوري

قدم الشاعر المسند إليه على مسند فعلي في قوله "الله يعلم" دون أن يقال: "يعلم الله" ليخصص العلم لله ويعظمه، ثم ليؤكد لأهل ميدغري فرحه وسروره لما لقيه من الإكرام والإجلال لذلك نجد الشاعر يزين سائر التركيب بما يؤكد شعوره في أنى – قد – منكمو – يا أهل – ميدغري.

وقد تعوّد الشعراء أن يعززوا أفكارهم بإسناد الأمر إلى الله كقول الفرزدق[١٤]

إن الذي سمك السماء بنى لنـا بيتاً دعائمه أعـز وأطـــول

وكذلك جرير[١٥] لم يجد أفضل من ذلك في الرد على الفرزدق عند قوله:

إن الذي سمك السماء بنى لنـا بيتاً علاك فما لـه مـن منقل

ومن أمثلة ذلك قول القاضي:[١٦] في المنظار يصور ويلات الناس على الناس:

معبـــدُ إزيتك[١٧] غـال – في برهـــة- عشريـــن ألفـــا قلبها يفتق

إنـكوزتس أمســك فلا تبكنـــا لا تفزعـــن سامعنـــا يأبـــق

أراد الشاعر أن يؤكد للمتلقي أن هذا الفعل الشنيع صدر من معبد إزتيك لا غير فقدم الفاعل على الفعل ليكون ذلك أبعد له من الشك، وتركيب البيت كله مبني على العدول إذ البنية التحويلية له: "غال معبدُ إزتيك يفتق قلب عشرين ألف نسمة" وأما البيت الثاني ففيه من التأكيد والقوة في الأمر والنهي ما فيه بعد إعادة الترتيب ولو تدبرت هذه الجملة على بنيتها السطحية لتجدها لا تفي بالغرض المقصد. ويتبين بوضوح من هذين التركيبين أهمية إعادة الترتيب في تنسيق المعاني في النفس. يقول الجرجاني عن تنسيق الكلمات "أنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس" [١٩].والقاضي هنا يعبر عن تصورات العصر قائلاً[٢٠]:

ففي هذا الزمان نرى نتاجـــاً بلا أصل وشابهه تمامـــــا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وكومبيوتر يفكـــر ألف مـــرة ويحسب ضعف ما الإنسان راما

ونركز على البيت الثاني عندما يقدم الشاعر الفاعل على الفعل بتركيب لطيف. والغرض منه الاختصاص والعناية ثم التنبه على المخترعات العصرية بما لها من عجائب لا يعرفها الإنسان من قبل. وفي التقديم نكتة أخرى هي عدم مفاجأة السامع بفعل هذه الأعجوبة التي تفكر ألف مرة في زمن واحد عكس الإنسان العادي الذي ما جعل الله له من قلبين في جوفه. لو قال الشاعر: يفكر كومبيوتر... لتردد السامع في ذهنه أن كيف؟ وما هو؟ وهل ممكن؟ ولكن بحكم التقديم يشعر القارئ أن هذه الآلة من نوع خاص وكفيلة بكل ما سيأتي عنها من المعلومات، وأما عجز البيت فتتمَّة لما سبق من أعمال هذه الآلة العجيبة من أنها تقدر كل ما يحتاج إليه الإنسان بالزيادة .

وأما تقديم المفعول في الديوان فعلى نوعين، النوع الأول تقديم المفعول على الفاعل فهو الكثرة، ثم تقديم المفعول على الفعل والفاعل وهو قليل في الديوان. ومن أمثلة النوع الأول قول القاضي في أجوبة كي تشحذ الدماغ في أوان الفراغ[٢٠]:

إن شئت أن يمتد **بي نهاري** أذهب نحو الغرب مع طيّاري

والبنية العميقة هي: أن يمتد نهاري بي بتقديم الفاعل على المفعول كما نرى من خلال الأرقام التالية:

أن	يمتد	بي	نهاري
١	٢	٣	٤

وعندما أعيد ترتيب البنية أصبح

أن	يمتد	نهاري	بي
١	٢	٤	٣

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

والأهمية في الخطاب الأدبي غير موجهة إلى الفاعل باعتباره محدثاً للفعل بل كانت موجهة إلى كيفية انصباب هذا الفعل على ذلك المفعول، لأن الذي يجيب عنه الشاعر أمر غريب وعجيب بأول الوهلة وهو امتداد النهار له. فقال[٢٠]:يقدم المفعول اسماً ظاهراً في شعر الدعابة

جبان أنت يا فيل لماذا أنت مختال

مفرّ ساعة الكرة يهول **الفيلَ** إقبالُ

والتقديم هنا جاء لاهتمام وقوع فعل الفاعل على الفيل على وجه الخصوص، بعد توكيد ذلك في البيت السابق عند تلاعب الشاعر بالضمائر المنفصلة. وأما النوع الثاني من تقديم المفعول فهو تقديم المفعول على الفعل والفاعل. من ذلك قول الشاعر من عظيم خطبه لوفاة جدته سودة[٢١]:

وأكبرت من جسمي تحمل ثقله إذا **ماالجبالَ الشمَّ حلّ** لذابت

والبنية السطحية هي: المفعول + صفة + فعل + فاعل. فحدث الفصل بين الفعل والفاعل والمفعول وبعد التحويل أصبح :

إذا	حلّ	الخطب	الجبال	الشم	لذابت
حرف شرط		فعل	فاعل	مفعول	صفة جواب شرط

وفي البيت تنازع في لفظ "الجبال" إذ يطلبه "حلّ" بالمعفولية و "ذاب" بالفاعلية. وبالجملة نفهم من هذه الإعادة أن الشاعر في حال تبلور الخيال. يطلب ما يتسلى به فقدم المتأخر وحذف المذكور في حال يحتاج إلى فوق ذلك لو يكون. والتقديم هنا للأهمية وعظم الخطب. ومن الأمثلة قول القاضي[٢٤] في خصائص المختار يذكر من إرهاصاته صلى الله عليه وسلم :

مقطوعَ سرة ومختوناً بدا مطهراً من النفاس ساجدا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وهذا من التراكيب المميزة عند القاضي إذ يذكر فعلاً واحداً على حساب مفاعيل متعددة كل ذلك لغرض اختصاص دلالة معينة على شيء معين، إذ يمكن القول في البنية العميقة: بدا صلى الله عليه وسلم مقطوع سرة ومختوناً ومطهراً من النفاس وساجداً لله. بإضافة الفاعل للتوضيح. ويبدو أن التركيب كله مبنى على الانحراف .

ومما نعثر عليه في الديوان تقديم نائب الفاعل على عامله. نحو قوله[٢٤] يذكر ما اختص به سيد الوجود من المحرمات:

نـــداؤه وراء بيته امتنـــع وباسمـه إلا لتكـريم يقـــع

ورأينا كيف ابتعد بين الفعل ونائبه بشبه جملة وبالمضاف والمضاف إليه كل ذلك ليعيد الشاعر ترتيب الجملة لتتوافق مع دلالة مكنونة في إحساسه الشعري ثم يبثها للقارئ في تركيب لطيف يفي بالغرض. وهو تأكيد المنع والتركيز عليه. ومما يمكن الإشارة إليه في تقديم نائب الفاعل قوله[٢٥] في المعارضة الشعرية

ويـرزق أهلها رزقاً كثيراً بقدرة من دعا **عبد يجيب**

وقع التقديم في العجز عند قوله: "من دعا عبد يجيب" وتصبح في البنية التحويلية إلى: بقدرة من يجيب دعاء العبد" والبنية الأولى أقوى وأشد إلحاحاً في الرجاء الذي هو الغرض الأسمى للتقديم هنا. وهناك تقديمات أخرى جاءت لأغراض منطقية في شعر القاضي مثل السبق: في تقديم الليل على النهار في قوله[٢٦]:

ومن لـه في قطبنا القـــرار فعامـــه **الليل والنهـــار**

وتقديم اليمين على اليسار للشرف في قوله[٢٧]:

ففارق الملقـــى على اضطرار فراق **يمنى ما على اليســـار**

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وتقديم القرآن على الإنجيل للأفضلية عند قوله[٢٩]:

يميني إن تـــرد قسمـــي **لقـــــرآن وإنجيـــل**

الخاتمة:

أسفر المقال عن دراسة ظاهرة إعادة الترتيب في شعر القاضي عمر إبراهيم بصورة مختصرة، حيث وقف الباحث على تقديم شبه الجملة-وهو الكثير عند الشاعر- ثم تقديم الفاعل على الفعل، ثم تقديم المفعول على الفاعل وتقديم المفعول على الفعل والفاعل، ثم تقديم نائب الفاعل على عامله، وتقديمات أخرى أقل إلحاحا لأغراض أدبية كالسبق والشرف والأفضلية، كل ذلك في أمثلة شعرية مشرقة. وتوصل العمل بعد هذه الجولة العابرة إلى الآتي:

- أن عادة الترتيب في شعر القاضي لم يأت عشوائيا بل جاء لخدمة المعنى وإثراء الدلالة.
- يتحقق إعادة الترتيب بتغيير مواقع الكلمات في الأماكن المرسومة لها، لذلك ما هذه الظاهرة عند الشاعر إلى كسرة رتابة العادة وتوفير الألفاظ جرعة من القوة والاهتمام من أجل هذه الانتقالات.
- والأغراض الإنحرافية لا تحدد عند القاضي بل السياق هو الذي يحدد ذلك، ومع هذا نجد الشاعر يقدم للاهتمام والتعظيم والتأكيد والاختصاص وغير ذلك من الأغراض.

الهوامش والمراجع:

[١] - مستويات التحليل اللغوي. فايز صبحي عبد السلام تركي(الدكتور)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،ط: ١، ٢٠١٥، ص:٢٠٣.

[٢] - البلاغة والأسلوب. محمد عبد المطب (الدكتور)، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط: ٣، ١٩٩٤م، ص: ٣٢٨

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٣]- دلائل الإعجاز في علم المعاني.عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا، دارالكتب العلمية، بيروت- لبنان، ب.ت، ص:٨٣.

[٤] - شرح شعر زهير بن أبي سلمى. للأعلم الشنتمري. تحقيق: د.فخر الدين قباوة, دار الآفاق الجديدة, الطبعة الثالثة, بيروت, ١٩٨٠م. ص: ٤.

[٤]- الكتاب لسيبويه. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج: ١، ط: ٣، ١٩٨٨م، ص: ٤٨.

[٥]- البلاغة والأسلوب. ص: ٣٧٣. المرجع السابق.

[٦]- القاضي عمر إبراهيم وقصيدته "خصائص المختار". زينب كبير أحمد، بحث تكميلي لنيل درجة الليسانس في اللغة العربية، جامعة بايرو كنو،٢٠٠١م، ص: ١٠.

[٧]- حديقة الأزهار. للقاضي عمر إبراهيم، دار المعارف الجديدة، رباط- المغرب، ط:١، ١٩٩٦م، ص:٦.

[٨]- حديقة الأزهار، ص: ٢٢٤، المرجع السابق.

[٩]- المرجع نفسه. ص: ٤٤.

[١٠]- المرجع نفسه. ص: ٦١.

[١١]- المرجع نفسه. ص: ٥٥.

[١٢]- دظي كلمة هوسوية تعني: الجبل.

[١٤]- حديقة الأزهار. ص: ٩٥. المرجع السابق.

[١٥]- هو هشام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، شاعر من النبلاء من أهل البصرة. وهوصاحب الأخبار مع جرير والأخطل ومهاجاته لهما أكثر من يذكر، وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المائة.

[١٦]- هو جرير بن عطية بن حديقة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي أبو حزرة من تميم أشعر أهل عصره، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم، فلم يثبت أماله غير الفرزدق والأخطل، ولد ومات في اليمامة.

[١٧]- حديقة الأزهار. ص: ١٢٤. المرجع السابق.

[١٨]- AZETEC في مكسيكو الهنود الحمر المعروفون بهذا الاسم شقوا صدر عشرين ألف نسمة في يوم واحد تضحية لبمعدهم في تنوكتتلان TENOCHTITALAN الآن مدينة مكسيكو الجديدة.

[١٩]- دلائل الإعجاز في علم المعاني. ص: ٤٠. المرجع السابق.

[٢٠]- حديقة الأزهار. ص:١٨٢. المرجع السابق.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٢١- المرجع نفسه. ص: ٧٣.

٢٢- المرجع نفسه. ص: ٩٣.

٢٣- المرجع نفسه. ص: ٢٥.

٢٤- المرجع نفسه. ص: ٢٣٠.

٢٥- المرجع نفسه. ص: ٢٣٣.

٢٦- المرجع نفسه. ص: ٥٨.

٢٧- المرجع نفسه. ص: ٧٦.

٢٨- المرجع نفسه. ص: ٨٨.

٢٩- المرجع نفسه. ص: ٩١.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر دراسة تحليلية لنماذج

إعداد:
الدكتور المتبولي شيخ كبر
قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، نيجيريا

الملخص

تهدف هذه المقالة إلى الوقوف على بعض صور الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر، تلك الشخصية الأدبية التي لها أثر فاعل في حركة الأدب العربي النيجيري – بصفة عامة – في القرن العشرين الميلادي، حيث وقف الباحث على (١٣٤) صورة للاستعارة التصريحية في ديوان الشاعر. وقد تناول الباحث في هذه المقالة نبذة تاريخية عن الشاعر، والاستعارة وأقسامها، ثم صور الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر. والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

Abstract

This paper aims to stand on some of Declarative metaphor in the al-Sheikh Muhammad Nasir Kabara's poetry That literal personality that has an effective impact in the movement of Nigerian Arabic literature - in general - in the twentieth century AD, where the researcher stood on (134) image of Declarative metaphor in the poet anthology, the paper will discuss the brief history of the poet, Metaphor and its type and then the Declarative metaphor in the al-Sheikh Muhammad Nasir Kabara's poetry, and lastly conclusion and findings.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وآله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى).

إن هدف الباحث في هذه المقالة، هو الوقوف على بعض صور الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر، كما سبق، وسيدور الحديث في هذه المقالة حول النقاط التالية:

- نبذة عن الشاعر.
- الاستعارة وأقسامها.
- من صور الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر.
- الخاتمة، وفيها خلاصة البحث ونتائجه.

أولا: نبذة عن الشاعر:

هو الشيخ محمد الناصر بن محمد المختار بن محمد الناصر بن محمد مَيْزَوري بن أحمد المتخار الشهير بـ(مالم كبر)، وينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل سيدنا جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنهما. هذا من جهة والده؛ وأما من جهة والدته؛ فهو حسني، إذ ينتهي نسبه إلى السيد أحمد الصقلي الحسني رضي الله عنه، واسم والدته: مريم بنت مالم حسن، الملقب بـ(غوني) أي الماهر.[١]

بيئته:

يمكن تقسيم البيئة التى أثرت في شخصية هذا الشاعر إلى قسمين: خاصة؛ وهي ما يحيط بأسرته التى نشأ وترعرع في كفالتها، وعامة؛ وهي تلك الظروف الحيوية التى أحاطت بالمجتمع الذى عاش فيه. فمن ناحية الأسرة: فإن الشيخ قد نشأ في أسرة اشتهر أهلها بالعلم، ليس في كنو فحسب؛ بل حتى في بعض مدن بلاد هوسا، فجدّه الرابع الشيخ عمر مالم كبر، الذى قدم من مالي؛ كان من أعلام المعرفة، تخرج من جامعة سَنكُورِي[٢] في تُمْبُكْتُو، وكان يقبل عليه طلاب العلم من بلاد كَشِنَه وزَكْزَكْ وَنُفِي[٣] بله الذين في كَنُو. وبعد وفاته ورث عريكة العلم بمعهده ابنه الشيخ مالم محمد

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

مَيْزَوْرِي، وبعده الشيخ أحمد بن بَاقُو؛ الذى كان حفيدا للشيخ مالم كبر، وبعده ابنه الشيخ إبراهيم نَظُغُنِي الذى تربى شاعرنا على يديه، زد على هذا أن جلّ العشيرة لم يكونوا يشتغلون بشيئ سوى العلم وخدمته[٤]

ومهما يكن من أمر، فالشيخ قد انحدر من سلالة أسرة عريقة في العلم والذكاء، وتربى في أحضانها. وتلت هذه البيئة بيئته العامة؛ وهي مدينة (كنو)، منشؤه ومسكنه، الشهيرة بإيواء العلماء الوافدين إليها، تلك الحاضرة الإسلامية العريقة التى كان مجرد ذكر اسمها يشعل حرارة الأشواق ويزين أحلام العلماء والباحثين في إفريقيا السوداء، فقد تركت فيه هذه المدينة آثارا بالغة ظل على ذكرها، خصوصا تزخرها بالعلماء المتضلعين، ثم صفاء أهلها ورقتهم وبساطتهم في مناكب الحياة، حيث كانت منذ أكثر من خمسة قرون ملتقى القوافل البرية القادمين؛ إما للتجارة أو المرور إلى الحج، فقد أنجبت هذ المدينة العديد من الفقهاء والعلماء، وازدهرت فيها الحركة الثقافية؛ مما يؤهلها أن تظل مدينة العلوم والمعارف، وتضلع بدور ريادي في شمال نيجيريا، وخاصة بعد الاستعمار، وذلك بفضل قيام حركة التعليم العربي الحديث فيها، فكان من الطبيعي أن يتأثر الشيخ بهذه البيئة، ويكون لها دور في اتجاهه ومسيره، وقديما قيل: إن الإنسان ابن بيئته وابن ثقافته التى تثقف بها.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد الناصر كبر في قرية غُرِنْغاوا؛ يوم الخميس، في شهر شوال، عام (١٣٣٤هـ، الموافق عام ١٩١٢م). وتوفي والد الشيخ محمد الناصر ولم يجاوز ابنه السنة السادسة من عمره، فقام بكفالته أحد أعمامه، ووارث عريكة العلم في معهد(كبر) آنئذ: الشيخ إبراهيم بن أحمد الشهير بنظغني Natsugune، ذلك الصوفي الزاهد الورع، والبحر الخضم، الذى لا ساحل له في ميدان المعرفة، الذى شهد بفضله وتقشفه الحب والخبّ. لقد اعتنى الشيخ إبراهيم بيتيمه هذا غاية الاعتناء، ووفر له جميع ما يحتاج إليه في الحياة، وأمده بما يضن به الآباء على أبنائهم، وظل تحت رعايته إلى أن توفاه الله، بعد أن قضى معه ثلاثا وعشرين سنة[٦]

تعلمه وعلماؤه:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وأما تعلمه، فقد بدأ تلقي القرآن الكريم في حارة سورنطنك Sorondinki عند الشيخ محمد غجيري Gajere، حيث ختم القرآن الكريم، وهو ابن تسع سنوات، وبعد ذلك عكف على الدرس عند مربيه الشيخ إبراهيم نظغي، كما تتلمذ عند فطاحل علماء عصره ومشاهير دهره؛ أمثال: قاضي قضاة كنو الشيخ إبراهيم بن الأستاذ المعروف بـ(ميغرِ)، وقاضي بِيْي Bichi الشيخ المصطفى، وإمام الجامع الكبير في كنو الشيخ محمد الثاني، والشيخ عبد الكريم الملقب بـ(سابو) شروماوا Chiromawa، والشيخ إنوا إمام الزاوية، وغيرهم. وقد تلقى على أيديهم اللغة العربية وعلومها، والدراسات الإسلامية وفروعها، وغير ذلك مما توصلت إليه ثقافة أهل عصره، كعلم الفلك والنجوم والمنطق والفلسفة وعلم الحساب وغير ذلك.[٧]

ظل الشيخ محمد الناصر يواصل ليله بنهاره في طلب العلم، ورزقه الله تعالى من الهمة والذكاء ما جعله يتميز عن سائر زملائه، فكان يحفظ معظم الكتب التى درسها عند أساتذته؛ نظمها ونثرها، ولم يتوقف عن الذهاب إلى المدرسة حتى توفي معظم علمائه، ورأى أن ليس هناك من يروي غلته، فاكتفى بمطالعته الخاصة، وانقطع للتدريس، وخاض في ميدان التأليف وهو ابن بضع وعشرين سنة، وورث عريكة العلم في معهد كبر[٨]بعد وفات الشيخ إبراهيم نظغي، فأمه الطلاب من كل ناحية من نواحي نيجيريا وغيرها، وذاع صيته في الآفاق، وصار خادما للعلم والدعوة والدين عامة، والطريقة القادرية خاصة.[٩]

وفاته:

توفي الشيخ يوم الجمعة، ليلا ٢٠ جمادى الأولى ١٤١٧هـ، الموافق ٤ أكتوبر ١٩٩٦م، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.[١٠]

نتاجه الأدبي والعلمي:

خلّف المرحوم وراءه إنتاجات قيمة، تنبئ برسوخ قدميه في العلم، وشفوف منزلته في الجدّ والاجتهاد؛ وقد تناولت مختلف الفنون العلمية، مثل: التفسير والسيرة وعلوم القرآن والنحو وغير ذلك؛ إلا أن التصوف – وخاصة ما يتصل بالقادرية – هو الذى يأخذ بنصيب الأسد من بين انتاجاته، نثرها وشعرها.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

قام الدكتور شيخ عثمان كبر بإحصاء هذه المؤلفات في تقديمه لتفسير الشيخ، وذكر أنها لا تقصر عن (٣٠٠) كتاب؛ ما بين منثور ومنظوم، أورد منها (١٦٢) كتابا[١١]منها:

١. إحسان المنان في إبراز خبايا القرآن.
٢. ينبوع الصفا في تحرير بيانات الشفا.
٣. أحسن الصريف في التعريف بمصحف نيجيريا الشريف.
٤. الحج الواضح.
٥. ديوان سبحات الأنوار من سحبات الأسرار.

ثانيا: الاستعارة وأقسامها:

١. المعنى اللغوي:

يقول ابن منظور: "الاستعارة من العارية، وهي معروفة. ومعنى أعار: رفع وحول، ومنه إعارة الثياب والأدوات، واستعار فلان سهما من كنانته: رفعه وحوّله منها إلى يده"[١٢]

المعنى الاصطلاحي:

وقد عرّف علماء البلاغة الاستعارة بتعريفات عديدة؛ بغية تحديدها، شأنها شأن أي مصطلح له على مرّ العصور مفاهيم ومقاصد.

فهي عند الجاحظ (ت٢٥٥هـ): "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[١٣]

وأما الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) فعرّفها بقوله: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية"[١٤]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وعرفها السكاكي (ت٦٢٦هـ) بقوله: "الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"[١٥]

وأما الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) فإنه عرفها بقوله: "الضرب الثاني من المجاز الاستعارة، وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"[١٦]

وبعد حين من الدهر أتى الإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) وعرّفها بقوله هي: "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة"[١٧]

من هذه التعريفات – التى رُتِّبَتْ تاريخيا – يلحظ التطور أو النمو الذي طرأ على الاستعارة بتقدم الزمن، واختلاف المكان، فبينما كانت في أول أمرها عامة تشمل المجاز بأنواعه، والأعلام المنقولة من غير بيان للعلاقة بين المستعار منه والمستعار له، يتقدم الزمن ويتضح التعريف شيئا فشيئا، واشترطت العلاقة بالمجاورة أو المشاكلة، أو بسبب يربط بين طرفيها.

وقد حاول ابن الأثير الربط بين المعنى اللغوي للاستعارة والمعنى الاصطلاحي، وبين السبب في تسمية الاستعارة قائلا: "إنما سمي هذا القسم من الكلام استعارة لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا، إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر"[١٨]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

يلمح من هذا الكلام أن معنى مصطلح "الاستعارة" في اللغة قريب من معناه المصطلح عليه لدى البلاغيين، إلا أن المعنى اللغوي يقع في الشيء المادي والمعنوي، والاصطلاحي يغلب على الأخير. وكما أن الاستعارة أو الإعارة بين الناس لا تقع – غالبا - إلا من شخصين بينهما سبب معرفة حتى إذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا في غالب الأحيان، فكذلك يشترط وجود علاقة بين المنقول عنه والمنقول إليه في الاستعارة الاصطلاحية.

وعلى العموم، فإن هذه التعريفات تبين مفهوم الاستعارة لدى كبار رجالها في عصورها المختلفة، وهي وإن اختلفت عباراتها، فإنها تكاد تكون متفقة معنى ومغزى.

فالاستعارة إذا – كما استقر عليها البلاغيون – هي استخدام كلمة في غير معناها الحقيقي، لعلاقة المشابهة مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة، تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.[١٩] ومن كل التعريفات السابقة تتجلى الحقائق التالية بالنسبة للاستعارة:

١. الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.
٢. الاستعارة في حقيقتها تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، فصار استعارة.
٣. تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه، فيسمى المشبه به مستعارا منه، والمشبه مستعارا له، واللفظ مستعارا، وهذا الإسناد استعارة.
٤. وقرينة الاستعارة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية.

ولتوضيح ما قد سبق يتأمل مثالين في تشبيه واحد ليتضح الفرق بين التشبيه والاستعارة. قال أبو تمام في مدح المعتصم:[٢]

هُوَ اليَمُّ مِنْ أَي النَّواحي أتيتَهُ فلُجَّتُه المعروفُ والجُودُ سَاحِلُه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وقال المتنبي في مدح سيف الدولة:[٢١]

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

إن أبا تمام شبه ممدوحه بالبحر، وكذلك فعل المتنبي، والفرق بين الشاعرين أن الأول جاء بأسلوب التشبيه البليغ، بينما الثاني جاء بأسلوب الاستعارة.

الفرق بين الأسلوبين أن الشاعر الأول رفع من مقام صاحبه إلى مرتبة عالية، فقال: هو البحر، وأوحى بشعور أو بغير شعور إلى أن الممدوح شيء والبحر شيء آخر، إنهما عالَمان منفصلان مستقلان؛ وإن حاول الشاعر أن يزيل الحاجز الفاصل بينهما بنزع أداة التشبيه ووجه الشبه.

أما الشاعر الثاني فقد نسي أو تناسى أن هناك رجلا كريما، وأبقى في الصورة عنصرا واحدا هو البحر، موحيا أن حديثه عن البحر ليس إلا، وما البحر الذي كان يقصده إلا رجلا من لحم ودم، يُسار إليه على بساط من سندس، وتُقدم إليه آيات التحية والاحترام، وترفع إليه الشكوى، أو تمد إليه الأيدي راغبة في أعطيات.

الشاعر الأول ركب مصعد التشبيه البليغ، فارتفع قليلا بممدوحه الكريم، أما الشاعر الثاني فامتطى صاروخ الاستعارة، وحلّق بسيده الجواد، وشتان بين المصعد والصاروخ، أو بين التشبيه والاستعارة. والعجيب في أمر الاستعارة أن موادّها الرئيسية هي مواد التشبيه البليغ، نقص منها أحد طرفيه المشبه أو المشبه به، وأعجب من هذا أن الصورة زادت جمالا بهذا النقصان من المواد الأساسية![٢٢]

فإذا حذف المشبه فالاستعارة تصريحية، وإذا حذف المشبه به فالاستعارة مكنية، وسيأتي بيان ذلك – إن شاء الله تعالى – عند إيراد بعض النماذج من شعر شاعرنا.

أقسام الاستعارة:

تنقسم الاستعارة باعتبار ذاتها إلى: تصريحية ومكنية.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

فالتصريحية: ما صرح فيها بلفظ المشبه، أو هي ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.

وأما المكنية: فهي التي حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيئ من لوازمه.

وتنقسم باعتبار لفظها إلى: أصلية وتبعية.

فالأصلية: هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة جامدا غير مشتق، مثل قول الشاعر:

يا كوكبا ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسحار[٢٣]

فالشاهد هو: (يا كوكبا).

وأما التبعية: فهي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا، مثل قوله تعالى: "**ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح**"[٢٤]فالشاهد لفظ (سكت).

وتنقسم أيضا باعتبار اللازم لها أو ملائمها أو الأمر الخارج عنها إلى: المرشحة والمجردة والمطلقة.

فالمرشحة: هي التى ذكر معها ملائم للمشبه به. والمجردة: وهي ما ذكر مع الاستعارة ملائم للمشبه. والمطلقة: وهي ما خلت من ملائمات المشبه به، أو هي ما ذكر معها ما يلائم المشبه والمشبه به معا.[٢٥]

وتنقسم أيضا من حيث الإفراد والتركيب إلى قسمين:

مفردة: وهي ما كان المستعار فيها لفظا مفردا، كما هو الشأن في الاستعارة التصريحية والمكنية.

ومركبة: وهي ما كان المستعار فيها تركيبا، وهذا النوع من الاستعارة يسمسه البلاغيون بالاستعارة التمثيلية.

ثالثا: من صور الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر:

سبق أن ذكر الباحث أن الاستعارة تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، فإذا حذف المشبه وصرّح بلفظ المشبه به، فالاستعارة تصريحية.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وقد أبان الشيخ عبد القاهر الجرجاني مدلولها، ووضح مضمونها، وهو بصدد تقسيم الاستعارة بوجه عام إلى تصريحية ومكنية، فقال: "الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه، وتجره عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: رأيت أسدا"[٢٦]فالمشبه في هذه الاستعارة محذوف ومطوي، والمشبه به أو المستعار منه هو المذكور على سبيل العارية للمشبه لأجل المبالغة في التشبيه.

وعلى هذه السنن الواضحة، والطريق البين في بيان مدلولها، سار علماء البلاغة عند تناولهم لتعريفها وتحديد المراد بها، فقد عرفها بهاء الدين السبكي بقوله: "أن يذكر المشبه به مرادا به المشبه"[٢٧]وقال الدسوقي: "...إن المراد بالاستعارة في كلام المصنف – أي الخطيب القزويني – الاستعارة التصريحية، وهي التي يذكر فيها المشبه به دون المشبه"[٢٨]

وبالرجوع إلى شعر الشيخ محمد الناصر يُرى أنه وردت هذه الظاهرة فيه كثيرا، فمن بينها قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:[٢٩]

لله مكّته العظمى لقـــــــــــد شـــرفت بكعبة القدر هذا الكعبة النشر

إني تعجبت هل هي التي نسكت بالسعي والوقوف والطوف تفتخر
فإن يكن هو فالأقدار جارية والعبد راض بما يقضيه مقتدر
وإن تكن هي لا غرو ولا عجب فالرب رب وهذا الثيب منهمر

شبه الشاعر ممدوحه بالكعبة، وحذف لفظ الممدوح، وادعى أنه هو عين المشبه به، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الكعبة في نظر الشاعر، فكما أن الكعبة يقصدها الناس من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم، فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم كعبة يتوجه شطرها الناس من كل صقع من أصقاع الأرض، يتوجهون نحوها بالصلاة والتسليم عليه، وبالتوسل والاستشفاع به، بل بإتيانهم إليه رجالا وعلى كل ضامر، أو على متن باخرة البحر أو سيارة أو طائرة تخوض عباب السماء؛ إلا أن وجود النبي صلى الله عليه وسلم في مكة يجعل الشاعر في حيرة ودهشة، فلا يدري هل النبي صلى

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

الله عليه وسلم هو الكعبة أم ذلك البيت العتيق الذي يفتخر بطواف الناس والسعي حوله؟ فإن كان الممدوح هو الكعبة الحقيقية فهذا من مقادير المولى سبحانه وتعالى، وليس للعبد سوى الإذعان والتسليم لما قد جرت به المقادير، وإن كان الأمر على غير ما تصوره، فهو لا يرى الغرابة في ذلك، إذ أن منن الله تعالى لا تزال منسكبة متى شاء وكيف شاء وأين شاء.

فالشاعر لما وصف الممدوح بالكعبة، فلا يعني أنه ينظر إلى الممدوح بأنه يشبه الكعبة من كل الوجوه، وأنه مكوّن من الطين والحجارة، وأنه يحتوي على جدران أربعة، كلا وألف كلا! بل إنه نظر إلى ناحية العلو والرفعة المعنوية، وإقبال الناس إلى ذلك البيت وتوجههم إليه في عبادة الله سبحانه وتعالى من كل ناحية من نواحي العالم، مع شوقهم وتلهفهم إليه، فرأى أن الممدوح يشابهه في ذلك. إلا أن شعوره بتمكن الممدوح في الاتصاف بتلك الصفات جعله يرمي بالتشبيه وراء ظهره، فيحذف المشبه، ويدعي أنه عين المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وهناك استعارة تصريحية أخرى في القطعة؛ حيث يقول: "وهذا الثيب منهمر"، وهي تشبيه الشاعر منن الله تعالى وعطاياه ومواهبه على عباده بالثيب المنهمر الوابل المدرار، بجامع الإنعام والإسعاد في كل.

ولما توجه الشاعر تلقاء ديار المحبوب صلى الله عليه وسلم ومن فيها من الأصحاب، استمر قائلا:[٣]

أفدي بروحي بقاعا ذات طالعة طوالع السعد فيها الدهر تزدهر
حيث الصحابة والأنوار طالعة والصاحبات وحيث العلم يزدخر
حيث النزول وحيث الوحي حيث إذا ضاق الخناق ترى الآساد تجتئر

حيث الجمال وحيث الحسن ناصعه حيث الرشاقة والأبلاح والحوريفدي الشاعر ديار المحبوب بروحه، تلك الديار التي ما زالت على مدى الدهور والأزمان مشعّ الأنوار والبركات، وهي مأوى الصحابة والصاحبات، وموضع انبثاق العلم وانتشاره.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

شبه الشاعر الهدي النبوي الذي تفجر من المدينة بالأنوار المشعشعة، لعلاقة المشابهة بينهما في الهداية، واستعار اللفظ الدال على المشبه به، وهو "النور" للمشبه وهو "الهداية"، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي حالية تفهم من سياق الكلام، على سبيل الاستعارة التصريحية.

فمنازل الممدوح وهي منازل هبوط جبريل عليه السلام، ينزل فيها بالوحي، وهي منازل يسكنها الصحابة، وهم في بسالتهم وشجاعتهم يشبهون الأسود التي تسمع اجتئارها حينما تشتد الأمور، فلا يفرون إذا حمي الوطيس وتزحزح الكماة، بل يصمدون أمام نار الوغى صائحين بالتكبير والتهليل.

ففي قوله: "ضاق الخناق" استعارة تصريحية تبعية[٣١] لكون اللفظ المستعار فعلا، شبه شدة الأمور وبلوغها الذروة بتضييق الخنق والشنق، لجامع وجود المشقة في كل، وهذا التركيب الاستعاري كناية عن الشدة والمشقة، وكذلك قوله: "ترى الآساد تجتئر" استعارة تصريحية مرشحة[٣٢] حيث شبه الأبطال بالآساد، وحذف لفظ الأبطال، ثم قرن المستعار منه (المشبه به) الذي هو لفظ "الآساد" بما يلائمه وهو "تجتئر"، ومعناه تزأر وتصيح.

وهذا ما يسمى ترشيحا أي تقوية الاستعارة بمعنى يناسب المستعار منه، مما يبعد خطور التشبيه على البال، فيكون ذلك مقويا للاستعارة ومؤكدا لما عناه المتكلم وقصده من تناسي التشبيه والبناء على المبالغة.[٣٣]

والترشيح – كما يقول السيد أحمد الهاشمي – أبلغ من غيره، لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه، وادعاء أن المستعار له (المشبه) هو نفس المستعار منه لا شيء شبيه به، وكأن الاستعارة غير موجودة أصلا..."[٣٤]

ويظهر جمال الصورة في هاتين الاستعارتين في هذا البيت في وصف اشتداد الأمور بحالة رجل مشنوق يضاق عليه الحناق، تلك الحالة التي يصعب معها حتى التنفس، فقلما يبلغ الإنسان من الجهد مثل ما يبلغ في تلك الحالة، ثم وصف البطولة بحالة الليث الباسل حين يجتئر، ذلك الجؤار الذي تتفرق دونه سائر السباع والوحوش والحيوانات

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

خوفا من ذلك الأسد. فكانت هذه حالة الصحابة في ميدان المعركة حين يرفعون أصواتهم بالتكبير فيفر الكفار، ويتطايروا عنهم تطاير الشَّعراء[٣٥] عن ظهر البعير.

ومثال آخر للاستعارة التصريحية، هو قول الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أيضا:[٣٦]

من بحره الأنبيا والأوليا ارتشفوا سيّ الصحابة لا سيّ الأولى هجروا
من بحره الأنبيا والأوليا ارتشفوا سيّ الصحابة لا سيّ الأولى نصروا

فوصف العلوم والمعارف والأنوار الإلهية التي ينور الله بها قلوب أنبيائه وأوليائه لاسيما الصحابة المهاجرين منهم والأنصار – رضوان الله تعالى عليهم – بالبحر، والمشرف على البحر هو النبي صلى الله عليه وسلم، ثم شبه ما يصل إليهم من هذه المعارف الربانية والأسرار الإيمانية بالرشف، وفي ذلك إشارة إلى عظمة شأن النبي صلى الله عليه وسلم وتمكّنه من المعارف والفتوحات الإلهية، بحيث إن جميع معارف الأنبياء وكبار الصالحين – مع وفرتها وكمالها – بالنسبة إلى معارفه صلى الله عليه وسلم لا تجاوز الرشفات من البحر التي تعني المص...[٣٧] ولعله – لذلك لم يستعمل كلمة "اغترفوا" أو "استفاضوا"، للدلالة على تقليل ما عندهم إذا قيس بما عنده صلى الله عليه وسلم. والاستعارة هنا تصريحية تبعية.

ووصف العلوم بالماء شيء يوجد في غير هذا الموضع من قصائد الشيخ الكبري، اقرأ مثلا قوله في رائيته التي نظمها على شكل اللعبة الهندسية "أدبيّ"[٣٨] في مدح الشيخ محمد المجتبى الشنقيطي:[٣٩]

رباك سقاها وابل منك هاطل أفي كل أرض يابس أنت ماطر
رطا[٤٠] ماؤه أرض القلوب فأعشبت فما ثم إلا رائق الزهر ناضر
رضا ناصر أن تمطر الودق أرضه لتخضرّ والأنوار فيها تناثر
رث[٤١] انشر أبيت اللعن يا مجتبى العبا عليّ وقل من أهل بيتي ناصر

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

فالممدوح لا يزال يقوم بتربية مريديه وتعليمهم إلى أن تتحسن أخلاقهم ويتخرجوا على يديه علماء أجلاء يتعجب بهم كل من رآهم، لما يتمتعون به من المعارف والعلوم متزينين بالأخلاق الإسلامية والشيم المحمدية، فلذلك طلب الشاعر أن تعمه هذه التربية فيكون من ضمن أولئك المتشعشعين من موارد الشيخ، بل زيادة على ذلك فإن ثيابه بالية رثة وحقيرة فلذلك يطلب من الشيخ أن يجلله بعبائه ويدخله في أهل بيته وأبنائه، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي كرم الله وجهه، وسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين حين ألقى عليهم كساءه، ورفع يديه ثم قال: "اللهم هؤلاء آلي".[٤٢]

استعار الشاعر هذه الكلمات الوابل، والهاطل، والودق، التي تعني كلها (المطر) وإن كان هناك تفاوت بينها في دلالتها، إذ الهاطل مجرد المطر، يقال: هطلت السماء إذا أمطرت، والودق: المطر، وهو السيل، والغيث، والصيب، وأما الوابل: فهو المطر الشديد الذي يكون منه السيل، وهو أقوى المطر وأضخمه قطرا.[٤٣] فالشاعر استعار هذه الكلمات التي تعني المطر الغزير ليشبه بها علم الممدوح، لكنه حذف المشبه الذي هو علم الممدوح ومعرفته الإلهية، وصرّح بالمشبه به الذي هو المطر الغزير إيهاما منه بالتوحّد فيما بينها، وأن المشبه هو عين المشبه به لا شيء شبيه به، والشبه بين العلم والمطر: هو أن العلم أو المعرفة الإلهية تبلّ القلوب اليابسة، كما يبلّ المطر الأرض اليابسة، وبعد ذلك شبه قلبه بالأرض المجدبة اليابسة، فالأرض تصلب لعدم نزول الأمطار، كما يصلب القلب لعدم العلم والمعرفة.

ثم تقدم الشاعر ليري القراء صورة أخرى، وهي تشبيه رسوخ العلم والمعرفة في قلبه بخضرة الأرض وتناثر الأزهار بعد نزول المطر. والشبه بينهما ظاهر، خضرة الأرض وتناثر أزهارها يعجب الناس، كما يعجبهم صاحب المعرفة؛[٤٤] ولعل الشاعر استقى هذه الصورة من الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب، ومنها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم".[٤٥]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ومن نماذج الاستعارة التصريحية في شعر الشاعر أيضا قوله في قصيدة رحّب بها المرحوم شيخ الأزهر الشريف جاد الحق علي جاد الحق[٦] بمناسبة وضع الحجر الأساسي لبناء المقرّ الدائم لمدرسته "كلية تراث الإسلام" أيام زيارة ذلك الشيخ الأزهري إلى نيجيريا عام ١٩٨٣م:[٤٧]

برق دوين الأبرقيـ[٤٩]ـن إمام سكان الخبا
إيه[٤٨] أحاديث الغرا م بما طرا لك من نبا
الحق جلّ جلاله جود ولا ريح الصبا
إن هبّ جود يمينه عم الوجود وأوعبا
ولنا أتى نيجيريا نور يضيء الغيهبا

إن الممدوح برق لمع في آفاق المساكن الجبلية، وهي البلاد العربية، فهو إمام سكّان الخيام، ولعل الشاعر يرمز بهذا إلى أن الشيخ جاد الحق هو قائد الأمة العربية في زمنه إذ أن العرب هم الذين يعيشون في المناطق الجبلية والرملية، ويسكنون الخيام والخباء، فكيف لا وهو مفتي الديار المصرية، وما منزلتها بين البلاد العربية وبين العالم بخفية، ثم توجّه الشاعر نحو خاطره يستزيده من أحاديث الغرام، إذ طرأ عليه نبأ عظيم، وهو أن الله تعالى جواد كريم مفضال، فلا تداني جودَه ريح الصبا التي ما زال الشعراء يتغنون بها؛ لأن جود يمينه إذا هبّ فإنه يعم الوجود بأكمله، فمن هذا الجود والكرم أن وصل إلى نيجيريا نور العلم والهداية الذي يبدد حوالك الجهل والضلال.

ففي البيت الأخير الاستعارة وهو "النور" الذي يقصد به الشاعر ممدوحه لعلاقة المشابهة، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي "أتى"، وعند تأمل هذا الاستعارة يدرك أنه قد ضمن تشبيها حذف منه لفظ المستعار له (المشبه) واستعير بدله لفظ المستعار منه (المشبه به) ليقوم مقامه، بادعاء أن المستعار منه هو عين المستعار له.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

فالشاعر تناسى أن هناك رجلا عالما يشبه علمه النور في الهداية، فأبقى في الصورة عنصرا واحدا هو "النور" موحيا أن حديثه عن النور ليس إلا، وما النور الذي كان يقصده إلا رجلا من لحم ودم ملأ الدنيا بذكر علمه وفضله، يأتي إلى بلده نيجيريا، ولما كان المستعار منه مصرّحا به في هذه الاستعارة سميت استعارة تصريحية.

ثم بعد ذلك رشّح الشاعر هذه الاستعارة بقوله: إن هذا النور الذي أتى إليهم "يضيء الغيهبا" فوصف النور بما يلائمه لتحقيق المبالغة في الاستعارة، وتناسى التشبيه والتصميم على إنكاره إلى درجة استعارة الصفة المحسوسة للمعنوي، وجعلها كأنها ثابتة لذلك المعنوي حقيقة، وكأن الاستعارة لم توجد أصلا، فالعلم والجهل معنويان، والنور والظلمة حسيان، ولولا أن الشاعر قصد تناسى التشبيه، والتصميم على إنكاره لما كان لهذا الكلام وجه.

رابعا: الخاتمة

تناول الباحث بعضا من صور الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ العلامة الناصر كبر، حيث مهّد حديثه بتعريف الاستعارة من الناحية اللغوية والاصطلاحية وآراء كبار البلاغيين في ذلك أمثال الإمام عبد القاهر الجرجاني، والإمام أبي يوسف السكاكي، والخطيب القزويني، وجلال الدين السيوطي، وبعد ذلك وصل إلى ربع عَزَّة مقاله، وهو الحديث عن صور الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ الكبري، فقدم بعض النماذج وحللها تحليلا أدبيا بسيطا، ثم أشار إلى مواطن هذه الظاهرة فيها جريا وراء المنهج التحليلي التطبيقي.

وخلال هذه الجولة القصيرة في أرجاء شعر الرجل، وصل الباحث إلى النتائج التالية:

١. يدرك أن الاستعارة صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى.
٢. وإذا كان البلاغيون ينظرون إلى التشبيه والاستعارة والكناية على أنها عمد الإعجاز وأركانه، والأقطاب التي تدور البلاغة عليها، وتوجب الفضل والمزية، فإنهم يجعلون الاستعارة عنوان ما يذكرون، وأول ما يوردون.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

٣. كون الشاعر مطبوعا في إيراد هذه الظاهرة في شعره بدون أن يتصنعها، وخاصة عند النظر إلى عددها، حيث وردت (١٣٤) مرة في غضون ستة آلاف بيت ونيف، فإن قريحة الشاعر تلقي إليه هذه الصور البيانية عند الحاجة إليها دون أي تصنع.

٤. إجادة الشاعر فيما جاشت به خواطره من هذه الصور.

٥. محاكات الشاعر للقدامى في ذكر ديار الأحبة ومنازلهم، وكذلك وصف الشجاع بالأسد، والعلم والهداية بالنور، مشيا على سنن عمود الشعر القديم وديباجته.

٦. اتساع أفق معارف الشاعر كبناء صورة استعارية على أساس معنى حديث نبوي ثم صوّغها على ما تفيض به قريحته بدون أن يشعر المتلقي بذلك.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على حبيبنا وقرة أعيننا سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الهوامش والمراجع

[١] محمد الناصر الكبري (الشيخ)، **نسب الإمام السنكوري الأنور**، مخطوط، ص٤-٥

[٢] جامع سنكوري: هو الجامع الكبير في تمبكتو، أسس في القرن الخامس عشر الميلادي، وهو من أشهر أمكنة التدريس وأكثرها اكتظاظا بجموع الطلبة والمدرسين في بلاد التكرور، وخاصة خلال القرن السادس عشر الميلادي، وقد تعاقب عليه إمامة أسرة "أهل أقيت" الصنهاجية، وهي الأسرة التى أنجبت العلامة الشهير أحمد باب التمبكتي، صاحب التآليف الكثيرة، ومنها: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج. انظر: مخطوطات تمبكتو، منشورات جائزة القذافي الدولية لحقوق الإنسان، إصدار خاص بمناسبة منح الجائزة للعام (٢٠٠٧م)، إلى معهد أحمد باب للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، ص٢٨ و ٤٠

[٣] فمن طلابه الذين جاءوا من كشنه: مالم باقو Bako، الذى زوّجه الشيخ عمر إحدى بناته، فولدت له الشيخ أحمد والد الشيخ إبراهيم نظغنى. ومن الذين أتوا من زكزك: مالم محمد زاب Zabi، جدّ شيخ الحلقة مالم بشير كبر. وممن وفدوا عليه من نفي Nufe: مالم علي

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

بنفي Banufe، جدّ والد مالم شمس الدين صاحب معهد= =التفسير في كبر. انظر: جلاء البصر في ترجمة جدّنا الشيخ عمركبر، للشيخ محمد الناصر كبر، مخطوط، ص: ٩، ٢٥، ٣١. وعندي نسخة مصورة.

[٤] ولم يقتصر الأمر على الرجال، بل شمل النساء، لأن من جدّاته السيدة فاطمة المعروفة بنانة مالما: فهي التى كانت تفسر القرآن الكريم في رمضان للنساء بقصر أمير كنو، أيام الأمير عبد الله مجي كروفي Maje karofi، انظر: جلاء البصر في ترجمة جدّنا الشيخ عمركبر، للشيخ محمد الناصر كبر، مخطوط، وعندي نسخة مصورة ،ص ٢٣

[٥] من ضواحي مدينة كنو، وتبعد عنها بخمسة أميال تقريبا.

المتبولي شيخ كبر، صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر الكبري، ط١؛ القاهرة: شركة القدس للتصدير ٢٠١٣م، ص ٥١

[٧] المتبولي شيخ كبر، صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر الكبري، ط١؛ القاهرة: شركة القدس للتصدير ٢٠١٣م، ص ٥٢-٥٣.

[٨] أسس هذا المعهد الشيخ مالم كبر، في حوالي سنة (١٧٨٧م)، انظر: الثقافة العربية في نيجيريا، للدكتور علي أبي بكر، ص١٦٩

[٩] المتبولي شيخ كبر، **المدائح النبوية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر**، (رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو بكنو، ٢٠٠٢م)، ص١٥

[١٠] المتبولي شيخ كبر، صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر الكبري، مرجع سابق، ص ٨٠.

[١١] الشيخ محمد الناصر كبر، **إحسان المنان في إبراز خبايا القرآن، (نيجيريا: المكتبة القادرية، د. ت)**، ج١، ص٥-١٢.

[١٢] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى: لسان العرب، مادة "عير"، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٤، ص٦٢٠.

[١٣] د. محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، (الطبعة الأولى: بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، ص٣٤٧.

[١٤] عبد القاهر الجرجاني: **أسرار البلاغة**، تعليق محمود محمد شاكر، (ط١، جدة، دار المدني، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص ٣٠

[١٥] أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي: مفتاح العلوم، (المكتبة الشاملة، قسم النحو والصرف، مرقم آليا، غير موافق للمطبوع)، ج١، ص١٦٣.

[١٦] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الآداب: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ج٣، ص٤٧٥.

[١٧] - محمد زكي صباغ: المرجع السابق، ص/ ٢٤٦، نقلا عن: عقود الجمان، للسيوطي، ص/ ١٢٠.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

[١٨] - أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير الموصلي: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٥م) ج١، ص: ٣٤٧.

[١٩] - بكري شيخ أمين، **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**، (الطبعة الثالثة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م)، ج٢، ص:١٠١.

[٢٠] **ديوان أبي تمام**، المكتبة الشاملة، ج١، ١٥

[٢١] البيت للقصيدة يمدح بها سيف الدولة ومطلعها "لعينيك" ما يلقى الفؤاد وما لقي"

[٢٢] المرجع السابق، ص/ ١٠٤.

[٢٣] بكري شيخ أمين، المرجع السابق ج٢، ص:١١٢

[٢٤] سورة الأعراف: ١٥٤

[٢٥] بكري شيخ أمين، المرجع السابق، ج٢، ص:١١٨-١٢٠

[٢٦] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق الدكتور يس الأيوبي، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص١١٤.

[٢٧] بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج٤، ص٤٦، ضمن شروح التلخيص، مرجع سابق.

[٢٨] الدسوقي، حاشية الدسوقي على شرح سعد، ج٤، ص ٤٥، ضمن شروح التلخيص.

[٢٩] المتبولي شيخ كبر: شعر الشيخ محمد الناصر كبر، جمعه وترتيبه حسب موضوعه الشعري، (بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، للحصول على شهادة الليسانس، ١٩٩٤م)، ص٧٧ – ٧٨.

[٣٠] المتبولي شيخ كبر: شعر الشيخ محمد الناصر كبر، مصدر سابق، ص ٧٨.

[٣١] الاستعارة التبعية: هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا.

[٣٢] الاستعارة المرشحة: هي التي ذكر معها ملائم للمشبه به، ومعنى الترشيح: التقوية، وتسمى "المرشحة" المزينة.

[٣٣] أحمد عبد السيد الصاوي: فن الاستعارة، مرجع سابق، ص ٤٤.

[٣٤] السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، (ط١٢؛ بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ص١٣٢.

[٣٥] الشعراء: ذباب حمر، وقيل زرق، يقع على الإبل والحمير فيؤذيهما، فإذا هيجت تطايرت عنها.

[٣٦] المتبولي شيخ: **شعر الشيخ محمد الناصر كبر**، مصدر سابق، ص/ ٨١.

[٣٧] ابن منظور: لسان العرب، مادة (رشف) مرجع سابق ١١٩/٩.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٣٨] نوع من الشعر المحبوك ظهر في الأدب العربي في القرن التاسع عشر، على حسب ما ذكره الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه: مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ص٢١٣، ويعتقد الباحث – على حسب تطلعاته – أن الشيخ الناصر كبر هو أول من طرق باب هذا النوع من الشعر من جميع شعراء نيجيريا، وقد تحدث الدكتور شيخ عثمان كبر عن هذه اللعبة الهندسية وعن طريقة فكّها بحديث شاف، انظر كتابه: بعض الظواهر الفنية في شعر مولانا الدكتور محمد الناصر كبر، ص٦١ – ٦٧.

[٣٩] المتبولي شيخ كبر: شعر الشيخ محمد الناصر كبر، مصدر سابق، ص

[٤٠] رطأ المرأة يرطأها: نكحها، لسان العرب، مادة (رطأ).

[٤١] الرث: الخلق الخسيس البالي، وأكثر ما يستعمل فيما يلبس، (لسان العرب) مادة: (رثث).

[٤٢] - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، ج٣، ص١٥٩.

[٤٣] - ابن الأجدابي: كفاية المتحفظ في اللغة، تحقيق: السائح على حسين، (طرابلس–ليبيا: دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الإعلامية، د، ت)، ص ١٨٤ – ١٨٥.

[٤٤] - شيخ عثمان كبر، بعض الظواهر الفنية في شعر مولانا الدكتور محمد الناصر كبر، (ط٤، بنغازي – الجماهيرية العظمى: دار الكتب الوطنية، ١٩٩٧م)، ص ٢٥.

[٤٥] - محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج١، ص٢٨.

[٤٦] - هو مفتي الديار المصرية، ولد في قرية "بطرة" في مصر، وشب وترعرع في أحضان أسرة عرف أهلها بالتقوى والصلاح، وبدأ التعليم بكتاب الشيخ النبهاني، وقد صار فيما بعد علامة من أعلام المعرفة، وفقيها متمكنا، وقاضيا متبحرا الذي يجل الحق ويصله إلى أهله ولا يخشى في الله لومة لائم، ولقد غطت فتواه شتى المسائل الفقهية الهامة التي يهاب الكل الاقتراب من ساحتها بعلمه وسعة أفقه، وقد حصل على الشهادات العالمية منها: في كلية الشريعةن جامعة الأزهر، عام ١٩٤٣م، ثم في القضاء الشرعي عام ١٩٤٥م، راجع: سليمان ثالث: شعر المناسبات عند الشيخ محمد الناصر كبر، (بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، للحصول على شهادة الليسانس، ٢٠٠٩م)، ص: ٨٩، نقلا عن موسوعة القرن، السنة: ٢٠٠٠م، ج١، ص: ٤٧٦ – ٤٧٧.

[٤٧] - المتبولي شيخ كبر، شعر الشيخ محمد الناصر كبر، مصدر سابق، ص ٢٩٠.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

[٤٨] - إيه: بالكسر من غير التنوين: زدني من الحديث المعين الذي تتكلم فيه الآن ولا تتركه، أما إذا قلت إيهٍ بالتنوين فإن المراد يكون: زدني من حديث أي حديث، سواء أكان ما نحن فيه أم غيره، انظر: النحو الوافي، عباس حسن (ط٢٥، مصر: دار المعارف، د، ت)، ج١، ص ٣٥.

[٤٩] - الأبرق: الجبل مخلوطا برمل، والأبرقان: إذا ثنوا، فالمراد به غالبا: أبرقا حجر اليمامة، وهو منزل بعد رُميلة اللوى بطريق البصرة للقاصد إلى مكة زيدت شرقا، (أبو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د، ت، ج٢٥، ص ٤٥.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

من فنون الكناية في بعض أحاديث جامع الترمذي: دراسة تحليلية

إعداد:
الدكتور إدريس أبوبكر أرغنغ
قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي-صكتو

الملخص:

هذه المقالة بعنوان: "من فنون الكناية في بعض أحاديث جامع الترمذي: دراسة تحليلية" عبارة عن إبراز ما في روايات هذا الكتاب القيم من الكنوز اللغوية الثمينة، قد صدرت المقالة بالتقديم والتعريف بالكناية لغة واصطلاحًا، وبلاغة الكناية في العالم اللغوي كما أتت بأقسام الكناية ونماذجها المتوفرة، فواصلت بتحليلها تحليلا بلاغيا. وصل الباحث بذلك إلى أن نصوص الأحاديث النبوية من أهم المصادر اللغوية يجب العناية بها.

ABSTRACT:

The paper titled: "analytical presentation of metaphorical eloquence in some collection of Attirmidzee" it focuses on some pheraselogical styles in content of such important Hadith literature that accumulate language rhetorical skills. The write up proceeded with introduction following by literary and technical definitions of (kinaya) metaphoric as an important feature of rhetoric in Arabic Language as well as its classifications and detail examples, the researcher come to conclude that toxicology of Hadith is an important source of Arabic Language that one must pay his attention on.

مقدمة:

الحمد لله الذي فضل اللغة العربية على سائر اللغات البشرية أن أنزل بها كتابة العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وألقنه خاتم الأنبياء وسيد أهل اللسن بالبلاغة والفصاحة، صلى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه ومن تبع آثرهم إلى يوم الدين. وبعد:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

إنّ هذه مقالة موجزة عن الكناية البلاغية في بعض أحاديث الجامع الترمذي، يريد الكاتب بها تحليل بعض أنمات الكناية البلاغية التي ظهرتْ منها ليحللها لتعميم فوائدها للدارسين والراغبين في علوم البلاغة العربية، وستخرج المقالة في النقاط الآتية بعد المقدمة:

١- تعريف الكناية.

٢- بلاغة الكناية.

٣- أنواع الكناية.

٤- الكنايات في أحاديث جامع الترمذي.

أ- الكناية عن صفة.

ب- الكناية عن موصوف.

ج- الكناية عن نسبة.

ثم الخاتمة. وبالله التوفيق، آمين.

١- تعريف الكناية:

الكناية في اللغة من كنى يكنى كناية عن الشيء أو بالشيء عن كذا، أي ذكره ليدل على غيره أو تكلم به وهو يريد غيره[١] أو ما يتكلم الإنسان ويريد غيره[٢]. وقد يأتى مصدر اللفظ كُنية، وهذا عند النحاة علم مركب تركيبا إضافيا بشرط أن يكون صدره "أبٌ أم أمٌ أو بنتٌ وغيرها[٣]. ومن هنا يظهر الفرق بين الكناية في الاصطلاح النحاة والكناية عند البلاغيين, لأن الكناية عندهم "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه[٤].

ومما هو معلوم أن اللفظ إذا أطلق وكان المراد منه غير معناه فلا يخلو إما أن يكون معناه الأصلى مقصودا أيضا ليكون وسيلة إلى المراد, وإما أن لا يكون مقصودا, فالأول هو الكناية والثاني هو المجاز[٥]. وعن ذلك يقول الجرجاني: "إنك إذا نظرت إلي الكناية وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنها إثبات المعنى أنت تعرفه عن طريق المعقول دون طريق اللفظ"[٦].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

هذا أن اللفظ في الكناية لا يعطي المقصود إلا بعد تأمل وإعمال الفكر والعقل في إدارك المعنى. ولذا تعرّف الكناية بأنها لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعني الأصلى لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته[٧]. أو يقال هي الدلالة على المعني المقصود بطريق غير مباشر، ودون أن يخرج اللفظ عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي في غالب الاستعمال[٨].

٢- بلاغة الكناية:

وأما بلاغة الكناية: فإنها تسوق الحقيقية مقرونة بالدليل وتبرز المعنوي في صورة الحسي، وتستوفى جمال الكلام ويؤدي المقصود بالتعريض دون التصريح مما يأمن به المتكلم من تبعية الكلام ويصونه من عاقبة التصريح[٩]. وبهذا يفهم القارئ أن الكناية مظهر من مظاهر البلاغة،وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بأدليها في طياتها. وأنها تضع القارئ فيها المعاني في صورة المحسوسات ولا شك أن هذه خاصة الفنون، فإن المصور إذا رسم صورة يريد بها جزب العقول لا بد أن يحاول على أن يزينها بالألوان التي يصل بها إلى تحقيق مقاصده، وهذا دأب البلاغيين في اطلاق الفاظ الكناية.

ومن خواص الكناية أنها تمكن القارئ من أن يشفي غلته من خصمه من غيره أن يجعل له إليه سبيلا دون أن تحدث وجه الأديب، وهذا ما يسمى بالتعريض.

ومن أوضح مميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعة، وأمثلته كثيرة جد، في القرءان الكريم كما توجد في الأحاديث النبوية، المطهرة، وكلام العرب: فقد كان العرب لا يعبرون كما لا يحسن ذكره إلا بالكناية، وكانوا لشدة نحوتهم يكنون عن المرأة بالبيضة والشاة. ولعل هذا المقدار كاف في البيان عن بلاغة الكناية وخصائها وإظهار ما تضمنتها من الجمال في الكلام العربي.

٣- أنواع الكناية:

تتنوع الكناية إلى ثلاثة أنواع:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١- الكناية عن صفة: هي التي تكون إطلاق اللفظ الذي يراد به غير معناه فيكون متعلقا بصفة المكني عنه.

٢- الكناية عن موصوف: هي التي يراد بها المكني عنه موصوفا.

٣- الكناية عن النسبة: هي التي تكون عن النسبة المتعلقة بمكني عنه.

٤- الكنايات في أحاديث جامع الترمذي:

أ- الكناية عن صفة:

وهذه تعتبر القسم الأول من الكنايات المشهورة في عالم البلاغة وهي الكناية التي يطلب منها صفة، وكان المكني عنه فيها ملازمة لموصوف مذكور في الكلام. فبالتأمل في قوله تعالى: "إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا "[١٠]. فالكناية في هذه الأية الكريمة تعتبر عن صفات بطريقة غير مباشرة.

ومن أمثلة ذلك في أحاديث جامع الترمذي قوله صلى الله عليه وسلّم آمرا فريعا بنت مالك "امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله"[١١]. "فبلوغ الكتاب لأجله" كناية وصفية عن كمال فترة العدة إذا وصلت المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام ومن هذا النوع من الكناية ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلّم: "ويل للأعقاب من النار"[١٢]. فقوله: "الأعقاب من النار", صفة عن "الذنوب" لأن المذنب عاقبته النار.

ومن الكناية قوله صلى الله عليه وسلّم: "من أذن سبع سنين محتسبا كتبت له براءة من النار"[١٣]. وهذه كناية عن لزوم العبادة، وموصوفه "براءة من النار" إذ كل من يلزم المسجد إلى سبعين من عمره كأنه قضى شبابته على العبادة ويستحق جزاء الأوفى لا سيما عند الله تبارك وتعالي، ولذا وصفت ببراءة من النار.

ويقول صلى الله عليه وسلّم: كناية عن أجر صلاة المرءة في بيتها قائلا: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها"[١٤]. وصف صفوف النساء بالشر كناية عن فضل صلاتهن في بيوتهن من حضورهن المساجد مع الرجال خوفا للفتنة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ومن الكناية الوصفية في الأحاديث الجامع قوله صلى الله عليه وسلّم: "ليليني منكم أولو الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وإياكم وهيشات الأسواق[١٥]. وهذا الحديث توحى منه كناية عن أهمية عصر الصحابة من غيرها من العصور المتعاقبة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

ومن الكناية عن الصفة قوله صلى الله عليهوسلم: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلّم بيع الغرر وبيع الحصاة"[١٦]. قوله "بيع الغرر" كناية عن كل مالم يكن على حقيقته، وقوله"بيع الحصاة" كناية عن كل مالم يكن مفيدا، فالمشبه به في الوجهين الغرر والحصاة لكونهما على الصفتين المذكورتين. وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله"[١٧]. وقوله "لا يزال لسانك رطبا" كناية عن الإجابة.

ومن الكناية عن الصفة ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم في قوله: "إن من شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين"[١٨]. وقوله "ذا الوجهين" كناية عن صفة المنافق، واستعملت الوجه في هذه الصفة لكونه أشرف الأعضاء في تكوين الإنسان.

ومن الكناية الوصفية من أحاديث جامع الترمذي وصف مرأة زوجها في قولها: ومن نوعها "زوجي أن أكل لفّ, وإن شرب اشتف, وإن اضطجع إلتف, ولا يولج الكف ليعلم البث"[١٩]. فالصفات التي ذكرها المرأة عن زوجها، كناية عن صفة عفافه، ومروئته.

ومن الكناية التي جاءت عن الصفة ما في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أثبت في قوله" "لعن عبد الدينار، لعن عبد الدرهم"[٢٠]. قوله "عبد الدينار" و"عبد الدرهم" كنايتان لصفة محبّ الدنيا والمائل إليها.

ومن الكناية عن الصفة ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلّم عن تصفية أبي جهم في قوله: "أما أبوجهم لا يرفع عصاه عن النساء ..... ولكن انكحى أسامة"[٢١]. وقوله صلى الله عليه وسلّم: "لا يرفع عصاه كناية عن كون أبي جهم خارجيا بكثرة الجماع، ولذلك خبّر فاطمة بنت قيس بنكاحه، وفضّل نكاح أسامة على نكاح أبي جهم مع إظهار صفته لها.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وكذلك توجد الكناية عن الصفة في حديث جاء في نصه قوله صلى الله عليه وسلّم: "زوجي كليل وتهامة، لا حرّ ولا قرّ، ولا مخافة، ولا سامة"[٢٢]. تعنى هذه المرأة أن زوجها ضعيف لكنها يعيش بالهدوء ومع ذلك لا يشدّد فيها يرجى تشديد فيه ولا يغفل عما فيه طلب الحقوق عند إظهاره بل يثبّت منزلته ومكانته. وهذه كلها صفات العبد الممثل بإظهار الحق. وقد وقعت في نسوة إجمعن على إظهار الحق شمائل أزواجهن. وقولها في صفة زوجها "لا حرّ ولا قرّ" فتوسط بين الحرار والبرد كناية في دماثة الأخلاق ولطفها ورقّها في المعاملة والتصرفات.

وجاء نفس الكناية عن الصفة ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلّم: "يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان"[٢٣]. "فأحداث الأسنان" كناية عن صغر العمر، وهي كناية عن الصفة.

ب- الكناية عن موصوف:

وهي التي يكون المكني عنه فيها موصوفا بحيث يكون إما معنى واحد أو تعددا، ويشترط فيها أن تكون الصفة أو الصفات فيها مختصة بالموصوف ولا تتعداه لحاصل الانتقال منها.

ومن أمثلة ذلك من أحاديث الجامع قوله صلى الله عليه وسلّم: "إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول، ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا"[٢٤]. فالجملتان "شرقوا وغربّوا" كناية عن الموصوف للجهة التي تخالف موقف الكعبة، لا مجرد جهتي الشرق والمغرب لجميع أنحاء العالم.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلّم: "فإن يد العليا خير من اليد السفلى" وأبدأ بمن تعول[٢٥]. "فاليد العليا" كناية عن البذل، و"اليد السفلى" كناية عن الأخذ، إذن صاحب اليد العليا هو الذي يؤتى لغيره وعكسه هو صاحب اليد السفلى.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ومن الكناية عن موصوف قوله صلى الله عليه وسلّم: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث فذكر منها "صدقة جارية"[٢٦]. فوصف "الصدقة" بالجريان كناية عن الدوام، فالمشبه به هو اللفظة الجارية التي صارت الكناية بها موصوف.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلّم: "من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة"[٢٧]. قوله "من نفس" كناية عن الإزالة، فالمشبه به هي لفظة "نفس" المستعار هو "النفاس" ثم حول إلى نفس واستعملت كناية عن الإزالة لمعنى، من أزال كربة عن المؤمن في الدنيا أزال الله كربته في الأخرة.

وجاءت كناية عن الموصوف في قوله صلى الله عليه وسلّم: "يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاءت الموت بما فيه"[٢٨]. وقوله "الراجفة" و"الرادفة" كناية عن القيامة، الموصوفة بالأهوال والمشقات.

ومن الكناية عن الموصوف ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال: "إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها، وينصبي ما نصبها"[٢٩]. فلفظة "بضعة" كناية عن ولد الصلب أو بنت الصلب، والعلاقة المتينة التي خلق الله تبارك وتعالى في عباده. وكذلك جاءت كناية عن موصوف في قوله صلى الله عليه وسلّم: "بيت لا تمر فيه جياع أهله"[٣٠]. وقوله "جياع أهله" كناية عن انتزاع البركة الموصوفة في حالة من الأحوال مهما قلت لا كثرة.

وجاء في حديث آخر أنه: "من ترك المال فلورثته ومن ترك ضياعا فإليّ"[٣١]. قوله "ضياعا" كناية عن الفقر والألم الذَيْنِ إذا خلفهما الإنسان بعد موته فيرجع أموره جميعا إلى المسلمين، فالرسول صلى الله عليه وسلّم كونه سيدنا ونبينا أسند الأمر إليه بمنزلة جميع المسلمين في أسلوب الحديث.

وتوجد الكناية عن الموصوف في حديث رواه عكرمة ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"[٣٢]. "عمل قوم لوط" كناية عن إتيان الذكور لجنسهم. وفي

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

حديث "قام رسول الله صلى الله عليه وسلّم على المنبر فقال: "هاهنا أرض الفتن، وأشار إلى المشرق يعني، حيث يطلع قرن الشيطان"[٣٣]. فأرض الفتن" كناية عن أرض "نجد".

ومن الكناية عن الموصوف قوله صلى الله عليه وسلّم: "أكثروا ذكر هادم اللذات"[٣٤]. فهادم اللذات كناية عن الموت، فالكناية عن الموصوف التي هي الموت. ويقول صلى الله عليه وسلّم: "إن الوضوء لا يجب إلا على من نام مضطجعا، فإنه إذا اضطجع استرخت مفاصله"[٣٥]. فالتركيب "استرخت مفاصله" لا تعنى الاستراحة الحقيقية بل هي كناية عن الموصوف الذي يخرج من الاستراحة يعنى "الريح" الذي يوجب الوضوء.

ومن الكناية الموصوفة ما جاء في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلّم من حديث أبي هريرة حين سأله البراء أين تقصد؟ فأجاب بقوله: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى رجل تزوج امرءة أبيه أن آتيه برأسه"[٣٦]. فجملة "الإتيان برأسه" كناية عن الموصوف لقتل العامل للحرام.

ومن الكناية عن الموصوف ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلّم: "عن الرجل يقع على امراته وهي حائض، قال يتصدق بنصف دينار"[٣٧]. وقوله "يقع" فهذا كناية عن الجماع، فالكناية جاءت عن الموصوف الذي هو الرجل وصفة عمله.

ج- الكناية عن نسبة:

وهي تعنى الكناية التي يراد بها نسبة أمر لآخر إثباتا، أو نفيا فيكون المكني عنه نسبة أسندت إلى ماله اتصال به. ومن أمثلة ذلك في أحاديث الجامع قال صلى الله عليه وسلّم عندما سئل عن الالتفات في الصلاة فأجاب بقوله: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة الرجل"[٣٨]. فالاختلاس" كناية عن الالتفات الذي يوقعه الشيطان للإنسان في الصلاة، وعن ذلك كنى كناية نسبية.

ومن هذا النوع من الكناية جاء في قوله صلى الله عليه وسلّم: "إذا استيقظ أحدكم من الليل فلا يدخل يده في الإناء حتى يفرغ عليهم مرتين أو ثلاثا, فإنه لا يدري أين باتت يده"[٣٩]. قوله "فإنه لا يدرى أين باتت يده" نسبة للتنجس في

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

النوم بمسها غفلان. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم: "إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن"[٤٠]. فقوله "يا أهل القرآن" كناية عن المسلمين ورمز عنهم برمز من رموز دينهم الذي هو القرآن نسبة له.

ومن الكناية عن النسبة ما جاء في خبر "إذا حدّثت عن منصور فقد ملأت يدك من الخير لا ترد غيره"[٤١]. قوله "ملأت يدك" كناية عن نفسه كلّه.

وجاء هذا النوع من الكناية أنه صلى الله عليه وسلّم: "دفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم دينارا لأشتري له شأة, فاشتريت له شأتين, فبعت إحداهما بدينار وجئت بالشاة والدينار إلى النبي صلى الله عليه وسلّم, فذكر له ما كان من أمره, فقال له "بارك الله لك في صفقة يمينك"[٤٢]. قوله "بارك الله لك في صفقة يمينك" كناية عن النسبة وذلك لأن الصفقة له لكن نسبت إلى اليمين لأن الإنسان يأخذ الأموال ويبيع ويشترى باليمين.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلّم: "على اليد ما أخذت حتى تؤدي"[٤٣]. وقوله "على اليد" كناية عن الإنسان الذي هو المشبه, ولم يذكره بكماله, بل أوتى بجزء من أجزائه رمزا عنه, فصارت الكناية نسبية. ومنها قوله صلى الله عليه وسلّم: "إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف"[٤٤]. "ظلال السيوف" كناية عن الجهاد في سبيل الله الذي يرجى بسببه دخول الجنة.

ومن الكناية عن النسبة ما جاء في حديث الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلّم: "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة"[٤٥]. و"خرفة الجنة" كناية عن الفضل من الأجور التي تحصل عليها بسبب عناية بالمرضى في المجتمع الإسلامي.

وكذلك في الحديث الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلّم: "من استطاع منكم أن يقي وجهه حر النار ولو بشق ثمرة فليفعل"[٤٦]. "وقاية الوجه" كناية عن الصدقة، وهي نسبية لما يجب أن يقوم به المسلمون في حياتهم اليومية.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ومن الكناية على نفس الشاكلة قوله صلى الله عليه وسلّم عن رجل سئل فيه عن أعماله أنه: يصوم النهار ويقوم الليل لا يشهد جمعة ولا جماعة قال هو في النار"[٤٧]. فقوله "يصوم النهار" كناية عن النسبة صوم إلى وقت النهار، كما في قوله "يقوم الليل" إنما يقوم في آونة الليل ليس هو بنفسه، بل منسوب إليه، فالكنانيتان عن النسبتين "الليل والنهار".

وكناية النسبية في حديث آخر جاء فيه "إن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا"[٤٨]. فإن العقلين الاستقامة والإعوجاج" المنسبين إلى الأعضاء كناية عنهما، لأن الحقيقة لا تستقيم الأعضاء بنفسها ولا تتعوج، فإنما يقوم بذلك الإنسان الذي تلك الأعضاء فالكنية عن النسبة.

وجاء في حديث رواه أبو ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "إخوانكم جعلهم الله فتنة تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه فليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه"[٤٩]. فقوله في أسلوب الحديث عن النسبة "تحت اليد" والنسبة الملكية في الإضافة للإطعام واللباس والكلفة والتغلب كلها كناية عن النسبة، لأن الحقيقة تجرى جميع المذكورة من المقادر لله سبحانه وتعالى لا الإنسان، ولا الجمادات.

وكناية النسبية الأخرى في حديث جاء عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه: "كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلّم من ورق وكان فصه حبشيا"[٥٠]. فحقيقة النسب بين الخاتم والورقة من الصنعة، لا حقيقتها، وكذلك النسبة للجنس من الصنعة، فالنسبة إذا في الوجهين كنايتان لا حقيقة كما يدرك من اللطائف البلاغية الملحوظة من معنى الأسلوب.

وكذلك تدرك كناية نسبية في أسلوب الحديث الذي فيه مدح رسول الله صلى الله عليه وسلّم "للخلّ" في قوله: "نعم الإدام الخل"[٥١]. فنسبة المدح "للخلّط كناية عن فائدته، لا إلى الخلّ الحقيقي بل ما يفيد به الخلّ في حياة الإنسان ضروريا، فالكناية إذا عن النسبة للفائدة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وقال صلى الله عليه وسلّم حين سئل عن ميراث الرجل من أهل الشرك يسلم على يد رجل من المسلمين، فقال: "هو أولى النّاس بمحياه ومماته"[٥٢]. فإضافة "الموت" و"الحياة" للإنسان المخلوق كناية نسبية، لأن الحقيقة الحركتان المذكورتان من مقادير رب العالمين وملكيته وربوبيته وحده لا شريك له.

وجاء في حدديث كناية عن النسبة في قبائل ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلّم اشتقاقا في قوله: "أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله"[٥٣]. فإن الإسلام والغفران والعصيان التي وضعت بها القبائل المذكورة كناية عن النسبة، للحقيقة بل اشتقت عن ذلك بلاغيا.

وقال صلى الله عليه وسلّم في توجيهاته للعقلاء عما سيكون لهم سعادة في الحياة أنه: "من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنّة"[٥٤]. فإن "الشر" المذكور الذي يكون بين اللحيين أو الرجلين، كناية أسند إلى العضوين من الأعضاء بلاغيا، لا حقيقيا، لأن ما بين اللحية والرِّجل وهما "الفم والذكر أو الفرج" ليس لهما القيام بالصنيعة الموصوف، بل يقوم بها صاحب الأعضاء، لكن اسناد الفعل إلى العضو كناية تدرك من الأسلوب من أسرار البلاغة.

وهناك كناية أخرى عن النسبة في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول فيها أبو سعيد الخدري: "ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلّم بكبش أقرن فحيل، يأكل في سواد ويمشى في سواد، وينظر في سواد"[٥٥]. فإسناد "الأكل" و"الشرب" و"المشي" إلى السواد كناية عن النسبة، فما يراد توضيحه في الأسلوب أن في الكبشين المذكورين لون أسود من الرأس ورجلين فقط، فالكناية عن النسبة في اسناد الأعمال المذكورة إلى الكبش لا لون.

وعلى نفس الشاكلة ما في الحديث النبوي: "الخيل معقود عن نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[٥٦]. حيث نسبت صفة الخير للخيل، وأنه مصرح بها، ولكن لم ينسب لها مباشرة بل نسب إلى شيء متصل بها وهو النواصي، فالكناية عن النسبة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الخاتمة:

بحمد الله وقدرته ظهرتْ الصورة العابرة عن الكناية البلاغية وأنواعها وتحليلها لإخراج مغازيها تحت الظل اللغوي لتزويد المستفهمين عنها، لاعطائهم أفكارا شرعية عنها، وذلك ليدل على أنّ الأحاديث النبوية معتبرة بمنزلة موسوعة لغوية لمن اعتنى بها في ذلك المضمار. وقد يفهم القارئ لهذه المقالة كما تأصلت الكناية بأنها لم تكن إلا وسيلة لتأدية معان قيمة عبر اخفاء وإبراز مباهيم من أجلها يلفظ شيء ويراد به غيره إما عن طريقة وصفية أو موصوفة أو نسبة كما أظهرتها هذه المقالة. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الهوامش والمصادر:

١- المنجد في اللغة والأعلام, بيروت, ط٢٧، ص ٧٠١.

٢- الهاشمي, جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع, دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٩٠.

٣- عباس حسن, النحو الوافي, دار المعارف, القاهرة, ج١, ص ٣٠٨.

٤- السيوطي, شرح عقود الجمانو دار الفكر, ص ١٠١.

٥- الهاشمي, المرجع السابق والصفحة.

٦- السيوطي،المرجع السابق، ص ٢٩٧.

٧- الدكتور حسن شاذلي وغبره،البلاغة والنقد،وزارة المعارف،المملكة العربية السعودية ط/١٤٠٧،٧هـ/١٩٩٨م، ص ٦١.

٨- ألاوي .التصوير الفني البلاغي، ص ١١٧.

٩- علي جارم ومصطفي أمين،البلاغة الواضحة، ص ١٢٥.

١٠- سورة الأحزاب، الأية: ١٠.

١١- جامع الترمذي، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٣٤-١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م/٢، ١٢٠٨، ص/٤١١.

١٢- جامع الترمذي،٤١/١،ص/١١١.

١٣- جامع الترمذي،/٢٠٦،ص:٢٤٨.

١٤- جامع الترمذي،٢٢٤/١،ص:٢٦١.

١٥- جامع الترمذي،٢٢٨/١،ص:٢٦٥.

١٦- جامع الترمذي ١٢٣٤/٣،ص:١٤.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١٧- جامع الترمذي, ٥/ ٣٣٨٦, ص ٢٤٥.
١٨- جامع الترمذي ٢٠٣٢/٣،ص:٤١٣.
١٩- جامع الترمذي, ٥/ ٢٥٢, ص ٥٤٨.
٢٠- جامع الترمذي, ٢٣٨٣/٤، ص ١٦٦.
٢١- جامع الترمذي، ١١٣٧/٢، ص ٣٧١.
٢٢- جامع الترمذي، ٢٥٢/٥، ص ٥٤٨.
٢٣- جامع الترمذي، ٢١٩٥/٤، ص ٨٠.
٢٤- جامع الترمذي, ٨/١، ص ٨٨.
٢٥- جامع الترمذي ٦٨٠/٢،ص:١٥٣.
٢٦- جامع الترمذي١٣٨١/٣، ص ٨٨.
٢٧- جامع الترمذي ١٤٣٠/٣، ص ١١٦.
٢٨- جامع الترمذي, ٤/ ٢٤٦٥, ص ٢٠٧.
٢٩- جامع الترمذي, ٤/ ٣٨٩٠, ص٤٦٥.
٣٠- جامع الترمذي ١٨٢٢/٣،ص:٣١٩.
٣١- جامع الترمذي ٢٠٩٧/٤،ص:٢٧.
٣٢- جامع الترمذي, ١٤٦١/٣, ص ١٣٧.
٣٣- جامع الترمذي, ٢٢٧٥/٤، ص ١١٨.
٣٤- جامع الترمذ، ٢٣١٤/٤، ص ١٣٨.
٣٥- جامع الترمذي، ٧٧/١، ص ١٣٥.
٣٦- جامع الترمذي، ١٣٦٧/٣، ص ٧٨.
٣٧- جامع الترمذي، ١٢٥/١، ١٧٣.
٣٨- جامع الترمذي, ٢/ ٥٨٩, ص ١٠٢.
٣٩- جامع الترمذي, ١/ ٢٤, ص ١٠٠.
٤٠- جامع الترمذي, ٢/ ٤٥٢, ص ٤.
٤١- جامع الترمذي, ٣/ ١٢٦٠, ص ٢٩.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٤٢- جامع الترمذي, ٣/ ١٢٦٢, ص ٣٠.

٤٣- جامع الترمذي, ٣/ ١٢٧٠, ص ٣٤.

٤٤- جامع الترمذي, ٣/ ١٦٦٥, ص ٢٤٩.

٤٥- جامع الترمذي, ٢/ ٩٦٩, ص ٢٨٩.

٤٦- جامع الترمذي, ٤/ ٢٤٢٣, ص ١٨٧.

٤٧- جامع الترمذي, ١/ ٢١٨, ص ٢٥٧.

٤٨- جامع الترمذي, ٤/ ٢٤١٥, ص ١٨٣.

٤٩- جامع الترمذي, ٣/ ١٩٥٢, ص ٣٨٠.

٥٠- جامع الترمذي٣/ ١٧٤٥،ص:٢٨٧.

٥١- جامع الترمذي ٣/ ١٨٤٦،ص/٣٣١.

٥٢- جامع الترمذي, ٤/ ٢١١٩, ص ٣٨.

٥٣- جامع الترمذي, ٥/ ٣٩٦٧, ص ٤٩٢.

٥٤- جامع الترمذي, ٤/ ٢٤١٧, ص ١٨٤.

٥٥- جامع الترمذي, ٣/ ١٥٠١, ص ١٦٤.

٥٦- صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، (١٨٧١)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أساليب القصر في كتاب العلم من صحيح البخاري: دراسة بلاغية

إعداد:

الدكتور يحيى غوني يهوذا طن زرغا

قسم اللغة العربية كلية الآداب والدراسات الإسلامية

جامعة بايرو – كنو، نيجيريا

ملخص البحث:

أساليب القصر من الأساليب الغنية بالاعتبارات الدقيقة والملاحظات العديدة، فهو فن دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار، وتوجد هذه الأساليب في الأحاديث النبوية في كتاب العلم من صحيح البخاري. وتبدو أهمية دراستها في تناولها في الأحاديث النبوية من خلال هذا الكتاب الذي له مكانة عند المسلمين. وتهدف إلى إبراز هذه الأساليب ودلالتها، ودورها في إبراز المعنى. وحدود هذه الدراسة كتاب العلم في صحيح البخاري حيث يتناول الباحث أنواع القصر المشهورة عند البلاغيين فيه. ويتبع المنهج الوصفي عند إجراء الدراسة. وتتمثل إشكاليتها في التساؤلات الآتية: ما دور أساليب القصر في إبراز المعنى؟ ما دلالتها في الأحاديث؟ هل ورد جميع أنواعها المشهورة في الأحاديث؟

ويحتوي المقال على النقاط التالية: مقدمة، نبذة مختصرة عن الإمام البخاري وصحيحه، مفهوم القصر، تطبيق أساليب القصر في الكتاب، الخاتمة، ثبت الهوامش والمراجع.

Abstract

ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365 "مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م

Artistic confinement (Qasr) is considered as one of the rich and deep literary approaches in the field of Rhetoric. It is a literary component that has broad features; elegant effect; magnificent value; abundant benefits; and copious logics. Interestingly, these forms are stashed in many Ahadith of the Prophet (SAW) and most especially in the Book of Ilm of Sahih al-Bukhari. This entails the imperative of analytically studying the stylistic forms with a particular reflection from the Ahadith in which they appear in Sahih al-Bukhari, which is unarguably, an important document that occupies an esteemed position in the Muslim world. The present study aims at highlighting and throwing light on the stylistic forms of Qasr as contained in the Book of Ilm of Sahih al-Bukhari. It points out the connotative significance of Qasr and the role it plays in determining the semantic

direction of expressions. Drawing on the selected Ahadith in Sahih al-Bukhari, and following a descriptive method, the essay expatiates the popular forms of Qasr as expounded by the specialists in Rhetoric. The specific questions that will be answered by this study include; what is the role of stylistic forms of Qasr in determining semantic direction? What are their connotations in Ahadith? Have Ahadith encompassed all the popular forms?

The article is divided into the following segments: -

- Introduction
- The Concept of Qasr
- Brief Biography of Imam Bukhari and an Overview of His Sahih
- Extracting the Forms of Qasr in the Book
- Conclusion
- Endnotes and References

نبذة مختصرة عن الإمام البخاري وصحيحه:

البخاري:

أما البخاري فهو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعفي، أمير المؤمنين في الحديث، ولد في مدينة بخارى سنة ١٩٤هـ، ونشأ يتيماً في حجر والدته، ألهمه الله حفظ الحديث وهو ابن عشر سنين أو أقل، ورحل في ذلك إلى الحجاز والشام ومصر والبصرة والكوفة وبغداد، وقد كُتب عنه الحديث وهو دون العشرين، وقال إنه كتب عن ألف شيخ من العلماء وزيادة. وأما عن تلاميذه فهم أكثر من أن يحصروا،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وذكر الفربري أن عدد من سمع كتاب الصحيح من البخاري بلغ تسعين ألفاً، وقد كان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفاً يأخذون عنه، وله من المصنفات –غير (الصحيح)-: كتاب الأدب المفرد، والتاريخ الكبير، والأوسط، والصغير، والقراءة خلف الإمام، وخلق أفعال العباد، والضعفاء، والعلل، وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٢٥٦هـ.[١]

صحيح البخاري:

وأما صحيحه هو: (الجامع المسند الصحيح المختصر من سنن رسول الله وأيامه)، فهو أول ما صُنف في الصحيح المجرد، وقال عن نفسه: "صنفت الجامع من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة وجعلته حجة بيني وبين الله".[٢]

بلغت أحاديث صحيحه المسندة (٧٢٧٥) بالأحاديث المكررة، وبحذف المكرر نحو أربعة الآف. قال رحمه الله: "ما أدخلت في كتاب الجامع إلاّ ما صح وتركت من الصحاح لحال الطول".[٣]

وقال النووي: "اتفق العلماء رحمهم الله على أنّ أصحّ الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم ، وتلقتهما الأمة بالقبول ، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة".[٤]

مفهوم القصر:

القصر لغة: "قصر الشيء: حبسه. يقال: قصر نفسه على كذا: حبسها عليه وألزمها إياه".[٥] والقصر يعني الحبس.

واصطلاحا: هو "تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص".[٦] أو هو "إثبات الحكم لما يذْكر في الكلام ونفيه عما عداه بإحدى طرقه".[٧]

طريق القصر:

طرق القصر المشهورة عند البلاغيين ستة، وهي:

١- النفي والاستثناء، نحو: ما زيد إلا شاعر.[٨]

٢- العطف بلا وبل ولكن، نحو: زيد كريم لا عمرو، وليس حاتم بخيل بل جواد، ولم ينصحني عمرو ولكن صديقه.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٣- إنما، ودلالة "إنما" على القصر دلالة وضعية، وعلى الرغم من ذلك لم يفت البلاغيون أن يتحدثوا عن وجه دلالتها على القصر، وذكروا أنها تدل على القصر لتضمنها معنى "ما و إلا" نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾، وذكر المفسرون أن المعنى: ماحرم عليكم إلا الميتة.

٤- تقديم ما حقه التأخير، نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

٥- ضمير الفصل، وهو أن يعقب المسند إليه بضمير الفصل لتخصيصه بالمسند، بمعنى جعل المسند مقصورا على المسند إليه، نحو: زهير هو الشاعر.

٦- تعريف المسند أو المسند إليه "بأل" الجنسية إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين فالراجح أن السابق منهما هو المبتدأ واللاحق هو الخبر، نحو: محمد الشجاع، فتخبر عن محمد بالشجاعة، وتقول: الشجاع محمد، فتخبر عن الشجاعة بمحمد. وعندما يكون أحد طرفي الإسناد معرفا "بأل" التي للجنس فإن هذا التعريف يدل على القصر.[١١]

القصر باعتبار طرفيه:

ينقسم القصر باعتبار طرفيه إلى نوعين:

١- قصر صفة على موصوف، نحو: لا رازق إلا الله، ولا زعيم إلا سعد.

٢- قصر موصوف على الصفة، نحو: وما الله إلا خالق كل شيء، و﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾.[١٢]

تطبيق أساليب القصر في الكتاب:

فالباحث عند التطبيق يأتي بالحديث الذي ورد فيه أسلوب القصر في الكتاب فقط ثم يستخرج الأسلوب ويحلل. أما الأحاديث التي لم يرد فيها الأسلوب لم يأت بها.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الحديث: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَبُو الْحَسَنِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ فَقُلْتُ لِقَتَادَةَ مَنْ قَالَ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أَنَسٌ".[١٣]

الشاهد: يوجد قصر واحد في الحديث:

١- إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا" وهو القصر بالنفي والاستثناء، قصر قراءتهم لما هو مكتوب على ختمه وإذا لم يكن المكتوب مختوما لا يقرؤونه، والمقصور هي قراءة الكتاب والمقصور عليه ختمه، وهو قصر الموصوف على الصفة.

الحديث: " حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ".[١٤]

الشاهد: يوجد قصر واحد:

١- "إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ" أي أنا الذي أقوم بتقسيم الغنيمة دون غيري، فهنا أنا هو المقصور وقاسم مقصور عليه، وهو قصر الموصوف على الصفة.

الحديث: " حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"[١٥]

الشاهد: " يوجد شاهد واحد:

١- لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ" وهو القصر بالنفي والاستثناء، قصر الحسد المجاز على رجلين دون سواهما، والمقصور هو الحسد والمقصور عليه اثنين، وهو قصر الصفة على الموصوف.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الحديث: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ".[١٦]

الشاهد: يوجد شاهد واحد:

١- " إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ" خصص عدم تمسك الماء لمثل هذه الأرض والتي لم تكن مثلها تمسكه، فهنا لفظ "هي" هو المقصور وقيعان مقصور عليه، وهو قصر الموصوف على الصفة.

الحديث: " حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ فَقَالَ اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ قَالَ ارْمِ وَلَا حَرَجَ فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ افْعَلْ وَلَا حَرَجَ".[١٧]

الشاهد: يوجد واجد:

١- "فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ افْعَلْ وَلَا حَرَجَ" أي فما سمعته سئل يومئذ عن أمر مما ينسى المرء أو يجهل من تقديم بعض الأمور على بعض أو أشباهها إلا قال: افعلوا ذلك ولا حرج، وهو القصر بالنفي والاستثناء، قصر إجابة السؤال على النبي صلى الله عليه وسلم، والمقصور هو إجابة السؤال والمقصور عليه الرسول ، وهو قصر الصفة على الموصوف.

الحديث: " حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ فَاطِمَةَ عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ "أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ مَا شَأْنُ النَّاسِ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ فَقَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ قُلْتُ آيَةٌ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَيْ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

نَعَمْ فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلاَنِي الْغَشْيُ فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ "مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلاَّ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ" قَالَتْ أَسْمَاءُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ يُقَالُ مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُوقِنُ لاَ أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلاَثًا فَيُقَالُ نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ لاَ أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ".[١٨]

الشاهد: يوجد قصران:

١- "حَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" فهو تقديم ما حقه التأخير، قصر حمد النبي صلى الله عليه وسلم على الله وحده، والمقصور حمد النبي والمقصور عليه الله، وهو قصر الصفة على الموصوف.

٢- "مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلاَّ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ" وهو القصر بالنفي والاستثناء، قصر رؤية الأشياء على القرب وليس عن بعد، والمقصور هي الرؤيا المنفية التي لم تقع من قبل والمقصور عليه الرؤية الواقعة في مقامه عليه السلام، وهو قصر الصفة على الموصوف.

الحديث: " حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قَالَ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلَانٌ فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمْ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ".[١٩]

الشاهد: يوجد شاهد واحد:

١- "فَإِنَّ فِيهِمْ الْمَرِيضَ" فهو تقديم ما حقه التأخير، حيث قدم خبر "إن" على اسمها، قصر المرض عليهم، والقصر المريض والمقصور عليه فيهم، وهو قصر الصفة على الموصوف.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الحديث: " حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ الْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ ذَكْوَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَتْ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنْ النَّارِ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ وَاثْنَتَيْنِ فَقَالَ وَاثْنَتَيْنِ".[٢٠]

الشاهد: يوجد قصران:

١- غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ" هنا تقديم ما حقه التأخير، قدم كلمة عليك على الرجال، فهنا يقصدن أن معظم أوقات الرسول أخذه الرجال يعنى هم يستفيدونه في الفتوى وغيرها، قصرن استفادة أوقات النبي على الرجال، والمقصور الرجال والمقصور عليه عليك، وهو قصر الصفة على الموصوف.

٢- " مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنْ النَّارِ" وهنا القصر بالنفي والاستثناء،وهنا يذكر أن كل امرأة استطاعت أن تربي ثلاثة من ولدها تدخلين الجنة، قصر الاستطاعة على دخول الجنة، والمقصور تقديم ثلاثة من ولد المرأة بأن يموتوا قبلها والمقصور عليه الحجب من النار، وهو قصر الموصوف على الصفة.

الحديث: " حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ أَخْبَرَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَتْ فَقَالَ إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ".[٢٢]

الشاهد: يوجد قصر واحد:

١- "إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ" أي تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة، قصر الحساب على العرض فقط دون نقاشه، والمقصور ذلك والمقصور عليه العرض، وهو قصر الموصوف على الصفة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الحديث: " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدٌ هُوَ ابْنُ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ مَا قَالَ عَمْرٌو قَالَ أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ لَا يُعِيذُ عَاصِيًا وَلَا فَارًّا بِدَمٍ وَلَا فَارًّا بِخَرْبَةٍ"[٢٣]

الشاهد: يوجد قصر واحد:

١- "إِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ"، وهذا جواب لمن قاتل في الحرم لفعل الرسول، وهو القصر ب"إنما" أي لا أحد أذن له القتال في الحرم إلا أنا في ساعة من نهار، والمقصور أذن والمقصور عليه لي، وهو قصر الصفة على الموصوف.

الحديث: " حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ قَالَ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ أَوْ الْفِيلَ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ كَذَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ وَاجْعَلُوهُ عَلَى الشَّكِّ الْفِيلَ أَوْ الْقَتْلَ وَغَيْرُهُ يَقُولُ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي أَلَا وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ أَلَا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ لَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ فَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِأَبِي فُلَانٍ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا الْإِذْخِرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْإِذْخِرَ إِلَّا الْإِذْخِرَ"[٢٤]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الشاهد: يوجد قصر واحد:

١- "وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ" وهنا القصر بالنفي والاستثناء، أي لا يجوز أخذ الساقطة في مكة إلا لتعريفها فترجعها إليه، قصر أخذها على الذي يعرف صاحبها فقط، ولفظ تلتقط صفة مقصورة على لفظ منشد وهو موصوف لذا هو قصر الصفة على الموصوف.

الحديث: " حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قَالَ ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ قَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ قَالَ قُومُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كِتَابِهِ".[٢٥]

الشاهد: يوجد قصر واحد:

١- "لَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ" هنا تقديم ما حقه التأخير، قدم كلمة عندي على التنازع، أي ممنوع أن تتنازع أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، قصر عدم التنازع عنده عليه السلام لا عند غيره، والمقصور التنازع والمقصور عليه عندي، وهو قصر الصفة على الموصوف.

الحديث: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَإِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَحَمَلَا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنْ الْمِكْتَلِ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وَكَانَ لِمُوسَى

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وَفَتَاهُ عَجَبًا فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَا ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنْ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ قَالَ مُوسَى﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ فَسَلَّمَ مُوسَى فَقَالَ الْخَضِرُ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ فَقَالَ أَنَا مُوسَى فَقَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ قَالَ ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا﴾ قَالَ ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَعُرِفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ فَقَالَ مُوسَى قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا فَانْطَلَقَا فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ مُوسَى أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَهَذَا أَوْكَدُ ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا"[٣٧]

الشاهد: يوجد قصر واحد:

١- "يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ" أي لم ينقص علمي وعلمك من علم الله شيء كما لم ينقص نقرة هذا العصفور من البحر شيئا، والمقصور عدم نقص علمي وعلمك من علم الله والمقصور عليه نقرة هذا العصفور، وهو قصر الموصوف على الصفة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الحديث: " حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ فِيهِ الْوُضُوءُ".[٣٨]

الشاهد: يوجد قصر واحد:

١- "فِيهِ الْوُضُوءُ" وهنا أيضا تقديم ما حقه التأخير قدم كلمة فيه على الوضوء، والمقصور الوضوء والمقصور عليه فيه، وهو قصر الصفة على الموصوف.

الخاتمة:

بحمد الله ونعمته توصل الباحث إلى نهاية كتابة هذا المقال حيث تناول موضوع "أساليب القصر في كتاب العلم من صحيح البخاري" فبدأ بالمقدمة وذكر أهمية الأساليب فيها وكيفية إجراء المقال ثم أتى بمفهوم القصر ليعرف القارئ معناه قبل قراءة التطبيق وذكر نبذة مختصرة عن صاحب الصحيح والصحيح نفسه ثم قام باستخراج الشواهد من الأحاديث المدروسة.

قد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١- وجد ستة عشر من أساليب القصر في الأحاديث المدروسة.

٢- وجد ثلاث طرق من طرق القصر الستة، وهي: النفي والاستثناء، و"إنما"، والتقديم، أما بقية الطرق الثلاثة فلم ترد في الأحاديث، وهي: العطف بلا وبل ولكن، وتوسيط ضمير الفصل، وتعريف أحد ركني الإسناد بأل.

٣- وجد القصر بإنما أربع مرات، وبالنفي والاستثناء سبع مرات، وبالتقديم خمس مرات.

قائمة الهوامش والمراجع:

---

[١] - المكتبة الشاملة، الكتاب: **أرشيف ملتقى أهل الحديث** – ٣، تم تحميله : في ٧ رمضان ١٤٢٩ هـ = ٧ سبتمبر ٢٠٠٨ م.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٢] - ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **فتح الباري**، ت/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر، ٤٨٩/١.

[٣] - ابن فودي، عبد الله، **منظومة مصباح الراوي في علم الحديث**، ت/ محمد المنصور إبراهيم، الطبعة الثانية، دار العلم للطباعة والنشر- ٤٤ شارع أحمد رفاعي، مدينة سكتو، نيجيريا، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص:٥١.

[٤] - المكتبة الشاملة، المرجع السابق.

[٥] - إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، الطبعة الثانية، مادة: ق ص ر، ص:٧٧٣.

[٦] - علي الجارم ومصطفى أمين، **البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع**، الطبعة الأولى، دار الفكر- بيروت- لبنان، ١٤٢٦- ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، ص: ١٨١.

[٧] - الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص: ١١٥.

[٨] - الدمشقي، أبو عبد الله بدر الدين (الإمام)، **المصباح في المعاني والبيان والبديع**، ت/ عبد الحميد الهنداوي (الدكتور)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص: ١٥٥.

[٩] - سورة النحل، الأية: ١١٥.

[١٠] - سورة الفاتحة، الأية: ٥.

[١١] - ينظر: بسيوني عبد الفتاح (الدكتور)، **علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني**، الطبعة الثانية، مؤسسة المختار، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ص: ٢٤٤ – ٢٦٣.

[١٢] - سورة آل عمران، الأية: ١٤٤.

[١٣] - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، المرجع السابق، ص: ٦٩.

[١٤] - المرجع نفسه، ص: ٧٥.

[١٥] المرجع نفسه، ص: ٥٠.

[١٦] المرجع نفسه، ص: ٨٣.

[١٧] المرجع نفسه، ص: ٨٧.

[١٨] المرجع نفسه، ص: ١٨٢.

[١٩] المرجع نفسه، ص: ٩٤.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٢٠] المرجع نفسه، ص: ١٠٥.

[٢١] سورة الانشقاق، الأية:٨.

[٢٢] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، المرجع السابق، ص: ١٠٧.

[٢٣] المرجع نفسه، ص: ١٠٨.

[٢٤] المرجع نفسه، ص: ١١٧.

[٢٥] المرجع نفسه، ص: ١١٨

[٢٦] سورة الكهف، الأية: ٦١.

[٢٧] سورة الكهف، الأية: ٦٢.

[٢٨] سورة الكهف، الأية: ٧٣.

[٢٩] سورة الكهف، الأية: ٦٤.

[٣٠] سورة الكهف، الأية: ٦٦.

[٣١] سورة الكهف، الأية: ٦٧.

[٣٢] سورة الكهف، الأية: ٦٩.

[٣٣] سورة الكهف، الأية: ٧٢-٧٣.

[٣٤] سورة الكهف، الأية: ٧٢.

[٣٥] سورة الكهف، الأية: ٧٧.

[٣٦] سورة الكهف، الأية: ٧٧-٧٨.

[٣٧] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، المرجع السابق، ص: ١٢٦.

[٣٨] المرجع نفسه، ص: ١٣٧.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م
ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الهُوِيَّةُ العربيَّةُ الإسلاميَّةُ بين الاندِفاع والتقَهْقُر في بلاد الهَوْسَا

إعداد:

Makiyu Abubakar Dan yaya
Department of Islamic studies Sule Lamido University Kafin Hausa,
Jigawa state Nigeria.
&
Flight lieutenant Ibrahim Umar Muhammad, Ph.D
Chief Imam of the Nigerian Air force, Kainji, Niger State, Nigeria

الملخَّص

يحرِص هذا المقَال على وصف ما ينتَاب الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد الهَوْسَا من الأحوال المتقلّبة، وذلك طمعا للوصول إلى مَدَى قدرة اندماج حملة هذه الهُوِيَّة وتفاعلهم الإيجابي المثمِر وسِوَاه في خوض معارك الحياة، لأنَّ الشائِع على الألسُن، -ويكاد يصبح يقينا- أنَّ فُرَص حملة هذه الهُوِيَّة في السلك الإداري والاجتماعي محدودة قَبِعَة، وقد نَوَى المقالُ تتبّعَ تلك الأحوال بُغيَةَ إظهار الحقائق وِفقًا للواقع المعاش. ولأجل تحقيق أهداف المقال اتخذ الباحثان المنهجَ الوصفي التحليلي عصا يتَّكئان عليه كي يتوصلا إلى نتائج مُرضِيَة طِبقًا لقواعد البحث العلمي المعاصِر، وقسما كذلك المقال إلى ثلاثة محاوِر، وتحدَّثا في المحْوَر الأوَّل عن ماهية الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة، وفي الثاني قدَّم لوحَة تعريفيَّة عن بلاد الهَوْسَا، فعرَجا في الثالث لذكر مراحل الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد الهَوْسَا، ثم اختتما بالنتائج والتوصيات.

ABSTRACT

The paper describing the Arabic and Islamic identity in hausa land and its dynamic stages, in order to identify the coalition agent and its positive interactions in life. Because it was spread in our mentality that those whom specialized in Arabic and Islamic studies has no role to play in most of management and

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

administrative field. The aim of this paper is to discuss and find the fact accordingly, to achieve that the with considering of modern research method. The paper is divided into researches follow the analysis method three chapters, first chapter will focus on the definition of Arabic and Islamic identity, the second chapter contain the historical biography of hausa land, while the last chapter will talk about the stages of the Arabic and Islamic identity in hausa land, followed by conclusion.

المقدِّمة:

إنَّ الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، أما بعد.

فالحديثُ عن الهُوِيَّة حديثٌ عن الذَّات، إذ هي الصورة الحقيقيَّة للإنسان والبصْمَة الأصِيلَة له، بحيث لا يستطيع الانتِزَاع عنها، لأنَّ الِانتزاع عنها مَدعَاة لانزواء شخصيَّته وعقيدته ومستقبَله بالكامِل. وهي من القضايا التي تكثر الأَلْسُن مُلَاكَاتها في هذه الآوِنَة التي كثر فيها الأيديولوجيات المتناقضة التي تؤدِّي إلى انسِلَاخ العديد من الهُوِيَّات. فلذا اهتمَّ الدارسون لشأنها لإثبَات الذَّات والكيْنُونَة الثقَافيَّة، والانتِمَاءات الأصِيلَة كي لا تطيشَ أزياءُ الأمَم وصفاتها الحقيقيَّة تحت سَيْطَرة الأفكار المُراوِغة الفارِغة.

وإذا كانت البحوث تتَّجِه صَوْبَ الاحتِفَاظ على الهُوِيَّات، فحَرِيٌّ بالفرد المسلم أن يعتني بهُوِّيته العربيَّة الإسلاميَّة، ويعطيها حصَانة قويَّة ومتِينَة، لكونها سِرُّ وجودِه على سَطْح هذا الكَون. تُعَدّ بلاد الهَوْسَا إحدى البلدان التي مثَّلَتْ الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة دَوْرًا فعَّالا في تكوينها عقليًّا وحضاريًّا، حتى أصبحَتْ رمزها اللامئ وزيلها الذي لا تنفَكّ عنه، وصار لحَمَلَة ثقافتها القول والفصل في جميع الاتجاهات الوطنيَّة والدوليَّة، إلا أنه بوطئة الاستعمار الغربي أراضي هذه البلاد بدأت حِدَّة هذه الهُوِيَّة تنْثَنِي لعامل الصرَاع بين الهُوِيَّتَين. فلذا، أتَتْ هذه الورقة لمتابعة سَيْرها للكَشف عن دواعي الاندِفاع والتَرَاجُع، وفَرْزِ المعَانَات التي يُعاني منها حَمَلَتُها، وقدرتهم على مُجَاوَبَة الواقِع، عَلَّ ذلك يكون سِرَاجًا يُستَضَاء به لتَكَهُّن ما يقابلها وحملتَها المؤَقَّرين.

المحوَر الأول: مفهوم الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أ- التعريف بالهويَّة لغة واصطلاحا:

يطلق لفظ "الهُوِيَّة" في اللغة العربيَّة ويراد به حقيقة الشيء، أو الشخص التي تميّزه عن غيره، وبطاقة فيها اسْم الشخص وجنسيَّته، ومولِده، وعمَله، وتُسمَّى أيضا البطاقة الشخصيَّة[١] وعند النظر إلى الإطلاق اللغوي لهذه اللفظة يُدرَك مَدَى الانسجام بين معناها اللغوي والاصطلاحي، إذ هي: "مجموعةٌ من المُميّزات التي يمتلّكها الأفراد، وتُساهمُ في جعلهم يُحقّقون صفة التفرّد عن غيرهم، وقد تكون هذه المُميّزات مُشتركة بين جماعةٍ من النّاس سواءً ضمن المجتمع، أو الدّولة". وبعبارة أخرى هي: "كلُ شيءٍ مُشترك بين أفراد مَجموعةٍ مُحدّدة، أو شريحة اجتماعيّة تُساهمُ في بناءِ مُحيطٍ عامٍ لدولةٍ ما، ويتمُّ التّعاملُ مع أولئك الأفراد وفقاً للهويّة الخاصّة بهم"[٢] أو هي: "تعريف الإنسان نفسه فكرا وثقافة وأسلوب حياة"[٣] من خلال هذا العرض الوجيز يتَبَيَّن أنَّ الهُوِيَّة بمعناها العام هي شخص الإنسان، إذ بها يعيش، وبها يتمَيَّز عن غيره، ويعتز بانتمائه إليها، فهنا يُتساءل إذا كانت الهويَّة بهذه المثابة، فما هي الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة إذن؟ .لم يعثر الباحثان على تعريف جامع مانع يصلُح قيده وتقْييده للهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة - على قِصَر اطلاعهما-، فلذا، يمكن وضع تعريف لهذا المصطلح ويقال مثلا الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة عبارة عن مجموعة من المميّزات ذات طابِع التفرُّد يمتلكها الأفراد المسلمون فكريًا وثقافيًا بُغيَة إعلاء الإسلام ولغته العربيَّة على وجه الكُرَة الأرضيَّة.

ب- مُكوّنات الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة.

الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة كغيرها من الهُوِيَّات والثقافات لا بد لها من مُكَوِّن اعتِبَاري يحقِّق لها الأهداف التي ترنو إليه، ومن هذه المُكَوِّنَات ما يأتي:

أ- **التمَيُّز:** قبل أن تُفرِض أيَّة هُوِيَّة نفسَها على مَسْرَح الحياة لا بدَّ وأن تكون مُتميّزة عن غيرها، لأنَّ بذلك يكون لدَيها سِمَاتها الخاصة، والهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة نسيجة أخواتها من الهُوِيَّات، لها خاصيَّتها التي تميّزها عن غيرها، لأنها هُوِيَّة مبنِيَّة على الشعور الدافع والدفين لإثبات الجانب الروحي والمادِي في جميع تنظيمَاتها في الكَوْن وِفْقًا لقول المالِك الديَّان، " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

في الأرض"، وهي هُوِيَّة إنسانيَّة، والحريَّة، والعدل، والسمَاح، والأخلَاق الطيِّبة، على أن تكون اللغة العربيَّة والتعاليم الإسلاميَّة هي رمزُها الحقيقي لفهم الدين الإسلامي الأصيل.

ب- **المطابقة**: عندما اتصَفَت الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة بالتميُّز المنفَرِد عن غيرها، هذا يعني أنه يتعين عليها أن تتطابق في تنظيماتها بالأصول الإسلاميَّة والعربيَّة التي كَوَّنَت وجودَها، ونَفَخَت في روعها روحًا معنويَّة متميِّزة، إذ من لَوَازِم هذه الهُوِيَّة أن تطَابِق وتُطَبِّق التعليم الإسلامي في جميع اتجاهاتها، لأنَّ الإسلام هو بَصْمَتُها الحقيقيَّة، ويجب أن يتقدَّم على غيره من جميع الأيدِيُولُوجِيَّات المتناقِضَة.

ت- **الثبات**: الثبات ركنٌ أساسيٌ في تكوين الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة، إذ تميُّزها عن غيرها، وتطابُقُها مع تعاليم أصولها، لا يعطيَانها صِفَة الدوام مالم تتَّصِف بالثبَات على القوائِم والعناصِر التي أوجدَتها من العَدم، فلذا، لا بدّ من الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة أن تتزيَّن بزينَة التقاليد الإسلاميَّة، وتشُدّ بها في كلّ لفتَة، وأما إذا تخَلَّت عن الثبَات والاستِقْرَار فإنها سوف تخسِر أصولها الحقيقيَّة التي اختَلَقَتْها.

ث- **الاعتزاز**: إذا تميَّزَت الهُوِيَّة، وتطابَقَت مع أصولها المُكَوِّنَة، وحصَلَت على قُوَّة ثابتَة، يَنتِج إثْرَ ذلك الاعتِزَاز القوِّي من قبل المنتَمِين إليها المنتسِبِين لها، لأنَّها ستُوفِّر لديهم حصَانة قَوِيَّة كي يعيشوا في أَمَن وأمَان، لذا، تراهم يستَمِيتون للدِفاع عنها بكل ما امتَلَكُوا من قُوَّة، لأنَّها هي ذاتُهم، وبدونها لا يكون لديهم أيّ وَزْنٍ وقِيمَة.

هذه هي المكوِّنَات الأربعة للهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة، إذا فُقِد أحد هذه المكوِّنات فإن صَرْحَها مُنقَض لا مَحَالة، ومن ثمَّ تتراجع عن الحضور في مَصَفّ الحياة، فتعكس صورتها التراجعيَّة على منتَمِيها فيشعرون بالنقص والدونيَّة حينا، والندامة القَلِقَة في أحايين أخرَى، ومن هنا يصبح حملتُها في صِرَاعٍ مَرِيرٍ مأدَّاه الانسِلَاخ منها والالتِجَاء إلى هُوِيَّة أخرى تناسِب المحلّ والمقَام.

ت- مقوِّمَات الحِفَاظ عن الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

إذا أريد رفع قدر الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة بعد تكوينها فإنَّه يجب على منتَسِبِيها الحِفَاظ على المقَوِّمَات الآتيَة:

أ- **حفظ اللغة العربيَّة التي أنزل بها القرآن الكريم:** من أكبر مقوِّمات الحِفَاظ على الهُويَّة العربيَّة الإسلاميَّة جَدْوَى وفائدة حفظ اللغة العربيَّة، لأنَّها هي لغة الثقافة الإسلاميَّة، بها نزل القرآن الكريم، بحيث تُعطَى مكانة واسعة في النظام التربوِي، كي تصبح هي لغة التعليم والثقافة في جميع المستَوَيَات والمراحِل التعليميَّة، وتصييرها كذلك لغة التخاطب بين جميع الشعب، كي يتمكَّنُوا قَبول كلّ التعليمَات الواردة من وَحْيِ هذه الهويَّة، ومن ثم وضعها لغة للتأليف الخاص والعام، بحيث يشعر جميع المنتَمِين أنَّ هذه اللغة لغة حيَّة تجاوب كل العصور والتقدُّم العِلمي.

ب- **حفظ المصادر الإسلاميَّة الأصيلة،** يُعَدّ حفظ المصادر الإسلاميَّة الأصيلة إحدى الوسائل التي تؤدي إلى حفظ مكانة الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة، خصوصا إذا اعتُبِر كيفية حفظها في العصر الأول لرسالة الإسلام، وذلك عن طريق تطبيق مضامين هذه المصادر، وتقديم شروح شافية وغنيَّة كي تصبح جزءا لا يتجزأ عن ذات المنتمين إليها، إلى حدّ تظَلّ تعليمات هذه المصادر هي المتَصَدِّرة في النظام الاقتصادي، والقضائي، والإداري.

بناء على ذلك، سوف يتتبع الباحثان مسيرة الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد الهوسا كي يرى مدى قدرتها على تحقيق الأهداف والغايات التي يرجى تحققها في بُقَع شاءت الأقدار أن تطأ عليها أقدامها.

المحوَر الثاني: لوحة تعريفيَّة عن بلاد الهَوْسَا.

قد يحتار القارئ عندما يقرأ مصادر تاريخية عن الموقع الجغرافي التقليدي الأصيل لقبيلة هوسا، لِتَشَتُّتِ أهالي هذه القبيلة في أماكن متعددة في القارة السمراء، إلا أن بعض المؤرخين حددوه بأنه يتمثل في الشمال الغربي لنيجيريا Nigeria، وجنوب النيجر Niger [٤]، وتمتد مساحته من جبل الهواء في النيجر إلى جوس بولاية بلاتو Jos plateau في وسط نيجيريا، ومن بحيرة تشاد Chad، مُرورا بامبراطورية السنغاي Songhai Empire القديمة[٥] على وادي نهر النيجر[٦] والأماكن الواقعة بين هذه الحدود هي ما اصطلح عليها المؤرِّخون ببلاد الهوسا Hausa . وهي أرض واسعة ممتدة، صالحة للزراعة طولا وعرضا، لم تكن تعاني من المشكلات البيئية، من الفيضانات، والزلازل،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

والبراكن الثائرة، والغابات الكثيفة، والوديان الوعرة، لذلك سهل التعامل معها.[٧] وقد شملت هذه المساحة الممالك السبع التي اعتاد المؤرخون تسميتها بـ قبائل هوسا الأصيلة، Hausa Bakwai، وهي؛ كنو kano، وزاريا Zaria، وكاتسنا Katsina، ورانو Rano، وغوبر Gobir، ودورا Daura، واختلف المؤرخون في العَدّ السابع لهذه المدن، حيث أدرج البعض مدينة زمفرا Zamfara تكلمة لها، وعَدَّ البعض برام Biram، أو غارن غبسGarin Gabas تتِمَّة التعداد، وهي مدن محمية بقلاع وأسوار لحمايتها من الغارات والهجمات المتبادلة بين تلك الممالك التي كانت تتناحر فيما بينها من أجل الزعامة.[٨] وتضمَّنَت هذه الممالك عددًا من الولايات والمدن التي كثُر فيها تواجد الهوساويين في شمال نيجيريا حاليا، منها؛ كنوKano ، كاتسنا Katsina، كنتغورا Kwantagora،كتاغم Katagum، برنن كبي Birnin kebbi، دورا Daura، زاريا Zaria، رانو Rano، بوثيBauchi، سكتوSokoto، وجغاوا Jigawa.[٩]

وقد مارست هذه القبيلة الديانة الوثنيَّة الافريقيَّة قبل مجيء الإسلام، وأدَّى بهم الأمر إلى عبادة الحيوان، والإنسان، والأحجار، والشمس، والجن، والحفر، والأوهام المبهمة التي لا يعقلها أي أحد؛[١٠] ويعتقد أصحابها أن هذه المعبودات هي التي تذود عنهم بلاوي الدهور وتنير طريقهم في المعاش والمعاد، وهذه العقلية التدينية التعبديَّة هي التي افتعلت ووضحَّت الطريق بين يدي دعاة الإسلام، إذ لم يبذلوا جهدا جهيدا في جذب الشعب الهوساوي للدخول في الإسلام.

واختلف المؤرخون في تحديد وقت دخول الإسلام إلى بلاد هوسا، إلا أن فترة دخوله ممتدة من القرن العاشر إلى الرابع عشر الميلاديَين؛[١١] واختلافهم فيما يظهر راجع إلى عدم التفريق بين دخول الإسلام في هذه البلدان وانتشاره، وقد فطِن غلادنثي بهذه الحقيقة وأظهر الفرق بينهما، إذ الأول أقدم من الثاني، لأنه دخل عن طريق التجار والدعاة بعد القرن العاشر الميلادي، ولم ينتشر إلا في القرن الرابع عشر على يد السلطة الحاكمة.[١٢]

ذكر التاريخ بأن المجتمع الهوساوي اعتمد - أساسا - على الزراعة في بناء الهيكل الاقتصادي، كما أنه اعتبر التجارة أيضا موردا من موارد الثروة يقدم لها صفقات تجارية رابحة، لما يتمتع به من مرور القوافل التجارية من مختلف بقاع العالم الإفريقي.[١٣] وبجانب هذه الحركة التجارية، كان الشعب الهوساوي يجيد مِهَنًا وصناعاتٍ أخرى لإثبات

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

هَوِيَّته الإنسانيَّة كي لا يكون كَلًّا على غيره، لذلك يقال في المثل الشعبي "إن الهوساوي الأصيل لا يعرف البطالة"، ومن هذه المهن: الدباغة، والجزارة، والصباغة، والبناء، والغزل، ورعي الغنم، والخياطة، والصيد بَرّيّه وبَحْرِيّه، وصناعة الصيدلة وغيرها كثير.[٤]وهذه الخاصية الزراعية والتجارية والمهنية ما زالت بصماتها واضحة في ربوع هذه القبيلة، إذ يُرى آثارها بين جميع الشرائح. لكن وجد في الأيام المتأخرة مَيْل بعض الشباب عن التمسك بمثل هذه الصناعات والحرف، محاولين الاعتماد على رواتب الوظيفة الحكومية التي لا تسمن ولا تغني من جوع.[١٥]

المِحْوَر الثالث: مراحل الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد الهَوْسَا.

أ- نظرة مقتضبة عن الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد الهَوْسَا

كادت أن تتفق كلمة المؤرخين العرب وغيرهم في بلاد الهَوْسَا على أنَّ الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة لها رسُوخٌ تامٌ منذ القرن الرابع عشر الميلادي،[١٦]إذ مُذْ أن وضعَتْ أقدامُ المسلمين العرب وغيرهم هذه البلاد سَوَاءً عن طريق التجارة أو الدعوة اكتَسَبَت هذه الهُوِيَّة آذانًا صَاغِيَة، وأفوَاهًا مُرتّلَة عن أهدَافِها ومُقَوّماتها، وما ترمي إليه من الخير للبشريَّة جمعَاء.[١٧] وشرَعَت هذه الهُوِيَّة الذاتيَّة العربيَّة الإسلاميَّة تسَيْطر على كَيَان هذا الإنسان الإفريقي الهَوْسَاوِي الأصِيل حتى بدَأَتْ نفسُه تَتُوق نحوَ التمسّك بجميع التقاليد والعادات المتعلِّقَة بالعَرب والإسلام، فلذلك لم يَتَوَنَ من تعلُّم اللغة العربيَّة، واعتبارها لغة مقدَّسَة، لأنَّها لغةُ الدين الإسلامي الذي يقدّسُه ويمجّده، ولم تقتَصِر مُهِمَّته على تعلُّم اللغة العربيَّة، ومسائل الدين الإسلامي فحَسَب، بل، حَاوَل أيضا التقمُّص بقُمصان العرب الذين يرى أنهم أهلٌ وعصبَةٌ لهذا الدين الإسلامي الحنيف.[١٨]

وهذا الشعُور الفردِي للإنسَان الهَوْسَاوِي عندما اعتنَق الإسلام وآمَن بأَيْدِيُولُوجِيَاته انتَقَل إلى الشعور الجَمَاعِي، وما ذلك إلا أنَّ أهالي هذه البلاد صاروا دعاة محررين للإسلام يبسِّطُون لإخوانهم أهميَّة هذا الدين ولغته التي تصحَبه أينما حَلَّ وارتَحَلَ، وصار للهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة حَصَانَة كبيرة، ليس من قبل أناس عاديين فحسب، بل حتى من قبل الرؤسَاء وأصحاب السلطة الحاكِمَة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ولما اكتَمَل الشعور الجماعي تجَاه هذه الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة، وصارت ذاتا للشعب، أصبح مُجْبَرًا على أصحاب السلطَات والسُّؤْدُد استقبَال هذه الدعْوَة بصدرٍ رحبٍ، وهذا ما حدَث بالفعل، حيث ذكر المؤرخون أنَّ رُؤَسَاء هذه البلاد غادروا الوثنيَّة الافريقِيَّة التي ورثوها كابِرً عن كابِر، واعتَنَقُوا دين الإسلام، ولا أدَلَّ على ذلك من إسلام مَلِك عَلِي يَاجِيْ في كَنُو وما أحْدَثَه من التغييرات المثمِرَة لثبوت أقدَام الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في هذه البِلاد.[١٩]

كان لإسلام أكثر الملوك في بلاد الهَوْسَا أثرٌ وأيُّ أثرٍ في دفع عَجْلَة الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة إلى الأمام، إذ هُم قادة الأمة، ووجهة قلوبها، لسُلطَة الأمر والنهي المُخَوَّلَة على عواتِقهم، فبدأوا يبحثون عن الذين يقومون بتدريب الناس مسائِل هذا الدين الحنِيف، ولُغَته العربيَّة العريقَة، فشرَعَت جَالِيَاتٌ ووفودٌ تَتَوَالَى بالزيارات من بلاد العَرب والمسلِمين لتقديم ما لَدَيهم من العلوم والمعَارف الإسلاميَّة:[٢٠]

أكَّدَت دراساتٌ عديدةٌ عن زيارة عَدَد من العلمَاء إلى هذه البلاد، أمثَال: الشيخ المغيلي، وأحمد ابن عمر بن محمَّد أقيت جد أحمد بابا التمْبُكْتي، والشيخ جلال الدين السيوطِي، والشيخ خالد الوقَّاد الأزهَرِي، والشيخ محمد بن أحمد بن أبي محمد التَّازِخْتِي، ووفد مَلِك عَلِيّ يَاجِيْ وغيرهم من الشيوخ الذين زاروا هذه البلاد قصدًا للتنوير الثقَافي الإسلامي العربي، حيث أُنشِئَتْ المساجِد وعُقِدَت المجالس العلميَّة لبَسْطِ القضايا الإسلاميَّة الحقَّة.[٢١]

وقد امتدَّ الأمرُ على هذا النحو بعِدَّة سِنين، حتى بدَأَت حِدَّة الحِسّ الإسلَامي تنثني لغِياب الروح التعليميَّة الإسلاميَّة كما كانت من قبل، وبدأت المعنويَّة الإسلاميَّة تَتَراجَع لَدَى كثير من المسلمين، وأكَدَّ التاريخ وجود اختلاط كبير بين الوثنيَّة الإفريقيَّة والإسلام، بحيث يُوجَد من المسلمين مَن يُقدِّم القَرَابين لغير المالِك الديَّان.[٢٢]

وهذه الحالَةُ المخِيفَةُ هي التي استَوْقَفَت الشيخَ عثمانَ بنَ فُوْدِي لإقامة الحركَة الإصلاحيَّة التجدِيديَّة في هذه البلاد، حيث دافَع عن دين الإسلام، بالوعظ تارة وبالإرشاد أخرى، وقابل ملوكَ بلاد الهَوْسَا وذكَّرهم بوجوب العودة إلى الصراط المستقيم. وقد خوَّفَت هذه الدعوة الإصلاحيَّة هؤلاء الملوك، وشنُّوا غارة شَعْوَاء ضِدَّها، ممَّا أدَّى إلى إيجاد

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

كُتْلَة سياسيَّة قامَت للدِفاع عن الدين والشَّرف، وهذه الجماعةُ هي التي أقامَت الجِهاد الإصلَاحِي في هذه البلاد، وكَوَّنَت دولةً إسلاميَّةً على مِنْوَال الخلافَة الراشِدَة.[٢٣]

اتخذَتْ دولةُ عثمان بن فُوْدِي مدينَة سُوكُوتُو مَقَرًا لحكمها، وسيَّرَتْ أمور الدولة وِفْقَ التعليم الإسلامي الصحيح الذي يدعو إلى إقامة سنة المصطفى صَلَوَات الله وسلامُه عليه، ونَبْذِ البدعة المحرَّفَة الطاغيَة. وقد أعادَت هذه الدولة للهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة بَهْجَتَها ورَونَقها، حتى اكتمَلَت وَحْداتها في جميع مَسَار الدولة، لأنَّها اعتبرت اللغة العربيَّة لسان الدولة الرسمِي؛[٢٤]ولا يُعَدّ الإنسان مُثَقَّفًا إلا إذا كان مُلِمًا باللغة العربيَّة والتعاليم الإسلاميَّة، وأصبح لحَمَلَة الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة أَحَقِيَّة تيسِير أمور الدولَة، إذ لا يُقَلَّد أيَّ إنسانٍ في أيِّ مَنصَبٍ سيَاسِي إدَاري في الدولَة إلا بعد التثبت أنَّه من حَمَلَة لِوَاء الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة.[٢٥]

وبعد أن شَاهَدَت الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة هذا العُلُو المحَلَّق في أجْوَاء إدارة خلافة سُوكُوتُو أَخْفَقَت أجنَحَتُها، ورجَعَت أدْرَاجَها وانْزَوَت عن الحُضُور الفَاعِل، ولم يَعُد لحَمَلَة هذه الهُوِيَّة أيّ اعتبَار، لا في الإدراة، ولا في الحكم، لمزاحَمَة الهُوِيَّة الانجليزيَّة الغربيَّة هذه البلاد، "ولا يُعَدّ الإنسان مُثَقَّفا حضاريًا إلا بإجادته اللغة الانجليزيَّة أو الفرنسِيَّة...وَلَو حَفِظ القرآنَ الكريمَ، والمعَاجِمَ العربيَّة كلَّها عن ظهْر قلب، وتحدَّث بلُغَة جَاحِظ وسِيبَوَيْه لا يعتبر سِوَى[أنه] مُدرِّس لإحدَى الخَلَوات الخامِلَة في زاوِيَة المهْمَلَات".[٢٦] ولذلك سَرَت روحُ الخمول والدّونيَّة في نفوس حَمَلَة الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة، ولا يقدِر على الاندِمَاج في الحركَات السياسيَّة والاجتمَاعيَّة في أغلَب الأوقَات، لأنَّ الأدمِغَة التي غُسِّلَت بأفكَار الهُوِيَّة الانجِليزيَّة والفرنسِيَّة لا تُلقِي لكلِمَة حَمَلَة الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة أيَّ اعتبار إلا في المسجِد، أو في الفصْل الدراسي، أو الحَلقَة الدراسيَّة، إلا مَن اصطَفاهم الله في ارتِقَاء بعض مقاليد الدولة، وهم نَذْرٌ يسيرٌ عند المقاسَات.[٢٧] ثمَّ بدَأَت تنتَعِشُ هذه الهُوِيَّة بعد أَمَدٍ بعيدٍ، وذلك بعد استقلَال دولة نيجيريا والنيجر من أغلال وأثقال الاستِعْمَار الانجليزي والفرنسي، بجُهُود ذاتيَّة من أناس غيُورين لحِمَايَة هذه الهُوِيَّة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

هذه هي الصورَة الحقيقيَّة للهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة لهذه البلاد على مَمَرّ العصور والأزمان، ومن خلال ذلك يقدِر الباحثان التطلع على وضع العَوَامل الدافعَة والمثْبِطَة لثبُوت أقدَام الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في هذه البلاد، التي تعتَكِس صورتُها المشرِقَة أو المظْلِمَة على الذين شاءَت الأقدَار أن يصبَحُوا حَمَلَة هذه الهُوِيَّة السمْحَاء.

ب- عوامل اندفاع الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد الهَوْسَا

إنَّ الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة لها رسوخٌ تامٌ بعد وطْئَة أرجُلِها على أراضي بلاد الهَوْسَا -كما سبق أن ذُكر-، إلا أنَّ لهذا الارتساخ والثبوت عَوَامِل ودوافع، ومن دوافع رسوخ أقدامها ما يأتي:

أ- العامل الديني:

إنَّ الدين عاملٌ أساسيٌ لرُسوخ الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد الهَوْسَا خاصة وفي الغرب الإفريقي عامة، إذ لما دخل الإسلام في هذه البلاد اصطَحَب معه العادات والتقاليد العربيَّة الإسلاميَّة، وقد أخذ شعبُ الهَوْسَا هذه العادات والتقاليد وقدَّسوها أشَدَّ التقديس، واعتبروا أن المسَاس بها مَسَاسًا لشرفهم وعقيدتهم، وبدَّلُوا للتَوِّ مجرَى حياتهم لتتوافَق مع التعليم الإسلامي الجدِيد، حيث بنَوا المساجِد في الأمصار والقُرَى، واهتمُّوا بالأعيَاد الإسلاميَّة، وبأداء فريضة الحجِّ والعُمرَة، واعتنُوا - ذكورًا وإناثًا- باللبَاس الإسلامي المعتَدِل، وأقاموا حَفلات الزواج، وتسمِيَة المولود، وخِتَانه وِفقًا للتعاليم الإسلاميَّة، وهذا الشعُور الديني المرتَفِع هو الداعي إلى رُقِيّ الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في هذه البلاد.[٢٨]

ب- العامل السياسي:

من الأمور التي أدَّت إلى اندِفَاع الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة نَحْوَ الأَمَام في بلاد الهَوْسَا سياسَة الدولَة، وخاصة دولة سُوكُوتُو؛[٢٩]لأنَّها مَنَحَت لهذه الهُوِيَّة اهتِمَاما بالغًا، وسيَّرتْها لسانًا ناطقًا، وروحًا شاهدةً، إذ وضعتها في منزلة الترسيم؛ بها تُكتَب الدوَاوِين الحكوميَّة، وتُتَلقّى العلوم، لأنها لغة الثقافة، والتعامل الحضاري، وقنَّنَت الدولة تقنينًا مَفَاده؛ ألا يتقلَّد أحدٌ مقاليد الحكم إن لم يَعُد من حَمَلَة الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة؛[٣٠]وطوَّرَت العلاقات الدبلُومَاسيَّة مع الدول

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

العربيَّة والإسلاميَّة التي تُزوِّدها بمعلومات فائضَة عن الدين وثقافته[٣١]وبهذا الاهتِمَام البالغ من سياسَة الدولة إزاءَ هذه الهُوِيَّة العريقَة، جعلَت اللغة العربيَّة وثقافتها في عِدَاد اللغات الحَيَّة التي بها تُشرَح العلوم الدينيَّة والكونيَّة، مما جعَل لها آفاقًا واسعةً، ووسعَت العلوم العصريَّة آنِذَاك، وتبَارَى حَمَلَة ثقافتها بمحاسِن القَول والبَيَان، وأَلِّفَت الكتُب في مختلَف المجَالات العلميَّة الدالة على عُلُوّ كَعْب أصحابها، ولا أدلَّ على ذلك من تَوَاليف الشيخ عثمان بن فُوْدِي، وعبد الله بن فُوْدِي، ومحمد بَلْلُو، التي سَوَّدَت المكتبات العربيَّة والإسلاميَّة ببيَان شافٍ عن الإسلام وتعاليمه الحقَّة.

ج- العامل الاجتماعي:

الإنسان ابن بيئته كما يقال، إن البيئة الاجتماعية والأجواء البيئية التي استطاع شعب الهوسا خلقها لها أثر فاعل في اندفاع الهوية العربية الإسلامية نحو التقدم والازدهار، لأنها لما بدأ وفود العرب ترتسخ أقدامه على أراضي هذه البلاد، وطالت إقامة بعضهم فيها إما للتجارة أو الدعوة والإرشاد أو قصدا للعلاقات الدبلوماسية أدى إلى عقد مصاهرات بين أهالي هذه البلاد، ووجود هذا النوع من العلاقة له حضور في التمسك بهوية أصحاب هذا الدين ولغته[٣٢]

د- العامل التعصبي القبلي:

إن لوجود المصاهرة بين العرب الوافدين وبعض القبائل الافريقية أثرا في ادعاء بعض الأفارقة الأصول العربية الشرقية[٣٣]إذ يرون أنَّ أصولهم الأصيلة هي العرب، وهذا الاعتزاز القبلي دفعهم إلى التعصّب المُمِيْت للهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة التي اعتبروها تركة لأجدادهم، لذلك أسهموا في إثبات قوائمها، ورصد ما من شأنه الارتفاع بقدرها.

ج- عواملُ تقَهْقُر الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد الهَوْسَا

إن أكبر عامل تقهقري للهوية العربية الإسلامية في بلاد الهوسا هو " **الاستعمار**" إذ الإسلام ولغته قد عاشا ألوانا من الضيم طيلة الحقبة الاستعمارية[٣٤]إذ بوطئة أقدام الاستعمار بلاد الهوسا تمَّت تنحِيَة الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة عن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الترسيم والصدارة الفاعلة، وصارت هُوِيَّة معطَّلة هي وحملتها، لأنه لم تعد اللغة العربية هي لغة التعليم في الدولة، ولم يعد حملتها هم الذين يرتقون مدارج العمل في سياسة الدولة، بل صاروا متفرجين على موائد لم ترسل إليهم بطاقة دعوة. وأكد المؤرخون لهذه المأساة أن الاستعمار قضى على الهوية العربية الإسلامية بتتبع الأساليب الآتية:

- إخراج اللغة العربية من حلبة الترسيم، والتعامل التجاري، والاجتماعي، مع احتلال اللغة الانجليزية أو الفرنسية محلها في جميع الحيثيَّات الدوليَّة[٣٥]إذ لما احتل الاستعمار الغربي أراضي هذ البلاد، وجد أن الثقافة العربية الإسلامية هي السائدة، لأنها لغة المعاملات والتعامل الحضاري، فكر في تغيير هذا الوضع، لأن بذلك يقدر على السيطرة الكاملة لهذا الشعب، لأنه لو ترك اللغة العربية هي لغة الترسيم والصدارة فلا يكون لاحتلاله هذه الأراضي أية فائدة، فبهذه الفكرة الاستبدالية تمت تنحية اللغة العربية عن الصدارة والترسيم، واحتل محلها اللغة الانجليزية أو الفرنسية، وبهذا أيضا تم القضاء على حملة ثقافتها، ولم يعد لديهم أي اعتبار يذكر.

- إبعاد حملة الهوية العربية الإسلامية عن المناصب الحكوميَّة[٣٦]إن تنحية اللغة العربية عن الصدارة والترسيم أيام الربيع الاستعماري في هذه البلاد أدى إلى إبعاد حملة ثقافتها عن الانخراط في مهام الحكم، لأنه لم تعد الثقافة التي يتباهون بها صالحة في نظام الحكم الجديد، فبهذا تمَّ إبعادهم عن المناصِب المرموقَة في الدولة، لأنَّ النظَام الجديد لا يفسح المجال لأيّ أحد إلا إذا كان مُلِّمًا بالهُوِيَّة الاستعماريَّة الغربيَّة لغةً وثقافةً[٣٧]

- إبدَال النظَام السياسي الإسلامي بالنظام السياسي البريطَاني، لأن النظام الحكم المطبَّق في هذه البلاد هو نظام الحكم الإسلامي سيَّما بعد الجهَاد الإصلاحِي وتكوِين حكومة إسلاميَّة على غِرَار الخلافة الراشِدة على يَد عثمان بن فُوْدِي، ممَّا أثبَت للهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة ظُهورًا واضِحًا، لأنَّه أخرجها من حَيّز النظريَّات إلى حَلَبَة التطبيق المحَض، وبوَطئَة أقدَام المستعمِر الغربي هذه الأراضِي لَوَى أعنَاق الحكم الإسلامِي، وأخرَجَه من دائرة الممَارَسة المطلَقَة، إذ أحَلَّ محلَّه القوانين واللوائح البريطانيَّة التي تُعتَمَد أساسًا في تسيير أمور الدولة، وبوضع هذه الخُطَّة تمَّت تنحِيَة أصحاب الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة عن سياسَة الدولَة[٣٨]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

- تراجع التجَّار العرب عن أسواق بلاد الهَوْسَا، لأنَّ من المعروف في تاريخ هذه البلاد أنَّ الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة وجدَت أرضيَّتها عن طريق التجَّار العَرب الذين يتَّبِعون القوافل التجاريَّة المعروفة في الإفريقيَّة الغربيَّة، وقد سَرَت المعنويَّة الإسلاميَّة في روع الإنسان الهوساوي حينما يشاهد التاجرَ العربي يؤدِّي العبادات لربّ العالمين، وشرع يتطلع لمعرفة هذه الحركات الجميلة التي لا يعرف كُنْهَهَا، ولما اطمئَنَّت روحُه وقَبِل الإسلام، اتخَّذ أصحاب هذا الدين الجديد قدوَةً له في كلّ شيء، وألِفَ محاكاتهم، ورفع سجَايَاهم وكلّ ما يقومون به في محَلّ التقدِيس والاحتِرَام، حتى تمركَزَت هذه الطبائع والسجايا في كواحِله. إلا أنَّ قدوم الاستِعمَار الغربي هذه البلاد أدَّى إلى تراجع هؤلاء التجّار عن الحضُور الفاعِل في أسواق هذه البلاد؛[٣] وتراجعَت مع تراجعهم المعنويَّة العربيَّة الإسلاميَّة المألوفة لدَى الشعْب الهوسَاوي لانقطَاع الواسِطَة التي مكَّنَت الإسلام في نفوسِهم.

- عدم تطبيق القواعد العربيَّة والمسائل الدينيَّة، إذ عدم الاهتمام بتطبيق القواعِد العربيَّة أدّى إلى انثناء حِدَّة الحِسّ الإسلامي العربي في هذه البلاد، إذ لم يعُد حملَة الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة يقدرون التحدّث باللغة العربيَّة حق التقدير، فلذا ظلَّتْ المعلومات التي تعلَّموها خاوِيَة، لفُقْدان عنصر الممارسة والتطبيق المخلِص، وأدهَى وأمَرّ بات من المشاهد أنَّ المسائل الدينيَّة البسيطة لا يهتم بتطبيقها كثير من الخاصة فضلا من العامة:[٤]

- إنشاء المدارس الحدِيثَة مخالفَة للمدَارس القرآنيَّة: ممَّا أدَّى إلى إبعَاد الناس عن الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد الهَوْسَا إنشاء المدارس الحدِيثة التي تخَالِف تنظيمَاتُها ونشاطَاتُها التعليميَّة تنظيمَاتِ ونشاطَاتِ المدَارس القرآنيَّة الموجودة في البلاد، إذ جعَلَت اللغة الإنجليزيَّة هي لغة الدراسة، وطَمْعًا لجلب انتباه الشعب وضع المستَعْمِر الجوائز على الطلاب الملتَحِقِين لهذه المدارس، لأنه في بُدَائة إنشائها لم تقبَل بصدر رحب لإيمان الشعَب أنَّ الالتِحَاق بها كفر وإلحاد لأنَّها تمنع الناس الصلاة، وأداء شعائر الإسلام، وهي فكرة لم تزل إلى حد الساعة لها روادها، إذ منها تولدت جماعة بُوْكُوْ حَرَامْ التي يعاني منها المسلمون جميعا في نيجيريا الشماليَّة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

- كتابة لغة الهوسا بالحروف اللاتينية: لم يكن الإنسان الهوساوي يعرف كيفية كتابة لغته بالحروف المعروفة إلا بعد مجيء الإسلام في هذه البلاد، حيث تعلم شعب الهوسا كيفية كتابة لغتهم بالحروف العربية، بها يراسلون ويتعلمون، إلا أن وطئة الاستعمار هذه البلاد كانت بمثابة وأد لهذه الحركة الكتابية، لأنه غير كتابة هذه اللغة بالحروف العربية إلى الحروف اللاتينية، مما أدى إلى تراجع ملكة الثقافة العربية الإسلامية من نفوس الشعب.

د- عوامل انتعاش الهوية العربية الإسلامية في بلاد الهوسا.

بعد أن قطعت الهوية العربية الإسلامية شوطها الطويل في هذه البلاد، وشاهدت ألوانا من التقدم والانزواء كما سبق تقريره، بدأت تنتعش وتعيد لنفسها ذيوعا في ربوع الدولة، ولهذا الانتعاش أسباب ودواعي منها؛

- إنشَاء المدارس العربيَّة الإسلاميَّة التي تُعنَى بتدريس الناس الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة، بداية من المدارس الشرعيَّة لتدريب القضاة في كنو وسُوكُوتُو عام ١٩٣٠م[١] ثم توالَت المدارس إما حكوميَّة أم خاصة، وصار لها وجود قوِيّ وحركيّ في جميع الأماكن، وخاصة في ولايات بلاد الهَوْسَا في شمال نيجيريا، ووجود كثرة هذه المدارس له حضور فاعل في انتعاش الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة.

- ظهور الفرق الدينيَّة التي تسعى جاهدة لتقَدُّم الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة وحملتها باتجاتها المختلفة، ورئاها المتباينة، وتنظيماتها الشكليَّة المشيرة على تميُّز كلّ فريق عن غيره، وكذلك المجالس الخيريَّة، والجمعيَّات الثقافيَّة، والمؤسّسات التعليميَّة، والمنظَّمات[٢] التي تقوم بنشاطَات مُهِمّة ودالة على اعتِنَاءها برفع رايَة الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة في هذه البلاد.

- تَسْوِيَة حملة الهوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة مع غيرهم في الرواتب وسائر الحقوق، إذ قبل استقلال دولة نيجيريا من أغلال الاستعمار البريطاني، كانت الفُرَص بالنسبَة لحَمَلَة الهُوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة ضيِّقَة، ولم يكن لديهم حقوقٌ كافيَةٌ مثلَما كان لدى حملَة الهويَّة الانجليزيَّة، وبجهود مضنِيَة من قبل أناس حقيقيين، وغيورين للهُوِيَّة العربيَّة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الإسلاميَّة أُعِيدَ الاعتبار لحَمَلَة الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة حيث تمَّ تسوِيَتُهم مع غيرهم في الدولة سِيَّمَا في الرواتب والترقيَة في مجَال العَمل.

- إنشاء أقسَام الدراسات الإسلاميَّة واللغة العربيَّة في الجامعات والمعاهد النيجيريَّة -وخصوصا- الشماليَّة، وقد أَحْدَثَ ذلك دَوِيًّا متَميِّزًا لتقدُّم الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد الهَوْسَا، وصار لها معنَوِيَّة خاصة، وأعادت لأصحابها اعتبارًا واسعًا في المحيط الجامعي وغيره من المحيطَات.

- تشجيع الحكومة لطلاب اللغة العربيَّة والدراسات الإسلاميَّة بتقديم المِنَح الدراسيَّة لمواصلة الدراسات في البلاد العربيَّة والإسلاميَّة، وهذا التشجيع الحكومي ساعَد بشكل كبير في رفع معنَوِيَّة حمَلَة الهوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في هذه البلاد، حيث أقبَلَ عدد غير قليل من الشباب ولَوَوْا أعنَاق تخصّصاتهم لتكون في اللغة العربيَّة والدراسات الإسلاميَّة.

- إنشاء المكتبات العربيَّة الإسلاميَّة العَامة والخاصَة، والمراكز الثقافيَّة الإسلاميَّة والعربيَّة، مما أدّى إلى وجود مراجع عربيَّة إسلاميَّة أصيلَة يعتَمِد عليها الطالب في كلّ التخصّصات المتاحَة، خلافًا للعهود السابقة التي لا يقدِر الطالب العربي الإسلامي الحصول على كُتُب للمطَالعَة في محيطه العلمي، وبإنشاء هذه المكتبات أضْحَى الأمر سهلًا، وفي متنَاول الجميع.

- إقامة المسابقات القرآنيَّة والحديثيَّة من قبل الولايَات الهوسَاويَّة؛ ولاعتِنَاء الحكومات الولائيَّة في بلاد الهوسا بأمر المسابَقَات القرآنيَّة والحديثيَّة دَوِيٌّ ثقَافِيٌّ متميّزٌ في أوساط الأمة، لصيرورتها حافزًا حقيقيًّا للتقدُّم والشعُور المعتَز بالمعنوِيَّة الإسلاميَّة العربيَّة لَدَى حَمَلَتها، مما أدّى إلى إقبال عدَد من الطلبة إلى حفظ القرآن الكريم للمُشاركة في هذه المسابقات التي وضعَت لها الحكومةُ أيادِيها البيضَاء بتقديم جوائز ممتَازَة ومتميّزة لجميع المشاركين المتفوّقين.

- إعلان الولايات الهوساويَّة الحكم بمقتَضَى شرع الله في البلاد؛ إنَّ ظهور الربيع الإسلامي في بلاد الهَوْسَا للحكم بمقتضى شرع الله عام ٢٠٠٢م أعاد للهوِيَّة العربيَّة الإسلاميَّة مجدها المدفون المعفّن، إذ بدأت هِمَم حملَة ثقافة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

العربيَّة الإسلاميَّة تتعالى وتتظاهر بعد أن صارت خاملة في زاويَة المهمَلَات للأسباب التي سبق أن ذكره عند الحديث عن عوامل تقهقر الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة في هذه البلاد، وشرَعَت الأصوات الإسلاميَّة العربيَّة يسمَع لها ذكرا في المحافل العامة والخاصة، وغيَّرت كثيرا من مجاري الحياة في هذه البلاد ليكون وفقا لشرع الله المتِين، وأُنشِئَت دور الحسبة، ومؤسسة الزكاة، وبيت مال المسلمين، وبدأ التطبيق الحقيقي للحكم بشرع الله في المحاكم، ولأجل ذلك أيضا تطلَّعَت بوادر إنشاء البنك الإسلامي الذي يجري الحركات الاقتصاديَّة والخدمَات البنكِيَّة وفقا لما شرعه الله تعالى.

- عقد العلاقَات الدبلُومَاسيَّة بين البلاد العربيَّة وبلاد الهَوْسَا؛ حيث تَمَّت إيفَاد الأساتذِة من البلدَان العربيَّة الإسلاميَّة لتدريس العلوم العربيَّة والإسلاميَّة لأبناء البلاد، كي يتثقفوا بثقافة عربيَّة إسلاميَّة من هؤلاء العرب والمسلمين حتى يكون لديهم القدرة على الاقتداء بهم.

ونتيجة لهذه الأمور المذكورة، ازدهرت حركة التأليف الإسلامي العربي، وأجريت كتابة البحوث الجامعية باللغة العربية، وظهرت حركة الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات المحلية، واستخدمت كذلك الحروف العربية في التواصل باللغات المحلية، وقدمت بعض الجرائد المحلية نشراتها الإخباريَّة بلغة الهوسا مكتوبة بالحروف العربية، مثل جريدة الفجر، والقلم، مما أدى إلى تعداد اللغة العربية إحدى اللغات التعليمية المعتبرة في دولة نيجيريا.

ومع كل هذا الانتعاش الذي اكتسبته الهوية العربية الإسلامية إلا أنه ما زال حملتها في ضنك من العيش، لأنه أغلق دونهم الأبواب الخيرية في البلاد، ولم يكن لدى حامل الثقافة العربية الإسلامية وظيفة سوى التدريس، وليس لديه مهمة أخرى في إدارة الدولة، فلذا ترى حملة هذه الهوية لا يعتزون بثقافتهم مثلما يعتز بها غيرهم، وتجدهم يشعرون بالنقص والدونية، ولا يقدرون الاندماج في المجتمعات لأنهم تعلموا أو حصلوا شهاداتهم بغير لغة العلم المعتمد عليها في البلاد، فلذلك يعاني الطلبة الذين تخصصوا في المحاماة، أو التربية، أو الهندسة، أو الاقتصاد، أو الإعلام في هذه البلاد بويلات من العذاب، لأن النظام في الدولة لا يفسح لهم المجال لتقديم الخبرات التي تعلَّموها، لأن لغة دراستهم عربية فيضطرون إلى مهنة التدريس في مواد لم يتخصصوا فيها.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الخاتمة:

في ختام هذا المقال أدرك الباحثان الأحوال التي تقلبَّت فيها الهُويَّة العربيَّة الإسلاميَّة مع حَملَتها في بلاد الهَوْسَا، حيث بسطا القول في الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة ابتداء من التعريف بها، مقوِّماتها، ومميِّزاتها، كي يرى مدى اعتناء مجتمع الدراسة بهذه الهُويَّة، ثم درجا واصفين الحالة التي أدت إلى أن تفرض الهوية العربية الإسلامية نفسها في هذه البلاد، وذلك عن طريق تتبع العوامل التي أدت إلى اندفاع الهويَّة العربية الإسلاميَّة، والعوامل الداعيَة إلى تراجع حِدّة الحسّ بها، ثم اختتما بمرحلة انتعاشها بعد أن ضاق بها المقام في بلاد الهوسا، مع ذكر بعض الأسباب الداعِيَة إلى هذا الانتِعَاش.

الهوامش والمراجع:

[١] معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، وزارة التربية والتعليم، مصر، ١٩٩٤م، ص\ ٩٩٨.

[٢] أبو خليف محمد، http://mawdoo3.com، آخر تحديث: ٢٠:٠٤ ، ٥ نوفمبر ٢٠١٦.

[٣] أورى، بأطيب، وأخريات، كيف أحافظ على هويتي الإسلامية، جامعة طيبة، كلية العلوم التطبيقية، رياضيات تطبيقية، ص\ ٣

[٤] ليستاد، دائرة معارف أمريكية، مكتبة مدرسية للطباعة والنشر، دان بوري كونكتيات، ١٨٢٩م، ص ٨٥٧.

[٦] عبد الحسن، م. ثريا محمود، و م.م، أزهار غازي مطر، إمارات الهوسا،" دراسة في التاريخ الحضاري والثقافي" مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي، ص،١٨٦.

[٧] -Adamu, M.U. (2011) Sabon Tarihin Asalin Hausawa, Espee printing and advertising, pp 68- 69.

[٨] انظر:

أ- مجلة إفريقيا قارتنا، المرجع السابق، ص\ ١.

ب- غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى ١٩٦٦م، المكتبة الإفريقية، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ص\٣٧ .

[٩] -Muhammad, M.S. (2013) Bahaushiyar Al'ada, unpublished pp 51-52

[١٠] -Muhammad, M.S. *Ibid*, pp 30- 38

[١١] انظر:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أ- Olatunbosun, p.o. (1981) History of West Africa, from A.D.1000, to the present Day, 5th edition, Fatiregun p\83 press & publishing Company

ب- Ashaolu, and others, History of West Africa, A.D. 1000 to the present Day, 1971, Onibonoje press, Ibadan p\51

[١٢] غلادنثي، شيخو، مرجع سابق، ص\ ٢٧- ٢٩، و ص\ ٣٧.

[١٣] Ashaolu, T.A. and others, *Opcit*, p 50 -

[١٤] Muhamamdu, M.S. (2003) *Ibid*, pp 242- 243 and 276. -

[١٥] طَنْ يَايَا، مكّي أبوبكر، هدايا الزواج في المجتمع الهَوْسَاوِي، "دراسةٌ فقهيَّةٌ مقاصِديَّةٌ"، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كنو، سنة ٢٠١٧، ص\٤٣- ٥٠

[١٦] غلادنثي شيخو، مرجع سابق، ص\ ٢٧

[١٧] حسن عبد الله، خالد، الأمثال والحكم في لغة الهوسا (دراسة تقابلية)، دار الحكمة للكتاب الإسلامي، ط٣، ٢٠١١م، ص\ ١٤

[١٨] الدكو، فضل كلود، العلماء الأفارقة ودورهم الحضاري في غرب إفريقيا، في حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد ١، ١٩٩٥م، ص\ ٨٢

[١٩] غلادنثي، شيخو، مرجع سابق، ص\ ٤٠- ٤١

[٢٠] طن يايا، أبو بكر مكي، إسهام المجالس العلمية في تطوير الثقافة الإسلامية، مدينة غميل أنموذجا، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الوطني الذي نظمه قسم الدراسات الإسلامية والشريعة، جامعة بايرو كنو، بعنوان " حركة التعليم الإسلامي والعلماء في نيجيريا الحديثة" من ١٩٠٠م حتى اليوم، عام ٢٠١٧م، ص\ ١٠- ١١.

[٢١] غلادنثي، شيخو، مرجع سابق، ص\ ٤٨- ٤٨.

[٢٢] السرسيد، أحمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكتية، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، بحث رقم ٤، ط أ، ١٩٨٣م، ص\٩-١٠

[٢٣] انظر:

أ- الودغيري، عبد العلي، ملامح من التأثير المغربي في الحركة الإصلاحية للشيخ عثمان بن فودي، في حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجير، العدد: ٤، ١٩٩٨م، ص\ ١٤- ١٦.

ب- السرسيد، أحمد العراقي، مرجع سابق، ص\ ٨- ٩.

[٢٤] انظر:

أ- سويد، علي نائبي، النظام التعليمي الجديد محاسنه ومساوئه بالنسبة إلى تعلم وتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بمرحلة التعليم الابتدائي وما بعد الابتدائي في نيجيريا، في حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد ١، ١٩٩٥م، ص\ ٨٨

ب- إمام، محمد سليمان، أوضاع تعليم اللغة العربية في نيجيريا (المرحلة الثانوية نموذجا) ص\ ٢

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٢٥] كبر، شيخ عثمان، اللغة العربية في نيجيريا – ماضيها وحاضرها-، في دراسات عربية، حولية قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، ٢٠٠٧م، ص\ ٨٤.

[٢٦] طن يايا، مكي أبوبكر، الضعف اللغوي لدى الطالب العربي النيجيري، في مجلة لَوْتَيْ اللغويَّة، مجلد ٤، رقم١، ٢٠١٤م، ص\ ١٤٢-١٤٣.

[٢٧] طن يايا، مكي أبوبكر، المرجع السابق، ص\ ١٤٣.

[٢٨] انظر:

أ- إمام محمد سليمان، مرجع سابق، ص\ ١.

ب- يوسف، خليل إبراهيم، الشعر العربي في شمال نيجيريا من ١٩٦٠م إلى ٢٠٠٠م " دراسة وصفية تحليلية"، رسالة ماجستير في الدراسات الأدبية، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ٢٠١١م، ص\ ٥٥- ٥٩.

[٢٩] يوسف، خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص\ ٣٦

[٣٠] كبر، شيخ عثمان، مرجع سابق، ص\ ٨٤.

[٣١] غلادنثي، شيخو، مرجع سابق، ص\ ٤٨- ٤٩.

[٣٢] انظر:

أ- حسن، عبد الله خالد، مرجع سابق، ص\ ١٥- ١٦.

ب- كاني، أحمد محمد، الجاليات العربية الإسلامية في غرب إفريقية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، في حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد ١، ١٩٩٥م، ص\ ٤٤- ٥١.

[٣٣] حسن، عبد الله خالد، مرجع سابق، ص\ ١٥- ١٦.

[٣٤] المسدي، عبد السلام، الهوية العربية والأمن اللغوي دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط أ، ٢٠١٤م، ص\ ٢٧

[٣٥] انظر:

أ- سويد، علي نائبي، مرجع سابق، ص\ ٨٩

ب- إمام، محمد سليمان، مرجع سابق، ص\ ٤

[٣٦] غلادنثي، شيخو، مرجع سابق، ص\ ٨٤

[٣٧] سويد، علي نائبي، مرجع سابق، ص\ ٨٩

[٣٨] يوسف، خليل، مرجع سابق، ص\ ٣٨.

[٣٩] كاني، أحمد محمد، مرجع سابق، ص\ ٥٦

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٤٠] مقابلة شخصية مع الدكتور إلياس يحيى، أستاذ الفقه والأصول، عن "عوامل تراجع الهوية العربية الإسلامية عن الحضور الفاعل" في قسم الدراسات الإسلامية، جامعة سلي لاميطو، ولاية جغاوا، صباح يوم الأربعاء التاسع لشهر أوغست عام ٢٠١٧م، في مكتبه بالجامعة.

[٤١] انظر:

أ- كبر، مرجع سابق، ص\ ٨٧

ب- كاني، أحمد محمد، مرجع سابق، ص\ ٥٣

[٤٢] يوسف، خليل، مرجع سابق، ص\ ٦٧

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

فن المديح لدى محمد النظيفي القرموي: دراسة وتحليل "فائيته نموذجا"

إعداد:

د. عمر علي حطيجه

قسم اللغة العربية، كلية التربية لولاية جغاوا.

الملخص

كانت المقالة بمنزلة تسليط الضوء على ما قام به الشيخ محمد النظيفي القرموي في فن المديح النبوي، حيث تناولت سيرة الشاعر وعوامل تكوينه الأدبي ثم انتقلت إلى دراسة قصيدته من حيث المطلع والتخلص والمقطع، متناولا فكرة النصّ والعاطفة والخيال وما فيها من روائع التوظيف، ثم تصدى إلى أسلوب الشاعر ليقف على روائعه وإبداعاته الشعرية مطلعاً الأوزان والقوافي. ثم اختتم المقالة بذكر الهوامش والمراجع.

Abstract

The paper illustrates the poetical work of praising the Prophet Muhammad (S.A.W) by Al- sheikh Muhammad Alnazifi Alqarmawy. The Paper discussed the biography of the poet and the factors motivated him to the literary works, It also identifies its stylistic meaning, themes, imagination, manners of eloquence and varieties of rhetoric. However, the study outlined the method employed in the rhythms then conclusion and references were provided.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أفصح ناطق بالضاد، القائل: "إن من الشعر لحكمة"[1] وعلى آله وأصحابه ومن بهم اقتدى. وبعد:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

إن المدائح النبوية إحدى فنون الأدب العربي، ذات السمات الراقية والخصائص الفنية المتميزة لقيامه على عواطف إسلامية ونوازع إيمانية عالية من دافع التقرب إلى الله تعالى من خلال الإشادة بالمناقب العظيمة لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وإظهار الشوق والمحبة إليه صلوات الله وسلامه عليه طول مروره بمختلف الهيئات السياسية والاجتماعية والثقافية عبر العصور. هذا، وسيقوم الباحث بدراسة فائية القرموي ليقف على مقدرته وبراعته في المديح النبوي، مع متابعة أهم آلاته الأدبية والبلاغية. وهذه الدراسة ستدور حول النقاط التالية:-

١- حياة الشاعر وعوامل تكوينه الأدبي
٢- نص القصيدة
٣- بناء القصيدة
٤- القيم الفنية للقصيدة
٥- الخاتمة والهوامش والمراجع.

التعريف بالشاعر

ولد الشيخ محمد النظيفي القرموي يوم الجمعة في منتصف شهر شعبان، سنة ١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٦م في بيت تضاء قاعاته بالعلم، بحارة "شِيطِيا غُمَّجَ" كنو[٢] وهي السنة التي أُغتِيل فيها السيد أحمد بللو سردونا. ونشأ تحت تربية والديه الكريمين في صيانة وعفاف وتقى، وعلى سيرة حسنة وحالة حميدة من طلب العلم والفطنة والحفظ وحدة الذكاء، وقد أوتي الأخلاق الحميدة الكاملة والأوصاف البهية الشاملة.[٣]

عوامل تكوينه الأدبي

١- البيئة:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

استهل الشاعر القرموي حياته في هذه البيئة الاجتماعية الطيبة، في بيت كريم بالدين جليل بالفقه توارث أهله خدمة العلم والنقابة الصوفية. فنشأ الشاعر تحت هذه الدوحة المشرقة التي ضاءت ساحتها بالعلم والثقافة الإسلامية الواسعة، فدفعه كثرة تردد طلاب العلم إلى حلقة والده أن يحرض رغبته العميقة للانضمام إلى الحلقة قبل نعومة أظفاره.[٤]

٢- المزاج:

إن الإنسان ابن بيئته وبطبيعتها يترعرع وبثقافتها يرتوي وبتعاليمها يهتدي. وعلى هذا سهل الله للقرموي سبيل الممارسة العلمية في حلقة والده، حيث يحتفل إليها طلاب العلم في مختلف مراحلهم، مغترفين من حوض والده أفانين العلوم المختلفة، فأنار له هذا المزاج العكوف والانتظام على التحصيل. كما أعانه ذكاؤه الحاد وجدّه الدؤوب وشغفه المرهف على اكتشاف حقائق علمية مما وعاه من دروس والده. ففطن بحقائق وعلوم قبل أن تصل يده إليها. وكثيرا ما يصغى إلى والده وقت التدريس فيحفظ القصص والسير التي يقصها على طلابه.[٥]

٣- الثقافة:

سبق أن الشاعر نشأ في أسرة عالمة ومتديّنة ذات جذور عميقة في الثقافة الإسلامية والعربية. فإذا كانت الثقافة تؤثر في الإنسان ماديا ومعنويا، فإنه لا غرو أن يتشكل للقرموي وعي ديني ثاقب وفيض علمي شاسع وإرشاد إلهي بارع، لأن القرآن الكريم منهله الأول والسنة المطهرة غدقه الثاني ثم الكتب الفقهية واللغوية حوضه الثالث. انطلاقا من ذكاء القرموي المرهف وانهماكه في القراءة انهماكا استطاع هضم كتب دينية حافلة وقراءة كتب لغوية جمّة، ويحقق ذلك كثرة تنقلاته بين الدهاليز وجملة الكتب التي قرأها على شيوخه الأجلاء. أضف إلى ذلك ما ارتوى من العلوم في قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو، الحوض الذي انهل وانعل منه ما شاء له القدر، والذي أعانه على توسيع نطاق فكرته وتمكنه على القضايا اللغوية والأدبية.[٦]

نص القصيدة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

عنوان القصيدة: "سحائب الفوز والرضوان في مدح سيد الأكوان" هي فائية الروي، من بحر البسيط، تحتوي على اثنين وستين بيتا، نظمها الشاعر في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام حينما زاره في رمضان سنة ١٤٣١هـ الموافق بأغسطس سنة ٢٠١٠م.

يا مصطفى الخلق يا من حازكل صفا * يا أكرم الكون قدرا حائز الشرفا
مولاي يا منقدي من الشرور وكيـ * ـد الكائدين وحساد وأهل جفا
إنـي أحبك يا ياسين يا سندي * بدر البدور رسول الله ذا اللطفا
وسيد المرسلين وخاتم الأنبيا * أصل الأنام وبالخيرات قد نيفا
خليفة الله في خلق الإلـــه هو * مختاره طه أكوانا لقد ثقفا
طه خليل الإلـــه بل صفيه هو * أعلى الورى قدرا أشرفهم شرفا
طه منير الدجى ياسين بذل الندى * مردي العدى مجتبى حميد أهل الوفا
طه فشمس الهدى حامي الورى عن ردى * يحمي الأنام عن البلوى وعن أسفا
مزن الخيور وضرغام العدى فخري * أصل الأنام رسول الله ذو اللطفا
وقامع الشر والأشرار معتمدي * كنز الكنور لأنوار له اللطفا
طمطام سرّ وغمغام العدى سندي * سبب الحبور وخيرات ونيل صفا
شمس الهداية بدر للسعادة طا * هر القلوب وأجساد وماح جفا
نور العيون رسول الله والصدر * كنز الحباء أمين الله رب الوفا
محمد فاتح وخاتم استمعوا * هو ناصر الحق بالحق فليس خفا
أحلم خلق الإله وهو أفضلهم * حسنا وزيّا رسول الله واللطفا
إني أحبّك حبًّا ذكرك عملي * ثناءك أملي قد نلت كل صفا
يا رب صلّ على محمودنا سلّمن * وآله صحبه أهل العلى والوفا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

بناء القصيدة

مطلع القصيدة:

المطلع على حد قول ابن الأثير هو: "أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام، إن كان فتحا ففتحا، وإن كان هناء فهناء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني. وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به ولمن هذا النوع"[٧].

فالشاعر في هذه القصيدة مبتعد كل البعد عن النمط التقليدي في افتتاح القصيدة، كون قلبه مفعّم بحبّ الرسول صلى الله عليه وسلم، فيرى أنه لا صلة له بتلك الأحبة والديار ولا الأطلال، لذا لم تجد التمهيدات التقليدية إليه سبيلا. فاقتحم إلى ما يجيش في ضميره ونفسانيته والتجربة التي يعانيها في الحب، فافتتح القصيدة بصورة رائعة مستعملا صيغة المدح عن طريق النداء، يوحي فيها شرف منزلة الرسول عليه السلام بين الخلائق المنزلة التي لا يدانيه فيها أحد، قائلا:

يا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدرا حائز الشرفا[٨]

ولم يكن القرموي أول من خاص المديح بهذه الطريقة، فقد سبقه إلى ذلك بعض عباقرة المديح النبوي، منهم محمد بن سعيد البوصيري في قصيدته " المضرية" كان مطلعها:

يا رب صل على المختار من مضر * والأنبياء وجميع الرسل ما ذكروا [٩]

وانطلاقا من هذا، يمكن القول بأن القرموي أوفى للموقف حقه، حيث كان مطلع القصيدة يناسب جوها، إذ يجرّ القارئ إلى أن مغزى القصيدة ومرماها المديح. وعلى هذا يمكن القول بأن القصيدة تجلت ببراعة الاستهلال.

لب الموضوع:

يتعقّب المطلع في البنية الشعرية لب الموضوع أو التخلّص، وهو الجزء الأساسي الذي يحتوي علي هيكل القصيدة ومضمونها. ويرى النقّاد أنّ حسن التخلص هو: أن يخرج الشاعر مما بدأ كلامه به من النسيب مثلا إلى المدح أو غيره

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

بلطف وتحيل، ومع رعاية الملاءمة بينهما، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما قد أفرغا في قالب واحد، فلا يكاد السامع يفرغ من التشبيب حتى يجد نفسه قد انتقل إلى الغرض الذي أنشأ الشاعر له قصيدته.[١٠]

هذا، ولم يفتح الشاعر قصيدته بالمقدمات التقليدية، بل قاده الشوق والهيام برميها وراء الحائط، ناهضا إلى لب موضوعه وهو ذكر مناقبه صلى الله عليه وسلم، فلم ترتح بال الشاعر حتى دبّ دبّا حسيسا حيث تخلص من الغرض الأساسي وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الدعاء والتوسل بجاه الرسول (ص) مباشرة بأن يحميه من الأعداء، ثم تخلص مرة أخرى إلى غرضه الأساسي قائلا:

يا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدرا حائز الشرفا

مولاي يا منقدي من الشرور وكيـــ * د الكائدين وحساد وأهل جفا

أنـي أحبك يا ياسين يا سندي * بدر البدور رسول الله ذا اللطفا [١١]

المقطع:

أما حسن المقطع فيراد به حسن الخاتمة، وعني الشعراء والنقاد بآخر القصيدة، إذ يرونه آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال.[٢]وعلى هذا ينبغي أن يكون آخر بيت في القصيدة أجود بيت فيها، إذ يقول ابن رشيق القيرواني "إذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلا"[٣]وقد امتازت القصيدة بحسن المقطع، لأن آخر الكلام الذي وقف عليه الناظم عذبا حسنا وأبقى لذة في الأسماع بأبلغ لفظ وأجمل معنى، وكيف لا، وكان آخر كلامه دعاء وتسليم على خير العباد وهادي الأنام صلى الله عليه وسلم وآله وصحابته الكرام. فتحقق في القصيدة مسك الختام.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وعلى ضوء ما سبق لاحظ الباحث براعة الناظم وشدة ولعه وهيامه في محيط الحب والشوق نحو الممدوح حيث افتتح القصيدة بأدوات النداء واختتمها بنفس الأداة داعيا للممدوح. فتأمل مقطع القصيدة حيث يقول الشاعر القرموي:

يا رب صل على محمودنا سلّمن * وآله صحبه أهل العلى والوفا[١٤]

الصور الفنية

الفكرة

تتمثل الفكرة الأساسية فيما تنص عليه القصيدة على حبّه للرسول صلى الله عليه وسلم والتشوق إليه، والحنين للتقرب منه، لأن محبته عليه أفضل الصلاة والتسليم أصل عظيم من أصول الدين. ومن هذا المنطلق قام الشاعر يبدي معالم حبه له والإكثار من ذكره والتشوق إليه وتعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته، وتذكير الناس بمكانته ومنزلته وحقوقه، وذكر صفاته وأخلاقه. وفي ذلك يقول محمد درّار:"....ومحبة الله ورسوله هي أرقى أنواع هذه المحبة العقلية وأقواها...والرسول عليه السلام أحق أن يكون بعد محبة الله في تلك المحبة، لأنه أكرم الخلق عند الله، وهو ذو الخلق العظيم والهدي القويم..."[١٥]ومن ذلك قوله:

أني أحبك يا ياسين يا سندي * بدر البدور رسول الله ذا اللطفا

خير البرية مولانا وناصرنا * قلبي يحبك حبا لا له وصفا

حبّ النبي نجاتي في الدنا أخرى * حب النبي سعاداتي ولي الشرفا

إني أحبك حبا ذكرك عملي * ثناءك أملي قد نلت كل صفا[١٦]

الأسلوب واللغة

عقد نقّاد العرب صلة بين الأسلوب وأغراض الشعر العربي، ونبّهوا على إمكانية ظهور تغيير في التعبير عن طريق اختلاف الأسلوب، فجعلوا من شروطه الترتيب، كما يتحتّم على الشاعر حسن تقسيم الألفاظ على رتب المعاني.[١٧]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ويقول عنه ابن خلدون: "هو المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه"[٨]بينما يرى عز الدين إسماعيل أن الأسلوب هو: "طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والشعور، وفي نقل هذا التفكير، وهذا الشعور في صورة لغوية خاصة، وأن يكون الأسلوب جيدا بدرجة نجاحه في نقل ذلك للآخرين"[٩]ومن هذا المنطلق، فمقاييس الأسلوب إذا توافرت بشكل جيّد في القصيدة يحكم عليها بالجودة، وقد ذكر أحمد الشايب تلك المقاييس أو الصفات، وهي: الوضوح والقوّة والجمال. هذا، وسيرد الباحث نماذج مختارة من أسلوب الشاعر.

أ- صياغة الألفاظ

اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته. فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ فكان نقصا للشعر وهجنة عليه.[٢١]

أجاد الشاعر في رسم قصيدته باختيار ألفاظ ذات ميزة حسنة وملائمة في مواطن الاستخدام، حيث تجلت القصيدة بلطف ألفاظها وخلابتها وجزالة معانيها وحسن مبانيها وحلاوة مطلعها ومقطها وإيفاء كل معنى حقه من العبارة، وإلباسه بمشاكله من الألفاظ حتى يبرز في أحسن زي وأبهى صورة. ومن ذلك قوله:

شمس الهداية بدر للسعادة طا * هر القلوب وأجساد وماح جفا

نور العيون رسول الله والصدر * كنز الحباء أمين الله رب الوفا[٢٢]

أراد الشاعر في هذا الموقف أن يعلل براعته في اختيار الألفاظ المناسبة لمقاصده، فاختار لفظة "شمس" وأضافها إلى "الهداية" لأنها تنير الدجى عند بزوغها، حيث يتجلى صورة كل شيء ويظهر بنورها. كما أشرق الكون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنار للأمة سبيل الهداية والنجاة من ظلمات الكفر والشرك.

وفي نفس الموطن اختار لفظة "بدر" وأضافها إلى السعادة، لأن البدر يتجلى في الأفق بالنور والبرودة وبالحسن والبهاء، فيتحسن الجو للخلائق وتتم لهم الطمأنينة والوقار، كما حققت السعادة للعالم والطمأنينة والوقار ببعثته صلى الله

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

عليه وسلم، فعلا صير العدالة بين الأنام، فصار رحمة للعالمين. واختار كلمة "أمين" وأضافها إلى اسم الجلالة ليعبر عن شرف المضاف ومنزلته لدى المضاف إليه، لأنه خير خلق الله قاطبة صلى الله عليه وسلم. ومن هذا المنطلق يدرك القارئ للبيتين السابقين أن الشاعر استعان بالكلمات المألوفة بعيدة عن الغرابة والغموض ومناسبة للأغراض التي يرمي إليها ليسهل للعامة والخاصة المسايرة مع الركب في تناول القصيدة.

أ- صياغة التراكيب والجمل:

يسهل على من وقف على تراكيب قصيدة الشاعر أن يدرك الجزالة والقوة عند اقتضاء الحاجة، واللطف والرقة أيضا حسب مقتضى الحال. فتجد الشدّة والفخامة والغلظة في مواطنها، كما تجد الرقّة واللطف واللين في مواطنها أيضا، ومن ذلك قوله:

مزن الخيور وضرغام العدى فخري * أصل الأنام رسول الله ذو اللطفا

وقامع الشر والأشرار معتمدي * كنز الكنور لأنوار له اللطفا[٢٣]

أحسن الشاعر في صياغة تركيب الجمل ومعانيها، فأنشأ تراكيب سهلة ومرنة لما أراد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالهبة والعطاء والكرم وفيضان الخير منه، سماه "مزن الخيور" و"كنز الكنوز" فاستعمل "المزن" مع "الخيور" لأن ما تحمله المزن من الأمطار أكثر وأوفر من السحابة والديمة، ولتلائم الموقف في السياق قال "الخيور" بدل الخيرات" لأن الخيور أدوم في المنفعة من الخيرات، كونه على زنة "فعول". ثم استمر قائلا "كنز الكنوز لأنوار" فاستعان بالكنز للكنوز ليدل على فضله صلى الله عليه وسلم على جميع الرسل، لأنه مرسل بكتاب مهيمن على كتب من سبقوه من الرسل، فصار كنز الكنوز لجميع الأنوار، حيث كانت رسالته إلى كافة العالمين. فكان التركيب ملائم للهدف وموافق للموقف، لطفا ورقة ولينا، لأنه صلى الله عليه وسلم مكتظ بأنوار إلهية لم يسبقه إليها أحد.

ولما أراد وصف الرسول (ص) بالقوة والشدة استعمل الشاعر تراكيب توحي بأنه ينحت الجُمَل والتراكيب نحتا. فتحسّ بالقوة والعنف والحذر في التراكيب، وتلمح ذلك لما وصف الرسول (ص) قائلا: "ضرغام العدى" و "قامع الشر

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

والأشرار" فالجرأة والإقدام وشدة البطش كلها صفات مشهورة في الأسد، فكلها تراكيب ضخمة مقرعة للقلوب والأجساد، لأنها ترمز إلى القوة وشدة بطش صاحب المقام. فلو أنه استعمل جملا مثل "أسد الأعداء" و "دافع البلاء" بدلا من سابقاتها لما وفت بالمراد، لأنها لم تكن أقوى وأظهر وأحذر من سابقتها، لأنها لا تقرع القلوب والصدور. ومن هذا المنطلق تحقق في القصيدة الانسجام الذي أدركه البلغاء، وهو التوافق بين الجمل ومعانيها. فاستعان الشاعر بألفاظ وجمل قوية جزلة حيث كان المقام مقام القوة والبطش والحماسة، كما استعمل الرقة واللين حيث كان المقام يتطلب اللطف والرقة.

العاطفة

تعدّ العاطفة استعدادا نفسيا ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة والقيام بسلوك معين حيال شخص أو جماعة أو فكرة معيّنة[٢٤] كعاطفة الحبّ، والكره، والصداقة، والطموح، وعاطفة احترام الذات. وأرقى العواطف المعنوية عاطفة الحق وعاطفة الجمال وعاطفة الخير. وتتصل عاطفة محبة الجمال بالفنون والآداب، فيكون تكوّنها سببا نموّ الذوق الفني والأدبي والنقدي.

فعاطفة الشاعر تتسم بسمة الصدق التي تؤكد صحة شعور الشاعر وإحساسه الحقيقي بهذه التجربة والمعاناة في حب سيد الوجود، حيث كانت قلبه مفعمة بعاطفة قوية جياشة إزاء ممدوحه، فتجرد إلى مدح الرسول باسم يدل على شرف منزلته وعلوّ شأنه لدى خالقه، ومتوسلا بالرسول لينقذه من الأشرار ومكر الكائدين والحساد، قائلا:

يا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدرا حائز الشرفا
مولاي يا منقذي من الشرور وكيـــ * ـد الكائدين وحساد أهل جفا
إنـي أحبك يا ياسين يا سندي * بدر البدور رسول الله ذا اللطفا[٢٥]

فالقارئ لهذه الأبيات يلمح العاطفة الصادقة تنبعث من صميم قلب الشاعر، وذلك لمناسبة المعاني والمشاعر مع موضوع النصّ وما يستحقه الممدوح من الحب والتبجيل، لأن ما يعبره تجاهه خارج من أعماق قلبه وذلك لقيامه على

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

عواطف إسلامية خالصة، ونوازع إيمانية عالية، واتخاذه عبادة يتقرب بها إلى الله ومجاورة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الصور البيانية

تناول الشاعر صورا بلاغية في القصيدة بمختلف أنماطها، ليتمكن من تصوير أحاسيسه ومشاعره بدقة وبراعة تجاه الممدوح، فمما سجّله الشاعر في هذه المناسبة النداء: وهو طلب المتكلم إقبال المخاطب، بحرف نائب مناب أنادي" استعمل الشاعر الياء ينادي بها الرسول (ص) إشارة إلى احتضاره في ذهنه وقلبه وصار كالحاضر معه، لا يغيب عن القلب وكأنه ماثل أمام العين، مع كون الياء لنداء البعيد، وكل هذا دلالة على أن المنادى عظيم القدر رفيع الشأن كما أن هذه الصيغة تستعمل للتضرع والاستغاثة، ويكون عادة في خطاب الأدنى لمن هو أعلى منه منزلة.

يا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدرا حائز الشرفا[٢٦]

واستعان الشاعر بالجمل الخبرية لينبأ ما تستضيفه ضميره من المحبة والتقدير للممدوح، وما يتمتع به الشاعر من اتخاذه سندا وملجأ لأموره، فاستعمل التوكيد ليثبت مكونات قلبه تجاه الممدوح، وذلك في قوله:

إني أحبك ياسين يا سندي * بدر البدور رسول الله ذو اللطفا[٢٧]

ومما استخدمه الشاعر في القصيدة: الفصل: وهو ترك العطف بين الجملتين أو أكثر بغرض من الأغراض، واستعمل الشاعر الفصل بين الجملتين في القصيدة لتحقيق غرض من أغراض الفصل، وهو اتحاد الجملتين اتحادا تاما وامتزاجا معنويا، حتى كانت الجمل كأنها أفرغت في قالب واحد، وهذا النوع يسمى "كمال الاتصال" حيث اكتفى الشاعر بالفصل بين هذه الجمل التي بدأت بالنداء دون العطف عليها، وذلك لكمال الاتصال بينها، وهذا واضح في قول الشاعر:

يا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدرا حائز الشرفا[٢٨]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وتتجلى في القصيدة صور من التشبيه البليغ، إذ شبه الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ببدر البدور، وذلك ليثبت أن المشبه هو عين المشبه به، وليرصد شرف منزلة الرسول وعلو شأنه بين الرسل عليهم السلام، وذلك في قوله:

إني أحبك ياسين يا سندي * بدر البدور رسول الله ذو اللطفا[٢٩]

وفي موطن آخر استخدم الشاعر التشبيه المؤكد، ليظهر رفعة قدر الممدوح في الحسن والبهاء واتساع بركته وهدايته، بالشمس إذا أشرقت فإن نورها يكون مفيدا للخلائق، ويمكن ملاحظة ذلك في قوله:

طه فشمس الهدى حامي الورى عن ردى * يحمي الأنام عن البلوى وعن آسفا[٣٠]

الصور البديعية:

تناول الشاعر في قصيدته صورا من البديع في جوانبه المختلفة مع قدرته على تشكيل الصور في أداء مهمتها شكلا ومعنى، ليكسب الشعر الحسن والجمال، ويعزز هذه المظاهر البديعية اهتمام البلاغيين به، كما يقول بسيوني: إن البلاغيين قد جعلوه وسيلة لتحسين الكلام، وإجلاء المعنى وتزيينه.[٣١]

ومما استحسنه الشاعر في فن البديع؛ المطابقة: وهو الجمع في الكلام بين معنيين متقابلتين، طابق الشاعر بين جملتي " عبد الإله وسيد خلقه " في القصيدة، لأن جملة "عبد الإله" تعبرا عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم في الحضرة الإلهية، بأنه عبد لله ورسوله، كما تعبر كلمة "سيد خلقه" عن اصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخلائق بالسيادة وشرف المنزلة. فالعلاقة بين كلمتي "عبد وسيد" هو التضاد، كما يتجلى ذلك أيضا في لفظي:"الإله والخلق". وذلك في قوله:

محمد المرتضى ياسين ذا المجد * عبد الإله وسيد خلقه عرفا[٣٢]

وكذلك يلاحظ نفس القضية بين " الأولين والآخرين " في القصيدة حين يقول:

هو سيد الأولين والآخرين تدرى * وشافع المذنبين إمام أهل صفا[٣٣]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ومن المحسنات البديعية التي استوظفها الشاعر "المجانسة" وهو اتفاق اللفظتان في النطق واختلافهما في المعنى، حيث أورد في قصيدته كلمتين تجانس إحداهما الأخرى، وهما طمطام و غمغام" فقد اتفقت الكلمتان في عدد الحروف والشكل، واختلفتا في نوع، لذا يمكن القول بأنه جناس ناقص، وذلك في قوله:

طمطام سر وغمغام العدى سندي * سبب الحبور وخيرات ونيل صفا[٣٤]

ومما استعمله الشاعر ائتلاف اللفظ مع المعنى، وهو أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني، ويظهر هذا الائتلاف عندما وصف الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم الكرم والعطاء بالمزن، ولما أراد أن يصفه بالشجاعة والإقدام وصفه بالضرغام وذلك في قوله:

مزن الخيور وضرغام العدى فخري * أصل الأنام رسول الله ذو اللطفا[٣٥]

الموسيقى

فالموسيقى لغة فنية موزونة لها تفاعيلها التي تقسم الزمان بأنغام كما يقسمه الشعر بأوزان الشعر بأوزان، فالموسيقى تعتمد على الشعر وتمدها بأدوار التي تلحن فتستحيل بأدوار موسيقية.

وقصيدة الشاعر فائية الروي من البحر البسيط، الذي كثر استعماله في المديح، ويقول عنه مصطفي حركات: البسيط من البحور الدرجة الأولى، وشكله التام بصنفيه، مستعمل بكثرة من طرف الشعراء، وهو يأتي مباشرة بعد الطويل فيما يخص نسبة الاستعمال.[٣٦]والبسيط مبني على الوزن التالي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

لاحظ الباحث أن الشاعر القرموي أجاد في استخدام البسيط، إلا أنه لم تسلم أبياته من الحافات، حيث وقع الخبن في أبياته، وهو حذف الثاني الساكن في "فاعلن"، وجاءت وجوبا على الشكل الثابت فصارت "فعلن" في عروضه وضربه. ويظهر ذلك جليا في مطلع القصيدة حيث يقول:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أيا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدرا حائز الشرفا

تقطيعه

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

يَا مُصْطَفَلْ خَلْقِيَا مَنْحَازَ كُلْ لَصَفَا * يَا أَكْرَمَلْ كَوْنِ قَدْ رَنْحَأْئِزَشْ شَرَفَا

ا. ا. ا.ا. ا. ا.ا. ا.ا. ا.ا. ا.ا. * ا. ا. ا.ا. ا.ا. ا. ا.ا. ا.ا.

ومما يمكن اعتباره أن الشاعر استعمل بحر البسيط ليبسط له مجال تعداد صفات ممدوحه، والتعبير عما يجيش في نفسه بيسر وسهولة، وكما سبق أنه قرين لبحر الطويل ويستعملان كثيرا في المدح. واختار الفاء رويا له في القصيدة، والفاء صوت مهموس منفتح ينتج عن اندفاع الهواء من الفم بين الثنايا العليا والشفتي السفلى، التزاما الأدب نحو الرسول صلى الله عليه وسلم، ومقتفيا بالآية الكريمة " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا" لما يتحلى للحرف من رقة ولطف ولين، وزاد الموقف بهاء وجمالا، كون الروي منفتحا فنتج عن ذلك وجود حرف الألف المقصور ليعلن مهنته التي يعانيها من شدة الشوق والهيام نحو هذا الممدوح الفذ.

وأما ما يتعلق بالموسيقي الداخلية، فيظهر أن للشاعر حظا وافرا فيها، حيث اختار كلمات ذات نغمة موسيقية وأجراس صوتية ملائمة في تحديد صفات الممدوح حيث يقول:

طه منير الدجى ياسين بذل الندى * مردى العدى مجتبى حميد أهل الوفا

طه فشمس الهدى حامى الورى عن ردى * يحمى الأنام عن البلوى وعن أسفا[٣٧]

فالقارئ للأبيات السابقة يلمح أجراسا موسيقية تنشأ عندما يقرأ الأبيات بأصوات ونغمات مطربة ورنين هادئ، وذلك في قوله: " منير الدجى" و " بذل الندى" و " مردي العدى" و " شمس الهدى" و " وحامي الورى" و " عن ردى" و " عن البلوى" و عن أسفا" فكلها كلمات متشابهة عند النطق ويترتب ذلك وجود تجاوب صوتي بين الكلمات المتشابهة،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وبذلك حدثت الموسيقى الداخلية التي زادت القصيدة رونقا وجمالا، ففي الألفاظ والعبارات أداء صوتي ملائم بين حروفها وحركاتها، فتجلى فيه الائتلاف الصوتي للكلمات.

الخاتمة

كانت المقالة بمنزلة تسليط الضوء على ما قام به الشيخ محمد النظيفي القرموي في المسرح الأدب العربي النيجيري، حيث سرّد فيها الباحث حياة الشاعر وعوامل تكوينه الأدبي مع نموذج من قصيدته، ثم قام بدراسة القصيدة من حيث الفكرة والعاطفة والخيال والأسلوب وصولا إلى الموسيقى. وفقد لاحظ الباحث عكوف الشاعر على الالتزام الإسلامي حيث لم تجرفه تيارات فكرية هدّامة، إنما تظهر فيه النزعة الإسلامية على المستوى اللفظي والمعنوي والعبارة في القصيدة المدروسة. وأخيرا أعقب الباحث بالخاتمة والهوامش والمراجع.

الهوامش والمراجع

---

[١] - أبو إسحاق، أبراهيم بن علي الحصري القيرواني، **زهرة الآداب وثمرة الألباب**، تحقيق: أ.د.يوسف علي طويل، بيروت: دار الكتب العلمية،ج/١ ،١٤١٧هـ، ص: ١٨

[٢] - ترجمة ذاتية للشيخ محمد النطيفي القرموي، المسماة بـ" **ترجمتي أنا القرموي بنفسي**" نسخة مطبوعة، ص:١

[٣] ترجمتي، المرجع نفسه، ص : ١-

٤- مقابلة مع الشاعر، في منزلم بكنو ٢٠١٢/٤/١٢م

٥- مقابلة مع الشاعر، في منزلم بكنو ٢٠١٢/٤/١٢م

[٦] - المشافهة مع الشاعر في منزلم بكنو ٢٠١٢/٤/١٢م

٧- ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر**، تحقيق: الدكتور أحمد الجوفي، مكتبة النهضة بالفحالة، ط/١، ١٩٦٢م، ص:٩٦

٨- - محمد النظيفي القرموي، **سحائب الفوز والرضوان في مدح سيد الأكوان**، مكتبة القرموي، ٢٠١٢م، ص:٢

٩- - فاطمة عمراني، **المدائح النبوية في الشعر الأندلسي**، ط/١، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص:٢٦٦

[١٠] - ابن رشيق القبرواني، **العمدة**، ط/٥، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ص: ١٥٦.

[١١] - محمد النظيفي القرموي، **سحاءب الفوز والرضوان** المرجع السابق، ص:٢

[١٢] - ابن حجة، تقي الدين الحموي، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، المطبعة الأزهرية، بولاق،١٢٩١هـ، ص:٥٦٢

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[١٣]- ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، ط/١، المرجع السابق، ص: ٢٣٤

- محمد النظيفي القرموي، **سحاب الفوز والرضوان**، ص:[١٤]٥

- أحمد المبارك الخزرجي، **أجمل المدائح النبوية**، القاهرة، دار الأنصاريللطباعة والنشر والتوزيع، ص:[١٥]٨

- القرموي، المرجع السابق، ص:[١٦]٥

[١٧] - الجرجاني، عبد العزيز، **الوساطة بين المتنبّي وخصومه**، شرح: محمد أبو فضل إبراهيم، مطبعة عيسى إلياس الحلبي وشركاؤه، بدون تاريخ، ص: ٢٣

١٥- **مقدمة ابن خلدون**، المطبعة البهية المصرية، بدون تاريخ، ص: ٥٧٠

١٨- مندور محمد، **الأدب وفنونه**، المرجع السابق، ص: ٢٢

١٩- الشايب، أحمد، **أصول النقد الأدبي**، المطبعة القاروقية، ١٩٤٠م. ص: ٢٥٩

٢٠ - ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، ج/٢، ص:[٤١]٥٥

٢١ - القرموي، المرجع السابق، ص:[٤٢]٦

٢٢ - القرموي، المرجع السابق، ص:[٤٣]٢

٢٣- هلال، غنيمي محمد، **النقد الأدبي الحديث**، دار نهضة مصر، ص: ٣٧٤

٢٤- القرموي، المرجع السابق، ص:[٤٥]٢

٢٥- القرموي، نفس المرجع، والصفحة[٣]

٢٦- القرموي، نفس المرجع، والصفحة[٣]

٢٧- القرموي، نفس المرجع، والصفحة[٢]

٢٨- القرموي، المرجع السابق، ص:[٥]٢

٢٩- للقرموي، المرجع السابق، ص:[٤٣]٤

٣٠- فيود، بسيوني عبد الفتاح، **علم البديع دراسة تاريخية وفنية**، ط/٢، القاهرة، مؤسسة المختار، ١٩٩٨، ص:١١٣-١١٤[٣]

٣١- القرموي، المرجع السابق، ص:[٣٢]٢

٣٢- القرموي، نفس المرجع، ص:[٣٣]٤

٣٣- القرموي، نفس المرجع، ص:[٣٤]٤

٣٤- القرموي، نفس المرجع،والصفحة[٣]

٣٤- مصطفى حركات، **أوزان الشعر**، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م، ص:[٣٦]٧٧

٣٥- القرموي، نفس المرجع والصفحة[٣]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

عرض وتحليل لمرثية "الدموع المدرار" للشاعر أبابا ثاني أباغوني

إعداد:

الدكتور علي عبد القادر العسلي

قسم العربية، جامعة ولاية يوبي، دماتر

ومحمد رمضان يونس

طالب ماجستير، جامعة ولاية يوبي ومحاضر بقرية اللغة العربية –إنغالا نيجيريا.

ملخص البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى سبر شاعرية أبابا ثاني في الرثاء من خلال إبراز ما تحتوي عليه مرثيته "الدموع المدرار" من مزايا فنية انطلاقا مما رسمه النقاد لفن الرثاء، علما أن ذلك قد يشكّل دافعا قويا ليجدّ الشاعر ويسعى إلى مزيد من الإجادة والتألق الفني. وسينتهج البحث المنهج التحليلي راجيا أن تحقق في آخر مطاف الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما هي المزايا الفنية المتوفرة في قصيدة "الدموع المدرار"؟ وهل وُفِّق الشاعر أم أخفق في توظيف الأدوات الأسلوبية للتعبير عن معانيه عند الرثاء؟ ومن الشاعر أبابا غوني نفسه؟ وكان من النتائج التي توصل إليها البحث أن القصيدة اشتملت على معاني الرثاء الثلاثة: الندب والتأبين والتعزية، وكان الثاني هو السائد من بينها، لأنها مثار الحزن والدافع إلى القرض.

Abstract:

This study aims at discuss poetic talent of Ababa – Sani, through his elegiac poetry “addumu’u al-Midrar” in order to highlighting its literary quality according to critic view. It is believe that this kind of study can help poet to develop his literary creativity and style. Meanwhile, the research shall try, by using descriptive

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

methodology to answer the following: what are the available literary qualities in this poem? Did the poet succeed in using stylistic expression of elegy or he didn't? And finally, who is Ababa-Sani? The study finds that the poem contained the three major concepts of elegy: "taabin", "nadbu" and "ta'ziya", and also observed that "taabin" got more attention among others.

الكلمات المفتاحية: تحليل - مرثية - أبابا ثاني– مزايا - فنية.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فيعد الرثاء من الأغراض الشعرية الأكثر تناولا عند أدباء نيجيريا، لأنه إلى جانب كونه مسرحا للتعبير عن الأحزان، يتيح الفرصة في تصوير عظم المصائب التي تورّثه وفاة المرثيّ تخليدا لذكراه، ووفاء لبعض حقوقه كأستاذ، أو قريب، أو زميل أو غيرهم ..

ومن قبيل ذلك هذه القصيدة التي نظمها أبابا ثاني في رثاء الدكتورغوني عبد الله التجاني، وستسعى المقالة لدراستها وتحليلها تحليلا فنيا سائرة على محاور ثلاثة:

التعريف بالشاعر (أبابا ثاني أباغوني).

عرض المرثية (الدموع المدرار).

الدراسة التحليلية للمرثية.

التعريف بالشاعر(أبابا ثاني أباغوني):

نسبهونشأته:

كان ميلاد أبي بكر بن ثاني بن عبد الله بن هارون ليلة السبت ١٩٧٠/٠٩/٢٦م بميدغري[١] يلقّب بـ " أبابا" وب"مالم غنا".

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وكان سميا لجده من أمه، أبو بكر المعروف بالشيخ "أباغوني" البرنوي المالكي الأشعري الصوفي[٢] الذي نشأ وتربّى على يديه[٣]حيث قرأ عليه القرآن الكريم، وأخذ عنه بعض الكتب الفقهية، وبعض القصائد في المديح النبوي، وكتب التّصوّف، قبل أن يلتحق بمدرسة الشّيخ أباغوني الإسلامية عام ١٩٨٠م، وتخرّج منها عام ١٩٨٧م، فالتحق بكليّة الدّراسات الإسلاميّة (كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية) بميدغري، وتخرّج منها عام ١٩٩٢م، وبعد تخرّجه من الثانوية مكث ثلاث سنوات ملازما للقرآن الكريم رغبة إتقانه، ومدرّسابمدرسة الشيخ أباغوني الإسلامية، وفي عام ١٩٩٥م التحق بقسم الدبلوم في كليّة الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بميدغري، وبعد مضيّ سنة نال القبول بجامعة ميدغري، ١٩٩٦م[٤] وفي السنة الثالثة بالجامعة شارك أبابا مع بقية أفراد فوجه في رحلة علمية إلى قرية اللغة العربية- إنغالا، فقضوا سنة كاملة هناك، ثم تخرّج من الجامعة عام ٢٠٠١م.وكانت خدمته الوطنيةما بين عامي ٢٠٠٢م - ٢٠٠٣م بولاية بنوي (Benue)[٥].

أساتذته وشيوخه:

لقد تتلمذ الشاعر أبابا ثاني على أيدي علماء كثيرين، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر، الماهر السيد أبوبكر الدمغراوي، (مالم هبو) رحمه الله تعالى، الذي كان أول من درّسه مبادئ القراءة والكتابة في اللوح، وغوني عمر الفاروق غوني علي أحمر، والخليفة إبراهيم أباغوني[٦]وأخذ علوم الشريعة واللغة من الشيخ أباغوني، كما استفادأبابا ثاني بكثير من شيوخ الطريقة التجانية في مدينة ميدغري، الذين كان يحضر دروسهم أمثال: الشيخ أحمد أبو الفتح، والشيخ أبو بكر المسكين، والشيخ إبراهيم صالح، والشيخ غوني مود غوني كولو، والشيخ أبو بكر غونيمي،والشيخ الدكتور حم آدم بيو،والشيخ تجاني عمر،ومالم بلو ذاكر[٧].

آثاره العلمية:

للشاعر أبابا ثاني مؤلفات قيّمة،منها:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

- محاضرات في مادة المعلومات العامة، وهو المطبوع الوحيد من كتبه، حيث صدرت طباعته ٢٠١٠ممن مطبعة الممتاز للنشر والتوزيع.

- كشف الغموض في علم العروض.

- الكافي في علم القافية.

- البلاغة للمبتدئين.

- المطالعة دروس ونصوص.

ومن **دواوينه:**

- أحلى الأغاني، في مدح خير الأماني.

- كساء الفؤاد في مدح خير الزاد.

- ركون القلب إلى حضرة الحِبّ.

- معدن الأسرار في مدح الشيوخ الأخيار.

- نفحات الربيع في مديح السيد الشفيع.

- الواردات في مدح سيد السادات.[٨]

عرض القصيدة:

نظم هذه القصيدة في رثاء المرحوم الدكتور غوني عبد الله التجاني الذي وافته المنية يوم الأربعاء ١٨ من شهر ذي الحجة، ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠/١١/٢٤م، وهي تحتوي على أربعين بيتا، بعنوان:**الدموع المدرار:**

سالت دموعي كالحيا المدرار حزنا على ذي العلم والأسرار
اهتز قلبي والدماء تكدرت لما أتاني نعيه في الدار

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

العلم ينعاه بكل تحسر ... ابكوه يا قومي مدى الأعمار
لم لا دموع لاتسيل كأبحر ... من أعين الطلاب والأحبار؟!
فالجامعات بكت بكل تحسر ... صرخت على فقدانه وخسار
هذا الفتى فخر الحنيفة والورى ... أخلاقه تزهو لكالأزهار
قد أتقن القرآن منذ طفولة ... يتلوه في الآصال والإبكار
جمع الشريعة والحقيقة يافعًا ... وأفادنا بالعلم والأذكار
شيخ النحاة وفي البلاغة آية ... والصرف يسقينا لكالأمطار
متمكن في كل فن يا له ... عربية تبكيه في الأقطار
هو عالم هو كاتب هو شاعر ... دكتور هذا العصر ذو الأنوار
لسن أديب ذو المزية مفلق ... أهدى به الرحمن جمع شرار
سيف الطريقة والسلاح القاطع ... أردى الأعادي بل ذوي الإنكار
قاد المنظمة التي تهدي الورى ... سبل الرشاد وطرق أهل الباري
ذكر الإله دأبه وتلاوة الـ ... قرآن ثم محبة المختار
يهوى الرسول وأهله والأوليا ... خدم الشيوخ وأهلهم بفخار
أدى الأمانة لم يَخُنْ طلابه ... متواضع يدني البعيد كجار
ويناقش الطلاب بالإنصاف والـ ... ـدكتور عبد الله غير مُمَار
إنفاقه في الله عز يراعتي ... يسمو به الفتيان كالأبكار
مأوى اليتامى المنصف المتلطف ... يعفو عن الجاني لدى الإقدار
طلق المحيا لا تراه غاضبا ... وفؤاده صاف لذكر الباري
نصح الورى في كل حين دأبه ... وينير سُبْلَ الخير كالأقمار

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

نعم الصبور أبو العيال الناصر! أكرم به، أعظم بذي الأخطار!
ومكارم الأخلاق فيه تجمعت يخطو بإثر الأوليا الأخيار
مسكين رب العرش فاه بمدحه جمعت له صفة العليم الداري
لما دناه الموت يتلو الفاتحه وكذلك التوحيد في الإجهار
ثم المعوذتين يسمح جسمه وتلا صلاة الفاتح المختار
وأشار عند الموت بالسبابة أن الإله واحد هو بار
إني أعزي شيخنا المتبحر المصطفى من مصطفين خيار
يا سيدي كَدِ اصطبر هذا قضا وعزاؤنا لجميع أهل الدار
ولزوجتيه عزاؤنا المتواصل إني أعزي يَسْتَ ذات خمار
يا سين ثم أبا الفتوح وزينب يَانَا وأنَّا والنذيرَ القاري
يا موسى، أحمد والشريف وسيده يا صالح اصبر ذا من الأقدار
أبَّهْ توكل واحتسب أجرا على فقد الولي ومرشد الأحبار
يا رب يا رحمن نرجو رحمة وسعادة يا رب حسن جوار
يا رب ألحق شيخنا بمحمد أنزله في الجنات للأبرار
واحشره بين الأنبيا والأصفيا والصالحين ذوي التقى الأخيار
كفِّر جميع ذنوبه يا ربنا واستر جميع عيوبه بستار
ولترض يا رباه عن أشياخنا كأبي الفتوح وصحبه الأخيار
صـــلى الإلـه على النبـي محمـــد وعلى الصحاب وآله الأطهار[٩]

الدراسة التحليلية لمرثية " الدموع المدرار"

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

١- **الفكرة:** لقد توخى الشاعر أبابا ثاني معاني سامية جميلة في هذه المرثية، وفقا لما تعارف عليه النقاد في فن الرثاء، ومن ثم تضمنت القصيدة:

أ- الندب: وهو شدة بكاء الشاعر وحزنه وضجره على فقد الميت، حيث بكى واستبكى القوم معه، وتخيّل بكاء ما تعهده المرثي بالتعليم، أو الذكر، أو الاستئناس، ووقع ذلك من البيت الأول إلى الخامس. ويبدو أن تأبين الشاعر في تلك الأبيات مشحون بالمبالغة إيهاما لمدى حزنه على المتوفى، لأن القلب الحزين حقا منشغل بنفسه عما حوله، وإنما لجأ إلى تلك المبالغة والتأكيدات لتكون عوضا عن ذلك الحزن الفاتر نسبيا، ومن ثم عرت الأبيات من حرارة العاطفة الكئيبة.

ب- التأبين: وهو ذكر أخلاق الفقيد وخصاله الحميدة، وقد تتبع الشاعر محامد المرثيّ من كل ناحية، ورصد مخايله العلمية، وأخلاقه السامية سواء في معاملته مع الطلاب والأهل والشيوخ، وبيّن حرصه المتفاني في إسعاد الناس نصحا وإرشادا وتعليما، وأعرب عن ولوعه بذكر الله وتلاوة القرآن، واستمرّ مجسّدا لهذا الجانب النبيل في المرثي حتى وصف حالته عند الاحتضار يتلو الفاتحة والمعوذتين وصلاة الفاتح، ويمسح جسمه بها، ويشير بسبابته إلى السماء؛ للدلالة على أن الله واحد. وبلغ عدد الأبيات التي عدّد فيها محاسن الميت ثلاثة وعشرين بيتا (٢٣) من البيت السادس (٦) إلى الثامن والعشرين (٢٨).

ولعله يمكن القول إن الشاعر كان يشده عند قرض هذه القصيدة إعجابه بالشمائل الكريمة التي تحلى بها المرثي أكثر مما أثار شاعريته الحزنُ، ومن ثم فاض على لسانه تعداد المحامد، وكانت كثرة الأبيات فيها إحدى مدعمات هذه الدعوى، ثم فتور عاطفة الحزن التي كانت مدعاة للمبالغة المفرطة في الأبيات الخمسة الأولى.

ج- التعزية: عزاء الشاعر لأهل الفقيد، من زوجته وإخوته وأبنائه وبناته، وأوصاهم بالتوّكلّ والتّصبّر، والدعاء له بالجنة ورضوان الله، وذلك في عشرة أبيات (١٠) من البيت التاسع والعشرين إلى الثامن والثلاثين، والملحوظ أن الستة من هذا العدد كانت في ذكر الأسماء لأقرباء المتوفى، بينما كانت الأربعة في الدعاء له؛ وهو ما يرجى أن يخفّف عنهم ألم الفراق عندما يغلب عليهم الرجاء بحسن مأوى مرثيّهم، فهذا ليس بعيدا عن التعزية. أما تعداد

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

الأسماء فيتنافى مع الموقف الكئيب الذي هم عليه، ولا يتماشى – ولو كانت قوية – مع عاطفة الحزن التي من المتوقع أن تكون سيدة الموقف وملائمة لمقتضى الحال. ومن ثم، يصدق ما سبقت الإشارة إليه في النقطة السابقة أن عاطفة الإعجاب هي التي تسيطر على قلب الشاعر حينما ينظم القصيدة.

ثم ختم الشاعر القصيدة بالدعاء لمشائخه، ثم الصلاة والسلام على النبي،وعلى أصحابه وآله الأطهار، وهو في ذلك يسير على منهج القدامى الإفريقيين لا سيما الصوفيين منهم.

٢- **العاطفة:**

سبقت الإشارة إلى أن العاطفة المسيطرة على جو هذا النص، هي عاطفة الإعجاب من مآثر الميت، ويمكن القول بأنها تمثّل مثار حزن الشاعر على المرثيّ. وكانت جياشة قوية إلى حدّ كبير، ويمكن تتبع تلك القوة من خلال المعاني التي تتجسد واضحة في الحقول الدلالية، إذ يتشكل إعجابه بمآثرالميت في ثلاثة أطر:

أ- خلقه الكريم، ومن نماذج الكلمات الدالة: (فخر الخليفة - أخلاقه تزهو - مأوى اليتامى - المتلطف - الصبور - أبو العيال - الناصر - طلق المحيا - فؤاده صاف).

ب- سعة علمه، ومن الأمثلة:(أتقن القرآن - يتلوه - جمع الشريعة والحقيقة - عالم - كاتب - شاعر - في البلاغة آية - متمكن في كل فن -لسن - أديب - شيخ النحاة).

ج- ولوعه بالعبادة، وترد في ذلك أمثال :(ذكر الإله - نصح الورى - تلاوة القرآن - ينير سبيل الخير -محبة المختار - مرشد الأحبار - – ذو المزية – لم يخن طلابه –-إنفاقه في سبيل الله).

وكل هذه الحقول مجتمعة تنتهي إلى بوتقة اتصاف المرثيّ بالنبالة، وهي ما سحرت الشاعر، واستجلبت حزنه الذي لم يرد من النصفي حقله الدلالي إلا كلمات لا تكاد تتجاوز إحدى عشرة، يمكن حصرها فيما يأتي: (دموع - حزن - تكدرت - نعي - ينعاه- تحسر - صرخت - فقدان - خسار- تبكيه - عزاء)، بينما وردت في الحقول الأخرى عشرات كلمات،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ويؤكد هذا أن عاطفة أقوى من الشعور الحزن، وفي شيء من الاحتراز يمكن أن يقال بأن الإعجاب هو ما أثار الحزن في قلب الشاعر.

٣- **الخيال:** وتتمثل آليات الخيال خلال هذا النص فيما يأتي:

أ- **التشبيه:**"هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر " أو " هو إلحاق أمر بأمر آخر بأداة التشبيه لجامع بينهما":[١٠]

لقد افتتح الشاعر مرثية الدموع المدرار، بتشبيه رائع يتمثل في تشبيه سيلولة دموعه على الخدين بالحيا المدرار لكثرته ، وشبهه أيضا بأبحر في كثرته وكمّه، وهو التشبيه المرسل المجمل. وذلك في قوله:

سالت دموعي كالحيا المدرار ## حزنا على ذي العلم والأسرار

لم لا دموع لا تسيل كأبحر ## من أعين الطلاب والأحبار[١١]

ثم أعمل الشاعر الخيال حينما يتحدث عن صفات الفقيد وأخلاقه حيث شبه البعيد عنده كالجار في معاملته لهم، وهو تشبيه مرسل مجمل، وذلك في قوله:

أدى الأمانة لم يخن طلابه ## متواضع يدني البعيد كجار[١٢]

وشبه الفقيد في مساعدته وإعانته للناس في الخيرات بالأقمار في إضاءتها، وهو تشبيه جميل، وذلك في قوله:

نصح الورى في كل حين دأبه ## وينير سبل الخير كالأقمار[١٣]

ويكمل السر الجمالي في هذه التشبيهات في إبراز قيمة المفقود، وفي كشف الحالة النفسية للأديب، إلا أنه يؤاخذ على بعض تلك التشبيهات أنها لم تتعد مجرد استيحاء الذات دون توخي المعاني العميقة، فصنيع الحياء المدرار مثلا أن تبثّ الأريحية في النفوس، ويعقبه الأنس والسكينة، وهو ما يخالف الحالة النفسية التي أراد الشاعر أن يعبّر عنها، ولكنه توقف عند مظهر الكثرة ليس إلا، ويرعى الانتباه ركاكة التركيب في صدر البيت من النموذج الثاني: (لم لا دموع لا تسيل؟)، حيث أوقع النفي على النفي، ومثله في الركاكة:(أخلاقه تزهو لكالأزهار)و(والصرف يسقينا لكالأمطار)؛ إذ لا يوجد مسوّغ لاقتران لام التأكيد بـ(لكالأزهار/ لكالأمطار) إلا الافتقار إلى استقامة الوزن.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ب- **المجاز:** ويعني عند البلاغيين الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له باعتبار أنها جائزة ومتعدية مكانها الأصلي:[١٤]

فالشاعر استهلّ هذه المرثية بمجاز عقلي، ويكون في الإسناد، أي في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له، غير ما هو له بتأول. ويسمى المجاز الحكمي، والإسناد المجازي، ولا يكون إلّا في التركيب، وذلك حين قال:

العلم ينعـاه بكلّ تحسّر ## ابكوه يا قومي مدى الأعمار

فالجامعات بكت بكل تحسر ## صرخت على فقدانه وخسار

متمكـن في كل فن يا له ## عربية تُبكيه في الأقطار[١٥]

كيف للعلم والجامعات والعربية أن تبكي؟ فقد برع الشاعر في إسناد البكاء والصراخ إلى العلم والجامعات والعربية مع علمه بأنها جمادات لا تبكي، فكل هذه الإسنادات عن طريق المجاز العقلي.

فجمال هذا المجاز نابع من شعور الشاعر وقدرته في إسناد الصور المعنوية إلى الحسية، وذلك المجاز، لأنها أدل في المبالغة من التعبير الحقيقي الصريح.

٤- **دراسة الموسيقى الشعرية:**

الموسيقى:"تعبير رمزي عن شعور أو عاطفة أو انفعال نبع اللحن فيه من أوتار خاصة، وعلى نحو خاص، وفي الشعر صوت ينبع من كلمات تستقبله أذن القرئ، ويحكم عليها بذوقه الأدبي وحسه اللغوي".[١٦]

وعلى هذا،فإن عنصر الموسيقى عنصر لازم ومهم في العمل الشعري، وذلك أن الشعر إذا خلا من الموسيقى والإيقاع، فقد اختلّ بجزء كبير مما يؤثّر في نفس السامع أو أذن القارئ، وعلى هذا، يتم الوقوف على الموسيقى من جانبيها الداخلي والخارجي.

أما**الموسيقى الداخلية**؛ فتتمثل في القصيدة من وحدات إيقاعية موسيقية تجمّل النص وتزينه، ويكون ذلك في تكرار (لفظي، وصوتي، وكذلك التصريع) وغيرها من الوحدات الموسيقية التي تساعد في إظهار جماليات النص الشعري.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فالتصريع:وهو: إجراء العروض على حكم الضرب بمخالفتها لما تستحقه بزيادة أو نقص.[١٧]والغرض منه استحضار الهواجس الشعرية واستثارة العواطف والولوج إلى القصيدة بإيقاع موسيقي متواتر مؤتلف يزيد من سلاسة تعبيرية للقصيدة فنجد أن الشاعر أبابا ثاني أباغوني قد وظّف هذا في النص الشعري المختار للتحليل، وذلك على النحو التالي: في مرثية "الدموع المدرار" استهل الشاعر هذه المرثيةبالتصريع، وذلك قوله:

سالت دموعي كالحيا المدرار ### حزنا على ذي العلم والأسرار

فالقارئ لهذا المطلع الرائع يجد أن مصراع البيت اتفقا وزنا وقافية وإعرابا، وقد أحدث هذا نغما موسيقيا وإيقاعا جميلا في القصيدة، ويطرب لسماعه الأذن، وذلك لما نُسجت من تصريع البيت الأول من القصيدة، ولذلك قال ابن الأثير: " واعلم أن التصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور، وفائدته في الشعر أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها، وشبه البيت المصرّع بباب له مصراعان متشاكلان".[١٨]

وأما التكرار اللفظي: وهو إعادة إيراد اللفظ في الجملة، حيث يأتي متعلقا بمعنى، ثم يتكرر مع معنى آخر في النص:ففي القصيدة أنواع من الألفاظ المكررة، وعلى هذا يقول ابن الأثير: "واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له، وتشييدا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك؛ إما مبالغة في مدحه أو في ذمه، أو غير ذلك"[١٩]ممثلا في "الدموع المدرار" قال الشاعر:

سالت دموعي كالحيا المدرار## حزنا على ذي العلم والأسرار

اهتز قلبي والدماء تكدرت ## لما أتاني نعيه في الدار

العلم ينعاه بكل تحسر ## ابكوه يا قومي مدى الأعمار

لم لا دموع لا تسيل كأبحر ## من أعين الطلاب والأحبار

فالجامعات بكت بكل تحسر ## صرخت على فقدانه وخسار

جمع الشريعة والحقيقة يافعا ## وأفادنا بالعلم والأذكار

متمكن في كل فن يا له ## عربية تبكيه في الأقطار

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ذكر الإله دأبه وثلاوة الـ ## قرآن ثم محبة المختار
نصح الورى في كل حين دأبه ## وينير سبيل الخير كالأقمار
إني أعزي شيخنا المتبحر ## المصطفى من مصطفين خيار

نجد في هذا النص المسرود كلمات كرّرها الشاعر أكثر من مرّة فـ" العلم" أتت ثلاث مرات، والنعي" مرتين، والبكاء" ثلاث مرات، و " دأب" مرتين، و"الدموع" مرتين، ولا شك أن لتكرار مثل هذه الألفاظ دلالة خاصة، فكلمات النعي والبكاء والدموع تدل على الحزن على فقدان المرحوم، بينما كلمة العلم مثلا بكل تفصيلاتها التي حاول الشاعر أن يرصدها توحي إلى من ازدانت به حياة المتوفى من بذل العلم وخدمته، وكلمة (دأب) بكل سياقاتها التي توحي بأن تلك الصفات قد أصبحت سجية فيه.وهذا التكرار يشي بنقطة التركيز في المعاني التي تحتوي عليها القصيدة، ويمنحها إلى جانب ذلك نغما موسيقيا يترك أثرا فعالا في ذهن السامع.

يضاف إلى ذلك إلى نمط التوازي المتمثل في انسياب جمل واطرادها على نسق واحد، وهو لم يأت في القصيدة إلا مرة واحدة عند قوله:

هو عالم هو كاتب هو شاعر ** دكتور هذا العصر ذو الأنوار

إذ جاءت الجمل على المبتدإ (الضمير) + خبر (هو+ علم/كاتب/شاعر) مما يولد نغمة موسيقية هادئة. ويحسن التنويه بأن أدوات الموسيقى الداخلية في النص قليلة، قلة تعني أن القصيدة اعتمدت في تشكيل إيقاعها على الموسيقى الخارجية الأساسية في التشكيل الإيقاعي العربي القديم.

وأما **الموسيقى الخارجية**: فتتمثّل في دراسة الوزن الذي اختاره الشاعر، حيث يتجلى أن القصيدة قائمة على (الكامل)الذي يتكوّن من تكرار "متفاعلن" ستّ مرّات على النحو التالي:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن ## متفاعلن متفاعلن متفاعلن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وكثيرا ما تتحول " مستفعلن بسبب الإضمار (إسكان الحرف الثاني المتحرّك) إلى " متْفاعلن؛[٢٠]فتصير (مستفعلن). فعروض القصيدة كانت تامة صحيحة، " متفاعلن " إلا أن البيت الأول جاءت عروضه مقطوعة، "والقطع هو : حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله"[٢١]وسبب ذلك أن البيت مصرّع للضرب: المقطوع، إلا أن أغلب تفاعيله يلحقه الإضمار، لتنشأ الخفة في ربوع الوزن المتثاقلة نغماته بسبب توالي المتحركات، ثم بسبب طول التفاعيل وتكرارها، وكان من وحي التماس الخفة أن انحاز الشاعر من الضرب التام (متفاعلن) إلى المضمر المقطوع (مفعولن) فيما يبلغ خمسة وسبعين في المائة (٧٥%) من أضرب القصيدة؛ إذ المقطوع غير المضمر منها لم يرد إلا في عشرة (١٠) أبيات فقط.

وإليك البيت الأول مع التقطيع:

سالت دموعي كالحيا المدرار # حزنا على ذي العلم والأسرار[٢٢]

سالت دموعي كلحيل مدراري ## حزنن علا ذلعلم ولئسراري

/.//.//. /.//.//. /.//.//. /.//.//.

متْفاعلن متْفاعلن مفعولن متْفاعلن متْفاعلن مفعولن

عروضه مقطوعة ضربه مقطوع

والقافية على اختلاف مدلولها بين الخليل والأخفش[٢٣]تقع في نهاية القصيدة، ولها أهمية كبيرة في تمييز الشعر عن غيره، ومما يدل على أهميتها في القصيدة قول ابن رشيق القيرواني: "القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية"[٢٤]فإن اتحاد القافية يؤثر تأثيرابالغا في نفس السامع، حيث يتعاهد في نهاية كل بيت سماع نغمة متسقة توقظ حاسته وترعانتباهه لمسايرة معاني القصيدة والتناغم مع ما ترسله من شحنات عاطفية، ومن ثم فإنها جزء لا يتجزّأ من الموسيقى الشعرية الجميلة الساحرة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

فقافية هذه القصيدة تنتهي بحرف الروي (الراء)، وهو صوت تكريري مجهور قبله ألف الردف علاوة على كونها موصولة بالياء، فهذه الصفات تساعد على خلق توازن نغمي للقافية تعويضا لما قد يفقده وزن القصيدة بسبب ما أصابها من القطع، فيكوّن المد قبل الروي المتكرر صوته والمد بعده صوتا مستطيلا يغطي النبر المحذوف، ويولّد إيقاعا ينساق مع طول بقية التفاعيل في القصيدة، ولكنه ليس متثاقلا مثل أكثرها، وإنما هي خفيفة خفة متلائمة مؤذنة بنهاية القصيدة، التي لا يحسن أن تكون ثقيلة؛ لأنها آخر ما يقرع الأذن، وهذه ميزة تُتوخى في الإيقاع الموسيقي على اختلاف مشاربه.

الخاتمة:

تناولت الدراسة مرثية الشاعر أبابا ثاني أباغوني المعنونة بـ" الدموع المدرار" للدكتور غوني عبد الله التجاني، حيث تحدثت عن نشأة الشاعر راصدة العوامل المؤثرة على تكوينه الأدبي والفكري، ثم أردفت بالوقوف على القصيدة مبينة ما انطوت عليه من مميزات فكرية وأسلوبية دون الإغفال عن الإشارة إلى مواضع لم توفَّق فيها القصيدة، لتنتهي إلى نتائج، أهمها:

- أن الشاعر أبابا ثاني من المولعين بالتحصيل العلمي، ومن شعراء ميدغري.
- أنه يغلب على المرثيةالتأبين بتعداد مآثر الميت، وكانت الحقول الدلالية للقصيدة تؤيد هذه الرؤية، كما ورد فيها الخيال الذي وُفِّقت في بعض نماذجه وأخفقت في بعضها، أما الإيقاع فكان يتناسب طول الوزن لتشعب المعاني وتدفقها. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

قائمة الهوامش والمراجع:

[١]- أم الشاعر، السيدة عائشة، **مقابلة شخصية معها**، في دارها بـ بلونكتو، ميدغري، يوم الجمعة بتاريخ: ٢٣-١١-٢٠١٩م، في تمام الساعة السادسة مساء.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

[٢]- مقابلة شخصية مع الشاعر أبابا ثاني في بيته بميدغري، يوم السبت بتاريخ ٠١-١٢-٢٠١٨م، في الساعة العاشرة صباحا.

[٣] - معاذ محمد (الدكتور)، **وقفة مع بعض الشعراء الشباب في مدينة ميدغري**، (ط١، مطبعة الممتاز للنشر والتوزيع عام ٢٠١١م) ص: ١٠٩.

[٤]- المرجع نفسه والصفحة.

[٥]- أباغوني، **مقابلة شخصية معه**، في مكتبه بقرية اللغة العربية – إنغالا، يوم الأربعاء ٢٩/٠١/ ٢٠١٩م.

[٦]- أباغوني، **مقابلة شخصية معه**، في بيته، يوم السبت بتاريخ ٠١-٠٥-٢٠١٩م في الساعة الحادي عشر صباحا.

[٧]- أباغوني، **مقابلة شخصية معه**، في بيته، يوم السبت بتاريخ ٠١-١٩-٢٠١٩م في الساعة الرابعة مساء.

[٨]- أباغوني، **مقابلة شخصية معه**، في مكتبه بقرية اللغة العربية' إنغالا، ميدغري، يوم الأربعاء بتاريخ ٠١-١٦-٢٠١٩م في الساعة الرابعة مساء.

[٩] - أباغوني، **قصيدةالدموع المدرار**، (مخطوطة) ص: ١ - ٢

[١٠]- عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها**، (ط٢، دار النفائس بالأردن،سنة ١٤٢٩هـ) ص: ٢١.

[١١] - أباغوني، أبابا ثاني، **قصيدة الدموع المدرار**، ص: ١.

[١٢] - أباغوني، المصدر نفسه، ص: ٢

[١٣] - أباغوني، المصدر نفسه والصفحة.

[١٤]- حامد، عوني، **المنهاج الواضح للبلاغة**، (المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، د.ت)،٢١٣/٣.

[١٥] - أباغوني، **قصيدة الدموع المدرار**، ص: ١

[١٦] - علي، علي صبح، **البحث الأدبي بين النظروالتطبيق**، (ط١،د.ت، ص: ١٥- ١٦.

[١٧]- محمد، مصطفى (الدكتور)، **أهدى سبيل إلى علمي الخليل**، (ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ص: ٨٤.

[١٨]- ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، **المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، عام ١٤٢٠هـ)،، ص ٢٣٧.

[١٩]- ابن الأثير، المرجع نفسه، ص ١٤٧.

[٢٠] - أحمد ، عبد المجيد محمد خليفة، (الدكتور)، **في الموسيقى الشعرية: إعادة قراءة العروض**، (ط١، مكتبة العروضية للتراث،د.ت) ص:٤٧.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

[٢١] - أحمد، المرجع نفسه، ص: ٥٥

[٢٢] - أباغوني، **قصيدة الدموع المدرار**، ص: ١.

[٢٣].- محمد فتاوي (الدكتور)، **الكامل في العروض والقوافي**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،(ط٣، دار الفكر العربي – القاهرة، سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) ص: ٢١٩

[٢٤]- ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعرونقده**، محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٥، دار الجيل، سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) ص: ١٥٩

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فن النثر لدى الكاتب الشيخ أبي بكر غنيمي البرناوي: كتاب الآداب والأخلاق الكريمة أنموذجا

إعداد:
الدكتور محمد الحاج ميدغو
محاضر بقسم الدراسات العربية بجامعة ولاية يوبي, دماترو

الملخص:

إن النثر من الفنون التي اهتم بها العلماء في منطقة برنو فاتخذوها سبيلاً للبيان عن الشؤون الدينية, والفكرية معاً فألفوا عدداً كبيراً من الكتب في مختلف الفنون المعرفية قديماً وحديثاً. ومن بين هؤلاء العلماء الأجلاء الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي. صاحب مؤلفات عديدة, من أبرزها هذا الكتاب المعنون ب" الآداب والأخلاق الكريمة", وهو كتاب ألّفه في تربية الصبيان على المنهج الإسلامي الخالص. وأما سبب دراسة هذا الكتاب فيعود إلى ملاحظة الباحث اهتمام الباحثين والباحثات في الدراسات الأدبية بالشعر دون النثر. ومن أهمية هذه الدراسة الوقوف على ما في الكتاب من القيم الفكرية والأسلوبية معاً.

الكلمات المفتاحية: فن, النثر, الشيخ, غنيمي, الآداب, الأخلاق, الكريمة

Abstract

Mainly Arabic Literature consist of two major types- Poetry and Prose. Ulama of Borno have attached great emphasis on Prose writing Hence, they used it to disseminate religious knowledge as well as Arabic culture and civilization. One of such scholars is Sheikh Abubakar Gonimi Albarnawy who has published a lot of books, prominent among which is his work entitled: (Al'aadab Wal'akhlaq Alkareema). This work holds within its folds Islamic way of training children so that they will become better citizens of the society. Descriptive analysis was used to study the book whereby the artistic features were studied and analyzed.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

المقدمة:

فإن القارئ لما يحويه كتاب الشيخ أبوبكر غنيمي البرناويٰ المعنون: " الآداب والأخلاق الكريمة", لتتبين له ظاهرة ليست بخافية, وميزة غير متوارية, اصطبغت بها هذا المؤلف, ولا يغفل عنها كل من قرأ الكتاب قراءة عميقة, تلك هي ظاهرة الاستشهاد بالآيات القرآنية, والأحاديث النبوية الشريفة, والشعر العربي, والأمثال. الهدف وراء كل ذلك هو تقريب المراد إلى العقول, وتثبيت المعاني في النفوس, ورفع الغشاوة عن الحقائق, وطرح ما يغفلها الناس من أوهام وظنون. عندما يتتبع القارئ الأشعار والأمثال التي استشهد بها المؤلف في كتابه هذا سيدرك قيمة هذا اللون من البديع, وارتقائه مراتب الفصاحة المعهودة عند العرب. ففي الأمثال مثلاً فقد عهدت عند العرب شروط وضعوها للمثل الفصيح, وحددوها في إيجاز اللفظ والمعنى. القارئ لهذا الكتاب سيشهد ذلك أثناء مطالعته.

النثر العربي وأنواعه في منطقة برنو عبر الفترات التاريخية:

وأما من ناحية النثر, فقد أنتج العلماء البرناويين كتباً, ورسائل عديدة, تميزت ببلاغة فائقة, وعمق فكري أصيل منذ العصور الغابرة, فعبروا عن أفكارهم, ووجهات نظرهم عن الشؤون الثقافية, والاجتماعية, والحضارية, والسياسية, والفكرية, والفنية. وقد كانت منطقة كانم – برنو تمثل جسرا طبيعيا, للتواصل بين أبناء الأمتين – العربية, والإفريقية - حيث تحتل موقعا جغرافيا متميزا بين الدول العربية بمفهومها السياسي, وبين الدول الإفريقية غير العربية. ولقد اتخذ شعب هذه المنطقة اللغة العربية لغة للأدب, والإبداع, والدين, فكان وجود الأدب العربي البرناوي فى حد ذاته - بغض النظر- عن مضمونه مظهرا للتواصل العربي الإفريقي[٢].

فقد انكب علماء برنو قديما, وحديثا – ومن بينهم مشايخها – على تأليف الكتب الدينية, وكتابة الرسائل التى تعالج المسائل الدينية, والاجتماعية, والسياسية وشرعوا كذلك "...يسجلون تاريخهم, وانتصاراتهم الحربية, ويذكرون أسباب قيامهم بالجهاد, ويردون على منكريهم, ويصفون فى بعض المؤلفات نظامهم السياسي ,والإداري المستنبطة من القرآن, والأحاديث, وأمهات الكتب..."[٣]. وكان الهدف الرئيس وراء المؤلفات النثرية البرناوية هو نشر الدين الإسلامي وتعاليمه, واصلاح المجتمع, وعلاج الأمراض الاجتماعية السائدة, بغية بناء مجتمع إسلامي خالص.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ويعتبر النثر من أهم أنواع الأدب العربي لدى العلماء, والأدباء البرناويين بعد الشعر والمنظومات. وإن المصادر التاريخية, والأعمال الأدبية التى لم تقضى عليها يد الدهر, تدل دلالة واضحة على المهارة الفنية القيمة, والأسلوب البياني الراقي في التعبير, والمقدرة الفائقة على التصوير, التى يتحلى بها العلماء البرناويون حيث طوروها فى أعمالهم الأدبية.

المحارم:

"وهو المرسوم السلطاني الذى يصدره الملوك لصالح من يرضون عنهم من العلماء والأقربين والمخلصين من الموظفين, وقد اشتهر ملوك كانم – برنو بإصدار هذه المراسيم... وقد ترجم المستشرق (بَالْمَر) عشرين منها فى كتابه - مذكرات عن السودان-[٤] . والمحارم شائعة أيضا فى مملكتي بَاقِرْمِي, ووَادَيْ. رغم أنه لم يعثر الباحثين, والدارسين على أدلة تشير إلى تأثر (الْمَايَات) الْمَغُوْمِيين, ونقلهم المحارم وأسلوبه من الأقطار الإسلامية الأخرى من بلاد العرب. "...فإن أسلوب كتابته الذي يتميز بالإفتتاح بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى, والصلاة والسلام على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ثم الثناء على الملك الذي يصدر المحارم مع ذكر مناصبه ومناقبه الحميدة, مردفا بنصوص من القرآن والحديث وغيرها من أسلوب الكتابة الإسلامية كلها تدل دلالة واضحة على تأثرهم وتأثيرهم بالكتابة العربية الأصيلة التى توارثوها من الأدب العربى القديم. ولقيمته التاريخية اهتم به المؤرخون اهتماما كبيرا[٦].

المراسلات:

كما سبق الحديث عنها, كانت العربية لغةً للاتصال والتفاهم, والتبادل الثقافي, والحضاري, فضلا عن كونها لغة رسمية للملكة, وقد استخدمتها (مَايَاتُ) برنو فى مراسلاتهم مع حكامهم, وأمرائهم, ووزرائهم ورؤساء الدول الإسلامية المحيطة بهم. بالرغم أنه لم يصل إلى أيدى الباحثين إلا القليل منها, فإنها على الأقل تبين القيمة الأدبية الفائقة, فالاساليب الفنية الراقية التى يتمتع بها علماء كانم – برنو منذ العصور القديمة. وأما أشهر ما وصلت إلى أيدى الباحثين هي: الرسالة التى أرسلها السلطان عثمان بن إدريس فى القرن الرابع عشر الميلادي إلى " بَرْقُوق ", حاكم مصر

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

عن بعض الحوادث الاجرامية التى وقعت على الحدود, بين الدولتين من قبل بعض قطاع الطرق الذين اعتدوا على بعض القوافل,

وفى القرن التاسع عشر الميلادي استخدمت الرسائل كأسلحة سياسية من قبل مشايخ برنو. ويظهر ذلك جليا فى المراسلات المتواصلة بين الشيخ محمد الأمين الكانمي – شيخ برنو -, والسلطان محمد بلو – سلطان صكتو ,وأمير المؤمنين بأمر الشيخ عثمان بن فودي. وقد سجّل الشيخ محمد بلو بعض هذه الرسائل فى كتابه الشهير[٧] حيث دافع الكانمي فى رسائله عن الشعب البرناوي, معارضا هجوم المجاهدين الفلاتة على مناطق برنو. إضافة إلى هذه المراسلات مع نبلاء الفلاتة, لقد كتب الكانمي عدداً من الرسائل, إلى العلماء, والأصدقاء, والإخوة, والأخوات وغيرهم من جيرانه وأصحابه[٨].

الوثائق التاريخية:

تحتل الوثائق التاريخية موقفا هاما فى الأدب العربى لدى شعب كانم – برنو. ولعل أقدم ما كتب فى هذا المجال هما – ديوان سلاطين برنو و(غِرْغَم)[٩] بينما كان الديوان سجل تاريخي مفصل عن الملوك السيفية المغومية المكتوب باللغة العربية, كان الأخير سجل مختصر عن أخبار السيفيين المكتوب بلغة الكانمبو مستخدما الحروف العربية (العجمية). وزعم بعض المؤرخين أن كتابة هذه السجلات عملية متواصلة قام بها العلماء أو المسجلون فى المحاكم حيث سجلوا الوقائع الرئيسية فى عهد ملك من الملوك كمعلومات هامة لمن يرث العرش من بعده . فإن دل هذا على شىء إنما يدل على أن هذه السجلات والوثائق كانت متداولة منذ القرن الحادى عشر الميلادي عندما اتخذ المغوميين الإسلام كدين رسمي للدولة, كما أنه يثبت ما ذهب إليه المؤرخون أن الأدب العربي نشأ وترعرع بقدوم الإسلام إلى منطقة كانم – برنو.

وبمرور الأيام قد تواصل تدوين الوثائق التارخية والسجلات وتطور تطورا كبيرا وصار كوظيفة لعلماء المنطقة. ويتمثل ذلك بمؤلفات الإمام أحمد بن (فُرْتُوَ) الإمام الكبير وكاتب ديوان البلاط الملكي فى عهد السلطان إدريس بن علي

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ألَوْمَا (١٥٧٠-١٦٠٣ م). فقد أدلى بدلائه فى هذا المجال وألف مؤلفان شهيران بعنوان كتاب - غزوات السلطان إدريس فى كانم, وكتاب غزوات السلطان إدريس فى برنۏ . فقد خصص الكتابين لتدوين, ووصف الغزوات التى قادها السلطان فى كانم – برنو. إضافة إلى براعته فى اللغة العربية, يعرض الكتاب ما يتمتع به العالم من عمق المعرفة فى الأدب العربي القديم, وتبحره فى علوم القرآن, والحديث النبوى الشريف. لكونهما مصدرين أساسيين لتاريخ كانم – برنو, ولاسيما فى القرن السادس, والسابع عشر الميلادي فقد جذبا أنظار المؤرخين, والمستعمرين الغربيين, فدرسوها, ونقلوها إلى اللغة الإنجليزية[٢].

بالرغم أنه لم يسجل من تلك المؤلفات إلا القليل منها, يبدو أن كتابة الدواوين, وتسجيل الغزوات, والوقائع التاريخية, وما شاكلها مما قام به السلاطين, ظاهرة جلية, طورها العلماء, والأدباء فى انتاجاتهم فى منطقة كانم – برنو. لقد ذكر ابن (فُرْتُو) فى مقدمته لكتابه – غزوات السلطان إدريس فى برنو – "...أنه أتى بكتابه هذا إذ أعجبته ما جاء به (مَسْبَعَرْمَه) عمر بن عثمان الذي قام بتدوين الغزوات التى قام بها السلطان إدريس بن على المعروف – (بِكَتَغَرْمَبَيْ) – فى أوائل القرن السادس عشر الميلادي[٣]" .

وبجانب مؤلفات ابن فُرْتُوَ فقد تم تسجيل عدد قليل من أعمال المؤرخين فى القرون الذى يليه منها: أعمال محمد يَنْبُو بن علي بن الحاج دُنُومَه, والأمير ابن السلطان علي بن دُنُومَه (١٧٥٩م) فمن أعماله التاريخية كتاب "البرنو", الذي تناول فى مضامينه تاريخ الملوك السيفيين المغوميين. و"تراتيب إدارة مملكة تُبَّع الأكبر"وهو كتاب وصف فيه الحالة السياسية للمملكة السيفية, مع الاشارة إلى المناصب الرئيسية السائدة عصرئذ, والمؤهلات الضرورية التى يجب أن ينالها الإنسان قبل أن يعين لهذه المناصب حسب مقاييس الشريعة الإسلامية.

ومن أمثال هذا النثر فى العصر الكانمي " تحفة المرام فى قصيدة الإمام " لمؤلفها الفقير إلى الله يوسف بن عبد القادر الغرغري البرناوي, والكتاب شرح أدبي, وبلاغي, ولغوي لقصيدة (نسيم الصبا), الشهيرة للشيخ محمد الأمين الكانمي, يقول الشيخ "... (قوله) نسيم منادى بحذف حرف النداء, مضاف إلى الصبا ونسيم, الريح ما استلذ عند السحر

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فطابت به النفوس. والنسيم الهبوب اللين , كذا ذكره صاحب ايضاح اللبس, والصبا: ريح القبول, وهي الريح الشرقية من مطلع الشمس إلى بنات نعش, وريح الشمال تهب من بنات نعش إلى مغرب الشمس, والريح الدبور, تهب من مغرب الشمس إلى مطلع السهيل, والريح الجنوب تهب من مطلع السهيل إلى مطلع الشمس, وسميت الصبا قبولا لأن العرب يستقبلون بمجالهم مطلع الشمس والشمال شمالا لهبوبها من ناحية الشمال إذا استقبلوا المشرق بوجوههم . مضاف إليه إن أرادبه غير المرسل بالفتح أيضا وفى عجز البيت ملاحظة يقول النابغة:

أمن آل مية رائح أو مغتدى *** عجلان ذا زاد وغير مزوّد."...

لهذه القطعة وغيرها فى طول الكتاب وعرضه ظواهر عدة منها كثرة الاستشهاد والاقتباس من كتب العلماء المشهورين منهم من غير النيجيريين مثل الإمام شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف والسيوطي وغيرهما. ومن ناحية أخري الاستشهاد بأشعار فحول الشعراء كالنابغة الذبيانى, وزهير بن أبى سلمى, والمتنبي وغيرهم مما يدل دلالة واضحة عن علم الكاتب ومطالعته الواسعة فى فنون المعرفة. ولا ينسى الباحث ظاهرة الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة فى كتابه هذا وكذلك تحليل المسائل اللغوية بطريقة نحوية حينا وبلاغية حينا آخر.

أما فى القرن العشرين, والحادى والعشرين, فقد تطور النثر التعليمي تطورا كبيرا, وكثر العلماء الذين أدُّوا أدواراً فى هذا المجال. وفى هذا العصر تحديداً, ثارت الخصومات, والجدل فى المسائل العقدية, بين العلماء فى برنو, فألفوا الكتب فى مختلف فنون المعرفة, منهم على سبيل المثال: الشيخ أبوبكر المسكين البرنوي. ومن أبرز مؤلفاته: "سكِّين قاطع للوتين ", وهو نثر يحتوي على أربع وثلاثين صفحة, ومطبوع بطبعة تصويرية بمطبعة (يَنْ قُوسَا) كنو صفر ١٣٨٧ هـ١٩٦٧م. وكتبه رداً على رسالة كتبها عالم من علماء برنو يسكن فى المملكة العربية السعودية, واسمه (غوني إنْغِرْمِه), فكتب هذه الرسالة إلى أهل برنو ينذرهم, وينهاهم عن اتباع الشيخ إبراهيم إنياس وتعليماته, فردّ عليه الشيخ المسكين من خلال كتابه هذا وأبطل زعمه. وله كتاب يسمى – (الأدلة الصريحة فى الرد على صاحب العقيدة الصحيحة ١٣٩٢هـ) وهو مخطوط يحتوى على خمس وخمسين ومئة صفحة, كتبه ردا على كتاب "العقيدة الصحيحة " للشيخ أبو بكر محمود غُمِي .

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وقد ألّف الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني مؤلفات تاريخية قيمة, يشار إليها بالبنان. فهو بنمزلة المرجع لطلاب العلم, بالاضافة إلى مؤلفاته النثرية فى الفقه, والتوحيد, وعلم الفلك, والحديث, وعلوم القرآن وغيرها. فمن أشهر مؤلفاته التاريخية : تاريخ الإسلام وحياة العرب فى إمبراطورية كانم – برنو طبع بمطبعة الحلبى القاهرة ١٩٧٦م. والأبعاد التاريخية للإسلام فى إفريقية, والدعوة الإسلامية الطرح الجديد ١٩٩٢م. تناول فيها تاريخ الممالك الإسلامية الإفريقية, وفيما يلي نموذج من الكتاب:

"...وأما بالنسبة للجزء الشرقى للقارة, فقد تأخر انتشار الإسلام نسبيا, وذلك لإعتماد الإسلام فى انتشاره على الحركة التلقائية, للقبائل العربية, وقوافل التجار, وتنقلات الدعاة من العباد, والنساك من الطائفة الصوفية. ومن المؤكد أن تحركات هؤلاء جميعا, تتأثر بالموانع الطبيعية كالممرات المائية, أو المناطق الجبلية الوعرة, كما رأينا ذلك بالنسبة للحبشة التى تعتبر المكان الأول لجماعة المسليمن بدينهم الجديد, والمعروف أن ارتباط شرق إفريقيا بالمحيط الهندي أكثر من ارتباطه بواقع القارة الإفريقية..."[٣٥]. فهذا الضرب من النثر وهو النثر العادي الذي يقال فى لغة التخاطب ليس له قيمة أدبية فنية إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال وحكم وأسجاع وغايته غالبا التعليم والدفاع عن الأفكار السياسية وما شابهها. ومن فنون النثر أيضاً فن الخطابة.

التعريف بالمؤلفات النثرية للشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي:

وأما في المجال النثري, فقد ألّف الشيخ بقلمه السيال عددا من المؤلفات في العقيدة, والشريعة, والطب النبوي, وغيرها من الفنون المعرفية. فمن مؤلفاته في العقيدة:- كشف البلوي عن ضعفاء المسلمين -. وهو كتاب صغير في الحجم, مليئ بمعلومات قيمة, يقع فى ستّ صفحات, وتناول فيها مسائل التوحيد والعقيدة. وقد أشار إلى أن الأشعرية هي العقيدة الصحيحة, فأتى بأدلة نقلية, وعقلية تأييدا لرأيه, وقد ألّفه عام سبعة عشر وأربع مئة وألف هجرية ولا يزال مخطوطًا. ومنها:- انقاذ الهالك في تفسير "على العرش استوي "- وهي رسالة تقع في ثمان صفحات. كتبها رداً على الشيخ جعفر محمود آدم رحمه الله عن قضية تفسير هذه الآية[٣٦]. ومنها:- ثلاث في ثلاث خروج من الملة- وهي رسالة في العقيدة, كتبها الشيخ رداً على خصومه الإزاليين[٣٧]. وأما في الشريعة, فقد ألّف كتابا سماه:- حصن الزوجين- وهو

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

عبارة عن كُتَيّبٍ غني بمعلومات قيمة, يقع في أربع صفحات, عالج فيه الكاتب حقوق الزوجين, وآداب المعاشرة , وألّفه عام تسعة عشر وأربع مئة وألف هجريّة. كما ألّف كتاب – الآداب والأخلاق الكريمة- الذي هو موضوع هذا البحث وكنهه . وأما في الطب فقد كتب:- كان كافيا شافيا- وهو عبارة عن كتاب يقع في إثنتان عشرة صفحة, تناول فيه الطب النبوي علاجا من الأمراض. وقد ألّفه يوم الخامس والعشرين من شهر المحرم عام إثنان عشر وأربع مئة وألف هجرية الموافق ١٥ – أغسطس- عام إحدى وتسعين وتسع مئة وألف ميلاديّة. وفي العروض قد ألّف مذكرة عن الدائرة العروضية الخليلية, وجعله جزءا من ديوانه الشهير: حدائق ذات بهجة.

كتاب الآداب والأخلاق الكريمة:

عبارة عن كتاب يقع في إثنتان وسبعين (٧٢)صفحة, يحتوي على عشرين فائدة, تناول في كل فائدة الآداب والأخلاق الطيبة الإسلامية التي ينبغي أن يتحلي بها صبيان المسلمين "...لأن المرء يبلغ بأخلاقه الحسنة ما لا يبلغه القائم والصائم ومن لم يتعلمها في صغره لا يقدر أن يطبقها في كبره" ثم أردفها برسالتين وقصيدتين جميلتين. والكتاب مطبوع طبع للمرة الثالثة عام إحدى وعشرين وأربع مئة وألف هجرية ,اذن للكل في التصوير والطبع بدون تبديل و تحريف. ففيما يلي دراسة تحليلية للكتاب:

أولاً: دراسة تحليلية لأهم أفكار الكتاب:

المقدمة:

وهي عبارة عن مدخل لمضمون الكتاب ولبه, إذ تناول فيها الحمد والثناء على المولى عزّ وجلّ, والصلاة والسلام على سيد البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين, مبينا موضوع كتابه وكنهه على وهو الآداب والأخلاق الإسلامية الكريمة السمحة مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم: " بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق..."، مع الإشارة إلى أن الكتاب هدية متواضعة من معهد النور للشيخ غنيمي إلى معاهد العالم الإسلامي. فقد ألّفه الشيخ لتعليم الصبيان تلك الأخلاق الكريمة التي تضمن لهم عيشة مرضية في الدنيا, وفوزا ونجاة في الآخرة, لأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر لا يزول مهما طال العمر. فإن لم يتعلم الصبيان هذه الأخلاق الكريمة يصعب لهم فمهما

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

والتحلى بها في كبرهم. تتحلى هذه المقدمة ببراعة الاستهلال وفاتحة الكلام, إذ يتجلى فيها الموضوع الذي أراد الشيخ إيصاله للقراء. ومما زادتها رونقا وجمالا استخدام الأحاديث النبوية الشريفة, والأبيات الشعرية للتوضيح ومزيد من البيان. ومن هذا المنطلق انطلق إلى البيان عن هذه الآداب كما يلي:

أما فالفائدة الأولى ,فقد حثّ فيها الشيخ الأولاد على معرفة قواعد الإسلام الخمسة فهي أساس الإسلام ودعائمه, فهو أول شيئ يجب أن يتعلمه الصبيان حفظا وتحقيقا, حتى يرسخ في أذهانهم, ويجري على ألسنتهم. ثم تبعها بقواعد الإيمان الستة وذكرها واحدا إثر آخر, فهي الثانية في الترتيب بعد معرفة قواعد الإسلام. وقد تحدث عن الإحسان مبينا تعريفه كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم مع الاشارة إلى أن مجموع هذه الثلاثة هي ما تسمى بالدين, والدين عند الله هو الإسلام. وحذرهم على ألا يموتوا إلا وهم مسلمون لأنه من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الهالكين. وقد اتبع الشيخ منهج التعاطف والسهولة في مقدمة هذه الفائدة واختتمها بالحذر والجذر والتأنيب, إذ ينبغي استخدام كلا المنهجين في تعليم الصبيان.

وأماالفائدة الثانية ,تناول الشيخ أهمية تأديب الصبيان بآداب الإسلام مستهلا بالبيان عن عقوق الوالدين وسلبياته, فمن لم يبر والديه ويحترمهم كما شرع الله تبارك وتعالى فإنه سيكون من النادمين في الدنيا, فسيكون أبناؤه مصدر ندامته, فكل من أراد أن يفوز بالجنة وينجو من النار فعليه ببرّ الوالدين, فبرّوا يبركم أبناؤكم, والجنة تحت أقدام الأمهات. ولكي يظهر أهمية برّ الوالدين أشار إلى أنه مهما عمل العاق من العبادات بمختلف أنواعه فلن يدخل الجنة ما دام أنه عاق لوالديه. ثم تناول مسألة إعطاء ذي القربى حقوقه, ومدّ يد العون للمسكين, وابن السبيل, محذرا عن التبزير والسرف لأن المبزرين إخوان الشيطان وأعوانه, ولكن لا تبزير والسرف في الأعمال الخيرية مهما كثر, فحث على الصدقة والعطاء, والمداومة على فعل الخيرات روحيا ومعنويا. وتواصل باليبان عن حب الآباء للأولاد, فيرى الشيخ أنه يجب أن يكون حب الآباء لأبناءهم حبا وسطا, مبني على الارشاد, والتوجيه, والتقريب, لا أدبا يجعلهم ينفرون منهم, وتمنعهم الحرية, وليس حبا مسرفا. وقد أبطل عادة من عادات أفراد شعبه حيث يزعمون أنه إذا كان الإبن سمي والدهم أو الإبنة سمية والدتهم فإنهم يدللونهم ويفسدون تربيتهم إذ لا يحذرونهم إذا اساؤا التصرف, ولا يرشدونهم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

مع كونهم صبيان في أمس الحاجة إلى الارشاد والتوجيه, فمن لم يربي أبناؤه تربية حسنة, فينقلب عليه الإبن أو الإبنة ويكون عاق له.

وأما الفائدة الثالثة, فقد تناول مسألة قول الحق, فهو أدب من آداب الإسلام الذي يجب أن يتعلمه صبيان المسلمون منذ صغرهم ويتبادر إلى أذهانهم, لأن الذي يسكت عن الحق شيطان أخرس, فيجب قول الحق ولو كان مرا, ولكن في المواضع التي يرجى القبول والانتفاع, مستدلا بقوله تعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم...). ثم تحدث تناول مسألة الوعظ والارشاد والتوجيه مبينا بأنه يجب على العلماء بالوعظ لأنهم ورثة الأنبياء يجب أن يتحملوا كل الأذى والصعاب والتحديات في مهمتهم, وليلتزموا بمنهج الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة, والآداب الكريمة, وتعظيم شعائر الله, فهي:" ...كالقشر بالنسبة للشجر ومتى تزع القشر من الشجر يموت..."[٢٢]. ولمزيد من البيان والتوضيح, أشار إلى أن من أهم شعائر الإسلام إفشاء الأمن والسلام, وإظهار التودد, ولو على غير المسلمين مستدلا بما دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وزعماء قريش كما ورد في كتب السيرة النبوية. وفي الفائدة الرابعة, تناول الشيخ مسألة فضل احترام العلماء, والأولياء الأجلاء. كما تناول مسألة قوله تعالى: (الرحمن على العرش الاستوى) مبينا وجهة نظره, ومبطلاً آراء خصمه عن هذه القضية, وذلك في الفائدة الخامسة. وفي الفائدة الساسدة تناول قضية حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية, وفضل الصلاة عليه من ناحية أخرى. مستدلاً بالآيات القرآنية, والأحاديث الشريفة, والأشعار.

وأما في الفائدة السابعة, عالج مسألة الإيمان بالرسل عليهم السلام, ثم تحدث عن التقوى ومكانته في الفائدة الثامنة. وأما الفائدة التاسعة, فقد عرض حديثا طويلاً, واضحاً عن أهمية طلب العلم. وقد خصص الفائدة العاشرة للحديث عن أهمية إفشاء السلام, والأمن فهما أساس الاستقرار, والتقدم, مبيناً في ذلك, فضل احترام الكبار. كما تناول آداب الأكل في الفائدة الحادية عشر بالبيان والتوضيح. وفي الفائدة الثانية عشر تحدث عن آداب دخول المتازل كما حث الإسلام عنه. وفي الفائدة الثالثة عشر تناول الشيخ مسألة الصلاة, والصيام, والمحافظة على الفروج, وطاعة الزوج بين الفتيات المؤمنات, مبيناً أنه كل من حفظت ذلك تدخل جنة ربها. وأما الفائدة الرابعة عشر فقد تناول قضية

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

حسن إسلام المرء, وحثّ الفيان, والفتيات, والكبار, والصغار على ترك ما لا يعنيهم, وألاَّ يكثروا من النوم, وأن يتجنوا اليمين الفاجر, وألاّ يكثروا المزاح, وأن يتركوا الجدال, فقال: " ...اتركوا فضول الكلام, والطعام, وفضول النوم, لأن أكثر ما يفقر الناس كثرة النوم, فالنوم دواء, فإذا كثر فقد صار داء...واتركوا الجدال ولو كنتم محقين..."[٢٣].

وأما الفائدة الخامسة عشر, فقد خصصه الشيخ للحديث عن أهمية السخاء, والجود والكرم. كما تناول أهمية الوقت في الفائدة السادسة عشر. وتطرق إلى الحديث عن بِرُّ الوالدين واحترامهم, وعدم عقوقهم كي ينال الإنسان سعادة الدارين, كما تناول مسألة استخدام السبحة عند الأذكار, مبطلاً زعم خصومه. وحذّر الآباء من إرسال أبنائهم إلى مدارس النصارى- حسب اعتقاده- وحثّ على التمسك بالتعليم الإسلامي, العربي فقط- دون غيرها-. وتواصل بالحديث عن أهمية الطب النبوي. ثم كرّس الفائدة الثامنة عشر لنصيحة السيدات بما ينفعهم في الدنيا والآخرة. ثم تحدث عن التقوى مرة أخرى في الفائدة التاسعة عشر مستدلاً بالأدلة النقلية, والعلقية. وفي الفائدة العشرون تناول مسألة أهمية العلم النافع, وحثّ على الاجتهاد في طلبه, لأنه يرفع الإنسان إلى القمة.

بعد هذا الحديث المفصل عن تلك المسائل التي إذا قرأها الصبيان- وغير الصبيان- قراءة جيدة, وفهموا مضمونها فهماً دقيقاً, واستخدموها في حياتهم اليومية, فإنهم سيصبحون مثلاً أعلى في الآداب, والأخلاق الكريمة, مما يجعلهم يسعدون بحياتهم الدنيوية, والأخروية. ثم تواصل بتقديم هدية كبرى, وتحفة عظمى للطلاب, وهي بمثابة ملخص لما تقدم في تلك الفوائد العشرون, كاحترام الأساتذة, العلماء, والنساك الأجلاء وطاعتهم, وحضور حلقاتهم التعليمية. كما تناول في النقطة الأخيرة نصيحة للأولاد المشايخ الذين يرثون آباءهم بعد وفاتهم بالنسب كأبناء الملوك, فيرى أنه شيئ خاطئ فيجب على الأبناء يبذلوا الجهد الجهيد, ويطلبوا العلوم الشرعية, ويفقهوا الدين قبل أن يتأهلوا لمثل هذه المناصب والمراتب.

ثانياً: دراسة تحليلية لصور من أساليب الكتاب

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وفي هذا الصدد, سيتطرق الباحث إلى دراسة قيم أسلوبية يثري بها هذا الكتاب, والذي يستحسن أن يلقى نظرة فاحصة في مضمونه بغية إخراج تلك العناصر الفنية التي استوظفها الكاتب في كتابته, ومنها ما يلي:

١- الاستشهاد والاحتجاج بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة:

الشاهد في الاصطلاح قول عربي(شعراً أو نثراً) قيل في عصر الاحتجاج يورد للإحتجاج به على قول, أو رأي, أو قاعدة. والحجة ما دلّ على صحة دعوي, وقيل الحجة والدليل واحدٌ. فمن اطلع في كتاب الآداب والأخلاق الكريمة يتضح له جلياً بأن الكاتب قد كثر من الاستشهاد والاحتجاج بآيات الذكر الحكيم, وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لإثبات رأيه, لأنه يجد في ذلك حجة دامغة, ويرد على خصومه, فحينما أراد أن يثبت أهمية قول الحق استشهد بقوله تعالى:(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزع بينهم...), وحينما تحدث عن أهمية الوعظ والارشادر استشهد بقوله تعالى: (أفنضرب عنكم الذكر صفحاً إن كنتم قوماً مسرفين). ولكي يتلطف الواعظ بالأدب, لأن الأدب وتعظيم شعائر الله هما أساس هذا الدين مستدلاً بقوله عزّ وجلّ(ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب).

وحينما تناول مسألة الآداب والأخلاق الكريمة في مستهل الكتاب استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم:(بعثت لأتمم مكارم الأخلاق...). وعندما تناول حواراً عن مسألة التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم استشهد بقوله: (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم).

٢- الاستشهاد بالشعر:

وأما الاستشهاد بالشعر فقد حظي بحظ وافر في هذا الكتاب, تحوي كل صفحة من صفحاتها بيتاً أو أبيات من شعر بعض الشعراء البارزين الذين عاشوا في العصور القديمة, وخلفوا تاريخاً مجيداً, وآثاراً يشار إليه بالبنان أمثال الخطيئة, والإمام الشافعي, والبوصيري, كما يستشهد بأشعار الشيخ إبراهيم إنياس حيناً, والشيخ أبوبكر المسكين حيناً آخر. فحينما أراد أن يثبت أهمية تعلم الآداب الكريمة منذ الصغر استشهد بقول الشاعر:

باتت تمزق أثوابي وتضربني *** أبَعَدَ شيبي تبغي مني الأدبا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ثم استشهد بقول الشاعر:

مِنَنُ الإله على العباد كثيرة*** وأجلهن نجابة الأولاد

أثباتاً لأهمية تربية الأبناء ليكونوا قرة أعين للآباء, وسنداً للمجتمع, والوطن بصفة عامة. وعندما تناول فضل الرسول صلى الله عليه وسلم, والصلاة عليه استشهد بقول الشاعر:

محمد بشر لا كالبشر *** بل هو كالياقوت بين الحجر

كما استشهد بقول شيخ الإسلام:

حضرة طه قبل تكوين المكان *** وله عمر طويل قبل تقدير الزمان

وحينما أراد أن يثبت أهمية طلب العلم, ومكانته في بناء الأمة, وتقدمها في مختلف المجالات استدلّ بقول الشاعر:

جَهِلْتَ ولم تدر بأنك لاتدري *** ومَنْ لِي بأن تدري بأنك لا تدري

واستشهد بقول الشاعر:

لا يأمَنَنّ على النساء أخ أخا*** ما في الرجال على النساء أمين

إن الأمين ولو تكلّف جهده *** لابد إن من نظرة سيخون

استشهاداً في منع الدخول لبيوت الآخرين في الأوقات الثلاثة إلا بعد الاستئذان أي من قبل صلوات الفجر, وفي وقت القيلولة, ومن بعد صلاة العشاء, وأما البالغ فلا يدخل إلا بعد الاستئذان ولو من غير هذه الأوقات مستشهداً بآية من القرآن ليثبت المسالة.

واستشهد بقول الشيخ أبوبكر المسكين البرناوي حينما تحدث عن أهمية إفشاء السلام في الإسلام قائلا:

تُعُشّرت مكارم الإنس *** وجعل التسعة في الجفان

جملة القول أن الكاتب استشهد بأربعين بيتًا من شعر القدامى مما زاد من قيمة مضمون الكتاب, وتيسير فهمه.

٣- الاستشهاد بالأمثال:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الحكم والأمثال فن بياني يقرب المراد إلى العقول, ويثبت المعاني في النفوس لأجل إيجاز اللفظ, وإصابة المعنى, وحسن التشبيه, وتقريب المحسوس إلى المعقول, واكتساب صفة الشيوع. ولهذا تسامى هذا اللون البديع في الأدب العربي. وأصبح حكمة العرب في الجاهلية والإسلام, وحمل بين ثناياه جوانب شتى من التراث الفكري والاجتماعي. وغرضه التنويه على العواقب المحمودة والمذمومة في حالة التعرض للأسباب المؤدية إلى تلك العواقب. ولذلك فقد استخدم الشيخ غنيمي في كتابه هذا بعض الأمثال والحكم للأغراض المذكورة منها على سبيل المثال:

- "...ابتسم ولو كان القلب يقطر دماً..."
- "...الأجر لا تنقصه الإجارة..."
- "...إحذر عدوك ألف مرة واحذر صديقك ألف مرة..."
- " ...السخي ولو زلّ لا يسقط..."
- "...الوقت سيف إن لم تقطعه يقطعك..."
- "...رأس مال المؤمن وقته..."
- "...الناس أربعة نفر عالم يعلم أنه عالم وذا هاد فاستهدوه, وعالم لا يعرف أنه عالم وذا نائم فايقظوه, وجاهل يعلم أنه جاهل وذا مسترشد فأرشدوه, وجاهل يجهل أنه جاهل وذا شيطان فارفصوه..."[٢٥]

٤- استخدام السجع:

ومن الصور الفنية الجميلة في نص الكتاب" الأسجاع" فقد استخدم الشيخ هذه الصورة البلاغية في كتابه بعدد كبير. والسجع من أهم خصائص النثر العربي الجوهرية, وقد يثري وجوده إذا اجتمع فيه عناصر التناسب النثرية الضرورية الأربعة وهي: السجع, والتجنيس, والموازنة, والازدواج. وإذا اجتمعت هذه الموكونات الأربعة كلها, كان السجع قائدها تحقق التناسب الكامل, والتناغم العالي الرفيع بين أجزاء الكلام المنثور في نظام الفقرات, والجمل, والفواصل, والكلمات. وقد حاول الشيخ محاولة قيمة في استخدام هذه الظاهرة البلاغية.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الخاتمة:

مما سبق محاولة متواضع قام بها الباحث لدراسة فن النثر لدى الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي. فقد لاحظ الباحث أن لهذا الأديب عدداً لا يستهان بها من المؤلفات النثرية, ومنها كتاب " الآداب والأخلاق الكريمة" الذي تناول الكاتب فيه تلك الآداب والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المسلمون ولا سيما الصبيان, فحثّ الآباء والأمهات على أن يعلموا صبيانهم من صغرهم لأن " التعليم في الصغر كالنقش على الحجر". وفي نهاية الدراسة توصل الباحث من النتائج إلى ما يلي:

١- لقد أدلى الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي بدلائه في فن النثر فألف عدداً لا يستهان به من المؤلفات النثرية في مختلف الفنون المعرفية كالفقه, والتوحيد, والطب النبوي, والتجويد وغيرها.

٢- ومن أبرز مؤلفاته النثرية المطبوعة كتاب " الآداب والأخلاق الكريمة" الذي يقع في إثنتان وسبعين (٧٢)صفحة, يحتوي على عشرين فائدة, تناول في كل فائدة الآداب والأخلاق الطيبة الإسلامية التي ينبغي أن يتحل بها صبيان المسلمين "...لأن المرء يبلغ بأخلاقه الحسنة ما لا يبلغه القائم والصائم ومن لم يتعلمها في صغره لا يقدر أن يطبقها في كبره" ثم أردفها برسالتين وقصيدتين جميلتين. والكتاب مطبوع طبع للمرة الثالثة عام إحدى وعشرين وأربع مئة وألف هجرية.

٣- إمتاز بكثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة استدلالاً لما أراد المؤلف إيصاله إلى القراء.

٤- كثرة الاستشهاد بأشعار القدامى أمثال الخطيئة, والإمام الشافعي, والبوصيري, كما يستشهد بأشعار الشيخ إبراهيم إنياس حيناً, والشيخ أبوبكر المسكين حيناً آخر.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٥- الاستشهاد بالحكم والأمثال بغرض التنويه على العواقب المحمودة والمذمومة في حالة التعرض للأسباب المؤدية إلى تلك العواقب.

٦-كثرة استخدام الأسجاع- الموسيقى النثرية- مما زاد من قيمة النص فخلق ذلك التناغم العالي الرفيع, والتناسب الكامل, فأحسن نظام الفقرات, والجمل, والفواصل والكلمات.

الهوامش والمراجع:

[١] هو الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي من مشاهير علماء مدينة ميدغري. صاحب مؤلفات عدة في مختلف الفنون المعرفية. وبفضل الله وكرمه لا يزال على قيد الحياة.

[٢] ميدغو, محمد الحاج. ديوان حدائق ذات بهجة للشيخ أبي بكر غنيمي البرناوي (دراسة أدبية تحليلية)جامعة عثمان بن فودي, صكتو, نيجيريا, بحث قدِّم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية, ص: ١١٩-١٢٠, ١٤٣٣ هجرية.

[٣] غلادنثي, شيخو أحمد. حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. الطبعة الثانية, دار المعارف القاهرة مصر. ص:١٢٩, ١٤١٤ هجرية .

[٤] الماحي, عبد الرحن عمر. تشاد من الاستعمار إلى الاستقلال (١٨٩٤-١٩٦٠م), الهيئة المصرية العامة لكتاب القاهرة مصر, ص: ١٨, ١٩٧٥م .

[٥] أنظر: مدني فضل, محمد. الأبعاد الحضارية للغة العربية في الممالك الإسلامية. دار المعارف القاهرة مصر. ص: ١٠. بدون تاريخ .

[٦] Palmer, Sir Richmond> Borno Sahara and Sudanese Memoirs. University Press New York.P.87. 1970

[٧] بلو, محمد (أمير المؤمنين, السلطان). إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور. وتنغ لندن ص: ١٩٩, ١٩٥٧م .

[٨] Palmer. Ibid. P. 199 ترجمة الباحث

[٩] الوثائق التاريخية باللغة الكانورية .

[١٠] Biver, A.D.H. Hisket. The Arabic Literature of Nigeria to 1804. P. 40, 1971.

[١١] Palmer. Ibid. P.121

[١٢] Ibid. P. 56

[١٣] Ibid. P.84-91

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[١] الغرغري, يوسف بن عبد القادر. (الإمام). شرح قصيدة نسيم الصبا, مخطوط مكتبة الباحث الخصوصية بحيّ المجمع السكني برابرا الجديدية بمدينة دماترو, نيجيريا, ص: ٦, بدون تاريخ. كذلك يمكن الحصول على نسخة منها في مركز الدراسات عبر الصحراء بجامعة ميدغري, ولاية برنو, نيجيريا.

[١]. الحسيني, إبراهيم صالح (الشيخ). الأبعاد التاريخية للإسلام في إفرقية والدعوة الإسلامية الطرح الجديد. مطبعة المكتبة الشمال, رقم ٤٨, شارع (طَنْ دَاغُو) كنو- نيجيريا. ص: ١٢, ١٩٩٢م

[١] غنيمي, أبوبكر (الشيخ). الآداب والأخلاق الكريمة. الطبعة الثالثة. ص: ٦٧ . ١٤٢١ هجرية .

[١] المرجع نفسه, والصفحة نفسها .

[١] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[١] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[٢] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[٢] غنيمي, أبوبكر (الشيخ). ديوان حدائق ذات بهجة (مخطوطة). ص .١٤٧ :

[٢] غنيمي, أبوبكر (الشيخ)- الآداب والأخلاق الكريمة- ص ٥ :

[٢] المصدر نفسه, ص ٢٣ :

[٢] الجرجاني, ص: ١١٥, ١٩٨٧م .

[٢] غنيمي, المصدر السابق. ص:٥, ١٥, ١٧, ٢٧, ٢٥

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

صور من الخيال في مراثي الشيخ جنيد محمد زَارِيَا: دراسة تحليلية

إعداد:

الدكتور عبد الله عمر زُورُ

المدرسة الثانوية الحكومية, زُورُ ولاية كَبِ

ملخص البحث:

إن هذه المقالة بعنوان: "**صور من الخيال في مراثي الشيخ جنيد محمد زَارِيَا: دراسة تحليلية**". حصلت على مراثي التي قالها لمشايخه والتي قالها في مرثية السيدة زينب زوج الشيخ زكرياء زَارِيَا, تناول الباحث فيها الأساسيات اللازمة للبحث, فعرضًا سريعًا عن حياة الشاعر ومفهوم الخيال المعجمي والاصطلاحي, ثم الخيال في مراثي الشيخ جنيد محمد زَارِيَا, أن الشاعر صاغ المعاني في شعره صياغة فنّية رشيقة فصبّ عليها خياله وعرضها للقارئ في ألوان متشعّبة الأطراف, من التشبيه, والمجاز, والكناية, والاستعارة. والغاية عنده من تشكيل هذه الصور البيانية المبدعة إقناع القارئ وتطريب نفسه بها, ثم الخاتمة والهوامش والمراجع.

Abstract

This paper title suwarun Min Alkhayal fimarathi Al- sheikh junaid Muhammad Zaria, Dirasatun Tahaliliyah. It embodied an eulogic of the death, which he composed to his respective scholars and the one that he also composed to the wife of his chief scholar. I.e the wife of Al-sheikh zakariya Zaria. However, writer brought down some significant things such as the biography of the poet and the meaning of "Idayal" where he mentioned and described it's meaning. I.e the Al-khayal of this prestige scholar. And among which are: Affashbih, Al-majaz, Al-kinayah, Al-'istiarah. All these were composed in order to entertain and appease the readers.

Conclusion and reference

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي يحي ويميت، القائل في كتابه العـزيز: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (١) والقائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (٢)، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير عباد الله أجمعين، وآله وأصحابه وسلم، وبعد:

فإن الشعر العربي نوع من التصوير لأنه يعتمد اعتمادا كبيرا على الخيال الذي يبدع الصور الخلابة، لذا اهتم النقاد قديمًا وحديثًا بالخيال الأدبي ، حيث يمثل عنصرا مهما من العناصر الأدبية، وهو أكثرها قدرة على التعبير عن العواطف، كمايعتمد على قوة التذكّر وتداعي المعاني على الذهن بسهولة، ويلوّنها ثم يبث فيها حياة وحركة، ويلقي عليها ظلا جميل النظر. هذا الذي حفز انتباه الباحث إلى انتقاء مقالة بعنوان: "**صور من الخيال في مراثي الشيخ جنيد محمد زَارِيَا: دراسة تحليلية.**

تهدف المقالة إلى إلقاء ضوء حول روعة خيال الشاعر وما يحيط به من تصوير مشاعره وأحاسيسه تصويرا دقيقا أو ما يقوم به من تجسيد المعاني الخلابة خلال التشبيهات الرائعة، والاستعارات الجيدة، والكنايات اللطيفة. وستتمحور المقالة بعد المقدمة على النقاط التالية:

- نبذة يسيرة عن حياة الشاعر.
- مفهوم الخيال.
- الخيال في مراثي الشيخ جنيد محمد زَارِيَا.
- الخاتمة.
- الهوامش والمراجع.

التعريف بالشاعر جنيد محمد زَارِيَا:

نسبه ونشأته وتعلمه:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

هو جنيد بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن عبد القادر، وعبد القادر هو جدّ جنيد محمد الثالث، وأصله من بَرْنُو, **(Borno)** خرج بعد ثبوت الدولة الإسلامية في صكتو لزيارة الشيخ عثمان بن فودي مع ابنه عبد الله، ورفقة من تلامذته في السنة ما بين ١٨١٠- ١٨١٢م.[3]

ولد جنيد من أسرة خادمة للعلم في تَاكُوْكِي **(Takoki)** سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٠م[٤] نشأ في تلك القرية تحت كفالة أبيه. وكان من أحب أولاده إليه لذكائه، وتخلقه بأخلاق فاضلة وحسن سيرته وتأدبه بآداب حسنة منذ صغره، وكان محبا للعلم والعلماء وملازما لهم، فهذا مما جعله محبوبا عند أبيه.[٥] وما زال ينتقل من أستاذ إلى آخر طالبا ومستفيدا من أجلّة العلماء والأئمة المثقفين من تَاكُوْكِي **(Takoki)** إلى فُنْتُوَا **(Funtua)** زَارِيَا **(Zaria)** وزوُرُ **(Zuru)**، حتى استقر لدى الشيخ محمد نَمَالَم بَابِي (مَيْ هُلُّنَا)في صكتو**(sokoto)**.

ولما بلغ سنّ المراهقة مهد لنفسه طريقًا لتوسيع معارفه, فاستأذن. وانطلق إلى فُنْتُوَا **(Funtua)** وذلك سنة ١٩٧٧م، والتقى بأحد كبار علمائها وهو الشيخ عبد الله دُوْرُوْ **(Doro)** ، ومكث عنده بضعة أشهر ثم انتقل إلى زَرِيَا**(Zaria)**، ونزل عند الشيخ زكرياء ومكث عنده مدة طويلة.[٦]

لقد تأثر جنيد محمد في المدارس النظامية بطبقة من العلماء وعلى رأسهم الشيخ مسعود المصري تعلم عنده علم النحو والشيخ إدريس إِيْتِرِيَا **(Iritiriya)** الذي تعلم منه متون اللغة والشيخ حسن بن حسن السوداني الذي تعلم منه علم البلاغة والعروض، والشيخ عمري المصري الذي تعلم عنده علم الفقه، والدكتور حمدي المصري الذي تأثر به في علوم اللغة، ثم واصل دراسته بجامعة أحمد بلّو زَارِيا، وتخرج فيها متحصلا على شهادة الدبلوم في اللغة العربية سنة: ٢٠٠٧م[٧]

إنتاجاته العلمية والأدبية:

لقد ألف الشيخ جنيد محمد مؤلفات كثيرة نثرا وشعرا في فنون مختلفة منها:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الفقه:

١- نوال ذي الجلال والاكرام، مخطوط.

٢- قلم العدل في أخذ الثأر على قضاة الجور، مخطوط

الحديث:

١- نبذة من أحاديث شهيرة إلا أنها موضعة أو ضعيفة، مخطوط.

الإرشادات:

١- آداب التعليم والتعلم، مخطوط

٢- إيقاظ الهمم، مخطوط

٣- تيسير العزيز عما لا ينبغي أن يتفوه به أولوا الألباب، مخطوط

٤- الضياء في العرفان للشيم والأخلاق، مخطوط

٥- ستون مسألة في الأخلاق والشيم. مخطوط

القصائد:

١- مدح مشاهير العلماء في مدينة زَارِيَا، مخطوط

٢- السلسبيل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. مخطوط

٣- زيارة الشيخ أبي بكر ثُوْتَا. مخطوط

٤- مرثية الشيخ زكرياء. مخطوط

٥- مرثية الشيخ عثمان بَابَاجُو. مخطوط

٦- مرثية الدكتور محمد الهادي بن الشيخ الطاهر عثمان بَوْثِي مخطوط

٧- مرثية زينب زوج الشيخ زكرياء. مخطوط.

التاريخ:

١- ضوء البدر في تاريخ المعلم جبريل المعروف بـِ مَالَمْ نَإِيَا. مخطوط

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

٢- فضل الباري في ترجمة حياة الشيخ زكرياء. مخطوط[٨]

مفهوم الخيال:

الخيال:

هو من العناصر الأدبية الهامة، ويعنى في اللغة "الشخص والطيف"[٩] أو هو كل شيء تراه في الظل أو ما يرى في النوم"[١٠]، تدل الكلمة أيضا على: "صورة تمثال شيء في المرآة".[١١]

أما في اصطلاح النقاد فالخيال يعني: "القوة التي تجسد المعاني والأشياء والأشخاص وتمثلها أمامنا حتى تثير المشاعر وتهيج الاحساسات، وهو أساس الأدب"[١٢] ويعرف أيضًا بأنه هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصرلها، تختزنها عقولهم وتطل كل صورة منها في مخيلتهم حتى يحين الوقت فيؤلفون منها الصور التي يريدونها.[١٣]

وهو قوة تتصرف في المعاني لتنتج منها صورا بديعية،[١٤]وهذه القوة إما تصوغ من عناصر كانت النفس قد تلقتها من طريق الحسن أو الوجدان،[١٥] كما أن بينه وبين العاطفة ارتباطا قويا وثيقا، إذ هو الذي يصورها ويبعث مثلها في نفوس القراء،[١٦] ومن أجل هذه الأهمية يرون أن الكلام المشتمل على الخيال أروع وأشد تأثيرا في النفس من الكلام الذي يكون حقيقة كله،[١٧] وكثيرا ما دار على ألسنتهم قولهم: المجاز أبلغ من الحقيقة، ورأوه أحسن موقعا في القلوب والأسماع،[١٨] ذلك لأن الكلام المشتمل على الخيال يجعل النفس شديدة الأنس به، سريعة إلى التاثر بصوره.[١٩]

يتجلى من العرض السابق العلاقة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي لكلمة الخيال، إذ تعني الأولى التلوين والتصوير بينما يفهم من الثانية أنه القوة تجسد المعاني حتى تثير المشاعر والأحاسيس وتربط عالم الشعور بعالم الإدراك، ذلك لكونها أداة حياة عاملة في ذاكرة الأديب.

الخيال في مراثي الشيخ جنيد محمد زَارِيَا:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وكان الشاعر كغيره من الشعراء يمثل الأشياء ويجسد المعاني ثم يصب عليه خياله ويمثل العواطف التي تلزمه تمثيلا رائعا فيصبح أثرا فنّيا رفيعا، ثم يعرضها في صورة رائعة جذابة الشعور والوجدان بغية تقريب البعيد وتسهيل الصعب أو توضيح الغامض من المعاني التي يريد أن يقنع بها السامع، مما يدل على تمكنّ الشاعر في فنهم الأدبي وسلامة لغته التصويرية، ذلك لأن من أصل المجازات وغايتها التوضيح.

كما بيّن الدكتور شوقي ضيف أهمية الخيال قائلا: هو يمثل حياة الناس فعلا وعواطفهم وخوالج نفوسهم ومكوّنات قلوبهم بحيث يرون صورهم فيه وصور من حولهم،[٢٠] وهو طراز يشاكل الواقع مشاكلة يعذبها الأديب حتى كأنه لا يمثل إنسانا واحدا بل يمثل جميع الناس.[٢١]

وسيتضح هذا في التحليل الآتي:

ومن الصور الخيالية الجيدة في مراثي الشاعر "التشبيه" وقد أحسن الشاعر في استعمال هذه الظاهرة كما استحسن النقاد أن يكون الشاعر يستطيع أن يخيل أفكار الناس من العاطفة ويمثلها، ويعبر عن مكونات قلوبهم، ومن ذلك قول الشاعر يرثي الشيخ زكرياء:

والصبر خير صاحب * والحزن ليس ناجيا

في أجواء مغيّمة بالهموم والأحزان لفقد الشيخ زكرياء, قام الشاعر يصور حالته النفسية المضربة بين التصّبر وتفاقم الأحزان فشخص الشاعر الصبر وصبّ عليه الروح ثم شبهه برجل عاقل نبيل يجدر أن يكون صديقا له لعفته وعقله، ولداهية ألمت به من فقد ملاذه، ظهرت روعة صنعة الشاعر في هذا الموقف حين أسند الحياة والروح إلى ما لا يرى حسًّا أو يلمس بيد وشبهه بإنسان، ألا تخيل أن الصبر قد تمثل في صورة إنسان ثم حذف المشبه به "إنسان" ورمز إليه بشيء من لوازمه "الصحبة" التي هي القرينة المانعة من إدراك المعنى الحقيقي.

ومن صور الخيال الرائعة لدى الشاعر استعمال المجاز المرسل يصور خلالها منزلة المرثي ومكانته في نشر الدين الإسلامي من ذلك قوله:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

كان هدى إذا بدا * في الدين كان عاليا

تظهر قوة الخيال من البيت في الصورة البيانية المتمثلة في المجاز، حيث صور الشاعر المرثي بإحياء شعائر الإسلام ونشر القيم الدينية. في قوله: "كان هدى" حيث أنار للأمة الإسلامية الصراط المستقيم ليهتدوا به، فهذا يكشف للقارئ أن المفقود قد قام بحركة الدعوة الإصلاحية في مجتمعه فدعى الناس إلى التوحيد وعبادة لله وترك الشرك وعبادة الأوثان، ثم وصفه بـ"هدى" للدلالة على كثرة أعماله الخيرية.

ومما يلمس من قوة الخيال جودة اللغة التصويرية لدى الشاعر في قوله:

سالت عيوننا القطر * تحكي البحار والحيا

ولما كانت هموم الشاعر وأحزانه كثيرة، لذا يصيح ويعوّل ويذرف الدموع لفقد هذا الشيخ الكريم. وخيل أن الهموم أحاطته من كل جانب وعيناه تذرفان وبكى فشبه الشاعر عينه بالسحاب الهطلاء حين نزول المطر.

ومما يسجل للشاعر الجودة استعماله لفظ "القطر" دلالة على كثرة البكاء وشدته حتى نفدت الدموع فعقبتها قطرة عظيمة تحملها الأمواج إلى حدود الأرض اليابسة حتى رويت الأرض، ولما ذكر المصيبة الداهية أردفها بما يلائمها وهو "البكاء" ممدودا للدلالة على أنه مصاحب بالصراخ والعويل،[٢٢] ذلك لأنه حزينا حقًّا لفقد الشيخ الكريم.

ومن الصور الخيالية الجيدة لدى الشاعر استخدام الكناية للتعبير عن معنى لا يريد الإفصاح عنه، ويلمس هذا المعنى من قوله:

والشمس ليست طالعة * والبـدر ليس باديا

والليل صـار دامسا * نـهـارنا ليـــاليا

ومما يلمس في هذين البيتين كناية عن الموت التي من أجلها غابت الشمس وخسف البدر، واشتد سواد الليل في البلاد وجوانبها، وصار من أجلها النهار لياليا، وذلك لكون المتوفى مرشد الأمة، وعلى تربيته صار الطلاب شيوخا فكنّاه بالشمس عند الرشد، فيعتبر نعيه فقد للطلبة. كما أحسن الشاعر وأجاد في استخدام الكناية أخرى في قوله:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

عقيلة شيخنا قد فارقتنا * قد انتقلت إليه وفارقتنا

إن في البيت كناية في لفظ "عقيلة" كناية عن المرأة الكريمة، لما أراد الشاعر أن يبين قدرها ومنزلتها عنده، انصرف عن التعبير باسمها إكراما لها لأنه صهرٌ لها، فسمّاها بـ"عقيلة " ولما كان هذا التركيب كنّى به عن ذات لازمة لمعناه سمي كناية عن الموصوف.

ومن الخيال الرائع قول الشاعر في رثاء الشيخ عثمان بَابَاجُو:

كسوف الشمس في وسط النهار * فأصبـــح يومنا يـوم المدام

استطاع الشاعر في هذا البيت أن يصور خيالا جميلا من الكناية، فصور فقيده بالشمس، ووفاته بكسوف الشمس، فهذا يدل على حلول مصيبة عظمى عن هذا المعنى، لكون المتوفى عالم اشتهر بالعلم والعبادة والزهد والكرم، فهو كالشمس ضياءً فغيابه مثل غياب الشمس، وهذه كناية على أن موت مثل هذه الشخصية خسارة لا تعوّل ومصيبة عظمى.

ومن هذا المنطلق قول الشاعر:

فأروى كل ذي عطش بعلم * وأبرأ سقم جهـل بالدوام

تظهر روعة الخيال في هذا البيت حين جمع الشاعر بين التشبيه والمجاز الأولى منها في نشر العلوم الدينية واللغوية حتى صار كأنه سحاب يسقي كل ذي عطش، ويلمح من الصورة أن المفقود تخرج على يده جمّ غفير من الطلبة أتوه واحد تلو آخر لما يُرام فأنقذهم بنور العلم، لذا استخدم الشاعر لفظ "فأروى" دلالة على كثرة فنونه وتنوعه في العلم.

وأما الصورة الثانية فتتمثل في "أبرأ سقم جهل" وهذا يدلّ على أن السقم ليس بمرض حقيقي إنما هو مجاز لـ "جهل" الذي برأ بـ"علم". ويلمس ذلك في وصف "الجهل" بـ"السقم"و "العلم" بـ"البرء"، وذلك لأن الجهل صار مطرودا منذ أن جاء المرثي.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

تتجلى روعة الخيال في صياغة الشاعر لهذه المعاني التي صبها بعاطفة قوية وألفاظ حادة وتعبير دقيق موضحا زوال السقم, وحلول الشفا لظهور هذا الشيخ بين الأمة فسشبهه "بالسحاب" في إرواء ذوي عطش بسكب الماء، و"بالشفاء" بتعليم جهال حتى صاروا علماء.

إذ لا يؤثر الجهل بعد انتشار العلم وتمسك الأمة به. وقد استطاع الشاعر أن ينطلق بالسامعين خلال أحاديثه المفردة العذبة إلى أحاسيسه الجذابة في هذا المنظر الجميل يبدو حسن استخدام البيان في البيت حيث مثل الشاعر هذه المعاني تمثيلا واضحا يملك على السامع مشاعره ووجدانه.

ومن الصور الخيالية الجيدة التي استخدمها الشاعر في قصائده، الاستعارة "هي مما يقدره النقاد في العمل الأدبي، يقول ابن رشيق: "الاستعارة أفضل المجاز... وليس في الشعر أعجب منها وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها.[٢٣]

ويشيد الجرجاني في هذا الصدد قائلا: "اعلم أن الاستعارة أمدّ ميدانا، وأشدّ افتنانا، وأعجب حسنا وإحسانا وأذهب نجدا في الصناعة وغورا وأسحر سحرا وأملأ بكل ما يملأ صدرا ويمتّع عقلا ويؤنس نفسا.[٢٤]

ومما أحسنه الشاعر رسدالخيال دعاؤه على المفقود بصورة خيالية استعار لفظ "اليمين" التي وردت في محكم التنزيل بمعنى "الجنة" في قوله:

وأجلسك الإله وأوليـــاء * له يوم اللقـــاء مع القيام

وأصحاب اليمين وسابقين * إلى أعلى المراتب بالدوام

استطاع الشاعر أن يصوغ خيالا رائعا، في طلب عفو ورحمة واسعة للمفقود بدخوله الجنة في صورة خيالية رائعة حين استخدام لفظ "أصحاب اليمين" دلالة على "أهل الجنة" حيث اقتبس بالقرآن الكريم في صنع هذه الصورة من قوله تعالى:﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴾ ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴾ [٢٥] فالله سبحانه وتعالى صور في هذه الآيات أصحاب اليمين" بأهل الجنة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ومن الصور الخيالية الجيدة التي يلتمسها في مراثي الشاعر قوله يرثي الشيخ عثمان بَابَاجُو:

توارى العلم يوم أفول بدر * وشمس العلم يانجل الكرام

شبه الشاعر المفقود بأنه مثل البدر في التلألئ والشمس في الضياء، شبهه الشاعر بتشبيه بليغ ليوضّح شعوره وحسن خياله وحلاوة فكرته، ليؤثر في نفس القارئ أو السامع بأن الفقيد هو عين المشبه به حسًّا ومعنى ليكسب المعنى وضوحا وقوة وجلاء ومبالغة، فصوّر وفاة فقيده بخسف البدر وكسوف الشمس.

فإن الشاعر في البيت عبّر عن ما أصابه من حيرة وارتباك لنعي أديب ذي مكانة في العلم والأدب، فحق البكاء والاسترجاء لفقده، وذلك بأن الدنيا كلها تغيرت وانقلبت على عقبها من كسوف الشمس وانمحاق القمر واضطرب الأرض والجبال، بسبب موت الشيخ عثمان الذي لا يجارى ولايبارى كرما وسجية ونباهة، ولفظ "توارى العلم يوم أفول بدر" يدل على مكانة المرثي في ميدان نشر الثقافة الدينية واللغوية.

الخاتمة:

هذه المقالة بعنوان: "**صور من الخيال في مراثي الشيخ جنيد محمد زَارِيَا: دراسة تحليلية**" تناول فيها الباحث نبذة عن حياة الشاعر، ومفهوم الخيال عند النقاد، ثم انطلق إلى تطبيق ظواهر الخيال في مراثي الشيخ جنيد محمد، فتبين خلال هذه الدراسة أن الشاعر استعمل لغته التصويرية فمثل المعاني وشخصها، ثم صبغها بخياله الرائع خلال التشبيهات الرائعة والاستعارات الجيدة والكنايات اللطيفة، فقرب البعيد وأوضح الغامض وسهل الصعب من المعاني، مما يشهد على روعة لغة الشاعر الشعرية، ثم الخاتمة والهوامش والمراجع.

الهوامش والمرجع:

١- سورة الملك, الآية: (٢)

٢- سورة الرحمن, الآية: (٢٦)- (٢٧)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٣- عبد الله عمر زُورُ, (الدكتور), **فن الرثاء لدى الشيخ جنيد محمد زَارِيَا**, بحث قدمه إلى كلية الدراسات العليا, قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا, للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العر بية, ١٤٤٠هـ, ص:١٤

٤- قرية في ولاية زَمْفَرَا تابعة لحكومة محلية تَلاَتَ مَفَرَ الحكومة المحلية.

٥- ثاني غَمْبُو سعيد، **مساهمات الشيخ جنيد بن محمد في نشر الثقافة الإسلامية في مدينة زَارِيَا**، بحث تكميلي قدّمه إلى كلية الدراسات العليا, قسم الدراسات الإسلامية جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، للحصول على شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية، ٢٠١٥م، ص: ٣٣

٦- عبد الله عمر زُورُ, (الدكتور), **فن الرثاء لدى الشيخ جنيد محمد زَارِيَا**, المرجع السابق, ص: ١٨

٧- ثاني غَمْبُو سعيد، **مساهمات الشيخ جنيد بن محمد في نشر الثقافة الإسلامية في مدينة زَارِيَا**، المرجع السابق، ص: ٤٠

٨- ثاني غَمْبُو سعيد، **مساهمات الشيخ جنيد بن محمد في نشر الثقافة الإسلامية في مدينة زَارِيَا**، المرجع السابق، ص: ٢٥

٩- الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، دار العلم للملايين،بيروت لبنان، ط/٤، ١٩٩٠م، ص: ٣٥٣

١٠- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، تحت إشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص: ٢٦٦

١١- إبراهيم أنيس، والآخرون، **المعجم الوسيط**، دار التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م، ج/١، ص: ٢٦٦

١٢- شوقي ضيف، (الدكتور)، **في الأدب والنقد**، دار المعارف، ١٩٩٩م، ص: ١٤

١٣- شوقي ضيف، (الدكتور)،**في الأدب والنقد**، المرجع السابق، والصفحة

١٤- عبد العزيز عتيق، (الدكتور)، **في النقد الأدبي**، دار النهضة العربية، ١٩٧٢م ص: ١١٩

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١٥- التونسي، محمد حصّر حسين، (الأستاذ)، **الخيال في الشعر العربي**، نشر المكتبة العربية في دمشق، ١٩٢٢م، ص: ١٣

١٦- أحمد الشايب، **أصول النقد**، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤م، ص: ٢٣٣

١٧- أحمد أحمد بدوي، (الدكتور)، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، دار النهضة مصر بدون تاريخ، ص: ٥١

١٨- ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ٢٠٠٨م، ص: ١٧٨

١٩- الجرجاني عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي بيروت، ط/١، ١٩٩٥م، ص: ٥٥

٢٠- شوقي ضيف، (الدكتور)، **في الأدب والنقد**، نشر دار النهضة العربية، ١٩٧٢م ص: ١٦٨

٢١- شوقي ضيف، (الدكتور)، **في الأدب والنقد**، المرجع السابق، والصفحة

٢٢- الرازي، محمد بن أبي بكر، (الشيخ)، **مختار الصحاح**، نشر دار الفكر، ٢٠٠٥م، ص:٢٢ مادة ب ك ي

٢٣- القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعروآدابه**، ط/١، المرجع السابق، ص: ١٨

٢٤- الجرجاني عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي، مكتبة الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر، بدون تاريخ، ص: ٢٢

٢٥- سورة الواقعة, الآية: (٢٧) - (٣٠)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

دراسة أدبية تحليلية لقافيَّة الدكتور عيسى ألبي أبي بكر

إعداد:
جامع سعدالله عبدالكريم
قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، نيجيريا

الملخص:

من المسلم به أن الدراسة التحليلية تقتضي النظر في مقومات النصوص الأدبية من حيث الملامح التعبيرية والشعورية، قبل إصدار الحكم لها بالجودة أو عليها بالرداءة. وتشمل تلك القيم مرامي الأفكار، ودلالات الألفاظ وإيحاءاتها، ثم الإيقاعات الموسيقية، والظواهر البلاغية. وقصد الباحث دراسة تلك العناصر في قافيَّة الدكتور عيسى ألبي أبي بكر في وصف كتاب "الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري" للأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا؛ وكان الغرض من هذه الدراسة هو محاولة الوقوف على مقدرة الشاعر والمؤلف وديوان الإلوري. وفي الأخير يدعو الكاتب إلى تزود أدباء العربية الإسلاميين بتوفير الاتجاهات الإسلامية، من حيث الدين والمجتمع، والثقافة والتاريخ، والسياسة والإدارة في أعمالهم الأدبية، علما بأن الإسلام هو الدين الذي رضي به المولى للمسلمين، وأتم به نعمته على حملة دستوره الخالد.

ABSTRACT:

It is well known that studying a literary piece encompasses a critical look into its components and features, all which will pave way to studying its available thoughts, emotions, imaginations, styles and rhetorical devices. Therefore, this paper aimed at studying all the afore-mentioned in Isa Alabi Abubakar's poem on description and analysis of the contents of AbdulBaqy Shuaib Agaka's book entitled "Islamic Literature in Al-Iloriyy's Collection" and this study is to determine the extent at which the poet fulfilled the requirements of the descriptive poem writing in line with the Islamic trend. It is recommended that admirers of Islamism in

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

their literary pieces or writings should endeavor to utilize their writing skill to promote imparting the Islamic religious ethics and integrity inthe citizens for the uplift of the nation.

المقدمة:

من المسلَّم به أن النقد أو الدراسة تفسيرالنص الأدبي وتحليله وتعليل ما فيه وإظهار قيمته، ليتبين من خلال ذلك ما في النص من معنى جليل وخيال دقيق، وصياغة جيدة معجبة وأهداف إنسانية نبيلة، أو يتبين غير ذلك مما يدل على قدرة الأديب أو عجزه، وعلى تمكنه من فن التعبير أو ادعائه، وعلى رفعة شأنه بين الأدباء أو انحطاط منزلته؛ علما بأن الأدب نقد للحياة وتقويم لها، حتى يرتقي المجتمع سلوكا وحضارة، كلما ارتفعت عملية النقد وكلما تعددت طرقه ومناهجه.(١) وعلى هدى هذا المفهوم سيقوم الباحث بدراسة النقاط التالية:

- نبذة عن حياة الشاعر وشاعريته.
- عرض أفكار القافيَّة.
- دراسة تحليلية للقافيَّة.

١- نبذة عن حياة الشاعر وشاعريته:

ولد الشاعر الدكتور عيسى ألبي أبوبكر عام ١٩٥٣م في كُماسَي الغَانَوية لأبوين إلورنيَّين، حيث ينتسب أبوه الشيخ أبوبكر إلى بيت العلم "غروما" حارة الغَمْبَري فهو أَوْيَوي الأصل وإلوري النسب. وكانت أمه السيدة حنة تنتسب إلى مردية جمهورية النيجر أو كتسنة، ولعل الأخيرة هي الأصح.(٢)

تعلم الشاعر القرآن عند الشيخ محمد بن عيسى الغمبري إلى عام ١٩٦٢م، كما تعلَّم مبادئ العلوم الشرعية عند أبيه، ثم التحق بمركز التعليم العربي الإسلامي-أغيغي، حيث حصَّل الشهادتين الإعدادية والتوجيهية بين عامي ١٩٦٥-١٩٧١م.(٣)

بعث الشيخ آدم عبدالله الإلوري الدكتور عيسى ألبي إلى بلدة أيْجَيْبُو بولاية أَوْشُنْ مدرسا بمدرسة نور الإسلام التي أسسها الحاج أوناعولابو عام ١٩٧١م، ثم بعثه أخيرا إلى دار العلوم بإلورن مدرسا ثم ناظرا. ونال شهادة الدبلوم

منجامعة بايرو-كنو، ونال الليسانس بجامعة إلورن عام ١٩٨٢م.ووظف محاضرا بكلية التربية-أورو حيث قضى شهرا لوظيفة أخرى حصل عليها من جامعة عثمان بن فودي-صكتو حيث عمل محاضرا بين عامي ١٩٨٤-١٩٩٤م، واختلف إلى جامعة بايرو-كنو أيضا لنيل ثم الماجستير بين ١٩٨٥-١٩٨٨م،وخلال تلك الأعوام درس الدبلوم العالي في تدريس العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك محمد بن سعود بالرياض عام ١٩٩١م، ثم عاد إلى جامعة إلورن محاضرا منذ عام ١٩٩٤مونال منها شهادة الدكتوراه عام ٢٠٠١م.[٤]

وأما عن شاعريته، فقد اعترف بشاعريته الفذة الشعراء النيجيريون بالعربية خاصة، وشعراء العربية بغرب إفريقيا عامة. وفي ذلك يقول السيد عبد الواحد جمعة أريبي: "لقد نطقت الأيام وأحداثها عن شاعرية السيد الدكتور عيسى ألبي أبوبكر، ما ترجع بدايتها المعروفة لدى الأداني والأقاصي إلى أواخر السبعينيات منذ عام ١٩٧٥م، حين احتفل المركز الأم في أغيغي بالعيد الفضي في الخامسة والعشرين عاما من تأسيسه. وقد اشتهر الشاعر في هذا الفن الشعري الديباجي برقة الحس وسلامة الطبع ودقة الذوق، وغزارة الشاعرية، وطول النفس الفني، وروعة الإبراح، وثورة العاطفة، ووفرة اللغة".[٥]

وللشاعر مقالات علمية عديدة في المجلات العربية المحكمة، وعدد من المؤلفات العلمية والفنية التي منها: ديوان صوت الخاطر (مخطوط)، وديوان الرياض، وديوان السباعيات، وشعر الجهاد لدى عبد الله بن فودي النيجيري، وأعمال العلامة الإلوري قراءة وتلخيص، وأساليب بلاغية في بعض مؤلفات الشيخ آدم عبدالله الإلوري.[٦]

٢- عرض أفكار القافيَّة:

فالأفكار هي المعاني التي تترجم عنها الصياغة الفنية، كمضمون كل عمل أدبي ومحتواه، فهي كالأداء التعبيري بالكلمة التي تعبر عن معان يريد الأديب الإفصاح عنها كتعبير النغم الموسيقي عن اللحن.[٧] وكانت أفكار هذا النص واضحة في النظم والتركيب والترتيب سليمة من تناقض بعضها بعضا، وبعيدة عن سمة غامضة متفلسفة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وتتمثل أفكار القافيَّة لمدح فضيلة البروفيسور أغاكا وتقدير جهوده في فنونه الأدبية وتوقيره لمكانته الجليلة في تدريس علوم البلاغة والأدب والنقد، وتهنئته على نجاحه في إخراج كتابه "الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري"، وهذه الأفكار موجودة في إطار النص كله فتوحي إليك تلك المعاني كلمات دالة نحو "جبل البلاغة" و"هذا الكتاب" كما يظهر في قوله:

جبل البلاغة أنت عبد الباقي ** ويظل حصَّنَك الكلام الراقي
عطر البيان يفوح من أرجائه ** نطقا وترسمه على الأوراق
يا من تعمَّق في الفنون يديرها ** حسب الفهوم وطاقة الأذواق

وكذلك ظهرت في النص أفكار جزئية تعود إلى الدين، والثقافة، والاجتماع. ومن أفكار الدين:أهمية التزودبمكارم الأخلاق، مع الدعوة أيضا إلى التحلي بالقيم الإسلامية، من حيث الإيمان وعمل الصالحات والتواصي بالصبر والمرحمة للنجاء في الحياتين الدنيا والآخرة. ومنه الدعوةإلى أخذ الحذر في مناصرة آداب السخافة والنفاق،وأن الموهبة من الله لا تحتاج الفرح والبغي، بل الحمد لله وابتغاء الدار الآخرة، وزاد الشاعر بأن العلم من المواهب، ولكن قد يظل جهلا إذا كان في هوى غير الله،فيصير أمر صاحبه فرطا بأن اتبع هواه فغوى.وفي الأخير دعوة الشاعر للمرحوم "الإلوري" بأن يجعل ثواب أعماله وجزاء متقلبات في أضعاف باقيات صالحات. فكل تلك البيانات هي التي ساقها الشاعر في قوله:

أدب الإلوري بالهداية حافل ** فَعَلى المدارس نيله بسباق
ما بال آداب تعج سخافة ** في العالمين وترتجى بنفاق
وفخار أرباب الفنون نجاجهم ** في لم أشتات الورى لوفاق
والشعر ما حث النفوس على العلا ** والخير كان رغيبة العشاق
ومواهب الإنسان تحمد كلما ** بذلت لنشر شريعة الخلاق
والعلم مثل الجهل إن ملكته ** حبل الهوى، أفضى إلى الإخفاق

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ومن الأفكار الثقافية قوله أن "لغة الضاد لسان يعزر" إذ يتكلم به نسم كبير في العالم، من العرب الأقحاح ومتعلمها ليكونوا على بصيرة في دينهم. وأقر الشاعر أن لممدوحه إسهاما جبارا في الدراسات اللغوية والأدبية العربية في نيجيريا على الوجه الأخصكقوله: "شيدت صرحا.." تفسيرا لحديث ينص متنه في نفع المرء لأهله وشعبه ولو بهديه لهم إلى صراط مستقيم؛ وليس ببدع في ذلك بل ورثه من شيخه العلامة الإلوري. ولذلك كله قال الشاعر:

شيَّدت صرحا شامخا وممردا ** (للضاد) بين السود دون شقاق
لغة تعزَّز بالحقائق كلما ** جاءت تغذِّي العقل بالإشراق
ورفعت رأسك في صفوف أجلة الـ** علماء في الأمصار والآفاق
هذا النبوغ الفذ آنسه الذي ** عم البلاد بفضله السباق
هو آدم المعطاء أنفق علمه ** فأخذت منه روائع الإنفاق
هذا الكتاب ينمُّ عن آدابه ** وصلاحه ومكارم الأخلاق
بلسانه العربي فصَّل أمرَه ** يبدي فضائله بخير سياق

وأما أفكار الشاعر الاجتماعية والإصلاحية فهي تمثِّل فضائل إنفاق العلم ونفع الأهل والشعب ولو بهديهم إلى الصراط المستقيم، وكلها من كدأب الإلوري من قبل، حيث أسس مركزه العربي الإسبلامي، ووحَّد صفوف العلماء في شمال نيجيريا وجنوبها، وأنشأ رابطة الأئمة والعلماء، وشارك في عدة مؤتمرات داخل نيجيريا وخارجها، يبين فيها للناس جميعها أن الأمة الإسلامية خير أمة وسط يحرى لها أن يشد بعضها بعضا كالبنيان، ولا يتبعوا السبل فتفرق بهم عن سبيل الله. التي منها النفاق الذي يفسد المجتمع الإنساني ويحدث الخصومة، وذلك شأن اضطراب يحذر الإسلام منه. ولذلك يدعو الشاعر إلى إقبال القراء على الكتاب للانتفاع بفوائده الجليلة على ضوء البيانات السابقة فقال الشاعر:

هذا الكتاب يظل أروعَ صنعة ** قدَّمتها للجيل عبد الباقي
هذا الكتاب يسر روحَ مديرنا ** عندالإله مقسم الأرزاق

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

آثار آدم في الممات حياته ** هي بعد ما يأتي الفناء بواقي

تهفو إليها النفس كي تحظى كما ** يهفو الظماء إلى شراب الساقي

والباقيات الصالحات ثوابه ** نعم من الرحمن دون نفاق

٢- دراسة تحليلية للقافيَّة:

ومحاور هذه الدراسة تعود إلى القيم التعبيرية والشعورية، التي هيوضوح البنية من حيثدلالات الأفكار والألفاظ،وجمالهافي الإيحاءات والإيقاعات الموسيقية (الخارجية والداخلية)،وقوتها بالملامح البلاغية؛ فهي عناصر الأسلوب التي "هي الوسيلة لنقل أو إظهار ما في نفس الأديب من تلك الظواهر المعنوية".[٨]

– دلالات الألفاظ وإيحاءاتها في القافيَّة:

دلالة الألفاظ: فهي تعتبر دقتها التي هي أقوى شفافية فنية في تخير الألفاظ المثرية المفردة التي يعبر عنها العامل الصوتي من تذوق الجمال في بديع موازنته بين كلمتين،[٩]ولكل لفظ من تلك الألفاظ إيحاؤه.

وعرَّف ابن رشيق الإيحاءات بأنها في الكلام لمحة دالة، واختصار وتلويح، يعزب مجملا، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه.[١٠] وزاد عليه البروفيسور أغاكا: هي الفاتحة أمام النفس أودية الانفعالات والعواطف، إلى جانب ما تحمله من أفكار ومعان.[١١]

وأقول: إنما تتضمن هذه العناصر لطائف بلاغية من تقديم وتأخير، ووصل وفصل، وذكر وحذف، وتعريف وتنكير، وشيء من أواصر أدبية بديعية من حسن تعليل للإفادة.

ومن أجلى الروابط الشفافية انصداع الشعر بالخبر في "جبل البلاغة" الذي يستوقع المبتدأ بمعنى حاجة الشخصية إلى علو الاسم لا اعتبارا بالمسمى، وذكر "عبد الباقي" بحرف نداء محذوف إذ لا احتياج بأكثر إلى نداءه ولكن تعريفه للناس. يظهر كل ذلك في قول الشاعر:

جبل البلاغة أنت عبد الباقي ** ويظل حصتك الكلام الراقي

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وتم اختيار الشاعر للفظ "جبل" أصوات خفيفة تعبر عن أولية تعلمه البلاغة ثم يتطالبها بالإرساخ من بعيد فوقعت اللام مشددة في آخر لفظ "يظل" إذ يكب على تعلمها انكبابا حثيثا، ثم دنت إليه البلاغة بتوسط الحرف المشدد في لفظ "حصتك" وأخيرا دانت له بشدة وقوة، فظهر المشدد في أول اللفظ "الراقي" راء شمسية متوسطة بين الشدة والرخاوة، سياقا للبروفيسور ينتدي للناس حسب أذواقهم في التعبير.

واستخدام "عطر" للبيان لما يشم من أريحيات لطائفه، ولكن بالغة إلى أن تنطق ثم تخلد في بطون الأوراق، وذلك مما يبقى على الحس والعقل أحاسيس وعواطف, مما توحي إلى الحاضر حركات الممدوح حتى تعانق بجبل البلاغة وارتدى بأكمل زيها.

وأما في قوله:

لغة تعزز بالحقائق كلما ** جاءت تغذي العقل بالإشراق

فحبذا لفظ "تعزز" من عدم التنافر لتباعد العين والزاي، إذ العين صوت حلقي مجهور رفعا واشتدادا لما يأتي بعده، والزاي صوت رخو مجهور يندفع الهواء من الرئيتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتين.[١٢]

يريد الشاعر أن يصف ممدوحه بصفات جميلة منها الحفاظ على الملكات العقلية للعربي حيث أقر أنهترفع لغة الضاد عن غيرها واندفاعها عما يدنسها بالتشدد على معاديها، بالحقائق التي تعد الغذاء الخالد للعقل بلفظ "تغذي" المتشدد الذال لقوة عملية غذاء الضاد وشدة حفاظها على الملكات العقلية، إذ هو تعبير عن التخليد الأبدي الثابث العريق المحفد.

ومنها كلمة "تغذي" للعقل يجعلها أقوم قوام الحياة التي تجعل العقل ماهرا باهرا يتفتح به البصر في الحقائق، وهي مشددة الذال لأن الطعام أو الغذاء مما يقوى الأعضاء وينيل الصحة الطبيعية. و"تعزز" بالزاي في صوت مجهور حيث بلغت لغة الضاد ربوع العالم بقواها الشديدة في الزاي المشدد ولين خلقها بالزاء المخفف.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وكذلك "يا" و"من" و"تعمق" في صورة نداء موصول بـ"من" التي تسوق له الأوصاف البليغة في التعمق, ولا سيما في صياغة أي عمل أدبي غير صياغته الطبيعية بنظرة إلى "الفنون".

وصور البلاغة "صرحا شامخا" يتعاطى الجميع له ويستبلغونه منتدى رفعة بروائعه الأدبية، فظهر له الاسم في رفعته "بالجبل".

وفي "ورفعت رأسك" صورة بديعية حيث مثله بخطيب صعد إلى القمة المنبرية ليخطب المصلين ببدائع الفنون، ووصفه بحسن إرثه الأدبي من تراث شيخه الإلوري "رائد خطب منبرية" وديوان "لقطات من قصائد الإلوري".

وبلغ الشاعر قمة الذروة في استخدام الخيال الواسع لوصف أستاذه بكلمات رنانة جذابة، ولإسلامية القافيَّة تبدو أصالة فكرة الشاعر وجمال أسلوبه وشفافية روعة تصويره؛ ومن نماذجها قوله عن نوعية أدب الإلوري الإسلامي بتعبيره (أدب الإلوري بالهداية حافل). ويقصد بالأدب شعره ونثره لغرض التهذيب، ولذلك قال:

هو آدم المعطاء أنفق علمه ** فأخذت منه روائع الإنفاق

أدب الإلوري بالهداية حافل ** فعلى المدارس نيله بسباق

فالهاء صوت رخو مهموس يظل المزمار منبسطا عند النطق به، ذلك بمعنى حسن غناء الإلوري لتأليف أشعاره، ولا سيما خفة الألفاظ الوالية لخلق الهوينى الذي تعوده إلا "بهاء الهداية" الجاهرة لمن أحدث الخصام بينهما، فيتزيى الإلوري برأي "إن عدتم عدنا"، ثم اتبعته الحروف الخفيفة امتثالا للآيتين "وإن تنتهوا فهو خير لكم" و"وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون...".

و"ينم" بمعنى يفشي، وآثر اللفظ الأول لكونه بيانا عن أثر الغير ونشره في حضوره وغيابه.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

واستأنف على المدارس"بالفاء" في "فعلى المدارس نبله" للتعقيب، ذلك أن احتفال أدب الإلوري بالهداية يتعقب السباق في النيل والطلب.

"ما بال آداب" ففي هذه الجملة أتى باستفهام تقريري، ونكَّر الآداب الأخرى إهانة لها، إذ لم تتمثل للقيم الإسلامية، فتخلق السحافة وتصير آداب تفريط وإفراط. وأفادنا بلطيفة في تشبيه العلم بالجهل، ووجه الشبه بينها تمليك أيهما حبل الهوى الذي يقود الإنسان المتمثل لأدب لا إسلامي. كلمة "تهفو" فهي في شدة حاجة النفس إلى الشيء وعشقه فيه وشوقه عليه عاطفة داخلية، كما يحدث للظامئ شدة حاجته إلى الروي.

- **الإيقاعات الموسيقية في النص:**

اهتم النقاد بعنصر الموسيقى اهتماما كبيرا، ومما يدل على ذلك قول الأستاذ أمين الله آدمو الغمبري حيث يقول: "ينبغي أن يعرف الشاعر مضامين الموسيقى، وكذلك دارس الأشعار ومحللها على السواء من حيث العروض والقوافي، وما يوحى إليهم في ألفاظها وتراكيبها ومعانيها بشيء من الصناعة المتكلفة، بل إنه –عنصر الموسيقي- لأقرب شيء إلى الطبع المتدفق لمعرفة الموهبة الأصلية والمتزايدة عن طواعية وإخيار أو كراهية وإجبار.[١٣]

فالموسيقي –كما ظهر تعريفها عند الدكتور شوقي ضيف- شرح المحلل جمال المنظوم في إيقاعه الخفي، ومحاولته تحليل جميع ما فيه بتصوير ما للألفاظ من جمال وما بنيها من توافق وانسجام في الحروف والحركات.[١٤]

وبتعريف آخر، فالموسيقي "تجعل القصيدة بنية حية تامة الخلق والتدوين، والشكل والتكوين"،[١٥] وزاد سيد قطب إفصاحا حتى ابتدر بقوله: "ولا يفوتني أن أنبه خاصة إلى الإيقاع الموسيقي في كل بيت، ومع أن الأبيات كلها من وزن واحد إلا أنها تختلف إيقاعا، لأن الوزن وحده لا يحدد لون الإيقاع، فالوزن يؤلف الموسيقي الخارجية المحسوسة، وهناك موسيقي داخلية ناشئة عن طبيعة توالي الحروف ومخارجها، لا من حركات هذه الحروف التي يتم بها الوزن العروضي".[١٦] وننتج من هذه التعبيرات أن الإيقاع الموسيقي قسمان:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أ- الإيقاع الموسيقي الخارجي، وهو ماله صلة بالوزن والقافية.

ب- الإيقاع الموسيقي الداخلي، وهو ما يدرس طبيعة توالي الحروف ومخارجها.

الإيقاع الموسيقي الخارجي في النص:

البحر: اختار الشاعر البحر الكامل، المقطوع في الضرب، والوافي في العروض إلا في البيت الأول للترصيع، وضابطه هو:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن ** متفاعلن متفاعلن متفاعلْ

مثاله في البيت الأول المرصع المقطوع:

جبل البلاغة أنت عبد الباقي ** ويظل حصتك الكلام الراقي

جبل لبلا	غة أنت عبـ	ـد لباقي
متفاعلن	متفاعلن	متفاعلْ
ويظل حصـ	ـتك لكلا	ـم رراقي
متفاعلن	متفاعلن	متفاعلْ

ومثال الوافي في العروض والمقطوع في الضرب:

أدب الإلوري بالهداية حافل * فعلى المدارس نيله بسباق

أدب لإلو	ري بلهدا	ية حافلن
متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن
فعللمدا	رس نيلهو	بسباقن
متفاعلن	متفاعلن	متفاعلْ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ولا يوجد له -في طولها- عيب، إذ الإضمار الذي يحدث في بعض تفاعليل الوزن، من التعييرات اللاحقة بها، ولا سيما في قسم الزحافات المفردة.

واختار الشاعر هذا البحر "الكامل" لأنه من البحور الطويلة السهلة ذات الإيقاعات الجياشة التي تنفعل لها النفوس وتضطرب لها القلوب، ولأنه ينتهي إلى أمور مقررة، ومحامد محررة، إلى جانب ما يحسه من الرقة[١٧]في حب الممدوح – كما يصلح للوصف- فهيج العاطفة تعبيرا عن طواعية قلبية ومطاوعة نفسية، فتتعدد مناقب الممدوح التي أكسبته مكانة "جبل البلاغة" بحقيقة لا مراء فيها صارم. ويثير به عواطف القراء والسامعين على سواء في طية سجل تفاصيل المعاني وتبسيط الأفكار، والبحر هذا صالح لحمل مثل هذه الأعباء.

القافية: استخدم الشاعر القافية المطلقة المردوفة الموصولة المجردة عن الخروج نحو: الراقي، سباق، الأوراق، وآثر الشاعر اختيار هذه القافية المطلقة-حسب فهم الباحث- لإيضاح القول، لأن القافية المطلقة أوضح في السمع وأشد تأثيرا للأذن،[١٨]ولأن الروي فيها يعتمد ويزيد المتعة لحركة ما قبله، ولا سيما في كونه حرف مد.

وحرف الروي للقافيَّة -كما هو ظاهر فيها من مطلعها إلى آخرها- هو صوت القاف الذي يعتبر من أوقع الأصوات في القوالب وأمتعها في الأسماع وآثرِها للآذان، لأنه يتجهور بصوت الجرس، ويقرع الآذان في سماع حديثة كبرى، إذ ليس من الأصوات التي تعودها العرب كثيرا في ثنايا قصائدهم فيثير حسا مرهفا وذوقا مدربا، ينشأ للحضور بعبقرية الشاعر، لكبر الرسالة التي يريد أن يؤديها إليهم بقواه العاطفية.

وأما بالنسبة لعيوب القافية، فالقصيدة بريئة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، إذ لا يوجد فيها أي طارئ من العيوب للقافية، فالردف ملزم، والحذومفتوح الجميع، والروي خال من سناد التوجيه المتفرق الحركات فيه، والوصل بالياء أو النون (في الترنم).

<u>الإيقاع الموسيقي الداخلي في النص:</u>

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

نلمح في صدارة الشعر، من البيت الأول، متعة الإيقاع بتقدم "جبل البلاغة" خبرا على "أنت" المبتدأ، في "الجيم" و"الياء" و"اللام" إلى "الغين"، نرى أنها تترفع بالتدرج من السهولة إلى الصعودة، ذلك إذا رددنا قراءتها مع ملاحظة حروفها ومخارجها:

جبل البلاغة أنت عبد الباقي ** ويظل حصتك الكلام الراقي

وفي تقرب الشدة من البعد في "يظل" إلى "حصتك" و"الراقي" بمعنى تدرج البروفيسور في تعلم البلاغة حتى استقر له ضبطها، واستطاع دراسة الأعمال الأدبية بها، ثم أقبل له الجمهور في ذلك الشأن، واعترفوا بمكانته العلياء فصار جبلا لها.

وتقدم الخبر لإسراع ما تستوقعه الآذان، ثم ذكر المبتدأ والنداء فحرفه محذوف للمنادى "عبد الباقي" بأنه لايناديه فقط، ولكن يذكر فعالياته الجبارة، واستأنفه بـ"يا من تعمق" في البيت الثالث ليعرفه من جهله أو لم تبد له إسهاماته الضخمة.

ولعلنا نحس الإيقاع "بال" المتبوع بالتنكير في هذا البيت "آداب" و"لام" بـ"ما" الاستفهامية التي سبقهما، تركيب ذو ذوق سليم وسمع متمع بالأصوات يشعر برنة الجرس، فجودة ترتيبها ومناسبة مارجها بخاصة "لام" بال المرفوع، تنبيه بالترفع عن آداب لا أصل لها في الهوية، إذ اللسان الذي يلحد إليه أعجمي، و"ما" الاستفهامية للتقرير بأن الأمر ليس فيه أدنى شك، فلا بد من الانحياز عن تلك الآداب الماجنة إلى الأدب الإسلامي الذي كان دستورَه قرآن عربي مبين.

ما بال آداب تعج سخافة ** في العالمين وترتجي بنفاق

- الصور البلاغية في النص:

أ- الظواهر المعانية:

الخبر: هو ما قُصِدَ به حقيقة الخبر أو غرض آخر غير لازم الفائدة ولا فائدة الخبر.[١٩]ولم يزل الشاعر يخبر بمكانة عبد الباقي أغاكا وعلو كعبه في الثقلفة العربية التي تعلم كثيرها من شيخه العلامة الإلوري، ولا سيما فيما يمس

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الأدب الإسلامي الذي يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمسك بالقيم الإسلامية من عقيدة وعبادة وسلوك، كما تظهر في أشعار الإلوري التي درسها أغاكا. ولابتداء الإخبار بذلك كله، استخدم الشاعر أسلوب الخبر الابتدائي كما يظهر في الجمل التالية: (جبل البلاغة أنت، عطر البيان يفوح، لغة تعزز،هذا الكتاب ينم، هذا النبوغ الفذ آنسه، هو آدم المعطاء أنفق علمه،أدب الإلوري حافل، ومواهب الإنسان تحمد، العلم مثل الجهل.آثار آدم حياته، والباقيات الصالحات ثوابه)؛ فكلها جمل اسمية بابتداء الخبر.

الإنشاء:هو ما يستدعي مطلوبا غير موجود وقت الطلب.[٢٠]وقد أفرغ الشاعر في استعمال أساليبه، وكان أبرزها النداء والاستفهام والأمر، لكنها بسياقات غير مباشرة كالتقرير والتبجيل عند النداء في قوله (عبدَ الباقي، يا من تعمق)، وقصد الإهانة عند الاستفهام كقوله (ما بال آداب)، وترغيب القارئ عند الأمر كقوله (فعلى المدارس).

التقديم والتأخير: اصطلح البلاغيون أن لأسلوبه سياقات منها التخصيص للإقرار بشخصية الموصوف كقوله **(**جبل البلاغة أنت).وكذلك تعجيل المسرة، الأمر الذي أدى بالشاعر إلى تقديم المفعول به على فاعله دون أي مسوغ، لعل ذلك ناتج من أهمية الحصة الأدبية كقوله (يظل حصتك الكلام الراقي).

التعريف والتنكير:لم يزل أسلوب الشاعر في قوله (آداب) لقصد إهانة الآداب غير الإسلامية تنكيرا لها لأنها غير مرحَّب بها في اتجاه الأدب الإسلامي. زأما العهد الذكري فيظهر في تعريف لفظ (الإنفاق) الذي يعود إلى إنفاق العلم كما سبق في قوله روائع الإنفاق.

ب- الظواهر البيانية:

التشبيه: وهو إلحاق أمر بأمر في صفة جامعة بينهما مع الأداة.[٢١] واستطاع الشاعر تزيين شعره بأنواع التشبيه من المؤكد والمفصل والبليغ باعتبار ذكر الأداة ووجه الشبه أو حذفهما. ومثلاً في قوله (جبل البلاغة أنت)تشبيها بليغا لحذف الأداة ووجه الشبه،فهو يشخص فيه ممدوحه بقمة الجبل في البلاغة التطبيقية. وفي زاوية ثانية استخدم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الشاعر تعبيره (والعلم مثل الجهل إن ملكته حبل الهوى)تشبيها مفصلاومؤكدا لذكر وجه الشبه والأداة على التوالي، فهو يقصد به أن العلم قد يُشقِي كالجهل إذا كان حبل الهوى قائده. وأما قوله(تهفو النفس كما يهفو الظماء) تشبيها مؤكدا مفصلا لذكرهما أيضا، فهو لتصوير حاجة القراء إلى الكتاب كحاجة النفس الظامئة إلى الماء.

المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وُضِعَ له لعلاقة غير المشابهة،[٢٢]واستخدم الشاعر المرسل منه كقوله (شيدت صرحا)مجازاللغة الضاد في بيان عزتها وعلاقته محلية، وقوله (تغذي العقل)مجازا عقليا يعنى رائعته النافعة.

الاستعارة: وهي اللفظ المستعمل في غير المعني الذي وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.[٢٣]وفي قول الشاعر (ورفعت رأسك في صفوف أجلة)استعارة تصريحية بلفظ "صفوف" المشبه به، وتبعية للفظ "رفعت" المشتق، ومطلقة" لعدم ملائم يعني علو مكانته بين البلغاء حتى لُقِّبَ بجبل البلاغة.وأما (عطر البيان يفوح من أرجائه نطقا وترسمه على الأوراق)فهو استعارة تصريحية لذكر "عطر" المشبه به، ومكنية لجمود اللفظ، ومجردة للفظ "نطقا" حيث شبه منطقه بالعطر الفائح من أرجاء الفم بالملامح، ويقصد به الشاعر عذوبة تعبيره المتَّسم بالبلاغة العربية.

الكناية: بلسانه العربي: كناية عن لغة الضاد، إذ يلزم وجود اللسان للنطق فيلزم معناه، والنكتة كناية عن نسبة.

ج- الظواهر البديعية:

المحسنات اللفظية:

الاقتباس: هو أن يُضمِّن المتكلم نصه الأدبي شيئا من القرآن أو الحديث،[٢٤] تفخيما لشأنه على وجه لا يُشعَر بأنه منه. وقد أحسن الشاعر أسلوي الاقتباس حيث قال: (والباقيات الصالحات ثوابه)وهو من سورة الكهف فالآية "المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا".ظهر من خلال ذلك أن الشاعر صار متعبدا بهذه الآية وداعيا الله سبحانه وتعالى أن يؤثرها في آثار آدم حتى يحيا الحياتين خالدا فيهما، فبالتركات في الدنيا وثواب الخيرات لعمل خير قام به في الدنيا للآخرة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الجناس: هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى[٢٥] ويظهر ذلك في قول الشاعر: (الباقي والراقي، سياق وسباق، وتهفو ويهفو) لتباين نوع الحروف في بعضها؛ فكل منها جناس غير تام.

السجع: هو تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو حرفين متقاربين أو حروف متقاربه في النثر أو الشعر،[٢٦] ويتنوّع إلى المطرف والمرصع والمتوازي، ولكن سنكتفي بالأخير في لفظي(الباقيات الصالحات)حيث اتفقافيالوزن والنعت لكن دون النقيضة، وهو سجع متوازى.

المحسنات المعنوية:

براعة الاستهلال: وهي الابتداء بما يكون إشارة إلى ما سيق الكلام من أجله، مشعرا بالمقصود ومنبئا به.[٢٧] ونلمس ذلك في بداية القافيَّة حيث قل الشاعر: (جبل البلاغة)، ومنهيشعر القراء بأن الشاعر يريد أن يورد إسهامات عبد الباقي أغاكا في تطوير الثقافة العربية الإسلامية محاضرة وتأليفا.

المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو بمعانٍ متوافقة ثم يقابل بينهما على الترتيب،[٢٨] وندرك الشاعر يقول: (أدب الإلوري بالهداية حافل...ما بال آداب تعج سخافة). فقد قابل الشاعر بين أدب الإسلامي وبين آداب أخرى غير إسلامية فنكَّرها. وكذلك في ذكر خصائصهما من الهداية للأول والسخافة لغيرها.

حسن التخلص: هو أن يبتدئ الأديب بغرض من كلامه، ثم ينتقل إلى غرض آخر بدون تكلفة.[٢٩] نجد لهذا الأسلوب مثلاً في القافيَّة حين شرع الشاعريصل نبوغ الأستاذ عبد الباقي أغاكا بعبقرية شيخه العلامة الإلوري الذي درَّبه على منهج الأدي الإسلامي فقال:

هذا النبوغ الفذ آنسه الذي ** عم البلاد بفضله السباق

هو آدم المعطاء أنفق علمه ** فأخذت من روائع الإنفاق

الخاتمة:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

استطاع الباحث أن يقر نظرية الأدب الإسلامي من حيث الالتزام، حيث يلتزم الأدباء الإسلاميون بقوة البناء وإحكام النسج لإحياء الوعي الإسلامي في قلوب الأمة المسلمة، والعلامة الإلوري من عباقرته، فقام الشاعر بتقريظه لكتاب الأستاذ أغاكا الذي يمثل دراسة فنية لديوان شيخهما على منهجية الأدب الإسلامي. ويبدو أن الشاعر موفَّق في إعداد قافيَّته في شتى الجوانب التي منها دلالات الألفاظ وإيحاءاتها، ثم موسيقاها الخارجية والداخلية ذات المعاني الصوتية، ثم الصور البلاغية. وأخيراً يقترح الباحث للقراء أن يحافظوا على أهمية الالتزام بمنهجية الأدب الإسلامى والتزود بقيمه وأهدافه عقيدة وعبادة وسلوكا وتوعية.

الهوامش:

١- محمود، عبد الحليم علي (الدكتور): النصوص الأدبية تحليلها ونقدها،ط٢، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع- جدة، الرياض، ص ١٨-١٩.

٢- مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الشاعر بتاريخ ٢٠-١-٢٠١١م.

٣- جمبا، مشهود محمود محمد (الدكتور): "الشاعر في سطور" في ديوان الرياض لعيسى ألبي أبي بكر، ط ١، عام ، مطبعة ألبي جمبا الإنتاجية، إلورن.

٤- المرجع نفسه، والترجمة نفسها.

٥- أريبي، عبد الواحد جمعة: مقالته النقد الأدبي، في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، لاغوس-نيجيريا، ص ١٢.

٦- مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الشاعر بتاريخ ٢٠-١-٢٠١١م.

٧- قطب، سيد (الأستاذ):النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ط غير مذكورة، عام ١٩٧٦م، دار الشروق، بيروت-لبنان، ص ٣٧.

٨- الشائب، أحمد (الأستاذ): الأسلوب، ط٧، عام ١٩٧٦م، مطبعة النهضة المصرية، مصر، ص ٤١.

٩- أغاكا، عبد الباقي شعيب (البروفيسور): أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، ط٢، عام ٢٠٠٠م، مركز المضيف لخدمات الكمبوتر، إلورن-نيجيريا، ص ٧٩.

١٠- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده (تحقيق محي الدين عبدالحميد)، ج١، ط ٥، عام ١٩٨١م، دار الحل، بيروت-لبنان، ص ٣٠٢.

١١- أغاكا، عبد الباقي شعيب (البروفيسور): المرجع السابق، ص ٩٥.

١٢- أنيس، إبراهيم (الدكتور):موسيقى الشعر، ط٥، عام ١٩٧٢م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٥٧.

١٣- الغمبري، أمين الله آدمو (الأستاذ):صور من الاتجاهات الفنية في أدبنا العربي النيجيري المعاصر، ط١، عام ٢٠٠٣م، مطبعة شريف بلا للطباعة والنشر، كنو-نيجيريا، ص ٦٦.

١٤- ضيف، شوقي (الدكتور): في النقد الأدبي، ط٥، عام ١٩٦٢م، دار المعارف، كورنيش- القاهرة، مصر،ص ١٢٧.

١٥- المرجع نفسه، ص ١٥٣.

١٦- قطب، سيد (الأستاذ):المرجع السابق، ص ١٢.

١٧- أنيس، إبراهيم (الدكتور): موسيقى الشعر، ص٥٦.

١٨- أنيس، إبراهيم (الدكتور): أصوات لغوية، أمور الطبع غير مذكورة، ص٦٣.

١٩- الهاشمي،السيد أحمد: جواهر البلاغة العربية، ط غير مذكورة، عام ٢٠٠٠م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٤٦.

٢٠- أغاكا، عبد الباقي شعيب (البروفيسور): المرجع السابق،ص ١٧٤.

٢١- ناصف، حفني وآخرون: دروس البلاغة (شرح محمد بن صالح العثيمين)، ط١، عام ٢٠٠٩م، دار الهداية للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ص ٩٧.

٢٢- عباس، فضل حسن (الدكتور): البلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان والبديع)، ط١، عام ١٩٨٥م، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ص ١٤٩.

٢٣- الإلوري، آدم عبد الله: دروس البلاغة العربية، ط ٢، عام ١٩٨٦م، مطبعة الثقافة الإسلامية، أغيغي، لاغوس-نيجيريا، ص ١٨.

٢٤- الجارم،علي وأمين، مصطفى: البلاغة الواضحة، أمور الطبع غير مذكورة، ص ٢٧٠.

٢٥- المرجع نفسه، ص ٢٦٥.

٢٦- المرجع نفسه، ص٢٧٣.

٢٧- عبد الغني، أيمن أمين: الكافي في البلاغة، ط غير مذكورة، عام ٢٠١١م، دار التوفيقية للتراث، درب الأتراك خلف الجامع الأزهر-القاهرة، ص ١٩٥.

٢٨- الجارم، علي وأمين، مصطفى: المرجع السابق، ص ٢٨٥.

٢٩- المرجع نفسه، ص ٢٧٢.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

صور من المظهر التصويري في مدائح الشيخ محمّد الناصر كبر صور من ديوان نغمات الطار أنموذجا

إعداد:
أبوبكر عبدالله صلاتي وعبدالغني أبمبولا عبدالسلام
قسم اللغة العربيّة، جامعة إلورن، إلورن

الملخّص:

يعتبر المديح من الأغراض السائدة في الشعر العربي النيجيري حيث تفنّن فيها الشعراء المبدعون وقالوا فيها جميل أشعارهم، ويعدّ الشيخ محمّد الناصر كبر من زعماء هذا الغرض الشعري حيث أكثر في مزاولته، فمدح النبيّ محمّدا ﷺ، وكثيرا من شيوخ الطرق الصوفيّة مشيدا بشمائلهم الطيّبة وخصالهم النيّرة. وبالفعل أن هذه المدائح لا تخلو من الصور البيانيّة التي تأتي عفو الخاطر في ثنايا القصيدة يوضّح من خلالها أفكار المدائح ويقرّب معانيها إلى أذهان القرّاء. الأمر الذي جذب انتباه الباحثَين إلى القيام بهذا البحث. وعليه، يهدف البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم الصورة الشعريّة في البناء الشعري، وتحليل الصور الواردة في المدائح من حيث التشبيه والاستعارة والكناية والنظر في الدلالة الناجمة من هذه الصور وما يضيف إلى المدائح من الرونق والجمال مستخدما في ذلك كلّه المنهجين التاريخي والوصفي. استخدم الباحثان المنهج التاريخي في كشف اللثام عن حياة الشاعر، والمنهج الوصفي في تحليل المظهر التصويري في المدائح على أنّ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الباحثين تصرّفا بين حدود المدائح التي قالها الشاعر في مدح الرسول محمّد ﷺ وأولياء الله الصالحين في ديوانه المشهور باسم **"نغمات الطار"**، ثمّ توصّلا إلى نتائج البحث في الخاتمة.

ABSTRACT:
Panegyry is one of the developed and studied poetic genres in Nigerian Arabic literature. It is often explored by Nigerian poets to eulogise individuals or people with distinctive virtues. Sheikh Muhammadun-Naasir Kabara is known by his standard poems in different poetic genres especially in panegry through his numerous poetic write-ups and published collection of poems. However، his panegyric poems were furnished with imagery phenomena which were freely explored in some verses of the poems to illustrate thoughts and elucidate meanings; this gained the attention of the researchers to conduct this study. The objectives of the study were to identify the iconicity which were established and analyse the figurative features explored in the purposively selected verses of panegyric poems of the noble prophet and some sufi scholars in his collection of poems porpularly known as Naghamatu-Taar. The methods adopted for the study were historical and descriptive while findings and conclusion were made at the end of this paper.

المدخل:

يعدّ الشيخ محمّد الناصر علما كبيرا من أعلام الشعر الصوفي في نيجيريا لكثرة قوله في شتّى الأغراض الشعرية الصوفيّة. وقد نالت قصائده في مختلف الأغراض الصوفيّة إعجاب الباحثين لما احتوت في طيّها من الخصائص الفنّيّة والأساليب اللغويّة، فتناولوها بالدراسة. وتوجد من بين تلك القصائد مدائحه التي تعدّ من أروع إنتاجاته الأدبيّة لمميّزاتها الفنّيّة، ومن هذه المميّزات التصوير البياني الذي استخدمه لتوضيح الأفكار والمعاني بطرق مختلفة. وقد آثر هذا البحث النظر في الطرق المختلفة التي استطاع بها الشاعر تصوير ما يخطر في ضميره. هذا الأساس، تبنّى الباحثان دراسة التصوير في مدائح الشيخ محمّد الناصر كبر على حدّ مفهوم الصورة الشعريّة لأحمد الشايب، من حيث التشبيه والاستعارة والكناية، لإبراز مدى قدرة الشاعر على تصوير بعض معاني مدائحه ونقل الأشكال والشعور كما تقع في حسّه والدلالات الناجمة عن تلك الصيغ التصويريّة لإقناع المتلقّي إقناعا مسلما به. ويشمل هذا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

البحث نبذة عن حياة الشيخ محمّد الناصر كبر، ومفهوم التصوير وأهميّته في البناء الشعري، وكذلك تحليل المظاهر التصويريّة من خلال الصورة التشبيهيّة ودلالتها، والصورة الاستعاريّة ودلالتها، والصورة الكنائيّة ودلالتها، ثمّ الخاتمة التي تحتوي على خلاصة ما توصّل إليه الباحثان من نتائج البحث.

نبذة عن حياة الشيخ محمّد الناصر كبر

ولد محمّد الناصر كبر في شهر شوّال يوم الخميس سنة ١٣٣٤هـ الموافقة سنة ١٩١٣م بقرية غُرِنْغَاوَا؛ ضاحية من ضواحي مدينة كنو حيث تسكن أسرة والدته، ونشأ نشأة إسلاميّة صوفيّة تحت رعاية والديه لكن توفّي أبوه وهو لم يجاوز السادس من العمر، فاعتنى بتربيته عمّه الشيخ إبراهيم ابن أحمد الشهير بـ"نَظُغُنِي"(وهي كلمة هوساويّة معناها بالعربيّة المحتبِي)، هو صوفي زاهد ورع عالم اعترف به أهل بلده[١].

لقي محمّد الناصر كبر عند مربّيه اعتناء بالغا أعانه على تحصيل العلم والفوز بالمعيشة الطّيّبة حيث لبث تحت رعايته مدّة تقرب من ثلاث وعشرين سنة. ومن خلال هذه المدة، التحق بكتّاب الشيخ المقرئ محمّد غجَبْرِي الذي ختم تعلّم قراءة القرآن الكريم عنده وهو في التاسع من عمره مع أنّه يبدأ بالدرس عند مربّيه كلّ يوم قبل الاختلاف إلى الكتّاب. ثمّ تفرّغ للدراسات الإسلاميّة والعلوم العربيّة، وكان يدرس ثلاثين كتابا في كلّ يوم في مجالس العلماء وتتلمذ على طائفة من أعلام عصره منهم الشيخ إبراهيم نَظُغُنِي، والشيخ محمّد الثاني، والشيخ القاضي إبراهيم بن الأستاذ عثمان، والشيخ مَالَمْ عبد الكريم الملقّب بـ"سَابَوْ"، والشيخ محمّد المجتبى الشنقيطي. فقد ساعده الحظّ على جمع كثير في مختلِف الميادين العلميّة كما لبيئته الثّريّة - علما وثقافة - الأثر الملموس في تكوين شخصيّته العلميّة والدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة إضافة إلى خلفيّة أسرته الصوفيّة، وكثرة مطالعته، ورحلاته العلميّة التي فتحت له أبوابا كثيرة للاتّصال بأعلام العلم والدين. لم يزل يختلف محمّد النّاصر كبر إلى مجالس العلماء داخلا وخارجا حتّى توفّي معظمهم فانقطع لمهنة التدريس وخاض في عالم التّأليف والتصنيف وقول الشعر وله من العمر بضع وعشرون سنة[٢]. لم يتوقّف من هذه الحركة العلميّة حتّى ملأ المكتبات العلميّة بلآلئ إنتاجاته الأدبيّة التي تربو على المائتين، إلّا أنّ عدد مؤلّفاته التي هي في متناول اليد يربو على المائة. والحقيقة هي أنّه قد أسهم بجميع هذه الإنتاجات العلمية في

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

تطوير العلم والأدب العربي الصوفي، لأنّ الأغلبيّة الساحقة منها هي في الموضوعات الصوفيّة شعرا ونثرا. ومن هذه الإنتاجات ديوان نغمات الطار في حلقات الذكر في الصباح والمساء والأسحار الذي عليه مدار البحث.

توفّي محمّد الناصر كبر في منتصف ليلة الجمعة، العشرين من جمادى الأولى سنة ١٤١٧هـ الموافقة اليوم الرابع في أكتوبر سنة ١٩٩٧م بدار القادريّة في مدينة كنو، ودفن في مقبرة قرب مسجده الجامع جامعَ الكنز المطلسم(٣).

التصويروأهميّته في البناء الشعري

تعتمد الأصوات المركّبة والكلمات المؤلّفة لتركيب الجملة اعتمادا بالغا في البناء الشعري الجميل على التصوير الذي يعدّ ركيزة أساسيّة من ركائز النصّ الأدبي والذي كان يمثّل في الحقيقة جوهر الشعر وأهمّ وسائط الشاعر في نقل الشعور والتجربة عن واقعه إلى المتلقي، فإنّ الشعر ليس أفكارا ومعاني فقط، بل هو صياغة جميلة ترتكز على التصوير(٤).

إنّ الشاعر الفنّان لا يصوغ تعابيره بطريقة عادية التي تُفهَم معانيها بدلالة اللفظ، إنّما يلجأ إلى صياغة تلك التعابير عن طريق انزياحيّ تُفهَم معانيها بوسائط الصورة التي توضح وتصف تلك المعاني. هذا بالإضافة إلى أنّ الشاعر يهدف إلى خلق الإبداع ويهتمّ بإمتاع المتلقّي بعمله الفنّي، فإنّه لا قيمة لتلك المعاني التي تحملها ألفاظ شعره إذا اختلّت من التصوير. فالمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والحضري، وإنّما الشّأن في إقامة الوزن، وتميّز اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحّة الطبع، وجودة السبك، والشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير"(٥).

والتصوير مصطلح مشتقّ من الصورة التي هي من الوسائل المتّبعة في الدراسة الأسلوبيّة كما أقرّ بها أحمد الشايب في كتابه "الأسلوب"(٦). فالصورة بهذا الأساس، تعكس شخصيّة الشاعر ونفسيّته، فهي تحمل هويّته من خلال التعبير بها عن أفكاره ومشاعره وأحاسيسه وتجاربه في الحياة بحيث يصوغها بلغة نابعة من ألمه وفرحه ومعاناته، فالصورة إذن تشكيل لغويّ يكوّنها خيال الفنّان من معطيات متعدّدة يقف العالم المحسوس في مقدّمتها(٧). وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنّ الهدف الرئيس من الصورة هو إقناع المتلقّي بفكرة المرسِل؛ ومن خلال نقله عبر الخيال الواسع وشعوره بالتأثير المرهف الذي يشعر به من جراء العيش مع تجربته، فالصورة أحد الأساليب التي تؤدّي دورها على

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أنّها طريقة في الإقناع وتحرص على إثارة الانفعالات في النفوس[٨]. والصورة الشعريّة عبارة عن المادّة التي تتركّب من اللغة بدلالتها اللغويّة والموسيقيّة ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل[٩]. ويختار الشاعر اختيارا انزياحيّا من الصور – تشبيها أو استعارة أو كناية – ما يتناسب مع المعنى الذي يريد تصويره والتعبير عنه، وإنّها كانت بمثابة الوسيطة التي بها ينقل ما يعلمه في عقله إلى ما يراه بعينه، فإنّ التشبيهات والاستعارات والكنايات في النص الشعري - كما في المفهوم السابق - تعمل على توضيح المعنى حتّى يصير ملموسا مأنوسا في نفس المتلقّي. لاحظ الباحثان من خلال هذا التصوير وجود الصور المختلفة في هذه المدائح، وهي الصورة التشبيهيّة، والصورة الاستعاريّة، والصورة الكنائيّة ودلالاتها.

الصورة التشبيهيّة ودلالتها

التشبيه في اللغة مصدر شَبَّهَ الشيءَ بالشيء أي مَثَّلَه، أقامه مقامه لصفة مشتركة بينهما[١٠]. وهو في الدلالة البلاغية، صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كلّيّة لكان إيّاه[١١]. ويهمّ الباحث في هذا الصدد النظر في الأسلوب الانزياحي الذي استخدمه الشاعر عن طريق صورة التشبيه الذي يعدّ أوّل طريقة تدلّ عليه الطبيعة لبيان المعاني، وإخراج الخفيّ إلى الجليّ وإدناء البعيد من القريب، ليزيد المعاني رفعة ووضوحا ويكسبها توكيدا وفضلا ويكسوها شرفا ونبلا[١٢]. وقد استطاع المحلّل الأسلوبيّ العربيّ محمّد الهادي الطرابلسي أن يوضّح أهمّيّة التشبيه الأسلوبيّة المتمثّلة في **التعويض والتحويل** حيث يقول فيهما:

> "انتقال الشاعر من نقطة إلى نقطة في نفس العالم كأن يصف محسوسا بمحسوس أو يصف مجرّدا بمجرّد فنسمّيه تعويضا لأنّه في هذه الحالة لايقوم بمجهود تصويريّ خلّاق بقدر ما يتولّى تنبيه المتلقّي إلى زوايا نظر عديدة طريفة، تعوّض فيها الصورة الموصوفَ، أمّا انتقال الشاعر من نقطة تنتمي إلى عالَم، ثمّ ينتقل إلى نقطة أخرى تنتمي إلى عالَم ثان، كأن يصف محسوسا بمجرّد أو مجرّدا بمحسوس فنسمّيه تحويلا لأنّ الشاعر إذّاك يولّد من الموصوف صورة مختلفة يعمل فيه الخيال كثيرا في بلورتها"[١٣].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

يُفهَم ممّا سبق أنّ المشبّه يعدّ الصورة الموصوفة مجرّدا كان أو محسوسا، والمشبّه عبارة عن الصورة الواصفة مجرّدا كان أو محسوسا حيث إنّ وجه الشبه هو الصفة التي يشترك فيها كلا الطرفان. وعلى هذا الأساس، وظّف الشيخ محمّد الناصر كبر قدرته اللغويّة في خلق الصورة التشبيهيّة لتوضيح معاني مدائحه.

إنّ الأبيات التالية مستنبطة من المديحين النبويّين من المدائح المختارة، وقد تسيطر على الشاعر فيها الحبّ والعشق العميق للحبيب محمّد ﷺ ، وهو في هذا السياق شديد الحرص في إمتاع القرّاء والمتلقّين، فاستخدم التشبيه لتوضيح وتقريب المعنى من ذهنهم. وهو في هذا التشبيه، قد استعان بكلمات شبّه بها الرسول ﷺ مثل: الصراط المستقيم، العرش، الكرسيّ، اللوح، القلم، السموات، الأرض، أو شبّه بها العنصر المتعلّق بذات الرسول ﷺ مثل الأضحوكة. يقول:

إلَّا فَـــــــإنَّ مَـــــــدائِحِي أُضـــــــحُوكَةٌ لَكِنَّهـــــــا عَـــــــذُبتْ بِلفظـــــــةِ أحمـــــــدِ

يـــــا مُرْتَجـــى الجَـــانِي ويـــا أمـــنَ الـــوَرَى أَنـــــتَ الصِّـــــراطُ المســـــتقيمُ لِقصّـــــدِ[١٤]

أَنْـــتَ العـــرُوشُ كـــذا الكُرســـيّ يـــا سَـــنَدِي وَأَنْـــــتُمُ اللَّـــــوحُ والأقـــــلامُ تقتـــــدرُ

أَنْـــتَ الســـماواتُ أنـــتَ الأرضُ أَجْمعُهَـــا وَأنـــتَ مِـــن نَشـــرِك الأنـــامُ تعتطـــرُ[١٥]

إنّ الرسول ﷺ الممدوح في هذه الأبيات إنسان حلّ محلّ الصورة الموصوفة المحسوسة لأنّه مرئيّ. وصوّره الشاعر بصفات عن طريق التشبيه، منها ما كان محسوسا وما كان مجرّدا، على أنّ التشبيه المتسخدم طوال الأبيات كان تشبيها بليغا لحذفه أداة التشبيه ووجه الشبه. شبّه الشاعر مدائحه للنبيّ محمّد ﷺ بالأضحوكة تشبيها بليغا وهذا تعويض لأنّه وصف المجرّد (المدائح) بالمجرّد (الأضحوكة). والصفة الجامعة بينهما هي الشيئ التافه الذي لا يُهتمّ به أو ما لا طائل تحته ويُضحَك منه. وهذا دلالة على أنّ مدائحه للنبيّ مع كثرتها لا تضيف أيّ شيئ من الشرف إلى شرف الممدوح، إنّما الشاعر متشرّف بذكر "محمّد" في قصائده ولذلك قال: **لَكِنَّها عَذُبتْ بِلفظةِ أحمدِ**.

وحينما يصوّر الشاعر الرسول محمّدا ﷺ بالصراط المستقيم، والعرش، والكرسيّ، واللوح، والقلم، والسموات، والأرض، فإنّه استخدم التحويل في هذا التصوير لأنّ تلك الجذور الواصفة إنّما هي بمثابة المجرّدات التي لا يمكن أن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

تدرك إلا بالعقل، وبذلك يعمل الخيال كثيرا في بلورته وهو أوسع وأوكد مجالا للتصوير. ففي الصراط المستقيم المعبّر عنه في هذا السياق عمليّة انتقال من عالم محسوس إلى عالَم ثان هو التصوير بالمجرّد، يبذل المتلقّي طاقته الخياليّة ليدرك العلاقة التشبيهيّة بين الطرفين، فهذا هو التحويل المشار إليه آنفا. فالاهتداء إلى الصراط المستقيم لا يتمثّل إلا في اتّباع رسول الله ﷺ وطاعته ويؤكّد هذا الرأي آيات قرآنيّة مثل قوله تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله**﴾ (آل عمران:٣١)، ﴿**فإن تنازعتم في شيئ فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾ (النساء:٥٩) ﴿**يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول ولا تبطلوا أعمالكم**﴾ (محمّد:٣٣) فحذف الشاعر أداة التشبيه ادّعاء منه وليدلّ على أنّ المشبّه هو المشبّه به نفسه أي أنت (الرسول المشبّه) الصراط المستقيم (المشبّه به) نفسُه، وأهمل ذكر وجه الشبه الذي ينمّ عن اشتراك الطرفين في صفة أو صفات دون غيرها.، فهذا تشبيه بليغ. وكذلك الحال في البيتين الأخيرين السابق ذكرهما حيث شبّه الشاعر الممدوح بالعرش والكرسيّ واللوح والقلم، فهذه الجذور لا تدركها الأبصار ولا يتخيّلها عقل إنسان، إنّما وصفها الله تعالى في القرآن الكريم بصفات يجب الإيمان بها جازما. قال تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ (طه:٥) ﴿**وسع كرسيّه السموات والأرض**﴾ (البقرة:٢٥٥) ﴿**بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ**﴾ (البروج:٢٢) ﴿**ن، والقلم وما يسطرون**﴾ (القلم:١). استعان الشاعر بهذه الجذور الواصفة في عمليّته التصويريّة في تشبيه المحسوس بالمجرّد من حيث التحويل التجريدي وفي غاية من المبالغة ليدلّ دلالة واضحة على أنّ شخصيّة الرسول ﷺ ، كلّما حاول المعبّرون عن كنهها لا يستطيعون بل يشعرون بالعجز عن استقصائه. وفي قوله: "**أنت السموات أنت الأرض أجمعها**" مبالغة في تشخيص عظمة الممدوح ليعرف المتلقّي يقينا أنّ السموات والأراضي جميعها المرئيّ وغير المرئيّ منها إنّما هي تنقاد لعظمة رسول الله ﷺ.

أمّا في أبيات المدائح الأخرى حيث مدح الشاعر أولياء الله الصالحين ومشائخ الصوفيّة، فقد تبنّى نفس المنهج الأسلوبي الذي اعتمده فيما سبق تحليله. وعلى سبيل المثال، حين يمدح الشيخ عبد القادر الجيلاني حيث يقول:

نـــــورُ الســـــرائرِ فـــــالهجوا فـــــي ذكـــــرِهِ فَـــهُوَ الَّـذي ما خَابَ من نادَاهُ

تبًّـــــا لقـــــومٍ ضـــــيَّعوا فـــــي أمـــــرِهِ شيئًا ولو كالظُّفرِ مِن دعوَاهُ[١٦]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

شبّه الممدوح بالنور المستضاء به في الظلمة، فأضاف كلمة النور السرائر لشرح المقصود. فالنور صورة بصرية والممدوح صورة بصرية كذلك واجتماع الصورتين تعويض استعان به الشاعر ليثبت المعنى في المتلقّي أنّ المشبّه به عين المشبّة لحذفه أداة التشبيه. وفي البيت الثاني حذّر الشاعر أتباع الممدوح ألّا يستهينوا بأيّ شيئ ممّا يأمر به ويدعو إليه الممدوح فشبّه أقلّ شيئ من أمره ودعوته بالظفر وهو مادّة قرنيّة تنبت في أطراف الأصابع(١٧). فهذا التشبيه تصوير في التحويل أي تصوير المجرّد بالمحسوس لتتّضح الصورة جليّا أمام المتلقّي ويستقرّ المعنى في ذهنه هذا إذا قاس ما يراه هو الظفر بما لا يرى وهو الأمر، فحينئذ يوضّح المرئيّ ما يدركه العقل ليكون المتلقّي على بيّنة من الأمر، فهذا تجسيمٌ عند التصوير بالتحويل(١٨).

استخدم الشاعر التشبيه البليغ أيضا في مدح الشيخ جبريل ابن عمر للتصوير بالتعويض لبيان المكانة التي تتمتّع بها "مَجِ"؛ مدينة الممدوح من النفاسة والندارة في العلم والدين من بين المدن المجاورة لها، فاستعان بشيئ نفيس نادر تكون صورته دلالة قويّة على بيان صورة المشبّه (مَجِ)، وهي الدّرّة: اللؤلؤة العظيمة الكبيرة(١٩). وحذفه أداة التشبيه دلالة أيضا على مدينة الممدوح هي الدّرّة نفسها يعمّ نورها كلّ البلاد. استمع إليه يقول:

هِـــــيَ دُرَّةٌ تحـــــت الرِّمـــــالِ ونورُهـــــا عـــــمَّ البَسِـــــيطةَ عَرْضَـــــها والطُّـــــولَا(٢٠)

وبهذا النوع من التصوير، يستطيع المتلقّي أن يفهم المعنى الخفيّ المعبّر عنه بالسهولة لأنّ الشاعر لم يقم بمجهود خلّاق في مثل هذا التصوير بخلاف التحويل.

وفي قوله حين يمدح الشيخ مجتبى الشنقيطي:

وفي الحفيطة قَرمٌ صلدَم لَدَمٌ ** كأنّه حمزة المرحوم في أحُد

وفي الكتيبة كان الباسل الأسد بـ ** ـن الباسل الأسد بن الباسل الأسد(٢١)

شبّه الممدوح بالقَرم والصِلدَم واللَّدَم مستغنيا في ذلك كلّه عن ذكر الأداة على سبيل التشبيه المؤكّد.فالصورة في هذا التشبيه جاءت عن طريق التعويض، فالقرم هو الإبل الذي تُرك عن الركوب والعمل لعظم شأنه وكرمه ويطلق على السيّد تشبيها بالقرم، والصِلدم الأسد الشديد الصلب، واللدم الحرم في القرابات سمّيت الحرمة لَدَما لأنّها تلدِم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

القرابة أي تُصلح وتصِل[٢٢]. شبّه الممدوح بهذا التصوير لبيان دفاعه القويّ عن حميّته الإسلاميّة الرفيعة فهو فيها سيّد وشجاع ومصلح كأنّه الصحابي حمزة يوم غزوة أُحُد فشبّه المحسوس بالمحسوس لكنّ الثّاني (المشبّه به) أقوى وأوضح في الدّلالة من الأوّل (المشبّه)، هذا لتتمثّل الصورة واضحة قويّة أمام المتلقّى، فجاء البيت التالي يؤكّد الأول حيث قال:" **وفي الكتيبة كان الباسل الأسد**" أي: إنّه في المعركة أسد في البسالة والشجاعة والجراءة.

الصورة الاستعاريّة ودلالتها

الاستعارة في اللغة استعار الشيئ منه: طلب أن يعطيه إيّاه عاريّة ويقال: استعاره إيّاه[٢٣]. وفي الدلالة البلاغيّة هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه وبين المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي[٢٤]. وبهذين التعريفين اللغوي والبلاغي، اتّضح جليّا أنّ الاستعارة تتكوّن من المستعار منه هو المشبّه به، والمستعار له هو المشبّه، والمستعار هو اللفظ المنقول والمستعمل في غير وضعه الأصلي. وليس من شكّ أنّ الاستعارة أساسها التشبيه إلّا أنّها أبلغ منه في إثارة المعنى العاطفي، ولإنّهاتضع أمام المتلقّي بدلا من المشبّه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عمّا ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة وسموّ الخيال تكون البلاغة في الاستعارة[٢٥]، وإنّها تعدّ انعكاسا صادقا لمشاعر الشاعر ومحاولة جادّة لإثبات ذاتيّته التي حاول قومه إلغاءها تحت غطاء العبوديّة، فنسج من خياله صورا تمتزج بالواقع لتعكس الصورة الحقيقيّة للشاعر[٢٦].

وتجدر الإشاره في هذا المنطلق أنّ الأسلوبيّن الغربيّين المحدثين أمثال دي سوسير اللغوي أستاذ شارس بالي، ورومان جاكوبسون، وجاك لاكان، وجورج مولينيه، وبول ريكور، حاولوا أن يأتوا بمفهوم جديد للاستعارة من منظور أسلوبيّ ليحرّرها من سيطرة التقليد، وخلاصة آرائهم أنّ الاستعارة بمفهومها القديم مبنيّة على نظريّة التشابه بين المستعار منه والمستعار له حيث إنّها بمفهومها الجديد من منظور أسلوبيّ مبنيّة على نظريّة الجمع بين المتناقضات بديلا عن بنية الجمع بين المتشابهات، ومع ذلك ظلّ الجمع بين المتناقضات مستندّا إلى بنية التشابه من خلال اختراع الشبه بينها ليُتوهَّم أنّه موجود وحاصل فعلا. وبالرغم من أنّ نظريّاتهم لم تتخلّص من علاقات التشابه تماما، فقد جاء تعريف رومان جاكوبسون يؤكّد هذا الرأي حيث قال: "والاستعارة علاقة استبداليّة على المحور اللفظي، وإنّها تقوم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

على المشابهة والاستبدال..."[٢٧]. ويوافق هذا التعريف ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في تعريف الاستعارة حيث قال: "اعلم أنّ الاستعارة تعتمد التشبيه أبدا"[٢٨]. والمراد بالاستبدال في تعريف رومان جاكوبسون هو ما أشار إليه أرسطو أنّ الاستعارة قائمة على المحور الاستبدالي للغة، فهي تتعلّق بكلمة معجميّة واحدة لها معنيان؛ حقيقيّ ومجازي، وتحصيل الاستعارة عند استبدال لفظة مجازيّة بلفظة حقيقيّة انطلاقا من علاقة المشابهة الرابطة بينهما سواء أكانت مشابهة حقيقيّة أم وهميّة[٢٩].

وقد وظّف الشيخ محمّد الناصر كبر الصورة الاستعاريّة توظيفا قويّا للكشف عن المعنى الخفيّ وراء الكلمات الانزياحيّة المستعملة في غير وضعها الحقيقي لإثارة الانفعال العاطفي لدى المتلقّي. وتتراءى تلك الصورة في الأبيات التالية من مدائحه:

يقول في مدح النبيّ ﷺ:

يا منجأ المأسوف يا غوث الــورى يــا كـعبة الصــرخات أحمــد أحمد

إنّ الكعبة في المعنى اللغوي حسب الدلالة المعجميّة، كلّ بيت مربّع الجوانب، والمراد بها البيت الحرام بمكّة[٣٠]. والآيات القرآنية تدلّ أنّها قبلة المسلمين في ربوع العالم قال تعالى: ﴿**قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولّينّك قبلة ترضاها، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره**﴾(البقرة:١٤٤)، ﴿**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس**﴾ (المائدة:٩٧). والمعنى الأصل في البيت هو أنّ الرسول ﷺ منجى للناس من جميع الشدائد والغوث المشتكى إليه، فاستعار لفظة الكعبة لما فيها من المعنى المراد، فهي البيت الذي من دخله كان آمنا من الخوف الذي يُنقِض ظهره، قال تعالى: ﴿إنّ أول بيت وضع للنّاس للذي ببكّة مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا﴾ (آل عمران:٩٦-٩٧). فصرّح باللفظ المستعار منه هو الكعبة على سبيل الاستعارة التصريحيّة. واخيار الكعبة استعارة للممدوح دليل واضح على المرتبة العظمى التي اصطفى بها الله حبيبه الرسول الأعظم محمّد ﷺ.

يقول أيضا في مدح النبيّ:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أَنْـــتَ الإمـــامُ وكـــلُّ العـــالمينَ أَجَـــلْ فتـــابعٌ لَكُـــمْ يـــا أيُّهـــا القمـــرُ

يـــا ظبيـــة طِبْـــتِ قـــدرًا فـــافخري أبـــدًا قَـــدْ طَـــابَ نشـــرُك والإفضـــالُ مشـــتهِرُ

وعندما يصف الشاعر الممدوح أنّه الإمام الذي يقود جميع العالم والذي جاء لينقذهم من ظلمة الضلال إلى نور الهداية، استعار لفظ القمر واستخدمه في غير وضعه اللغوي لعلاقة المشابهة، لأنّ القمر في الدلالة المعجميّة كوكب يستمدّ نوره من الشمس فينعكس على الأرض فيرفع ظلمة الليل[٣١]. وقد اختار الشاعر القمر بدلا من الشمس ليس لمناسبة قافية المديح الرائيّة فحسب، بل للدلالة على أنّ الشمس لا تشرق إلّا في النهار، ولكنّ القمر المستعار منه يتجلّى نوره الوضّاء في الليل المظلمة فيرفع به ظلمة الليل. فنور القمر شبيه بنور الإسلام الذي جاء به النبيّ محمّد ﷺ وظلمة الليل شبيه بضلال الشرك والجهل الذي كان العالم عليه قبل بعثة الممدوح.

أمّا في البيت الثاني، فإنّ الشاعر استعمل كلمة الظبية استعمالا استعاريّا للدلالة على جمال خَلق رسول الله ﷺ. فالظبية حيوان من فصيلة البقريّات رشيق الجسم، سريع الجري، يقال: ليس في الحيوان أبصر من الظباء، ويقال لها النّظّارة[٣٢]، وكان لا يمرض إلّا مرض الموت، يقال: به داء الظبي أي: لا داء به[٣٣]، فبهذا القدر الجمالي امتازت الظبية من بين ذواتها من جنس الحيوان، فكان جمال خَلق رسول الله ﷺ فوق ما يصفه الواصفون، لكنّ الشاعر استطاع بقدرته اللغويّة أن يقرّب من ذهن المتلقّي صورة جمال الممدوح الخلقي باستعارته لفظة الظبية استعارة تصريحيّة.

يقول في مدح الشيخ جبريل ابن عمر:

يـــا دُرَّةً هـــي فـــي الهَـــوَى أَصْـــلِي بِهـــا فَقْـــتُ الأصـــولَ وَكَـــمْ أَفُـــوقُ فُصُـــولَا

إنّ المحبة التي يعانيها الشاعر للممدوح جعلته لا يرى نفسه أمام الممدوح إلا ذليلا فلذلك يستخدم كلمة الهوى كثيرا في مدائحه مرادفة للمحبّة ومحبّة الممدوح عنده أنفس شيئ يفتخر به فاستعار كلمة الدرّة وهي اللؤلؤة العظيمة الكبيرة التي كانت من المعادن النفيسة للدلالة على أنّ الممدوح شخصيّة نفيسة عنده. وبهذه الصورة الاستعاريّة الخياليّة استطاع الشاعر أن يوضّح المعنى المراد إذ إنّ الاستعارة تعمل على توضيح المعاني.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وعندما يمدح الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، استهلّ بتصوير شخصيّة الممدوح حيث إنّه يعلّق السبحة بالعنق وكأنّها حلي له إذ إنّ من عادات الصوفيّين أنّهم يعلّقون السبحة بأعناقم بعد الفراغ من الأذكار. وقد سجّل الشاعر هذه الظاهرة في قصيدة أخرى في الدفاع عن بعض الحركات الصوفيّة حيث قال:

وسُبْحَتَك أعلقها حنانيك ذكرة ** بعنقك فالأعناق أوتاد سبحة[٣٤]

ولتصوير تعليق السبحة بالعنق، أتي الشاعر بصورة شبيهة بذلك التصوير فاستعار كلمة المطوّقة في غير معناها الأصلي حيث يقول:

ناحـــتْ مطوَّقـــة مـــن فـــوقِ أغصـــانِي فَهـــاجَ ذلـــك أشـــجانِي وأشـــجانِي

فالمطوّقة في الدلالة المعجمية الحمامة ذات الطوق، والطوق حلي للعنق يحيط به، وكلّ ما استدار بشيئ[٣٥]. ووجه الشبه بين المستعار منه والمستعار له قريب وهو الحلي المستدير في عنق الحمامة الشبيه باستدارة السبحة المعلقة بالعنق. وقد اعتمد الشاعر على الخيال البارع في هذا التصوير الاستعاري لأنّه لم يصرّح باللفظ المستعار منه بل أتى بشيئ من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ويسمّى هذا التصوير تخييلا[٣٦].

الصورة الكنائيّة ودلالتها

الكناية في اللغة من كَنَى – يَكْنِي – كِنَايَةً: تكلّم بما يستدلّ به عليه ولم يصرّح، وقد كَنَى كذا بكذا فهو كانٍ، وهي ما يتكلّم به الإنسان ويريد به غيره[٣٧]. وفي الاصطلاح البلاغي، هي لفظ أُطْلِقَ وأُريدَ به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي[٣٨]. وعرّفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يلجأ إلى معنى هو تاليه ومرادفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه[٣٩]. وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأوّل: الكناية عن صفة، كأن يقال: رجل نظيف اليد كناية عن عفّته وأمانته. هذا مع جواز المعنى الأصلي أي: الرجل النظيف اليد.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

النوع الثّاني: كناية عن موصوف، كأن يقال: الناطقون بالضاد، كناية عن العرب أو المتكلّمين بالعربيّة، مع جواز المعنى الأصلي بوجود الإنسان الناطق بصوت الضاد.

النوع الثّالث: كناية عن نسبة، وهي أن تنسب لموصوف صفة أو صفات وتثبت فيه، وقد يكون صاحب الصفة مذكورا، كأن يقال: المجد في ثوبَيْ عبد الغني، حيث نُسب المجد إلى عبد الغني وأُثبت فيه صفة لموصوف، أو غير مذكور ويسمّى تعريضا، نحو:خير الناس من ينفع النّاس، كناية عن نفي الخيريّة عمّن لا ينفع الناس وهو غير مذكور(٤٠).

وقد استخدم الشيخ محمّد الناصر كبر الكناية كصورة انزياحية للأسلوب في مدائحه حيث قال في النماذج التالية:

يقول في مدح النّبيّ محمّد ﷺ:

بَلَـــــدٌ إذَا ذُكِـــــرَ اســـــمهُ فـــي مَحْفَـــــلٍ تَمَايلـــــــــتْ أَعْنَـــــــــاقُهُمْ لِمحمـــــــــــدِ

بَلَـــــدٌ بِـــــهِ الإســـــلام تَبهـــــرُ شَمْسُـــــهُ وَتَـــــــــلَألأتْ أَقمـــــــــارُهُ بِمحمـــــــــــدِ

شَـــــوقِي إليـــــكَ مُؤَنَّـــــثٌ ومُـــــذَّكرٌ وَمجمـــــــــعٌ ومُفـــــــــردٌ لمحمـــــــــــدِ

في البيت الأوّل من هذا المديح، يصوّر الشاعر عن طريق الكناية حالة العاشق عند سماع ذكر الحبيب المصطفى محمّد صلّى الله عليه وسلّم مستخدما في تلك الصورة الكنائيّة الخيال القويّ حيث يقول: "**تمايلت أعناقهم لمحمّد**" كنايةً عن صفة هي البهجة والسرور الذي يسبّب الانفعال الحركي أي التمايل. والتمايل بمعنى التبختر والمراد به في النص هو الرقص الديني الذي يحدث في ميل البدن من اليمين إلى الشمال عند الذكر. وفي هذا يقول الشيخ محمّد الناصر كبر في إحدى قصائده التي قالها للدفاع عن حالات الذّكّار في حلقات الذكر:

ولا تنكروا رقص أبداننا ** يرقّصنا ذكر أسمائه(٤١).

وفي البيت الثاني في قوله: "...تبهر شمسه، وتلألأت أقماره لمحمّد" كناية عن موصوف لأنّ الشاعر بهذا التعبير عدل به إلى معنى آخر مع أنّ المعنى الظاهر في التعبير لازم وجائز لأنّ الشمس تبهر كما تتلألأ الأقمار في ظلمة الليل إلا أنّ المعنى

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

المكنّى عنه في صياغة التعبير الكنائي أي الشمس الباهرة هو شخصيّة النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم، والأقمار المتلألئة عبارة عن أصحابه الكرام. ويؤكّد رأي الباحث حديث ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّما أصحابي كالنجوم فبأيّهم اقتديتم اهتديتم(٤٢).

وفي البيت الثالث التجأ الشاعر إلى الانزياح اللغوي حيث وصف شوقه للنبي صلّى الله عليه وسلّم بالمؤنّث والمذكر والجمع والمفرد. فهذا الأسلوب إنّما هو رمز يريد به الشاعر التنويع في الشوق فاتّخذ من طبيعة كلّ من التأنيث والتذكير والجمع والإفراد وسيلة إلى ذلك التنويع. فإنّ شوقه مؤنّث من حيث الليونة، ومذكّر من حيث الشدّة، ومجمّع من حيث العموميّة، ومفرّد من حيث الخصوصيّة.

وفي مدحه للشيخ عبد القادر الجيلاني، استعان بصورة كنائيّة أيضا لتقوية المعنى المعبّر عنه في النص حيث يقول:

وَلقـــــــدْ أذلَّ الأوليـــــــاءُ رؤُســـــــهَم ولقـــــــدْ أهـــــامَ الأوليـــــا دعـــــوَاهُ

لأنّ إذلال الرؤوس في طبيعة الحال بمعنى إخضاعها لكنّ المعنى المعبر عنه في هذه الصياغة هو الاعتراف والانقياد التامّ لولاية الممدوح وسيادته من بين ذويه إذ إنّ إذلال الرأس عند التحية عادة في الغالب دليل على الخضوع والاعتراف لمن هو أعلى. ويؤكّد هذا الرأي قوله تعالى: "وإن نشأ ننزّل من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين" (الشورى:٤). فالاستعانة بمثل هذه الصورة باستخدام كلمتي الذل والرأس إيحاء شديد في إثارة المعنى لأنّ في إذلال النفس إشارة إلى إنزالها منزلة منخفضة إثر التواضع، والرأس هو أعظم ما يفتخر به الإنسان وبه يظهر الكبر، وإذلال ذلك الرأس لمن هو أعلى دليل على التواضع والخضوع التام ولذلك أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه الصلاة والسلام، ولا يتمّ السجود إلا بإذلال الرؤوس حتّى في العبادة حيث كان السجود أعظم ما يتقرّب به العبد إلى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: "محمّد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركّعا سجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود" (الفتح: ٢٩)

وعندما يصوّر الشاعر حالته الحزينة الناتجة من بعده عن الممدوح الشيخ جبريل ابن عمر، أتى بصيغة "سفح دمع العين الحارّ" رمزا للصورة البكائيّة الشديدة في قوله:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

كَـــمْ دمعـــةٍ لـــي بالشَّـــمال ســـفحتُها حَـــرًّا تصـــبُّ وَكَـــمْ تهَـــبُّ شَـــمُولَا
ومنعتُهـــا خَـــدِّي مَخافـــةَ كاشِـــحٍ جَهِـــلَ الهَـــوَى فَمَنَحْتُهـــا المِنـــدِيلَا

فالكلمات: الدمعة، السفح، الحرّ، الصبّ، كلها قويّة على حمل المعنى المكنّى عنه والذي استطاع الشاعر أن يعبّر عنه تعبيرا فصيحا.

الخاتمة:

حاول الباحثان في هذا البحث أن يدرسا التصوير البياني في مدائح الشاعر محمّد الناصر كبر من حيث التشبية والاستعارة والكناية وكيف استطاع الشاعر أن يؤثر معاني هذه التصويرات في نفس المتلقي إضافة إلى ما يبتغي وراء هذا الأسلوب التصويري من تقريب وتوضيح المعنى مع شيئ من إكساب الرونق والإبداع للمدائح. ومن خلال الدراسة، توصّل الباحثان إلى أنّ الشاعر:

١- عمل على توضيح معاني النصوص المدحيّة بوساطة التصوير البياني كما أضاف إليها الرونق وجمال الإبداع الشعري.

٢- اعتمد على التشبيه والاستعارة والكناية كطاقات لغوية أسلوبيّة عدل بها من المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي والذي يوضّح المعنى الظاهر قصدا للإبداع في عمله الفنّي وإمتاع المتلقّين.

٣- أكثر من استخدام التشبيه البليغ في التصويرات التحويليّة والتعويضيّة في المدائح، ممّا زاد على جمال النصوص.

٤- وُفِّق في اختيار الكلمات المناسبة للتصويرات الواردة في المدائح مع أنّه استطاع أن ينسّق تلك الكلمات تنسيقا أعان على توضيح المعنى المراد وليذوّق المتلقيّ متعة الأسلوب التصويري.

٥- لم يعتمد على الصورة الكنائيّة كثيرا فأدّى بالتّالي إلى قلّة ورودها في المدائح لما لها من أهمّيّة في إبلاغ رسالة الشاعر إلى المتلقّي. لأنّ الكناية – كما يقال – أبلغ من التصريح.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الهوامش:

١. المتبولي شيخ كبر، **صور بيانيّة في شعر الشيخ محمّد الناصر الكبري:دراسة بلاغيّة تحليليّة لنماذج مختارة**، ط١، شركة القدس للتصدير، القاهرة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص:٥٠-٥١ بتصرف يسير، وانظر: الشيخ محمّد الناصر كبر، **سلالة المفتاح من منح الفتّاح; نظم مفتاح السداد للغوث محمّد بللو**، مطبعة أَدَيْبَوْلَا، سَابَنْغَرِ، كنو، غير مؤرّخ، ص:٧٥ - ٧٦

٢. المتبولي شيخ كبر، **المرجع نفسه**، ص:٥١، وانظر: أبوبكر عبد الله صلاتي، **الدراسة التحليلية للاستغاثة في شعر الشيخ محمد الناصر كبر الصنهاجي**، (بحث جامعي نال به الباحث الماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة إلورن، إلورن عام ٢٠١٣م) ص:١٣

٣. المتبولي شيخ كبر، **شعر الشيخ محمد الناصر كبر: جمعه وترتيبه حسب موضوعه الشعري**، بحث مقدّم إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد طاهر سيد، للحصول على شهادة الليسانس عام ١٩٩٤م، ص:١٠

٤. عبد الرّزّاق بلغيث، **الصورة الشعريّة عند الشاعر عزّ الدين مهيوبي: دراسة أسلوبيّة**، مذكّرة معدّة لنيل الماجستير مقدّمة إلى قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلّيّة اللغات والآداب، جامعة بوزريعة، الجزائر، غير مؤرّخة، ص : ٣٣

٥. أبوبكر عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ط٣، قراءة وتعليق أبي فهر محمود محمّد شاكر، ص:١٣١-١٣٢

٦. أحمد الشايب، **الأسلوب، دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٩٩م، ط١٣، ص:٣٧

٧. خليل محمد عودة، **تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي: كتاب مفتاح العلوم للسكاكي نموذجا**، ص:١١

٨. **المرجع نفسه والصفحة نفسها**

٩. صوراية جودر وسعيدة شنفاوي، **الصورة الشعريّة: دراسة أسلوبيّة في ديوان مفدي زكريا "تحت ظلال الزيتون" أنموذجا**، مذكّرة معدّة لنيل الماجستير مقدّمة إلى قسم اللغة والأدب العربي، ك لّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة عبد الرحمن، ميرة، الجزائر، ٢٠١٤/٢٠١٥م، ص:٢٢

١٠. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، جمهورية مصر العربية، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، مادة (شبّه) ص:٤٧١

١١. الحسن ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ج١، المطبعة العصريّة، بيروت، ٢٠١ ٢م/١٤٣٣هـ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ص:٢٥٢

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١٢. أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ط١، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، ص:٢١٩

١٣. محمّد الهادي ا لطرابلسي، **خصائص الأسلوب في الشوقيّات**، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨١م، ص: ١٩٥

١٤. محمّد الناصر كبر، **نغمات الطار في حلقات الأذكار في الصباح والمساء والأسحار**، مكتبة القاضي شريف بالا، كنو، ٢٠١٠م، ط١، ص:٢٠٢

١٥. **المرجع نفسه**، ص:٢٠٦

١٦. **المرجع نفسه**، ص:٢٤٧

١٧. الأب لويس اليسوعي، **المنجد في اللغة والأعلام**، الطبعة ٢٦، المكتبة الشرقيّة، بيروت، ١٩٨٦هـ، مادّة (ظفر) ، ص:٤٨

١٨. محمّد الهادي الطرابلسي، **المرجع السابق**، ص:٢٠١

١٩. مجمع اللغة العربية، **المرجع السابق**، مادّة (درّ) ص:٢٧٩

٢٠. محمّد النا صر كبر، **المرجع السابق**، ص:٢٦٠

٢١. محمّد النا صر كبر، **المرجع السابق**، ص:١٠١-١٠٢

٢٢. دار المشر ق، **المرجع السابق**، مادّة (قرم)، ص:٦٢٤، مادّة (صلد)، ص:٤٣٣، مادّة (لَدَمَ)، ص:٧١٨

٢٣. مجمع اللغة العربية، **المرجع السابق**، مادّة (عار) ص:٦٣٦

٢٤. أحمد الهاشمي، **المرجع ا لسابق**، ص:٢٥٨

٢٥. أحمد الهاشمي، **المرجع ا لسابق**، ص:٢٧٧

٢٦. خليل محمد عودة، **المرجع السابق**، ص:١١٣

٢٧. ثائر حسن أحمد، **المرجع السابق**، ص:٨

٢٨. ثائر حسن أحمد، **المرجع السابق**، ص:١١

٢٩. ثائر حسن أحمد، **المرجع السابق**، ص:٩

٣٠. مجمع اللغة العربية، **المرجع السابق**، مادّة (كعب) ص:٧٩٠

٣١. الأب لويس اليسوعي، **المرجع السابق**، مادّة (قَمَرَ)، ص:٦٥٣

٣٢. almaany.com https://www.، تعريف معنى الظبية في معجم المعاني، التاريخ: ٢١/٠٦/٢٠١٨م، الساعة: ١١:١٩am

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٣٣. الأب لويس اليسوعي، **المرجع السابق**، مادّة (ظبى)، ص:٤٧٩

٣٤. محمّد الناصر كبر، **المرجع السابق**، ص:٩٣

٣٥. الأب لويس اليسوعي، **المرجع السابق**، مادّة (طاق)، ص:٤٧٦

٣٦. أحمد الهاشمي، **المرجع السابق**، ص:٢٦٠

٣٧. مجمع اللغة العربية، **المرجع السابق**، مادّة (كَنَى) ص:٧٠٢

٣٨. أحمد الهاشمي، **المرجع السابق**، ص:٢٨٦-٢٨٧

٣٩. أبوبكر عبد القاهر الجرجاني، **المرجع السابق**، ص:١٠٥

٤٠. كرم البستاني، **البيان**، مكتبة صادر ريحاني، بيروت، غير مؤرّخ، ص:٨٠

٤١. محمّد الناصر كبر، **المرجع السابق**، ص:٧٨

٤٢. الجامع للحديث النبوي الإلكتروني: **الإبانة الكبرى**، لابن بطّة، مادة: أصحابي كالنجوم، رقم الحديث: ٧٠٦

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

نشأة الشعر العربي وتطوره

إعداد:

د. آدم إبراهيم ياكسي

قسم العربية، جامعة ولاية يوبي، دماترو.

ومحمد رمضان يونس

طالب ماجستير، جامعة ولاية يوبي ومحاضر بقرية اللغة العربية – إنغالا نيجيريا.

ملخّص البحث

تسعى هذه المقالة إلى إبراز نشأة الشعر العربي، وأوّليته من بين الفنون الأدبية الأخرى، وذلك من خلال الوقوف على آراء النقاد القدامى ، والبحث إذ يسعى إلى ذلك سيحاول مستعينا بالمنهج التاريخي الاستقرائي عِلما بأن الشعر ديوان العرب، وسجلهم الحافل، ووسيلتهم الإعلامية، فسجلوا في أشعارهم واقع حياتهم وأفراحهم وأتراحهم وأيامهم وثقافاتهم وما هجست به أفئدتهم، واهتم العلماء الأجلاء بجمع شعر الأوائل في مجاميع يسهل الوصول إليها، وسوف تحاول المقالة الإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف نشأ الشعر العربي؟ ما هي آراء النقاد القدامى والمحدثين في ذلك؟ ومن أول من قال الشعر؟ وكان من النتائج التي توصل إليها أن الشعر العربي قديم النشأة جدا؛ لكن القسم الأوفر منه ضاع بعوامل مختلفة: بترك تدوينه، وبهلاك نفر كثير من رواته في الفتوح بعد الإسلام، وبتشاغل الناس عن روايته بالدين وبالفتوح.

الكلمات المفتاحية: الشعر - العرب – التطور.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ABSTRACT

This article aims to bring to light the emergence of Arabic Poem by analyzing the saying of ancient Critics, The research will be based on historic method because poem is the record books of Arabic and their means of communication they record reality of their day to day life their sadness, Wars, cultures and whatever they felt in their heart the great Scholars have shown in tress in complication of ancient poems in records for easy finding. The research will answer this question:

How did Arabic poem come in to being?

What are the Ideas of ancient and modern Critics about that?

Who is the first to make Poem?

Among the Finding is that Arabic poem is very old but most was loss due to different factors: not recording it, death of many who memorize it in Islamic Conquest, and by truing away from it and concentrating on religion and Conquest.

المقدمة

الحمد لله خالق المصنوعات، وبارئ البريات، ومدبر الكائنات، ومصرف الألسن الناطقات، ومفضل لغة العرب على سائر اللغات، المنزل كتابه بها، والمرسل رسوله وحبيبه محمدا – صلى الله عليه وسلم – بها، تنويها بشأنها وتعريفا لعظم محلها، وارتفاع مكانتها. وبعد:

إن الفنون الأولى التي ظهرت في الوطن العربي قديما وبين القبائل العربية هو الشعر والخطابة، وهو من أكثر الفنون التي يهواها العرب لما فيها من كلمات رنانة تتجسد بروح كاتبها وقارضها عند ما يقوم بإخراج الكلمات ذوات المعاني الدقيقة القيمة تشعر بأنها تخرج من قلب الشاعر، والشعر العربي موجود منذ زمن قديم، واشتهر العرب بالفصاحة والشعر. والدليل على ذلك أن الله تعالى أنزل كتابه الكريم بلغة العرب ووصفها بالبيان، قال تعالى: " وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين"[١]، وللشعر أهمية كبيرة لا ينكرها ذوو الألباب، فهو للتسلية والمتعة وخدمة للأمة جمعاء، فمن خلاله تقف على معرفة البيئة والثقافة التي عايشها الشاعروغير ذلك. وستسعى المقالة في دراستها سائرة على محورين رئيسين:

المحور الأول: تعريف الشعر، وبيان أوليته.

المحور الثاني: تطور الشعر العربي.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

المحور الأول: تعريف الشعر و بيان أوليته:

الشعر في اللغة: هو العلم. وفي الاصطلاح: كلام مقفى موزون على سبيل القصد والقيد، الأخير يخرج نحو قوله تعالى: "الذي أنقض ظهرك. ورفعنا لك ذكرك. فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا..."٢ فإنه كلام مقفى وموزون لكن ليس بشعر لأن الإتيان به موزونا ليس على سبيل القصد. ٣

وعرفه الهاشمي :" الشعر هو الكلام الفصيح الموزون المقفى المعبر غالبا عن صور الخيال البديع ".٤

فانطلاقا من هذه التعريفات نعرف أن الشعر هو ما اشتمل على أربعٍ: الوزن، والقافية، والكلام الفصيح، الصورة الشعرية.

والشعر له جماله الفني المتميز، إنه يحمل الصورة والحركة والعاطفة والفكر، وله صياغته الخاصة صياغة تضيف اللون الخاص من الجمال حتى يبرز الجمال الشعري، والصياغة الشعرية تفرض على الشاعر صاحب الموهبة أن يختار الألفاظ التي تتناسب مع المعاني الدقيقة وتفرض عليه كذلك أسلوب التعبير والتركيب حتى تتناسق الكلمات على جرس خاص له حلاوته الخاصة.٥

آراء النقاد حول أولية الشعر العربي

يصعب تحديد أول من قال الشعر، لأنه فن قولي يصدر من القلب أحيانا، ويخالطه شعور ووجدان وعاطفة، وليس بفن كتابي والأمة العربية كما نعلم أمة أمية لا تعلم القراءة ولا الكتابة. لكن هناك بعض الآراء حول أولية الشعر العربي، وسوف نذكرها:

الرأي الأول: رأي ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء، حينما يتحدث عن أوائل الشعر العربي فقال: "لم يكن لأوائل الشعر إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة". ثم أردف بعض شعر القدامى الذي يرى أنه من قديم الشعر، فذكر قول دويد بن نهد القضاعي:

اليوم يبنى لدويد بيته # لو كان للدهر بلى أبليته

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أو كان قرني واحدا كفيته # يا رُب نهب صالح حويته

ورُب عبل خشن لويته.[٦]

وأضاف أيضا قول الشاعر: أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان:

قالت عميرة ما لرأسك بعد ما # نفد الشباب أتى بلون مُنكر

أعُميرَ إن أباكِ شيب رأسَه ### مر الليالي واختلاف الأَعصُرِ.[٧]

ومن هنا نعلم أن ابن قتيبة يرى أن أولية الشعر العربي كانت أبيات قليلة، لم تبلغ قصيدة، يقرضها الشاعر في وقت الحاجة، أو في المناسبات المتعددة، لذلك أورد بعض ما يراه قديم الشعر العربي الذي قيل في المناسبات المختلفة، فقول دريد يتبيّن أنه في مناسبة زواجه، لأن عادة العرب البناء للمتزوج ليبني بزوجته فيه، وقول أعصر في مناسبة هرمه ووكبر سنه لأن تعبير نفد الشباب عبارة عن الشيخوخة ولفظ " شيّب رأسه" دلالة إلى أنه قد شاخ وكبر سنّه.

الرأي الثاني: الشيخ محمد باقر المجلسي قائلا: " سئل أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه- عن أول من قال الشعر؟ فقال: "آدم ". فقال : " وما كان شعره؟"

قال: " لما أُنزل على الأرض من السماء فرأى تربتَها وسعتها وهواها، وقُتل هابيل، فقال آدم –عليه السلام–:

تغيرت البلاد ومن عليها #### فوجه الأرض مغبَر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم ### وقل بشاشة الوجه المليح.[٨]

لكن هناك ردود عنيفة تنكر مثل هذه الروايات، ومن ذلك قول السيد الهاشمي (وقد خفي علينا كأكثر الأمم مبدأ قول الشعر، وأول من قاله، أما ما نسب من الشعر إلى آدم – عليه السلام – وإبليس والجن والعرب البائدة فهو حديث خرافة لا يصح شيء من ذلك).[٩]

الرأي الثالث: قول الدكتور عمر فروخ وهو في صدد حديثه عن نشأة الشعر العربي فذكر:" أن الشعر العربي قديم النشأة جدا، ولكن القسم الأوفر منه ضاع بعوامل مختلفة: بترك تدوينه، وبهلاك نفر كثير

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

من رواته في الفتوح بعد الإسلام، وبتشاغل الناس عن روايته بالدين وبالفتوح" ويقول في موضع آخر:" والشعر الذي وصل إلينا من الجاهلية يمثل دورا راقيا لا يمكن أن يكون الشعر قد بلغ إليه في أقل من ألفي سنة على الأقل، غير أنه لم يصل إلينا من ذلك الشعر الأول شيء".١٠

ويتبيّن جليا من خلال ما قاله الدكتور أن الشعر الذي وصل إلينا من الجاهلية، والذي نتدارسه ونقرأه في الكتب اليوم ليس بأول الشعر العربي، لأن القسم الأكثر منه ضاع، ويرجع ذلك إلى ألفي سنة على الأقل، ويُؤيّد قول الدكتور عمر فروخ الأستاذ أحمد الزيات حيث قال:" الشعر أقدم الآثار الأدبية عهدا لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع، وعدم احتياجه إلى رقي في العقل، أو تعمق في العلم، أو تقدم في المدنية، لكن أوليته عند العرب مجهولة، فلم يقع في سماع التاريخ إلا وهو محكم مقصد، وليس مما يصوغ في العقل أن الشعر بدأ ظهوره على هذه الصورة الناصعة الرائعة في شعر المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس..."، وذكر في موضع آخر : " وكهان العرب ككهان الإغريق هم الشعراء الأولون فكانوا يستلحمونها بالأناشيد ويستلحمونها بالأدعية ويخبرون الناس بأسرار الغيب... فلما ارتقى فيهم ذوق الغناء، وانتقل الشعر من المعابد إلى الصحراء، ومن الدعاء إلى الحداء، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز، ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان".١١

ويؤيدهما حنا الفاخوري حيث قال:

(وبداية الشعر العربي أقدم، ففي ما وصل إلينا منه إشارة إلى ما انقرض، وإلا فأين آثار الجاهلية الأولى؟ وأين هذا الشعر الكثير الذي أشار إليه الرواة والشعراء في الجاهلية الثانية، وأين هذا الديوان الذي حوى جميع مظاهر الحياة الجاهلية؟ لم يبق إلا المقطوعات والأبيات القليلة بالإضافة إلى ما ضاع، وفي رياض الشعر الجاهلي لا يجد في شذراته التي نجت من أيدي الضياع ما يدل على كونه فنا صغير السن، فإن جميع ما نقل إلينا من الشعر يظهر لنا في غاية الإتقان وزنا وتقفية، وهو يجمع بين رقة العبارة إلى دقة الإشارة، ومتانة التراكيب إلى رشاقة الأساليب، فليس من الممكن مثل هذا الكمال في صناعة حديثة، لأنه من المعلوم أن كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه، لا بد من أن يكون قليلا ثم يكثر، وصغيرا ثم يكبر، وضعيفا ثم يتقوى وهكذا نشأ الشعر بطيئا، وقد يكون النثر المسجع الذي دار على

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ألسنة الكهان والعرافين مظهرا من مظاهر البداية الشعرية لأنه قائم على الوزن والقافية، ويكون الرجز أقدم البحور الشعرية ظهورا، ويكون الهزج مرافقة الصوت لحركة راكب الناقة... وهكذا نشأت الأوزان الشعرية وزنا وزنا بطريقة طبيعية بدائية بعيدة كل البعد عن الروايات التي اصطنعت فيما بعد.) .١٢ وهذا الرأي في هذا الباب أقرب إلى الصواب.

ولعل أقرب دليل إلى أن هناك شعراء كثر ضاعت أشعارهم، قول عنترة بن شداد العبسي في معلقته:

هل غادر الشعراء من متردم ## أم هل عرفت الدار بعد توهم

بمعنى هل تركت الشعراء موضعا مسترقعا إلا وقد رقعوه وأصلحوه، وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار، بمعنى: لم يترك الأول للآخر شيء، أي سبقني من الشعراء قوم لم يتركوا لي مسترقعا ومستصلحا أصلحه، ولم يتركوا شيئا إلا رجعوا نغماتهم بإنشاء الشعر وإنشاده في وصفه ورصفه.١٣

وقول امرئ القيس في معلقته:

عوجا على الطلل المحيل لأننا ## نبكي الديار كما بكى ابن خذام.١٤

والشعر الذي صحت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة ينتهي أقدم مطولاته إلى مهلهل بن ربيعة وأقدم مقطعاته إلى نفر لعلهم لم يبعدوا عنه طويلا مثل العنبر بن عمرو بن تميم ، ودريد بن زيد بن نهد، وأعصر بن سعد عيلان، وزهير بن جناب الكلبي، والأفوه الأودي، وأبو دواد الإيادي، وقد روي أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته و أن أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا وتبعه الشعراء مثل امرئ القيس وعلقمة وعبيد ممن أخرجوا لنا الشعر العربي في صورته الحاضرة.١٥

المحور الثاني: تطور الشعر العربي.

وإذا أردنا أن نتكلم عن تقدم وتطور الشعر العربي، فإنه يجدر بنا أن نسير على تطوره عبر العصور الأدبية المقسمة عن طريق الحياة السياسية، والدينية، والاجتماعية بدءً من العصر الجاهلي، وانتهاءً إلى العصر الحديث والمعاصر.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أولا: العصر الجاهلي، وينتهي إلى ظهور الإسلام، ومدته نحو خمسين ومائة سنة.١٦

يرى أكثر الباحثين أن كلمة (الجاهلية) مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق فهي ضد الحلم. ويرى الألوسي أنها: " لفظ حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة" وفي ظنه حظ من الصواب غير يسير، فقد وردت الكلمة في القرآن الكريم أربع مرات، منها قوله تعالى في نهي النساء عن التبرج:" ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى".١٧

العرب أشعر الساميين فطرة، وأبلغهم قدرة، لاتساع لغتهم للقول، وملائمة بيئتهم للخيال، وصفاء قريحتهم، وسذاجة معيشتهم، وقوة عصبيتهم، وكمال حريتهم، وخلو جزيرتهم مما يصد الفكر عن التأمل، ويعوق الذهن عن التفكر، فهم بين الصحراء والسماء في فضاء من اللانهاية يملأ الذهن والنفس خيالا وجلالا وروعة، وهم فوق ذلك ذوو نفوس شاعرة، وطباع ثائرة، يستفزهم الرعب والغضب، فلم يتركوا شيئا يجول ويدور في النفس أو يقع تحت الحس إلا نظموه، فكان الشعر ديوان علومهم وحكمهم.١٨

ومما ساعد على ازدهار الشعر الجاهلي هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب ومخالطتهم بالإسماعيليين الذين هاجروا إلى جزيرة العرب، واختلاطهم بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة، وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأسواق التي تقيمها العرب في أنحاء بلادها، ومن هذه الأسواق : سوق عكاظ، و مجنة وذو المجاز، وأهمها: سوق عكاظ: وكانت تقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه، وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة، وكان يجتمع في هذه السوق أكثر الشعراء للمفاخرة بالشعر وغير ذلك، وكان من أشهر المحكمين بها في الشعر النابغة الذبياني.١٩

مكانة الشاعر في الجاهلية:

إذا كانت شعوب الأرض كلها تعد الشعر فنا من الفنون التي يتباهى بها كالرسم والنحت والموسيقا، فإن عرب الجاهلية كانوا يعدونها الفنون كلها، فيه اجتمعت ثقافتهم، والشعر إلى جانب وجهه الفني يمثل وجه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الحياة الفكرية، صاحبه سيد من أشراف القبيلة، وربما نافس رئيس القبيلة وأوشك يبزه، حتى أصبح كما يقول المشتشرق "نولدكه" : " الشاعر نبي قبيلته، وزعيمها في السلم، وبطلها في الحرب، تطلب الرأي عنه في أمور العقل، ..."٢٠

الشاعر الجاهلي صحافي وحكيم، وكان الشاعر لسان القوم في الغارات والغزوات، يهيب بهم إلى أخذ الثأر، وإلى حماية الجار، ودفع كل عار، وكان في السلم ساحرا الجماهير تنقاد له صاغرة، وكان على كل حال، حكيم القوم، ومرشدهم، وخطيبهم، ونائبهم المتكلم باسمهم، ومؤرخهم، وعالمهم، وكانت القبائل تتجنب ذم الشعراء وهجائهم، لشدة سيرورة شعرهم وبقائه، وكانوا إذا أسروا شاعرا أخذوا عليه المواثيق، وربما شدوا ا لسانه بنسعة – القطعة من الحبل – حتى لا يهجوهم، كما صنع بنوا تميم بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسر يوم الكلاب، فقال:

أقول، وقد شدوا لساني بنسعة ## أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا٢١

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى شعراء المعلقات لأنها أشهر القصائد الجاهلية، وقد اختلف العلماء في أمر جمعها وتسميتها وعددها، ومع مرور الأيام زاد في الحياة الأدبية وجه جديد، ذاك أن الشعراء يتبارون في سوق عكاظ أمام أحد فحول الشعر – وقد ذكروا منهم النابغة الذبياني – فمن حكم له أنداده اختيرت قصيدته و "علقت" قيل: أعدوها علقا أي شيئا نفيسا، وقيل كتبوها بالذهب وعلقوها على جدران الكعبة، وقيل: بل علقوها بالذهن أي حفظوها عن ظهر قلب٢٢فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة، هذا ما ذهب إليه ابن عبد ربه، وابن رشيق وابن خلدون، إلا أن أبا جعفر النحاس قد أنكر هذا الرأي وذهب إلى أن حماد الراوية هو الذي جمع هذه القصائد وسماها المعلقات في مطلع العهد العباسي، وذهب مذهبه كثير من العلماء المحدثين ولا سيما المستشرقين منهم، فرأى بلاشير :" أن عدة مجموعات من الشعر ظهرت في القرن الثالث الهجري، بفضل علماء العراق، ..."٢٣

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

واختلفوا في عددهم فقال بعض المؤرخين وهو الرأي الغالب على أنهم سبع، وأصحابها: - امرئ القيس، زهير بن أبي سلمى – طرفة بن العبد – لبيد بن ربيعة – عنترة بن شداد العبسي –عمرو بن كلثوم – الحارث بن حلزة.٢٤

نماذج من شعرهم وأغراضهم:

١- امرئ القيس: اسمه جندح، معروفا بلقبه امرئ القيس أصغر أبناء حجر بن الحارث. ومطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ## بسقط اللوى بين الدخول فحومل.[٢٥]

٢- النابغة الذبياني: هو أبو امامة زياد بن معاوية. ومطلع معلقته:

عوجوا فحيوا لنُعم دمنة الدار ### ماذا تُحيون من نُؤى وأحجار

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني #### وتلك التي أهتم منها وأنصب.[٢٦]

٣- زهير بن أبي سلمى: وهو مزني الأب، ربيعة بن رباح. ومطلع معلقته:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم # بحومانة الدراج فالمتثلم.[٢٧]

٤- عمرو بن كلثوم: بن مالك التغلبي. ومطلع معلقته:

أبا هند فلا تعجل علينا ## وأنظرنا نخبرك اليقينا.[٢٨]

٥- عنترة بن شداد العبسي: ومطلع معلقته:

هل غادر الشعراء من متردّم ## أم هل عرفت الدار بعد توهّم.[٢٩]

ثانيا: العصر الإسلامي: ويشمل بني أمية، ويبتدئ بظهور الإسلام وينتهي بقيام دولة بني العباس، سنة(١٣٢هـ).٣٠

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

جاء النبي الأكرم – صلى الله عليه وسلم-، والشعر ديوان العرب، فأتاهم بالقرآن الكريم يدعوا الناس إلى توحيد الله والتمسك بالفضيلة فصار ذلك صارفا لهم عن التشاغل بالشعر محولا مجرى أفكار المؤمنين منهم من أكثر فنونه المتحرفة عن سنن الشرف والحق، وبغض إليهم تلك الفنون المرذولة إزراء القرآن على الشعر بقوله: " والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا اللذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا..."٣١ ولبث الحال على ذلك مدة حياة النبي الأكرم، حتى إذا ما ثاروا لإسكان فتن أهل الردة وفتح الممالك والأمصار، أضافوا إلى ما ألفوه من أغراض الشعر الإكثار من التباهي بالنصر، ووصف المعارك، وأحوال الحصار، وآلات القتال، ولما آل الأمر إلى بني أمية وشغب عليهم كثير من فرق المسلمين أصبح الشعر لسانا يعبر عن مقاصد كل حزب، حتى أصبح حرفة عتيدة، وصناعة جديدة، ومورد ثروة.٣٢

أما الأغراض الشعرية في هذا العصر فيلخص في الآتي:

١- نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه، وخاصة في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم– وخلفائه الراشدين.
٢- التحريض على القتال ووصفه والترغيب في نيل الشهادة رفعا لكلمة الله.
٣- الهجاء: في سبيل الدفاع عن الإسلام بهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروءة.

شعراء هذا العصر: فشعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم واستقامت ألسنتهم ولم يمتد إليهم اللحن، وقد زادتهم مدارسة القرآن الكريم فصاحة وبلاغة وإحكاما وإتقانا، ومن أشهرهم: - كعب بن زهير، - الخنساء ، - حسان بن ثابت، - جرير، - الفرزدق، - الأخطل. وغيرهم الكثير.٣٣

١- الخنساء: هي تماضر بنت عمرو السلمية: ومن شعرها تبكي وترثي أخاها صخرا:

وإن صخرا لوالينا وسيدنا ## وإن صخرا إذا نشتوا لنحار
وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا ### وإن صخرا إذا جاعوا لعقار

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٢- حسان بن ثابتالأنصاري (رضي الله عنه). من شعره وهو يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويدافع عن الإسلام: ومن ذلك قوله:

لساني وسيفي صارمان كلاهما ## ويبلغ ما لا يبلغ السيفُ مذودي.٣٤

٣-الفرزدق: هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي: ومن جيد شعره قوله يمدح علي بن الحسين:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ### والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ### هذا التقي النقي الطاهر العلم

وليس قولك من هذا بضائره ### العُرب تعرف من أنكرت والعجم.٣٥

٤-جرير: هو أبو حزرة بن عطية بن الخطفى التميمي اليربوعي: ومن شعره في الرثاء :

لولا الحياء لهاجني استعبار #### ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولهتِ قلبي إذا علتني كبرة ### وذوو النمائم من بنيك صِغار.٣٦

وقد ركد الشعر العربي في عصر صدر الإسلام بعض الركود لعوامل المذكورة وغير المذكورة، ثم انتشر وازدهر ازدهارا شديدا في العهد الأموي لعوامل المذكورة، ففيه شعر النضال الديني، وشعر الفتوحات، وشعر النضال السياسي، والعصبي، وشعر اللهو.

ثالثا :العصر العباسي: ويبتدئ بقيام دولتهم،١٣٢هـ وينتهي بسقوط بغداد في أيدي التتار، سنة ٦٥٦هـ

انقسم الشعر في هذا العصر إلى قسمين:

١- الشعر الرسمي: هو الشعر الذي يقال في العظماء مدحا أو رثاء للتكسب المادي أو المعنوي، ولا سيما وقد أصبح الشاعر في هذا العصر بلبل القصور ونديم الملوك، وقد تنافس الأمراء في تقريب الشعراء وتكريمهم، وكان هدف الشعراء دغدغة الأثرة في العظماء، فقالوا في المعاني ، وزيفوا العواطف، وصاروا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

على عمود الشعر في جلال، وبطء، وجلجلة أوزان وقواف، وتأنقوا في التعبير فأغرقوا المعاني القديمة في جو من الزخرفة الحديثة.٣٧

منهم البحتري: وهو أبو عبادة الوليد بن عُبيد، غلب عليه اسم البحتري نسبة إلى عشيرته الطائية بحتر، ولد بمنبج سنة ٢٠٤هـ، وقيل بل بقرية تجاورها، وفي أخباره أن ملكته الأدبية تفتحت سن مبكرة، وحدث أن التقى بأبي تمام في حمص، فأعجب كل بصاحبه، ومع أنه التقى بأبي تمام، وعرف المناهج الجديدة، ولكنه لم يستطع أن يجاريه في صناعته، فهو أعرابي من أهل البادية، ومثله لا يستطيع أن ينتقل دفعة واحدة من القديم إلى الجديد، ومن شعره يصف الدنيا:

تراها عيانا وهي صنعةُ واحد ### فتحسبها صنعَي حطيم وأخرق.

وكذالك يقول في سر المهنة:

منى وصل ومنك هجر ## وفي ذل وفيك كبر
وما سواء إذا التقينا ## سهل على خلة ووعر
قد كنت حرا وأنت عبد ## فصرتُ عبدا وأنت حر.٣٨

ويقول في موضع آخررادا على الفلسفة والثقافة:

كلفتمونا حدود منطقكم ## والشعر يغنى عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بال منطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي إشارته ## وليس بالهذر طولت خطبه.٣٩

٢- الشعر الشعبي: هو شعر اللهو والخمر، يمثل واقع الحياة وبعض ظاهراتها ، ويميل إلى إرضاء الناس عامة في تحرر من القيود، وسهولة تعبيرية، وثورة اجتماعية، ويمثل هذا الجانب بشار وأبو نواس.٤٠

٣- ولنأخذ بشار على سبيل المثال: هو بشار بن برد كان أبوه من سبي المهلب بن أبي صفرة حين كان واليا على خراسان من سنة ٧٩هـ إلى ٨٢هـ وفد على البصرة مع بعض الأسرى وأقام بها مع زوجه، كانت رومية،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وقد ولد لهما بشار في العقد الأخير من القرن الأول الهجري، أعمى لا يبصر، ولما استيقظت في بشار مواهبه الشعرية يغدوا على المربد، فيستمع للفرزدق وجرير وأضرابهما، وتعرض لجرير يريد أن يشتهر ولكنه لم يأبه به. ونراهمترددا إزا الخلفاء العباسيين.

ومن جيد شعره قال مفتخرا بقيس مواليه في ميميته:

إذا ما غضبنا غضبة مضَرية ### هتكنا حجاب الشمس أو تُمطر الدما

وقد نقرأ له غزلا يحتفظ فيه بكراماه وكرامة المرأة مثل قوله:

لم يطُل ليلى ولكن لم انم ### ونفى عني الكرَى طيف ألم

نفِسي عني قليلا واعلمي ### أنني يا عبدَ من لحم ودم.٤١

ومن أشهر شعراء هذا العصر: أبو تمام، - البحتري، أبو العتاهية، - أبو نواس، - المتنبي، - بشار بن برد، - مهيار، وغيرهم الكثير.

الأدب الأندلسي: انتشر الشعر في الأندلس انتشارا واسعا بداعي الحياة الجميلة المترفة، وهو طبيعة جميلة تصور طبيعة البلاد وترف الحياة، وقد اتخذ الأندلسيون الطبيعة إطارا للهوهم، ومنطلقا لأحلامهم، ومادة لزخرفة شعرهم، وفي شعرهم تجديد وتقليد يمتزجان اعجب امتزاج، فالشاعر الأندلسي يعمل على تقليد الشاعر الشرقي، من غير أن يفقد شخصيته الأندلسية، من تنميق وزخرفة إلى حد الإغراق، والشاعر الأندلسي يرتاد في شعره أجواء العظمة الجميلة التي تنتظم التصنع التنميقي، بمثابة عنصر ضروري من عناصر الحياة، من تشخيص لكل شيء بحيث تنتشر الحياة في كل موجود، وبحيث يصبح كل موجود تعبيرا عن نفس الشاعر وقلبه، عن طريق موسيقى تنبعث أصدائها من كل لفظة ومن كل عبارة، إنها أوزان رقيقة وأنغام حافلة بالعذوبة. ٤٢

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ومن أشهر شعراء الأندلس: ابن هانئ، ابن دراج القسطلي، الغزال، ابن زيدون، المعتمد بن عباد، ابن خفاجةابن زهر، ابن الزقاق البنسي، وغيرهم الكثير.

وتعد الموشحات الأندلسية من أبرز وأظهر تطور الشعر العربي.

حقيقة الموشح: هو نوع من الشعر قاد إليه الغناء، كما قادت إليه طبيعة الحياة والأحوال الاجتماعية، إنه شعر جديد في تسميته، وفي تركيبه وقالب التقفية فيه، وفي اتساع دائرة وزنه، وصياغته وتعدد أجزائه.

تركيبه:

١- المطلع – القفل – الخرجة: والمطلع يسمى مذهبا، إن وُجد المطلع سُمي الموشح تاما وإلا سُمي أقرع.
٢- الدور: يقع بين المصلع والقفل.
٣- الغصن أو السمط: الجزء في المطلع والقفل والخرجة يُسمى "غصنا"، والجزء في الدور يُسمى "سمطا"،
٤- تقفية المشحات ووزنها: تحرر الموشح من القيود الشعرية وكان في أوزانه وقوافيه شديد التنوع.

أشهر الوشاحين: عبادة بن ماء السماء، - محمد بن عبادة القزار، - الأعمى التُطيلي،- ابن بقي، - الحفيد بن زهر، - ابن زمرك.

وأما عن أغراضها في بدء أمرها أغراض وجدانية، ثم سُخرت لجميع الأغراض الشعرية التقليدية.٤٣

نموذج من شعر الموشحات: يقول عبادة بن ماء السماء:

مَن وليَ في أمة أمرا ولم يعدلِ يُعزَلِ إلا لِحاظَ الرشإِ الأَكحَلِ (مطلع)
جرتَ في حكمُكَ في قَتليَ يامسرِفُ
(البيت) فانصف فواجِبُ أن يُنصِفَ المُنصِفُ (دور)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وارأَفِ فإن هذا الشوق لا يرأَفُ

علل قلبي بِذاكَ البارِدِ السلسلِ يَنجلي ما بفؤادي من جَوًى مُشعَلِ (قفل).٤٤

خامسا: عصر الانحطاط، أو عصر المماليك التركية:

لما كان أكثر الملوك والأمراء في هذا العصر أعاجم بالفطرة، كان ميلهم إلى الشعر العربي غير طبيعي، ولذلك انقرض الشعر العربي من أواسط آسيا وبقيت صُبابة منه بالعراق والجزيرة، وبقي على كل شيء من الرونق في الشام ومصر والأندلس والمغرب، غير أنه قل التكسب به فيها، فمال أكثر الشعراء إلى انتحال الكتابة في الدواوين صناعة واستعملوا الشعر في تملق الملوك والرؤساء في إظهار التفصح والتسلية فهُجِرَ قوله في الأغراض الهامة وعُدِل به في أغراض أخرى.

والشعراء في هذا العصر كثيرون من أشعرهم: وجمال الدين بن نباتة، والشاب الظريف، والإمام البوصيري، وصفي الدين الحلي.٤٥

ومن نماذج شعرهم: شعر أبي البركات صفي الدين الحلّي في الحماسة:

سل الرماح العوالي عن معالينا ### واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

وسائل العرب والأتراك ما ما فعلت ### في أرض قبر عبيد الله أيدينا

لما سعينا فما رقت عزائمنا #### عما نروم ولا خابت مساعينا.٤٦

سادسا: العصر الحديث: كانت النهضة الحديثة ثمرة وعي شرقي شامل لما احتك الشرق بمدينة الغرب، ومن مظاهرات تلك النهضة المدارس، والطباعة، والصحافة والبعثات إلى الخارج،

أما الشعر الحديث فقد كان في بدء أمره تقليدا مضطربا للشعر العباسي، ثم محاولة للجمع بين أساليب الأقدمين، وأساليب العصر الحديث، ثم انطلاقا جديدا، وكان في هذا انطلاق تيار رومنطيقيا إبداعيا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

انبثق من ويلات الحرب ومن الاستبداد والضيقة وسادت فيه العاطفة المتألمة، إلى جانب تيار واقعي يدل على شعور الشعراء بوجوب الخروج من حياة الانكماش والعزلة، وحمل قسط من المسؤولية الاجتماعية، إلى جانب تيار رمزي في ترنيم موسيقي آسر، مع الشاعر الصيرفي ونزار قباني، وسعيد عقل، وأمين نخلة، وكان موضوعا أو تجربة مع إيليا أبي ماضي.٤٧

وقد بدأ بهذه النهضة شعراء مصر يقودهم البارودي، وهي نهضة لا تعد في صورتها العامة ثورة على القديم، بل هي متصل به اتصالا شديدا، إذ نرى الشعراء يعودون بالشعر العربي إلى رونقه الذي نعرفه في العصر العباسي٤٨

والشعراء في هذا العصر كثيرون بعضهم تقيدوا بالقديم والبعض مزجوا بين القديم والجديد، والبعض تخلوا عن القديم وتمسكوا بالجديد. منهم: محمود سامي البارودي، أحمد بك شوقي، حافظ إبراهيم بك، إسماعيل باشا صبري، خليل مطران، نازك الملائك، جبران خليل جبران، وغيرهم الكثير.

أحمد بك شوقي: هو رب القلم محيي دولة الشعر بعد العدم، شاعر النيل، أحمد علي شوقي بك المولود سنة ١٢٥هـ، ينظم الشعر مع أصحابه فيكون معهم وليس معهم، وينظم حين شاء، وحيث شاء، لا يجهد فكره ولا يكده في معنى أو في مبنى، ومن ذلك قوله: يصف هيكل أنس الوجود،:

أيها المُنتحي "بأسوان" دارا ### كالثريا تريد أن تنقضا
اخلع النعل واخفض الطرف واخشع ### لا تحاول من آية الدهر غمضا.٤٩

الخاتمة

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وكماله وعظمته، أحمده في الآخرة كما حمدته في الأولى، وبعد هذه الجولة اليسيرة في تاريخ نشأة الشعر العربي وأوليته، وقد قدمنا تعريفه، وذكرنا الآراء حول أوليته، وتحدثنا عن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

تطور الشعر العربي عبر العصور الأدبية المألوفة، فتراه يرقى في زمن وينحط في زمن آخر، ونشأ كما ينشأ الفنون والعلوم الأخرى من الضعف إلى القوة والصلابة.

قائمة الهوامش المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية: ١٩٢-١٩، ص/٣٧٥.

٢- المصدر السابق، سورة الشرح، الآية: -٣-٧.

٣- محمد عبد الرؤوف المناوي، **التعريفات**, تحقيق: د/محمد رضوان الداية، (ط١، دار الفكر المعاصر, دار الفكر بيروت, دمشق، سنة ١٤١٠) ج١/ ص/ ١٦٧.

٤- السيد أحمد الهاشمي، **جواهر الأدب**، (ط١، ١٤١٩هـ، دار الفكر بيروت) ص/٢٥٢.

٥- عدنان، علي رضا النحوي، (الدكتور)، **الحداثة في منظور إيماني**، (ط٣، دار النحوي بالرياض،) ص/ ١٩٥.

٦- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (دار الحديث بالقاهرة،) ج/١، ص/١٠٥.

٧- المصدر نفسه، ص/١٠٦.

٨- الشيخ المجلسي محمد باقر، **بحار الأنوار**، ج/٧٩، ص/ ٢٩٠٠، مؤسسة الوفاء بيروت/ لبنان، سنة: ١٤١٤هـ وذكر مثله في كتاب البصائر والذخائر، ج٤ص/ ٢٢٠.

٩- السيد الهاشمي ، المصدر السابق، ص/ ٢٥٢.

١٠- فروخ، عمر، (الدكتور)، **تاريخ الأدب العربي**،_ الأدب القديم_ (ط٦، دار العلم للملايين ١٩٩٢م،) ج/١، ص/٧٣-٧٤.

١١- أحمد، حسن الزيات، المصدر السابق، ص/ ٢٥.

١٢- حنا، الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، - الأدب القديم – (دار الجيل بيروت،) ج/١، ص/ ١٣٢- ١٣٤.

١٣- الزوزني، الحسين بن أحمد الحسين، **شرح المعلقات السبع**، تحقيق/ أ، د/ أحمد أحمد شيتوي، (ط١، دار الغد الجديد، ١٤٣٠هـ،) ص/ ١٤٩.

١٤- **ديوان امرئ القيس**، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، سنة ١٩٧٤م،) ص/ ٢٥٠.

١٥- السيد الهاشمي، المصدر السابق، ص/ ٢٥٢- ٢٥٣.

١٦- المصدر نفسه، ص/ ٢٤٥.

١٧- القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

١٨- أحمد، حسن الزيات، المصدر السابق، ص/ ٢٦.

١٩- السيد الهاشمي، المصدر السابق، ص/ ٢٤٤- ٢٤٥.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٢٠- غـازي، طليمـات، (الـدكتور) وعرفـان الأشـقر، **الأدب الجـاهلي قضـاياه – أغراضـه – أعلامـه – فنونـه**، (ط٢، ١٤٢٨هـ، دار الفكر بدمشق،) ص/٦٦.

٢١- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/١٣٥ -١١٣٦.

٢٢- عمر، الفروخ، تاريخ الأدب العربي، ص/٧٤-٧٥.

٢٣- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/١٥٠.

٢٤- أحمد، حسن الزيات، المصدر السابق، ص/٢٨.

٢٥- عمر الفروخ، المصدر السابق، ص/ ١١٦.

٢٦- السيد الهاشمي، المصدر السابق، ص/ ٢٥٨- ٢٥٩.

٢٧- حنا، الفاخوري، المصدر السابق ص/ ٣٥٠- ٣٥٢.

٢٨- تاريخ الأدب العربي، الزيات، ص/٥٠ -٥١.

٢٩- الزيات، المصدر السابق، ص/ ٤٥- ٤٦.

٣٠- السيد الهاشمي، المصدر السابق، ص/ ٢٤٤.

٣١- القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤- ٢٢٧.

٣٢- الهاشمي، المصدر السابق، ص/ ٢٨٥- ٢٨٦.

٣٣- المرجع نفسه، ص/ ٢٨٧.

٣٤- حنا الفاخوري، ص/ ٤١٤-٤١٥.

٣٥- الهاشمي، المرجع السابق، ص/ ٢٩٥- ٢٩

٣٦- المرجع نفسه، ص/ ٢٩٧.

٣٧- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/٤٢.

٣٨- شوقي، ضيف، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، (ط١٣، دار المعارف،) ص/١٨٨- ١٩٤.

٣٩- المرجع نفسه، ص/ ١٩٦.

٤٠- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/ ٤٢.

٤١- شوقي، ضيف، المرجع السابق، ص/ ١٤٨-١٥٥.

٤٢- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/ ٤٣.

٤٣- المصدر نفسه، ص/٩٤٦.

٤٤- المصدر نفسه، ص/ ٩٥٦.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م
ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٤٥- السيد الهاشمي، المرجع السابق، ص/ ٣٣٣٦.

٤٦- أحمد الزيات، المرجع السابق، ص/٢٩٨-٢٩٩.

٤٧- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/ ٤٤.

٤٨- شوقي، ضيف، المصدر السابق، ص،٥١٣.

٤٩- الهاشمي، المرجع السابق، ص/٣٥٢.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الالتزام والفن في قصيدة " فلسطين تناديكم" حسب تصوير الأدب الإسلامي

إعداد:

د. بنت عبد الرزاق طاهر

عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا-نيجيريا

ملخَّص المقالة:

إنّ الشعر العربي النيجيري هو العمل الفنّي الذي كتبه المبدعون النيجيريون، تصويرا لحياة الأمة خصوصا الحياة الإسلامية منها، وعليه، تأتي هذه المقالة بعنوان:" **الالتزام والفن في قصيدة " فلسطين تناديكم"حسب تصوير الأدب الإسلامي"** عبارة عن دراسة مظاهر العقيدة الإسلامية والخصائص الأدبية في قصيدة " فلسطين تناديكم"، لما تميزت به القصيدة من الآدب بما يحمله من خصائص ومميزات وعناصر تجعله أدب الدعوة والجهاد والتعبير عن العقيدة والحياة والكون. وقد انتهجت الباحثة في هذه المقالة المنهج الوصفي والتحليلي لإبراز مظاهر العقيدة وصفات بارزة في النماذج المختارة. وتتناول الورقة هذا الموضوع في أربعة محاور، بدءًا بالمقدمة، ثم تعريف العقيدة لغة واصطلاحا، العقيدة في حياة الإنسان ، وتعريف الفن لغة واصطلاحا، ، ثم دراسة وتحليلية للقصيدة حسب إلتزامها بالأدب الإسلامي، فالخاتمة.

ABSTRACT:

Nigerian Arabic Poetry is a work of arts written by Nigerian Poets, it's a portrayal of the life of the nation especially Islamic life. So, this article is titled "The commitment and Art in the poem Palestine Calls You according to the portrayal of Islamic literature". It is the study of the manifestation of the Islamic faith and literal characteristics in the poem. The poem was characterized by features and elements of advocacy, Jihad, expression of faith, life and the universe. In this article, the researcher produced descriptive and analytical

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

methods to highlight the manifestations of the faith and prominent recipes in the selected models. The paper addresses this issue in four stages starting with the Introduction, Definition of the creed in language and convention, Definition of arts in language and convention, The creed in human life, Analysis and study of the poem according to its commitment to Islamic literature.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين سيّدنا محمد ونبينا المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.وبعد:

القرآن الكريم نزل باللغة العربية، ولأن النبي - عليه السلام – عربي؛ ارتبط الإسلام بهذه اللغة ارتِباطًا وثِيقًا، حتى لا يتخيل إسلامٌ من غير عربيةٍ، ولا عربيةٌ من غير إسلامٍ، وكان هذا بُعْدًا آخر يُضاف إلى العربية وآدابها.

إنّ للأدب العربي النيجيري صلة قديمة بالعقيدة الإسلامية، إذ لم يعرف دين البشرية – علاقة وثيقة بينه وبين الأدب كما عرف ذلك الإسلام، لأن معجزة هذا الدين هي معجزة أدبية، تمثلت في القرآن الكريم، قمّة الرّوعة البيانيّة، وذروة الارتقاء الفني التعبيري، و بذلك نبّه الإسلام منذ لحظة نزوله على دور الكلمة في بناء الإنسان وعلى أثرها في تكوين المشاعر والأحاسيس، وفي صياغة وجدان الناس، ونشر القيم والأفكار والرسالات.

إن الأدب الإسلامي إذًا أدب عقديٌّ؛ أي: هو مرتبط بالعقيدة الإسلامية؛ يصدر عنها، ويغترف من نبعها، والعقيدة الإسلامية مفهوم شامل للكون والحياة والإنسان، تشمل كلَّ صغيرة وكبيرة، وتنعكس على أنشطة الإنسان جميعِها، فهي ليستْ مقصورة على الشعائر الدينية: من صوم، وصلاة، وجهاد، وما شاكَل ذلك، بل هي تصوُّر كامل شامل لكلِّ شأنٍ من شؤون الحياة، وكلِّ أمرٍ من أمور الإنسان.

العلاقة التي بين العقيدة الدينية والشعر علاقة القربي الحميمة. فالعقيدة هي المحضن الأول للأدب، والأديب الأول هو الكاهن نفسه، والشعر أعرق الأجناس الأدبية قاطبة، نشأ في العقيدة في آداب الأمم كافة من يونانية ورومية وهندية وصينية. والأمر نفسه في الآداب الأوروبية المنشقة عن اللاتينية من إنجليزية وفرنسية والمانية.(١)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وهكذا الأمر عند الأمم الأخرى، إذا نظرنا إلى الشعر العربي فإننا نجده لا يخرج عن هذه القاعدة، لأن أوليته ونشأته مرتبطتان بالكهانة والسحر، وبلوغه ونضوجه متصلان بعالم الشياطين، وكل من الكهانة والسحر والشيطنة أجزاء من العقيدة الوثنية.(٢)

ويرجع بعض الدارسين أن الفن نشأ في أحضان العقيدة الدينية، وليس هناك فنان معروف لم يصدر عن عقيدة، والعقيدة هي التعبير القديم عما نسميه اليوم بالأيدلوجية، فالأيدلوجية عقيدة ارتبطت في أذهاننا خلال التاريخ بالعقيدة الدينية.(٣)

والدين الإسلامي عقيدة راسخة هدفها سعادة الناس في الدارين، وحل مشاكلهم وتوجيههم لكل خير، وإذا كان شأن الأديب الملتزم، فإنه ينطق من عقيدته، وإذا كانت عقيدته إسلامية،فإن الإسلام سوف يدفعه من الصميم نحو محاربة الواقع الفاسد ويحمله التبعات إذا قصر عن ذلك.

معنى العقيدة لغة واصطلاحا:

معنى العقيدة لغة من عقد الشيء، أي ربطه وشده بقوة،(٤) أما معنى العقيدة اصطلاحا فهي "ما يدين به الإنسان ربه وجمعها عقائد، والعقيدة الإسلامية مجموعة من الأمور الدينية التي تجب على المسلم أن يصدق بها قلبه، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقينًا عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظنًّا لا عقيدة".(٥)

العقيدة في حياة الإنسان:

لا بد لكل بناء ماديًّا كان أو معنويًّا من أساس يقوم عليه، والدين الإسلامي بناء متكامل يشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته ثم ما يصير إليه بعد موته، وهذا البناء الضخم يقوم على أساس متين هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقًا لها كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}(٦)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

العقيدة مرتبطة دائما بعقيدة معينة، لأن فيه ميلا غريزيا إلى عقيدة ما، سماوية موحدة كانت أو أرضية غير موحدة. بل إن الإلحاد – على حد تعبير عبد الباسط بدر – في ذاته عقيدة، لأنه يضع الطبيعة أو الإنسان مكان الألوهية.(٧)

وللعقيدة أثر مهما في حياة الإنسان. إنَّ نظرة الإنسان إلى الحياة ومفاهيمها في شتى الميادين وحتى عواطفه وأحاسيسه كلها تدور حول محور العقيدة التي يتبناها، والتي تسهم في بنائه الفكري والأخلاقي والاجتماعي، وتوجيه طاقاته نحو البناء والتغيير.وخير مثال على هذا، تحول حياة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوثنية إلى الإسلام وانقلاب سلوكهم من السلبية إلى الإيجابية وتغير تصوراتهم تبعا لذلك. فما توفقهم عن قول الشعر في أول اسلامهم بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحيّ، وما أدهشهم من روعة الأسلوب القرآنيّ وإعجازِ نظمه، ثم انطلاقهم وتماديهم فيه مع الفارق الموضوعي والفني إلا أثر العقيدة الاسلامية الجديدة.

معنى الفن لغة واصطلاحا:

جاءت كلمة فن في الكثير من المعاجم اللغوية القديمة والحديثة، فقد جاء في معجم لسان العرب، فقد عرفها بأنها:" واحد الفنون أي الأنواع، كما عرف الفن على أنه الحال، وهو الضرب من الشيء، وجمعه فنون وأفنان".(٨)

وقد جاء في معجم الوسيط أن الفن هو "التطبيق العملي للنظريات العملية باستخدام الوسائل التي تحققها، ويتم اكتساب الفن بالدراسة والتموين عليه، وهو عبارة عن مجموعة من القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة ما. كما جاء أنه مجموعة الوسائل التي يستخدمها الفرد لإثارة المشاعر والعواطف، بما فيها عاطفة الجمال، كالتصوير والموسيقي والشعر، كما أنه مهارة يحكمها الذوق ومواهب الإنسان، وبالتالي فإن المعاني اللغوية للفن تشتمل على أنه هو التزيين أو الزينة، وهو الأسلوب الجميل، والمهارة في الشيء وإتقانه، ويربط هذا المعني الفن بالصنعة والمنفعة. كما أن الفن هو الإبداع وخلق أشياء ممتعة، والإتيان بكل ما هو جديد".(٩)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

والفن لغة الضرب من الشيء أو النوع أو الحال. واصطلاحا هو تطبيق الفنان معارفه على ما يتناوله من صور الطبيعة فيرفع به إلى مثل أعلى تحقيقا لفكرة أو عاطفة يقصد بها التعبير عن الجمال الأكمل تلذذا للعقل والقلب.[١٠] وهذا التعريف قريب من تعريف سويد للفن:[١١]

" كلمة الفن أو العمل الفني يقصد بها أي عمل أو إنتاج أنتجه الإنسان، فصاغة صياغة أعادت تنظيم مادته وتشكيل عناصره، حتي اتخذت هيئة لا تتخذها في وجودها الطبيعي".

وعرف محمد قطب الفن قائلا:[١٢]

" الفن في أشكاله المختلفة هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في حسهم من حقائق الوجود، في صورة جميلة موحية مؤثرة"

وقد لخص هذا التعريف في مكان آخر يقول: إن الفن هو التعبير الجميل الموحي عن هذه الحياة.[١٣]

إن الاختلاف الذي بين هذه التعريفات للفن إنما هو اختلاف لفظي، اذ يمكن أن يستنبط منها حقيقة ثابتة عن الفن بأشكاله المختلفة، ولا سيما الشعر. فالفن على المستوى الكلى هادف إلى تحقيق المنفعة الجمالية والمتعة الفنية قبل كل شيء. وللشعر بصفته فنا عناصر يتجلى فيها، وضح ذلك عبارة محمد قطب التالية:[١٤]

"وإذا لا حظنا المراحل الثلاث التي يمر خلالها الإنتاج الفني، ولا يتم إلا بها، وهي الانفعال الفني (العاطفة) بالتجربة الجديد (الفكرة) ثم استبطان هذا الانفعال في داخل النفس حتي يمتزج بأعماقها ويعطيها من لونه ويأخذ من ألوانها (الخيال) ثم ارتداد التجربة إلى الخارج في صورة "الخراز" أو التعبير (الأسلوب)".

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وفي هذا القول نرى عناصر الشعر أربعة: ١- الفكرة أو التجربة الشعورية. ٢- العاطفة التي هي الحالة التي تتشيع فيها نفس الشاعر وتؤثر فيه تأثيرا قويا. ٣- الخيال الذي هو اللغة الطبيعية لأداء الانفعالات. ٤- الأسلوب أي الأداء الفني.

الدين والفن من خصوصيات الإنسان وحده دون سائر المخلوقات؛ فنبعهما واحد هو روح الإنسان. فالإنسان عبر تاريخه الطويل منذ أن كان يعيش في الكهوف، يبحث عن الإله، ويتصوره في فنونه ونقوشه التي اكتشفها علماء الآثار. بل إن الآثار الفنية الخالدة للإنسان ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالدين. ....بدءاً من الأهرامات والمعابد المصرية، مروراً بمعابد البوذية والهندوسية وصولاً إلى الكنائس والمساجد .

هذا، فقصة التقاء الفن بالدين قصة ضاربة في أعماق التاريخ، وفي مجال الأدب، فارتبط الشعر بالعقيدة منذ ولادته وظل متأثرا بها في مراحل تطويره، وأصبح في تكوينه الأساسي في حاجة إلى تصوراتها، وتأثرت مواقف الشاعر بتوجيهاتها، كما تأثرت بها رؤيته للقضايا وحكمه عليها. بل ان اختيار الشاعر لموضوعاته وطريقة معالجته لها والغاية التي ينشد أجلها، كل هذا وذلك يتأثر من قريب أو بعيد بعقيدته والتصورات التي تملها عليه عقيدته.[١٥]

العقيدة والفن في قصيدة "فلسطين تناديكم".

فإن أثر العقيدة الاسلامية كان يظهر في أشعار معظم الشعراء المسلمين ظهورا قويا سواء كان موضوعيا وفنيا. وأما من حيث الموضوع فقد ألغى الإسلام تلك الاغراض الشعرية التي لا تتفق مع روح العقيدة الإسلامية. أما من حيث الفن، فإن الجمال التعبيري القرآني قد ترك آثاره هو الآخر في نفوس القوم، فتجنب الشعراء والعرب وقتئذ الحوشي من الكلمات والمستغلق من الألفاظ واستخدموا مكانها ما عذب وسلس، ومارقّ وسهل.

فلنبدأ استعراض الأمثلة بقصيدة " فلسطين تناديكم"[١٦] التيتحدث فيها الشاعر عن قضية فلسطين وواجب المسلمين تجاهها، كما تحدث بيّن جذور كارثة فلسطين وتطورها وكيف احتلها اليهود الظلمة مع ذكر فعلتهم النكيرة وحربهم المرير ضدّ الفلسطينيين المسلمين الأبرياء. وألقى الضوء على مكانة فلسطين والقدس في الإسلام وحاجة المسلمين إليها مبينا أنها أرض الرسالات والأنبياء ومهوى كثير من أبطال العرب المسلمين وغير ذلك.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١- فلسطين ما أصل هذا الخطر يهز البلاء ويردي البشر؟
٢- سألت الرجال فما زادني سؤالي والله إلا الحيرة
٣- أشعب يمزق في أرضه ويحيا شريدا أمام النظر؟
٤- يجوّع دوما لإضعافه ولكنّ تجويعه ما ظفر
٥- يحاصر قسرا لتركيعه ويبقي أبيّا أمام الخطر
٦- يذاق من الضر ألوانه ويلقي من الذل كل الصور
٧- فلسطين أمرك عند الرجا ل يجي الشعور ويذكى الشرر
٨- فلسطين ما سرّ هذا الصّمو د رغم العذاب ورغم الضرر؟
٩- فلسطين ما سرّ هذا الثبا ت حتي نفضت غبار الحذر؟
١٠- هو الحق يعلو ويقوى على جحافل شرّ بكل العصر[١٧]

بدأ الشاعر بنداء فلسطين نداء رأفة وشفقة، وتألم متعجبا من أصل الخطورة التي نكبت بها والتي تهز البلاد وتهلك العباد، يتألم الشاعر بتألمهم لكونهم ممزقين و مشردين في الأرض بعد غصب بلادهم ما عرّضهم للتجويع والحصار وتذوق ألوان من الضر والذل. ثم اقترح الشاعر، على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أن يتعامل بجدويتعاطف على هذه القضية حتي تتحرر فلسطين، وبالحرية تحيا الأمم حياة كريمة.

و في البيت العاشر ذكرهم الشاعر بأن فضل الله وجزاءه ونصره لهم، ذلك أن الحق إذا جاء، يعلو كل باطل وإن تعددت الفرق المناوئة. وهكذا نرى الشاعر متأثر بالعقيدة الإسلامية التي أدّته إلى ردّ الأمور كلها إلى الله سبحانه وتعالى، وأن النصر من الله قريب. وهذا يوافق قول الله تعالى: {إِنَّ الَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }[١٨].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فعاطفة الشاعر صادقة وواضحة في وصفه لحالة الفلسطينيين ويشتعل صدره حزنا حينما رأى ما يعانون منه من أنواع الضر والذل والتشريد والحصار وما يذوقونه من ضروب العذاب والتجويع. فناداهم نداء رأفة ورحمة ومذكرا إياهم أن الله عالم الغيب والشهادة سينصرهم، ويجزيهم يوم القيامة بالجنة.

والجمال التعبيري القرآني قد ترك آثار في نفس الشاعر، حيث استخدم الشاعر الألفاظ الإسلامية كـ(اسم الجلالة لله، ويحيي، والعذاب، والحق). وفي استعمال الألفاظ الدقيقة ما يثريه العامل الصوتي من تذوق الجمال، ومنها قول الشاعر " يهز البلاد" يهزّ – المضاعف الثلاثي لما له من شدة وقوة تعبيرا عن العذاب الشديد الذي يواجهأمة فلسطين.

١١- نشاهد بالحزن هدر الدماء بكل الشوارع مثل النهر
١٢- مجازر (شارون) هل تنتهى و هل وقف آلامها منتظر؟
١٣- مذابحه لا تفرق بين ن شيخ مسنّ وطفل فتر
١٤- إذا ما أدين على فعله تمادى خسيسا كفأر هدر
١٥- إلى رحمة الله قتلى جنين ونابلس متمّ لصد النكر
١٦- وموتي شتيلا وصبرا ويافا وغزّة فزتم بنيل الوطر
١٧- دماؤكم سوف تروي الترا ب فينبت منه حماة الوكر
١٨- وتستنهض القوم كي يعلموا (يفكّ القيود غلاظ جسر)
١٩- قوى الشر لا تدعمي ظالما فذلك صنع الذي يأتمر
٢٠- تآصرتمو كي تذلوا الضعيـ ـف آصاركم فوق ظن الفكر
٢١- ستلقون غيّا لآثامكم وتمحون يوما كمحو الأثر[١٩]

استمر الشاعر بوصف هذا العذاب والضرر مبينا ما شهده العالم من قتل شعب الفلسطيني وهدر دمائهم التي تجرت في الشوارع كالنهر، قتل لا يستثنى فيه منه الشيخ ولا الطفل ولا النساء. ثم ذكر الشاعر قتلى وشهداء كنابلس،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وشتيل، وصبرا ويافا. وغزة وما إليها من مدن فلسطين داعيًا أن يرحمهم من الله، ويفك قيودهم، ويضعف قوات لاحتلال، ويجعل مخططاتهم هباء منثورا. وأعقب قوله بأن الصهاينة الظلمة سيلقون غيا ويهلكون يوما ولا يرى لهم أي أثر نتيجة آثامهم وجورهم وتأمرهم لإذلال الضعفاء المسلمين.

فالمقطوعة تسير عليها الروح الإسلامية، يحمس الشاعر في البيت (١٦-١٥) أهالي مدن فلسطين ويذكرهم أنهم في رحمة الله خالدون، هذا ما وعدنا الله سبحانه وتعالى في قوله:{وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[١٩]. ويدعوهم الشاعر إلى استباق بقتل اليهود بإيمانهم حتي يأتي الله بالنصر والغلب، وهذا يوافق قول الله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ }[٢٠].

وقوله في البيت (٢١) أن الصهاينة سيلقون غيا لآثامهم للشعب الفلسطيني وأنهم سيهلكون ويمحون حتي لا يرى لهم أي أثر. وهذا من التعاليم الإسلامية القرآنية كل من أساء إلى الله واتبع ما أمره القلب من الشهوات وغير ذلك سيحاسبه الله بعذاب أليم. " غيا" هو واد في جهنم أي يقعون فيه.

٢٢- رماة الحجارة لا تضعفوا يخيف الشياطين قذف الحجر
٢٣- أأتباع داوود في رميه بمقلاعه يوم كرّ وفرّ
٢٤- ثلاثة أحجار صبيانكم ستجعل (جالوتهم) يندحر
٢٥- أبيدوا اليهود بإيمانكم كما أهلكوا الرسل فيما غبر
٢٦- لظى الانتفاضة لا تخمدي فيصلاك (شارونهم) يستعر
٢٧- يريون تأمين أجوائهم ويلقون جيرانهم في سقر
٢٨- مقاومكم ضد عدوانهم يموت شهيدا إذا ما انتحر
٢٩- أخي كيف يصفو لهم ماؤهم إذا كان ماء الورى يعتكر؟

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٣٠- إذا بـلغ السـيل كل الزبـي تحرك للخطب حتى الخفـر[٢١]

وفي هذه الأبيات السابقة ينادي الشاعر الفلسطينيين الصبيان بأن لا يتوقفوا عن رميهم الحجارة لما فيها من تخويف الشياطين وقهر العدو كما قهر النبي داوود عليه السلام جالوت، وأن يهلكوا اليهود بإيمانهم مهما قلّت عدادهم وعددهم، قويت شوكة العدو الذي يملك القنابل، وليعلموا أن هلاك اليهود جزاء وردة فعل لما قدموا من قتلهم الأنبياء، ونقضهم العهد وما إلى ذلك. فقد أرادو لأنفسهم الأمان ولغيرهم الخوف ودس الفتن بين الشعوب، وبدأ الشاعر بالحث على المقاومة ونيل الشهادة ضد هؤلاء اليهود الذين أرادوا الصفاء لأنفسهم وتعكير أجواء الأخرين.

تأثر الشاعر في هذه الأبيات بالعقيدة الإسلامية في انتقاء ألفاظ الأبيات من آووا كشياطين، النبي داوود، جالوت، اليهود، الرسل، السقر، الموت، شهيدا. وتأثيره بالقرآن في قصة النبي داوود مع جالوت. قال الله تعالى في القرآن: {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ..... }[٢٢].

٣١- (فآيات) مـعجزة الباسـلا ت تبقي طويلا حديث السّمر
٣٢- لقد هزّت البنت صف العدى فهل فاح بالموت بعض الزهر؟
٣٣- ففـي ذاك درس لمن يدعـي علوا على الناس أن قد مهر
٣٤- فلسـطين دومـا تناديكـم فلبوا بما يفعل المقتدر
٣٥- وإنـي أرى شعبها بالأسـى يشارف يا قوم حرف الحفر
٣٦- أنفغر أفـواهنا مشـدهيـ ن أنّ البليّة صنع القدر؟
٣٧- لـماذا تجـبر أعداؤنـا لديهم مشيئتنا تحتقر
٣٨- أكثرتـنا كـغثاء السـيو ل مثل كلام النبي الأبرّ؟
٣٩- لـماذا تفـرّد كـل بمـا لديه ولا يعتني بالآخر؟

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٤٠- أنزعم أنّـــا ضعاف الـــــورى وأنا سنسحق مثل الحشر؟[٢٣]

بدأ الشاعر في ذكر الباسلات اللائي قُمْن بتضحيات عظيمة وبذلك أصبحن حديث السمر. يقول الشاعر فلسطين المسلوبة تناديكم وتنظر منكم أن تلبوا نداءها وأن شعبها يشارف على الموت. ثم يتساءل الشاعر، إلى متى نظل ونحن نسند البلية إلى الله من دون أن نقاوم الاحتلال، في حين أننا أكثر منهم عددا، وشبه كثرة المسلمين السيل الذي لا يسمن ولا يغني من جوع... و دعا إلى التوحيد وعدم التفرغ وأن لا نزعم أننا ضعفاء سوف نسحق كالحشر.

ومن الألفاظ التي تأثر بها الشاعر لفظة معجزة، وهي من ألفاظ الإسلامية القرآنية، وهي معجزة داوود – عليه السلام – وكان داوود من الجيش فطلب من الملك أن يقاتل جالوت فأذن له، فواجه جالوت ومعه عصاة وخمسة حجارة ومقلاعة، فسخر منه جالوت، فوجه داوود – عليه السلام – مقلاعة نحو جالوت فقتله بحجر، وانتصر جيش ضالوت على جيش جالوت. قال الله تعالى: ..... وقول الشاعر "بنداء فلسطين" يعني على جميع المسلمين بالتعاون والتعاضد وفق قوله تعالى: {...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[٢٤]. وقوله أيضا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنتَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[٢٥].

٤١- تنبأ (زعلول) فـــي قولـــه بـعودكم عـــودة المنتصـر
٤٢- فها جـــرس العائدين يـــدق فيتزعزع السالب المستقـــرّ
٤٣- إلى القدس سيروا هي الملتقى ومسجدها رغم سقم وضـرّ
٤٤- لتطهيرها مـــن فساد اليهو دأهل الخنا والجناة الفجـر
٤٥- لنذكر إســـراء خير الورى ومعراج صاحب أحلى السير
٤٦- لـــقد بارك الله فـــي أرضها فكان إليها السرى والسفـر
٤٧- وقـــد سلموهـا (لفاروقنا) فلملم ما انفك فيـها عمـر
٤٨- فـــما هـــي تصلح إلا لـــنا لـــها نستميت ولا نعتـــذر

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٤٩- ومهما تعنت فيـــها الدخيل فإن التعنت لا يستمـــر[٢٦]

بين لنا الشاعر في هذه الأبيات ما في كتاب الشيخ مصطفى زغلول سنوسي "سيعود العرب إلى فلسطين" برجوع الفلسطينيين إلى بلادهم منتصرين، وأنهم سيطهرون القدس من فساد اليهود ويحتلونها مرة ثانية حتي نذكر نبي الله يعقوب الملقب بإسرائيل، ونتذكر الإسراء والمعراج للرسول ﷺ وجهاد سيدنا عمر رضى الله عنه نحو البلد الذي بورك حوله وأن النصر سيتحقق للمسلمين.

تأثر الشاعر بالعقيدة من خلال الألفاظ التالية:الجهاد، القدس، النبي، اسم الجلالة الله، يعقوب، المعراج، الرسول. وفي هذه الأبيات تأثر الشاعر بقصة " الاسراء والمعراج" في العقيدة الإسلامية و بعض الأحداث التاريخية والإسلامية. وذلك في قوله تعالى عند ماأسراء بالرسول ﷺ: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[٢٧].

٥٠- أحييك يـــا عـــرفات النضا ل رمز الـــجهاد مثال البـــصر
٥١- عـــرفت الـــيهود واحقادهم فقم كـــي تبدد شمل الزمـــر
٥٢- ستبقـي لـــنا جبلا راســـيا يـغيظ الـــرياح ولا ينكســـر
٥٣- رئيس البواسل تـخشى طليقا كـــما كنت تخشى زعيما أســـر
٥٤- حصارك وحـــدّ بين الصفـــو ف فهل ذاك درس لـمن يعتبـــر
٥٥- نـــدائي إلى الناس أن يدعموا جهـاد الـــرجال بـــمال كثـــر
٥٦- لقد بـــذلوا خيرا ما يملكـــون فـــنفس خيـــر مـــا يدّخـــر
٥٧- فلسطين لا تـــحزني إنـــنا علـــى عهدنا وهـــو لا ينفطـر
٥٨- سيندمل الجرح يوما وننســـى الـــمآسي ونحيا بـــفضل بهـــر
٥٩- سلام علـــى أشـــرف الأنبياء رســـول أتانا بـــوجه أغـر[٢٨]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ويوضح الشاعر حركات المجاهد ياسر عرفات ومقاومته ضد اليهود ويحييه ويمدحه على تبديد شملهم وتنكيس قواهم ببسالته وجهاده المرير من دون الاكتراث بالحصار الناتج من عدوانهم. ثم ينادي الشاعر المسلمين وخاصة العالم الإسلامي بدعم جهود وحركات الفلسطينيين المستميتين، بالماديات الوافرة والمساعدات الظافرة لأنهم محتاجون إلى الدعم المادي. وأخيرا يقول: إن جرح المجاهدين الفلسطينيين سيندمل والمآسي ستنسى والموتى بلا شك شهداء وتحيا حياة لا ضير بعدها. وسيتم لنا النصر عن قريب، إن شاء الله. ثم الصلاة على أشرف الأنبياء محمد ﷺ.

ومن تأثيرات العقيدة في الأبيات الأخير السابقة نادي الشاعر المسلمين خاصة العالم الإسلامي على الجهاد، وهذا في البيت ٥٥، مصدقا لقوله الله تعالى:{...وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ}[٢٩]. ومصدقا لقول الرسول الكريم:" عن أبي هريرة رضي اللهعنه أن النبي ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ قال: " إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور"[٣٠]. رواه البخاري ومسلم. عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: ثلاثة حقّ على الله على عونهم: المجاهد في سبيل الله...."[٣١] .رواه الترمذي قد ختم الشاعر هذه قصيدة بالصلاة على النبي محمد ﷺ وهذا حب لشخصية الرسول ﷺوبدعة فنية في هذه الديار النيجيرية متولدة من هذا حب النبيﷺ.

الخاتمة:

ورابطة العقيدة في الإسلام أسمى الروابط وأصلحها، لأنها هي رابطة فريدة تسمو على الروابط العنصرية والقومية والاقتصادية، إنها ليست رابطة النسب والدم، ولا الأرض والوطن، ولا القوم والعشيرة، ولا اللون واللغة وما إلى ذلك، إنها الرابطة التي تجمع كل الناس في كل عصر ومكان، وتشدهم جميعا برباط واحد وهو الإيمان بالله رب العالمين. وقال تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ.....}[٣٢]. فالإيمان بالله والتآخي بين المؤمنين، إذ هما ركيزتا التماسك الاجتماعي والجهادي والحصول على النصر. وأما الفرقة والاختلاف بين أبناء الأمة فهما من مظاهر الانحلال والانحطاط.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

نخلص من ذلك إلى أن معتقد الشاعر ذو تأثير واضح على إنتاجه الأدبي لأنه جزء أساسي من الإطار العالم المكون لتجربته الشعورية. وأن هذا التأثير بدأ منذ ولادة الأدب في أحضان العقيدة، فأثر الإسلام واضح في قصيدته في انتقاء ألفاظها وفي استخدامه الأفكار الإسلامية وتوظيف المعان العقيدة الدينية. وتعرض لقضايا وطنية، وقضايا الساعة مثل: الإرهاب، والعولمة، والحروب، وقضايا إسلامية مثل: قصة النبي محمد ﷺ عن الإسراء والمعراج وقصة داوود نبي الله وجالوت، والمسجد الأقصى. مما يدل على أنه شاعر وجداني، يتعامل مع الأحداث ومتأثرا بعقيدته الإسلامية.

الهوامش:

- عبد الباسط بدر،مقدمة لنظرية الأدب الاسلامي. دار المنارة جدة، الطبعة الأولى ١٩٨٠م، ص: ٢٨.

٢- عبدالله حمد العويشق،الأدب في خدمة الحياة والعقيدة، دار العربية بيروت الطبعة الأولى، ١٩٧٠م، ص: ٣،٤، و١٢ من البحث.

٣- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، الطبعة: الثالثة، ص: ٣٨.

٤- د. عبد الله بن محمد السحيم (١٦-١٢-٢٠١٣)، تعريف العقيدة الإسلامية وبيان أهميتها، شبكة الألوكة، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠١٨-٠٧-٢٦.

٥- محمد أحمد محمد عبد القادرخليل ملكاوي، عقيدة التوحيد القرآن الكريم، الناشر مكتبة دار الزمان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م. ص: ٢٠-٢١. بتصرّف.

٦- سورة الأنعام، الآية، ١٦٣-١٦٢.

٧- المرجع السابق، عبد الباسط بدر، ص: ٢٢.

٨ - جمال الدين أبو الفضل بن مكرم ابن منظوم، لسان العرب، تحقيق وتعلق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، جزء الأول،

٩- مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدوليّة، ١٤٢٥هـ\٢٠٠٤م.

١٠ أبي الحسن عليّ بن الحسن الهنائي، **المنجد في اللغة والأعلام**. الطبعة الثانية ، عالم الكتب –القاهرة.– بيروت ١٩٨٦م. ص: ٥٩٦

١١- علي نائبي سويد، كيف نتذوق الأدب العربي. دار العربية لبنان، ١٩٨٦م. ص:٩.

١٢- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي. دار الشروق – القاهرة. الطبعة الشرعية السادسة. ١٩٨٢م. ص: ١١.

١٣- نفس المرجع. ص: ١٣٨.

١٤- المرجع السابق، منهج الفن الإسلامي.ص: ٦.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١٥- المرجع السابق، عبدالباسط بدر. ص: ٢٢

١٦- من قصائد الشاعر عيسى أَلَبِي أبوبكر، وهو من شعراء النيجيريا، و فحلا من فحول الشعر العربي في نيجيريا. يعمل حاليا مدرسا للغة العربية في جامعة إلورن.

١٧- عيسى ألبي أبوبكر، الرياض، الطبعة الأولى، إلورن. مطبعة ألبى، ٢٠٠٥م، ص: ١٧١-١٧٢

١٨- سورة غافر، الآية ٥١.

١٩- المرجع السابق، الرياض. ص:١٧٢.

٢٠- سورة آل عمران،الآية١٠٧

٢١- سورة البقرة، الآية ٢١٤.

٢٢-المرجع السابق، الرياض. ص:١٧٢-١٧٣.

٢٣- سورة البقرة، الآية ٢٥١.

٢٤- المرجع السابق، الرياض. ص: ١٧٣

٢٥- سورة المائدة، الآية ٢.

٢٦- سورة محمد، الآية ٧.

٢٧- المرجع السابق، الرياض. ص:١٧٢-١٧٣

٢٨- سورة الاسراء، الآية ١.

٢٩- المرجع السابق، الرياض. ص:١٧٣-١٧٤

٣٠- سورة الأنفال، الآية ٧٢.

٣١- صحيح البخاري برقم ٢٦، وصحيح مسلم برقم ٨٣.

٣٢- سنن الترمذي برقم ١٦٥٥.

٣٣- سورة آل عمران، الآية ١٠٣

المصادروالمراجع :

١- القرآن الكريم.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٢- أحمد سعيد غلادنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الطبعة الثانية، شركة العيكان للطباعة والنشر، ١٩٩٣.

٣- آدم عبد الله الإلوري، توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب أفريقيا، الطبعة الأولى، القاهرة. مطبعة الأمانة ١٩٧٩م.

٤- عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الأدب الاسلامي . دار المنارة جدة، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

٥- عبدالله حمد العويشق،الأدب في خدمة الحياة والعقيدة، دار العربية بيروت الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.

٦- عبد الله بن محمد السحيم (١٦-١٢-٢٠١٣)، تعريف العقيدة الإسلامية وبيان أهميتها، شبكة الألوكة، اطّلع عليه بتاريخ ٢٦-٠٧-٢٠١٨

٧-عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، الطبعة: الثالثة،

٨- علي نائبي سويد، كيف نتذوق الأدب العربي. دار العربية لبنان، ١٩٨٦م

٩- عيسى ألبي أبوبكر، الرياض، الطبعة الأولى إلورن. مطبعة ألبي ٢٠٠٥م.

١٠- محمد أحمد محمد عبد القادرخليل ملكاوي، عقيدة التوحيد القرآن الكريم، الناشر مكتبة دار الزمان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م. بتصرّف.

١١- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي. دار الشروق – القاهرة. الطبعة الشرعية السادسة. ١٩٨٢م.

١٢- مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدوليّة، ١٤٢٥هـ\٢٠٠٤مـ.

١٣- محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، **مختارالصحاح**. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

١٤- المنجد في اللغة والأعلام.تأليف: أبي الحسن علىّ بن الحسن الهنائي، الطبعة الثانية -١٩٨٨، عالم الكتب –القاهرة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

مِفْتاح الأَغْلاق في مدح حبيب الخَلّاق" قافيّة الشيخ أبي بكر عتيق في المديح النبوي: عرض ودراسة

إعداد:

الدكتور حسين إنو موسى

قسم اللغة الإنجليزية والدراسات اللسانية، الجامعة الفدرالية دُوطِي، جِغَاوَا –نيجيريا

ملخص:

يتعرض هذا المقال لدراسة قافية الشيخ أبي بكر عتيق "مفتاح الأغلاق في مدح حبيب الخلّاق "لرصد قيمها الفنية لما فيه من تعمّق فهم المتلقي لمحتوياتها شكلا ومضمونا، وتذوّق جمالها الفني أكثر، ومعرفة تمكّن صاحبها في نظم الشعر، وإسهاماته في مسار الأدب العربي النيجيري. واستخدم الباحث خلال إنجاز هذا العمل المنهجين: التاريخي والوصفي للوصول إلى النتائج العلمية. وبنى موضوع المقال على أربعة نقاط رئيسة وهي: نبذة عن حياة الشيخ أبي بكر عتيق، ونص القصيدة، وتحليل القصيدة، والقيم الفنية في القصيدة. وتوصّل المقال نهائيا إلى النتائج العلمية التي منها: أن القصيدة القافية متسمة بقيم فنية مختلفة بعضها متعلق بالشكل وآخر بالمضمون. وكان أهمها استرعاء للانتباه براعة الاستهلال، وحسن التخلص والمقطع، وصدق العاطفة وقوّتها، ودقة الألفاظ وإيحاؤها...وأنها من حيث بناؤها فمتماشية مع تقاليد الآثار الأدبية الكاملة. ومن حيث الأفكار والمعاني فمتراوحة بين الشعور الديني والصوفي. وأوصى الباحث أخيرا بمواصلة بحوث فيما تبقّى من نتاج الشيخ عتيق الشعري وغيره من علماء نيجيريا لما في ذلك من إخراجٍ لقيمه الفنية، وإحياءٍ لتراثه الشعري، وتشجيعٍ لأمثاله بالمواصلة بالإنتاج الأدبي القيم.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

Abstract:

This paper tends to study Shiekh Abu Bakr Ateeq's poem titled: *"The key of locks in the panegyric poem of beloved of the Creator"* with a view to unveiling its metaphorical mappings and artistic values. This would enable the recipients of the poem to comprehend more about its form and content, savor metaphorical mappings contained in it, appreciate mastery of the poet in versification of Arabic poems and ascertain his contributions to the development of Arabic literature in Nigeria. The research used descriptive and historical methods to carry out the study. The work is based on four points namely; brief history of Sheikh Abu Bakr Ateeq, presentation of text of the poem, elucidation of content of the poem and an analysis of artistic features in the poem. The findings of the research include the poem consists of various artistic features and artful values but the most attractive among them are proficiency in structural formation, lexical accuracy and sincerity of feelings. Others include partial conformity with the structure of classical Arabic poem and religious and Sufism perceptions. The research also recommends that future researchers should conduct studies on literary analysis on the remaining Sheikh Ateeq's poems to complement this humble effort. They are also urged to carry out researches on similar subject matter on the work of Nigerian Arabic poets to reveal the extent of artistic values contained in them, revive Arabic literary heritage in Nigeria and encourage contemporary Arabic poets in the production of valuable Arabic poems.

الكلمات الافتتاحية: براعة الاستهلال، حسن التخلّص والمقطع، صدق العواطف وقوّتها، جودة التراكيب، حسن السَّبْك، روعة الأخيلة وإصابتها.

أ- توطئة:

يحتلّ المديح النبوي مكانة متميزة بين الأغراض الشعرية في الأدب العربي على مر العصور وذلك لاعتباره وسيلة مهمة للتغني بفضائل الدين وقيمه وتعاليمه. وكونه أداة جليلة لنشر شمائل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث عن سيرته العاطرة. وقد اهتم الشعراء بهذا الغرض قديما وحديثا في مشارق الأرض ومغاربها. ونظموا فيه قصائد جيادًا لا تزال موضوع اعجاب الدارسين في حسن السبك، وحلاوة المعاني، وروعة الأخيلة، وصدق العواطف في مختلف العصور الأدبية. وممن اهتم بهذا الغرض من شعراء نيجيريا الشيخ أبو بكر عتيق. واشتهرت قافيته المسمى "مفتاح الأغلاق في مدح حبيب الخلّاق" فيما نُظِم حول الموضوع في الأدب العربي النيجيري لجودتها، الأمر الذي جعلها جزءا من المقرر الدراسي لمادة الأدب العربي النيجيري في المدارس الثانوية العربية في شمال نيجيريا. لكن مع هذا فلم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

تحظ القصيدة –حسب معرفة الباحث –بدراسة دقيقة مستقلة تتعرض لتحليلها، وشرح أساليبها الرمزية، وكشف جمالها الفني، وإظهار قيمتها الأدبية إلا ما عثر عليه من وقفة سريعة حولها عند بعض الباحثين أمثال: كبير ثاني *أَيَاغِي* في كتابه "الثمار اليانعة للمدارس العربية الثانوية العليا"، حيث عرض بعض أبيات القصيدة في الكتاب ثم شرحها شرحا بسيطا خاليا من إظهار قيمتها الفنية. وسنوسي أحمد *سُوْرَنْطِنْكِ* في بحثٍ جامعي عنوانه: "الشيخ أبو بكر عتيق حياته وقصيدته مفتاح الأغلاق في مدح حبيب الخلاق: عرض وتحليل"[١] حيث علّق على القصيدة تعليقا سريعا لا يُكتشَف منه قيمتها الأدبية، ومعانيها الجليلة، وأساليبها الرمزية. وهذان البحثان رغم محاولة صاحبيهما في دراسة هذه القصيدة إلا أن الأول اقتصر في شرح بعض أبياتها شرحا سريعا مناسبا مع مستوى الطالب المدرسي. والآخر تقيّد بالتعليق على أهم أفكارها دون تحليل دقيق لها، وشرح رموزها، واكتشاف جمالها الفني.

وعلى هذا الأساس فإن هذا المقال يختلف عما قدمه الباحثان السابقان حول الموضوع لأنه يتعرض لدراسة قافية الشيخ أبي بكر عتيق "مفتاح الأغلاق في مدح حبيب الخلاق" دراسة أدبية متسمة بعمق التحليل ودقة الملاحظة حول نصوصها شكلا ومضمونا. وكانت القصيدة من بحر الكامل -خلافا لما زعمه أحد الباحثين[٢] وتقع في إحدى وثلاثين بيتا. مدح الشاعر بها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. وستدور الدراسة حول أربع نقاط رئيسة وهي: نبذة عن حياة الشيخ أبي بكر عتيق، ونص القصيدة، وتحليل القصيدة، والقيم الفنية في القصيدة. وهي فيما يلي:

ب- نبذة عن حياة الشيخ أبي بكر عتيق:

هو أبو بكر عتيق بن خضر بن أبي بكر بن موسى الملقب بمَيْ رساله، أي صاحب رسالة، لتمكّنه في كتاب "رسالة أبي يد القيرواني" الكتشناوي أصلا ومولدا، والكنوي نشأة ومسكنا.[٣] ولد بمحلة *غَافَيْ* في مدينة كتشنا عام ١٩٠٩م تقريبا؛[٤] نشأ في أوساط أسرة متعلمة متدينة لكن مكوثه فيها لم يطل حيث أرسل به والده الشيخ خضر إلى مدينة كنو ليتعلّم القرآن الكريم وهو لم يجاوز الثالثة أو الرابعة من العمر. فالتحق بكُتَّاب المعلم أبّ الملقب *بنَطَنْ فَنَّا* بمحلة *سَنْكَا*، ومنه بدأ تعلّم القرآن الكريم وبعض المبادئ الدينية.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وبينما يتعلم الشيخ عتيق بالكُتَّاب توفي والده الشيخ خضر لكن هذا لم يحل دون تعلمه القرآن الكريم فحسب، وإنما أصبح يتسلل في بداية الأمر على غفلة من معلمه أبّ *نَطَنْ فَنَّا* إلى الشيخ محمد *سَلْغَا*، وأبي بكر *مِجِنْيَوَ*، ومحمود بن الحسن...لتلقي الدروس العلمية منهم لشدة رغبته فيها. ولم يمكث طويلا حتى صارت شهرته العلمية حديث المجالس في كنو وما جاورها، فانخرط في سلك التدريس بعد أن أذن له شيوخه. ثم أسس معهده العلمي ببيته في محلة *سَنْكَا* في مدينة كنو[٥] وبالتدريج أصبح فطحلا من فطاحل العلم في نيجيريا، وشيخا كاملا في الطريقة التجانية. توفي الشيخ في مستشفى *نَسَرَاوَا* بمدينة كنو قبيل فجر يوم الأربعاء، ودُفِن صبيحة يوم الخميس، من شهر ربيع الثاني عام ١٣٩٥هـ الموافق ١٩٧٤م في مقبرة *مَيَنْكَا* بكنو، بعد حياة مليئة بالإنجازات العلمية والصوفية، بالغا من العمر أربعا وستين سنة.

ت- نص القصيدة:

١. مَـــدْحِي لـــه قَـــدْ كـــان فـــي إِطْرَاقِـــي ... لَا مَـــا أُسَطِّـــرُه علـــى الأوراق[٦]
٢. مـــاذا أَقُـــولُ بمـــدح مَـــنْ ربُّ الـــورى ... أثنـــى عليـــه بـــأعظم الأَخْـــلَاق[٧]
٣. قُـــلْ مَـــا تَشَـــا فـــي مدحـــه مِـــنْ بَعْـــدِ أَنْ ... وَصَّـــفْتَهُ بِعُبُـــوْدَةِ الْخَـــلَّاق[٨]
٤. قُـــلْ عَبْـــدُهُ وخَلِيلُـــه وحَبِيبُـــه ... وصَفِيُّـــه هـــو فَـــاتِحُ الأغـــلاق[٩]
٥. هـــو سَـــيِّدُ الرُّسْـــلِ الكِـــرَامِ وخَيْـــرُهم ... هـــو أَصْـــلُ كُـــلِّ الخَلْـــقِ بـــالإطلاق
٦. هـــو قَبْضَـــةُ النُّـــوْرِ الإلهـــيّ الـــذي ... مـــن قبـــل آدم قاســـم الأرزاق[١٠]
٧. مِـــنْ نُـــوْرِه الأكـــوانِ طُـــرًّا كُوِّنَـــتْ ... أَصْـــلُ الأُصُـــولِ وخـــاتمُ السُـــبَّاق[١١]
٨. هُـــوَ عَـــيْنُ عَـــيْنِ الْحَـــقِّ طَلْمَسُـــهُ الـــذي ... هـــو غوثُنـــا بِمَعِيْنِـــهِ الخَفَّـــاق[١٢]
٩. هـــو زَيْتُـــهُ مِشْـــكَاتُه مِصْـــبَاحُه ... وَزُجَاجُـــه المخْفِـــي عَـــنِ الْأَرْمَـــاق[١٣]
١٠. بـــل هُـــوَ مَغْنَاطِيْسُـــه الجَـــذّابُ مَـــنْ ... جَـــذَبَ القلـــوبَ لحضـــرة الخـــلَّاق[١٤]
١١. سِـــرُّ التَّجلّـــي سِـــرُّسِـــرِّإِلَهِـــه ... هـــو سِـــرُّمولانـــا القـــديمِ البـــاقي[١٥]
١٢. وَهُـــوَ الصِّـــرَاطُ المســـتقيمُ محمـــدُ ... مـــاحي الضّـــلالِ بنـــوره البَـــرَّاقِ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١٣. هـــو ذو الشَّـــفَاعَةِ والوســـيلةِ والِّلـــوَا ... والحَـــوْضِ صَـــاحِبُ كُـــلِّ مَجْـــدٍ راقـــي[١٦]

١٤. ذو المعجـــزاتِ البـــاهراتِ محمـــدٌ الْـــ ... ـــمُخْتَارُ أَحْمَـــدُ طَيِّـــبُ الْأَعْـــرَاق[١٧]

١٥. ذاك الـــذي قـــد كلَّمَتْـــهُ غَـــزَالَةٌ ... والضَـــبُّ كلَّمَـــهُ لِحَـــلّ وِثَـــاقِ[١٨]

١٦. والـــذِّئْبُ شَـــاهِدُ بَعْثِـــهِ بحقيقـــةٍ ... وكـــذا الصَّـــبِيُّ بِنُطْقِـــهِ الْمِصْـــدَاق

١٧. وَشَـــكَى البَعِيْـــرُلـــه وسَـــبَّحتِ الْحَصَـــى ... فـــي كَفِّـــه المِـــدْرَارِبالإِنْفَـــاق[١٩]

١٨. لَمَّـــا دَعَـــا الأشـــجارَنَحْـــوَهُ قـــد أَتَـــتْ ... تمشـــي إليـــه بِسَـــيْرَةِ الإِعْنَـــاق[٢٠]

١٩. قـــد رَدَّ عَيْنًـــا مِـــنْ قَتَـــادَةَ إِذْ أَتَـــى ... يمشـــي بَكِيًّـــا مُظْهِـــرَ الإِمـــلَاقِ[٢١]

٢٠. قَـــدْ دَرَّ ضَـــرْعُ الشَّـــاةِ لَمَّـــا مَسَّـــهُ ... فـــأتى بِـــرِيِّ لِبَانِـــهِ المِهْـــرَاق[٢٢]

٢١. وكفـــى بِقُـــرْصٍ جَيْشُـــه لمـــا دعـــا ... والمـــاءُ سَـــاحَ بكفـــه الفَتَّـــاق[٢٣]

٢٢. وَانْشَقَّ بَدْرٌفي السّمَا والشَّمْسُ قد ٢٣. أَسْرَى ... رُدَّتْ لـــــه إذ ذاك بـالإشـــــراق

الإِلَـــــهُ بـــــه لحضـــــرة قُدْسِـــــه ... ورأى مـــن الآيـــات فـــي الآفـــاق

٢٤. وَاجْتَـــازَ سِـــدْرَةَ مُنْتَهـى جبريـــلُ فَاحْـــ ... ـــتَرَقَ السَّـــنَا والحُجُـــبَ باستطـــراق[٢٤]

٢٥. فَـــاخْتُصَّ بـــالتَّكْلِيمِ فـــي مِعْرَاجِـــه ... ورأى إلـــهَ الخَلْـــقِ بالأَحْـــدَاق[٢٥]

٢٦. يـــا خيـــرَخلـــقِ الله هـــا أنـــا ضَـــارِعٌ ... مُتَوَسِّـــلٌ بالحُـــبِّ والأَشْـــوَاق

٢٧. لا تَقْطَعَنِّـــي عنـــك يـــا خيـــرَالـــورى ... يـــا نُـــورَ قلبـــي صـــفوة الخـــلّاق

٢٨. فَاجْـــذِبْ عُبَيْـــدًا قـــد أتـــى مُتَـــذَلِّلًا ... مُتَوسِّـــلًا يـــرجوك حَـــلَّ وِثَـــاقِ

٢٩. وَلْتَسْـــقِنِي بِمَعِـــيْنِ وُدِّكَ صَـــفْوِه ... يـــا ســـيدي مـــن كأسِـــك الـــدَّهَّاق[٢٦]

٣٠. صـــلى وســـلم ذو الجـــلال عليـــك مـــا ... قـــد حـــلّ مَطْـــرُالغيـــث باستخفـــاق[٢٧]

٣١. والآل والأصحاب ما قـد أُنْشِدَتْ ... مـدحي لـه قـد كـان في إطـراقي

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ث- تحليل القصيدة:

أ. الافتتاح:

(١-٤) استهل الشاعر القصيدة بالتعبير عن قصوره وعجزه عن مديح الرسول صلى الله عليه وسلم بما يليق به من أوصاف الكمال، مما جعله أن ينفي امتلاك المدحة في حقه من شدة تواضعه له إلا ما يكمن في قلبه من حبه؛ والذي إن صحّ أن يعتبر مديحا له كان في إطراقه لا فيما يدوّنه ويسطّره على الأوراق. لأنه مهما قال في نظمه من روائع المعاني في مديح الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فلا يوفيه حقَّه، لأن الله تعالى مع جلالته في منزلة الخالق قال في حقّه:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾! فطلب الشاعر مادحي النبي صلى الله عليه وسلم بقول ما شاءوا فيه من صفات الكمال والجلال ما دام ذلك في حدود عبودية الله. لكنه سرعان ما يعود ويحدّد ما يليق بجانب الرسول صلوات الله وسلامه عليه من أوصاف، شعورا منه أن مادحا ما قد يقع -خطأ -خلال وصفه له فيقول: إن منها عبد الله، وخليله، وحبيبه، وصفيّه، وفاتح القلوب المغلقة في ضلال الكفر بنور الإيمان؛ وهي كلها مباحة ومستحسنة في حقه عليه الصلاة والسلام.

ب. التخلص إلى المديح:

(٥-١٣) تخلّص الشاعر بعد تصوير مشاعره نحو الرسول الكريم إلى مديحه فيصفه بأوصاف حسنة توحي إلى روح الدين والتصوف، ذاكرا في ثنايا ذلك مناقبه والمراتب العليا التي رقى إليها. إنه سيد الرسل وخيرهم. وأصل الخلق وقاسم أرزاقهم الحسيّة والمعنوية، لأن الأرزاق كلها دقّت أو جلّت تَرِد بواسطة مدده. ونوره أصل الوجود ومبدؤه، لأن الله تعالى خلقه قبل آدم عليه الصلاة والسلام بعدة سنين. وأنه النور الإلهي الذي أبرزه ربه بقدرته، فخلق منه الأكوان كلها. وكان -عليه الصلاة والسلام -خاتم الأنبياء والمرسلين. ومرآة نور الله ومعدن سرّه المختوم. وغوث العباد وساقيهم للمعارف الربّانية وأسراره. وزيت الله ومشكاته ومصباحه وزجاجه التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله:﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَار ﴾[٢٦]ومغناطيسه الذي يجذب به الناس إلى حضرته القدسية. وموضع التنازلات الربانية ومهابطها. والصراط المستقيم الذي يوصل الخلق إلى الله. وماحي الضلال

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

والكفر بنوره اللّامع. وصاحب كل مجد ومدار كل شرف. ثم يتعرض الشاعر لذكر بعض مناقب الرسول الكريم وخصوصياته، متمثلة في الشفاعة الكبرى التي يُدخِل بها قوما الجنة بغير حساب. والوسيلة التي يختصّ بها في الجنة. ولواء الحمد الذي يستظل تحته العباد يوم الحشر. والحوض الذي يرده المؤمنون قبل دخول الجنة.

ج. تعداد معجزاته صلى الله عليه وسلم:

(١٤-٢٥) انتقل الشاعر بعد أن أقرّ بطهارة نسل الرسول الكريم ونقاء أصله إلى تعداد معجزاته فيذكر من بينها التخاطب مع الضبّ والغزالة التي استشفعته إلى الأعرابي لحل قَيْدها. وشهادة الذئب والصبي برسالته. وشكوى البعير إليه. وتسبيح الحصى في يده المبسوطة بالكرم. وإتيان الأشجار إليه سريعة بندائه. وردّ عين قتادة بدعائه. وإشباع جيشه بقرص من صاع بدعائه. وتكثير لبن شاة أم معبد بمس ضرعها. ونبع الماء من بين أصابعه. وانشقاق القمر وردّ الشمس له. والإسراء والمعراج به. ثم انطلق الشاعر إلى تفصيل قصة الإسراء فيقول: لما أراد الله مناجاة عبده وإراءته من آياته الكبرى، أرسل إليه جبريل عليه السلام فأسرى به حتى بلغا سدرة المنتهى، فوقف هنالك جبريل واجتاز الرسول المصطفى مخترقا حجب النور إلى أن وصل إلى الحضرة القدسية، فاختصه ربُّه تعالى بمكالمته ورؤية ذاته المقدسة بعين أم رأسه.

د. الخاتمة:

(٢٦-٣١) ختم الشاعر القصيدة باستغاثة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقف أمامه متضرعا متذللا، وداعيا متوسلا بحبه له وشوقه إليه في إيصاله إلى حضرته النبوية إيصالا غير منقطع، وجذبه إلى عرصاته الطاهرة، وحلّ قيد الشيطان والنفس والهوى عنه، وإسقائه من كأس محبته الدهاق. ثم يصلي ويسلم على النبي وآله وأصحابه صلاة تدوم وتتكرر كلما نزل المطر نزولا خفيفا، أو أنشد المنشد المدحة آتيا في نهاية أبيات القصيدة بالتكرار الدائري لصدر مطلعها تنبيها لأهميته، وتقريرا لفكرته في ذهن المتلقي.

أ- القيم الفنية في القصيدة:

١- براعة الاستهلال وحسن التخلّص والمقطع:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

انتهج الشيخ أبو عتيق الخط الجمالي في بناء هذه القصيدة؛ فابتدأ بمقدمة صوّر فيها قصوره وعجزه في مديح الرسول الكريم. وأردف بالعُرْض؛ فاستهل بمديحه، أعقبه بتعداد معجزاته، انصرف بعده إلى الخاتمة فاستغاث به فيها مصلِّيا ومسلما عليه صلى الله عليه وسلم. وكان الشاعر موفقا لا في مجاراة القدامى وخاصة الإسلاميين في تمهيد القصيدة بمقدمة تضم بعض الألفاظ والمعاني الإسلامية فحسب، وإنما في افتتاحها بمطلع مرتبط ارتباطا وثيقا بموضوعها الأساس، وهو المديح؛ لأنه يوحي بمجرد سماعه إلى أن القصيدة مادحة، وأن الممدوح بها امرؤ عظيم القدر والجاه حتى كان مديحه بما يليق بشخصيته من أوصاف الكمال والجلال مستحيلا. وهذه الفكرة التي أوحى بها المطلع قد تقررت فيما توالى من كلام الشاعر في الأبيات (٢-٤). استمع إليه في هذا المطلع:

مـدحي لـه قـد كـان في إِطْـرَاقِ لا مـا أُسَطِّـرُهُ علـى الأوراق

وإذا انصرف الباحث إلى التخلص يدرك توفيق الشاعر فيه لا يقل خطرا عن إجادته في المطلع لتمكّنه من الانتقال - وهو بمعرض الحديث عن تعداد أوصاف الكمال التي تليق بجناب الرسول المصطفى الذي يشكل مقدمة للقصيدة في البيت (٤) إلى الغرض الأساس منها، وهو المديح في البيت (٥)؛ حيث أقرّ بالسيادة والخيرة للممدوح حتى على الرسل الكرام عليهم السلام، وانبثاق الوجود كله من نوره، مما يدل على رفعة قدره، وعظمة شأنه عليه الصلاة والسلام؛ كل ذلك في قالب فني محكم، يحسّ من خلاله القارئ كأن الموضوع اللاحق استمرار للسابق لشدة ملاءمتهما واتحاد معناهما. استمع إليه حيث يقول في هذا التخلص:

قُلْ عَبْدُهُ وخليلُه وحبيبُه وَصَفِيُّهُ هو فَاتِحُ الأَغْلَاقِ

** **

هو سَيِّـدُ الرُّسْـلِ الكـرامِ وخَيْرُهُـمْ هو أَصْـلُ كُـلِّ الخلـقِ بالإطلاق

وبالتأمل إلى لبّ القصيدة وموضوعها الأساس وهو المديح يُلمس أن الشاعر مقلد لمن سبقه من الشعراء الصوفية؛ لاسيما البوصيري والنبهاني، في معاني مديحه، رغم كون هذا التقليد غير أعمى، لاختياره من بين أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقبه ما كان جامعا لكل أوصاف الكمال مَدَارَ مديحه له؛ وهو النور المحمدي. واتسام لبّ المدحة أيضا بعاطفة صادقة لصدوره عن الشاعر من حب خالص، وتقدير صادق للرسول الكريم. وتمكّنه فيه بحيث حدّد

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ما يليق بالرسول من أوصاف الكمال والجلال تحديدا مفصلا وِفْق التصور الإسلامي الصحيح، علما منه أن بعض مادحيه قد يَأْثِم خلال تعامله مع الموضوع بدلا من أن يُؤْجَر. وهذا قد جعل المدحة أن تكون سجلا يحتوي لا على مناقب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فحسب، وإنما على منهج عام في كيفية مديحه وفقا للتصور الديني الصحيح.

وإذا انطلق المتلقي إلى مقطع المدحة يلاحظ أنه جيد رائق لإيحائه إلى اختتامها وإشعار المتلقي باكتمالها، وعدم بقاء المزيد عند الشاعر من ألفاظ المديح ومعانيه في حق الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، لأن الصلاة عليه "بها يختم الذكر الجميل ويبدأ" –كما يفيد بذلك الشيخ عبد الرحمن الفازازي. أضف إلى كون ذلك ظاهرة فنية يقطع بها بعض شعراء نيجيريا قصائدهم. استمع إليه حيث يقول:

صَلَّى وسَلَّم ذو الجَلَالِ عليك ما ... قد حَلَّ مَطْرُ الغَيْثِ بِاسْتِخْفَاقِ
والآل والأصحاب ما قد أُنْشِدَتْ ... مدحي له قـد كـان في إِطْرَاقِ

٢- **صدق العاطفة وقوّتها:**

إذا تأمل الباحث مضامين المدحة يدرك أنها متسمة بصدق العاطفة لصدورها من الشاعر عن حب خالص، وتقدير صادق لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. وأما حين يتأملها من حيث قوة العاطفة وحرارتها فيظفر بقسط لا يستهان به منها. ومن أمثلتها قول الشاعر:

مَدْحِي له قد كان في إِطْرَاقِ ... لَا مَا أُسَطِّرُه على الأوراق
ماذا أقول بمدح من ربُّ الورى ... أثنى عليه بأعظم الأخلاق
قُلْ ما تَشَا في مدحه من بعد أَنْ ... وَصَّفْتَهُ بِعُبُوْدَةِ الْخلَّاق
قُـلْ عَبْـــدُهُ وخليلُـــه وحبيبُـه ... وصفيُّه هــو فـــاتح الأغــلاق

تحوي هذه الأبيات عاطفة الحب والإعجاب بشخصية الرسول الأمين وخُلُقها. وهو في نقل هذه المشاعر صادق أمين، لأن تعابيره جاءت وفقا لما اعتقد به في أعماق نفسه من حب خالص له، وإعجاب كبير بشخصيته. أضف إلى ما يبعثه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

النص في نفس المتلقي من الإعجاب بخُلُق الرسول ومكانته السامية عند ربه تعالى بحيث مع جلالته في منزلة الخالق أثنى على عبده النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم لحسن أخلاقه، وطيب سجاياه! ومنها أيضا قوله:

يا خير خلق الله ها أنا ضارع متوسلٌ بالحب والأشواق
لا تقطعنّي عنك يا خير الورى يا نور قلبي صفوة الخلاّق
فَاجْذِبْ عُبَيْدًا قـد أتى مُتَذَلِّلًا مُتَـوَسِّلًا يــرجوك حَلَّ وِثَــاق

تحوي هذه الأبيات عاطفة التضرع والتذلل أمام الرسول صلى الله عليه وسلم. وهو في نقل مشاعره وخلجات نفسه صادق، لأنه استطاع أن يصور نفسه وهو منغمس في المعاصي التي تعوّقه عن السلوك إلى حضرة الله والوصول إلى عرصات رسوله الكريم -في حدّ تصويره؛ في صورة دابة مقيدة وهي تحاول الانفلات من الوثاق مرات عديدة بدون توفيق حتى عجزت. وهذا التصوير قد يبعث روح الشفقة في نفس المتلقي فيحسّ كأنه يقوم للتو ليفكّ عنها الوثاق.

٣- دقة الألفاظ وإيحاؤها:

تمتاز هذه القصيدة بألفاظ عربية أصيلة ودخيلة معربة، أحسن الشيخ أبو بكر عتيق في توظيفها مما جعلها تؤدي معان دقيقة في النصوص. ومن بينها قوله:

هــو زيتُــه مِشْكــاتُه مصبـاحـه وزجـاجُه المخفي عن الأَزْمَــاق

إن الدقة متجلية في اختيار الشيخ لفظة (الأرماق) دون غيرها من الألفاظ المرادفة لها مثل: (الأحداق)، لأنها أدل على إحساسه، وأبين فيما يكمن في نفسه من المعنى. إذ أنه يريد أن يقول: إن المرء مهما أطال وأدام النظر في الذات المحمدية لا يدرك كنه سرّها. لأن لفظة (الأرماق) جمع (الرمق) تفيد "إطالة النظر وإدامته"[٣]فهي إذًا أدق تعبيرا للمعنى الذي يجول في نفس الشاعر من الألفاظ التي يستسيغ استعمالها لهذا المعنى مثل: (الأحداق)، لأن مفردها (الحدق) يفيد "سواد العين المستدير وسط العين" –كما سبق ذكره، فتكون اللفظة إذًا مستساغة الاستعمال هنا من باب تسمية الجزء ويراد به الكل، أو بعبارة أخرى المجاز المرسل الذي تكون علاقته آلية. ومنها أيضا قوله:

قـد رَدَّ عَيْنًـا من قتــادة إذ أتى يمشـي بَكِيًّــا مُظْهِــرَ الإِمْـلَاقِ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وبالتأمل إلى البيت السابق يبدو أن الدقة متجلية في لفظة (الإملاق) دون غيرها من الألفاظ المرادفة لها مثل: (الافتقار)، لأنها أدل على المعنى الذي يجول في ذهنه، وأدق تعبيرا لقصة قتادة مع الرسول صلى الله عليه وسلم. إذ أنه يريد أن يصف للمتلقي حالة قتادة حين أصيبت عينه يوم أُحُد حتى وقعت على وجنته فجاء إلى الرسول مستشفيا، وما جرى بعد ذلك من خيار الرسول له بين أن يصبر فله الجنة أو يردّ عينه ويدعو الله له...لكن الشاعر لما أدرك أن كلتا الكلمتين تفيد معنى "العَوَز والحاجة"[٣٢]رغم أن اللاحقة التي من مشتقاتها (الفقير) تفيد -بجانب ما ذكر من المعنى؛ "الذي لا يسأل"[٣٣]لقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٣٤]وأن السابقة التي من مشتقاتها (الملَق) تفيد "الخضوع والتضرع...فلما كان الفقير في أكثر الحال خاضعا متضرعا سعي مملقا ولا يكون إلا بعد غنى"[٣٥]اختار اللاحقة دون السابقة، علما منه مما قرأ في الأحاديث النبوية من قصة قتادة أنه لم يتعفف عما ابتلي به يوم أُحُد في إحدى وجنتيه فحسب، وإنما التمس من الرسول أن يردها ويدعو الله له بالجنة. ومنها قوله:

وكفى بِقُـرْص جيشَــه لما دعـا في كَفِّــهِ المــدرار بــالإنفــاقِ

يلمس حضور الدقة في اختيار الشيخ لفظة (كفى) دون غيرها من الألفاظ المرادفة لها مثل: (شبع)، لأنها أدل على إحساسه، وأشد مطابقة بحال المخاطبين في البيت. إذ أنه يريد أن يثبت المعجزة له عليه الصلاة والسلام، ويصور حال صحابته وهم ثمانون أو سبعون حين طعموا من أقراص من شعير ببركة دعائه. لكنه لما تأمل ما بين اللفظين من فروق دقيقة؛ اختار اللفظة الأولى (كفى) التي تفيد "استغنى به وقنع"[٣٦]دون الأخرى (شبع) التي تفيد "امتلأ من الطعام"[٣٧]علما منه أنه -مع تكثير الطعام القليل المذكور بدعاء الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى حدّ أن لو كان هؤلاء الصحابة أُلوفًا لكفاهم؛ إلا أنهم لم يملؤوا بطونهم منه لكون ذلك مخالفا لخُلُقهم الطيب وتعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء، وإنما طعموا منه قدر ما يكفيهم فقط، لأنهم أشد الناس اقتداء بالرسول، وكان لا يملأ بطنه بالطعام. ويؤيد ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "إنا كنا آلَ محمدٍ لَنَمْكُثُ شَهْرًا ما نَسْتَوْقِدُ نارا، إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ"[٣٨]

٤- **جودة التراكيب وحسن السَّبْك:**

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

يتسم جلّ تراكيب هذه القصيدة بالجودة لكون كثير من ألفاظها سليمة من العيوب المخِلّة بالحسن والرونق. هذا بالإضافة إلى قدرة الشاعر على تأليفها تأليفا محكما مما جعلها أن تؤدي معان مفيدة واضحة. وأما نصها؛ فقد طغى في بنائه أسلوب الخبر، وعبّر به الشاعر عن تجربته الشعرية، وما يكمن في نفسه من حب خالص، وتقدير صادق لشخصية الرسول المصطفى. وقد تنوّع في استعماله فيوظفه لإظهار الضعف والخشوع في البيت (١)، أو للمدح في الأبيات (٥-٢٥). واستخدم أسلوب الإنشاء -بجانب الخبر -في مواضع مختلفة من المدحة لأغراض بلاغية متعددة؛ ومنها الاستفهام للتقرير في البيت (٢)، والأمر للالتماس في البيتين (٤-٣)، أو للدعاء في البيتين (٢٩-٢٨)، أو للاستغاثة في البيت (٢٦).

وسمة أخرى تمتاز بها تراكيب القصيدة هي تقديم ما حقه التأخير مما يكسب المعاني دقة وتأثيرا قويا في النفس. ففي قوله: (من نوره الأكوان) في البيت (٧) تقديم المسند -مع أن حقه التأخير، وهو (الأكوان) على المسند إليه وهو (نوره)، شعورا منه باقتضاء الحال. لأنه يريد لا أن يختصّ خَلْق الأكوان بالنور المحمدي فحسب، وإنما أن يثبته له، وينفيه عن كل نور سواه مما يكسب التعبير دقة في الوضع، وإيجازا في التعبير، ووقعا في النفس. وفي قوله: (ذاك الذي قد كلّمته غزالة) في البيت (١٥) تعريفا للمسند إليه باسم الموصول وهو (ذاك الذي)، والذي يعني به الرسول المصطفى، لأن غرضه -كما يدل عليه السياق؛ تعظيم شأن الرسول وتفخيمه. فكأنه يريد أن يقول: إن عظمة شأن الرسول ورفعة قدره وجلاله قد بلغت به إلى حدّ المكالمة مع الضبّ والغزالة!﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[٣٩].

ويظهر توفيق الشاعر الأسلوبي جليا في قوله: (لا ما أسطره على الأوراق) في مطلع المدحة حيث يأتي بأسلوب القصر إتيانا غير جزاف؛ يأتي به حينما شعر باقتضاء الحال والمقام. لأنه أحسّ -فيما يبدو من السياق، أن بعضا من الناس قد قرأوا بعض قصائده فظنوا أنه في المديح النبوي، وسمع طائفة بعض أشعاره فظنت كذلك أنه فيه. وثمة شعُر بحسم هذا الأمر وتبيان ما فيه من الحقيقة من أن تلك القصائد كلها لم تكن في هذا ولا ذاك؛ وإنما مديحه للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان كامنًا في إطراقه. ومن هذا المنطلق تتجلى جمالية هذا الأسلوب لما يفيد القصر في

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

التركيب من مبالغة في منافاة امتلاك القصيدة للشاعر في المديح النبوي، وأنى له بذلك! وهذا الوضع يوحي إلى شدة تواضع الشاعر أمام الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، واحترامه الشديد لشخصيته الطاهرة.

على أن جودة تراكيب القصيدة لم تقف في استخدام الشيخ عتيق أسلوب القصر للمبالغة فحسب، وإنما في قدرته على وضع جملة الإنشاء موضع الخبر مما يجعلها أن تكون أوقع في النفس. ففي قوله: (ماذا أقول بمدح من رب الورى) في البيت (٢) استفهام، وهو في أصل الوضع من أقسام الإنشاء إلا أن معناه -كما يفهم من السياق؛ هو تثبيت الخبر وتحقيقه، أي لا أقول شيئا. وثمة كانت الجملة إنشائية لفظا وخبرية معنا. لكن الشاعر عمد إلى هذا الوضع علما منه أن التقرير بصورة الاستفهام أوقع في النفس وأدلّ على الإلزام، لأن المخاطب في هذه الحال لا يستفهم لمعرفة أَفَعَلَ الشيءَ أم لم يفعل؟ لذلك لا يراد منه الجواب، وإنما يُخبَر بأنه فعل، وأن يُنتزَع اعترافه بذلك. كما يلاحظ سمة تركيبية رائعة أخرى هي "الإيضاح بعد الإبهام" في قوله:[٤]

قُلْ ما تشاء في مدحه من بعد أَنْ وَصَّفْتَهُ بِعُبُوْدَةِ الْخلَّاق
قُـلْ عبـدُهُ وخليلُــهُ وحبيبـــهُ وصفِيُّــهُ هــو فــاتحُ الأغــلاق

حيث يعرض الشاعر معاني أبياته في صورتين مختلفتين: أولاها مبهمة مجملة، وأخراها موضحة مفصلة. إذ أنه يريد أن يفيد السامع في البيتين السابقين علما بما يليق بجناب الرسول الكريم من أوصاف فأفاده بها، لكن سرعان ما تأكد من وقع مقولاته في نفسه وما يؤدي إليه ذلك من إبهام في حقيقة ما يستحقه الرسول من أوصاف الكمال؛ فعاد للتّو يوضحها له مفصلا في قالب دلالي مؤثر، وإيقاع صوتي رائع. بينما يلمس المتلقي التلاعب بالمعاني والألفاظ فيما يسمى "الجمع مع التقسيم" في قول الشاعر:[٤١]

هـو ذو الشفاعة، والوسيلة، واللِّوا والحوض، صَاحِبُ كُلِّ مَجْـدٍ راقِ

حيث قسّم مناقب النبي وخصوصياته من شفاعة، ووسيلة، ولواء، وحوض، ثم جمعها في قوله: (كل مجد راق) بأسلوب تقسيمي رائع، وإيقاع صوتي عذب. كما يلاحظ القارئ جمالا فنيا في جمع الشاعر اللفظين المتناسبين لا بالتضاد وهما: (البدر) و(الشمس) فيما يسمى "مراعاة النظير"[٤٢]مما يجعل الكلام محكم النسيج والتأليف والترتيب في قوله:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وانشـقّ بدرٌ في السما والشمس قد رُدَّتْ لـــه إذ ذاك بـــالإشـــراق

وتتجلى جودة تركيبية في تمكّن الشاعر في وضع الجمل موصولة بأخرى أو مفصولة عنها حسب مقتضى الحال والوضع مما يضفي على معاني القصيدة دقة وجمالا. وتأمل جملتي (هو سيد الرسل الكرام وخيرهم...)، وجملة (هو أصل كل الخلق...) في البيت (٥) تدرك أنه لما أحسّ بكمال الاتصال بين الجملتين الأوليين والجملة الأخرى، وما ينطوي في الأوليين (هو سيد الرسل الكرام وخيرهم) من إبهام يؤدي -تجوزا أو غلطا -إلى توهم انحصار فضل الرسول المصطفى ومكانته في سيادة رسل الله الكرام وخَيَارتهم فقط؛ جاء بالجملة الأخرى البدلية (هو أصل كل الخلق) مفصولة عن الأوليين المذكورين، علما منه أنها أدلّ على الغرض منهما، وأوفى بالمطلوب من جانب، وللعناية بشأنها من جانب آخر، وذلك لما تحمله من التّنويه بفضل النبي الكريم ومكانته فوق الخلائق جمعاء، بأن كان نوره أصلها ومبدأها، بل ولولاه لما انبثق الوجود والكون كله. أضف إلى ما في الجملة من رمز إلى العناية بمنقبة الرسول الكريم التي دونها كل المناقب -في اعتقاد الصوفية؛ وهي النور المحمدي. والحال سواء حين أحسّ الشاعر بكمال الانقطاع[٣] بين جملتي (فَاجْذِبْ عُبَيْدًا...) و(أتى مُتَذلِّلا...) في البيت (٢٨)، وما يندرج فيهما من اختلاف بحيث كانت الجملة الأولى إنشائية والأخرى خبرية؛ فصل بينهما، علما منه باقتضاء الوضع للتباين التام الذي بينهما، وفقدان ما يوهم تصوّر خلاف المراد منهما.

أما حينما أحس الشاعر باتفاق في الخبرية لفظا ومعنا بين جملتي (كفى بِقُرْصٍ جيشَهُ) و(والماءُ سَاحَ بكفِّه) في البيت (٢١)، وكذلك بين جملتي (أسرى الإلهُ به) و(رأى من الآيات) في البيت (٢٣)؛ وصل كلًّا منهما وعطفهما بواو العطف، علما منه باقتضاء الحال والوضع لما بينهما من مناسبة تامة، وفقدان ما يقتضي الفصل بينهما. لأن المطلوب في تلك الجمل إثبات المعجزات له -عليه الصلاة والسلام. لكن مع جودة تراكيب القصيدة ووضوحها فقد يبدو ضعف لغوي في توظيف لفظ "حلّ" في قول الشاعر: (ما قد حلّ مطر الغيث) في البيت (٣٠)، لأن اللفظ المناسب بالمكان هو "نزل ". ولعل المحافظة على الوزن المستقيم هي التي اضطرت الشاعر إلى ذلك.

٥- **روعة الأخيلة وإصابتها:**

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

من الأخيلة الرائعة في القصيدة قول الشاعر:

فَـاجْـذِبْ عُبَيْـدًا قـد أتى مُتَذَلِّلًا مُتَـــوَسِّلًا يـــرجوك حَـلَّ وِثَـاق

يريد الشيخ في هذا البيت وصف ضعفه وعجزه عن الانفلات من المعاصي والذنوب رغم ما تكنّه نفسه من رغبة أكيدة، وعزم قوي في تحقيق ذلك. لكنه لما علم امتياز أسلوب الخيال على التقريري المباشر في إبراز المعنى في أوضح صورة وأشدها تأثيرا في النفس؛ عمد إلى توظيفه فتخيّل نفسه دابة مقيدة وقد عجزت من الانفلات من الوثاق مع محاولتها المتكررة. وثمة يبدو أن هذه الصورة التي رسمها الشاعر للتعبير عن حاله النفسية لأشد تأثيرا في النفس مما لو قال: أنا ضعيف وعاجز عن اجتناب المعاصي رغم رغبتي الملحة في ذلك. وذلك لصيرورة المعنى من المعقول إلى المعاين المبصر. ومنه قوله:

هـو عَيْنُ عَيْنِ الحَقِّ طَلْمَسُهُ الذي هــو غوثنـــا بمعينـــه الخَفَّـــاق

يتلخص قصد الشاعر هنا في وصف تأثير إغاثة الرسول المصطفى للعباد، وحيوية هَدْيه في إحياء القلوب الميتة بالكفر والشرك والمعاصي. غير أنه لم يعبر عن الفكرة تعبيرا باردا لا حياة فيه فحسب، وإنما أوردها في سياق خيالي رائع تصوّر فيه العباد زرعا وأعشابا يابسة، ثم تخيّل الرسول الكريم ماءً يجري تحتها فاخضرّت ونمت كأن لم تكن يابسة. ومن هنا يظهر أن هذه اللوحة البيانية التي رسمها الشاعر لأوضح بيانا للفكرة، وأقوى تأثيرا في نفس المتلقي مما لو قال: الرسول المصطفى هادٍ للعباد ومغيثٌ لهم. وذلك لما فيها من خيال خصب، وصيرورة المعقول إلى المشاهد المعاين. ومنه أيضا قوله:

وَلْتَسْقِنـي بمَعِين وُدِّكَ صفـــوه يـــا سيدي من كأسك الدَهَّـــاق

يهدف الشيخ عتيق في البيت السابق إلى وصف منفعة حب النبي صلى الله عليه وسلم وتأثيره في إحياء القلوب وهدايتها إلى حياة سعداء. لكنه لم يمل إلى إبراز الفكرة إبرازا تقريريا مباشرا، علما منه بعدم حيوية ذلك وتأثيره في ذهن القارئ فحسب، وإنما لجأ إلى عقد صورة بيانية تخيّل نفسه فيها زرعا يابسا ومحبة الرسول ماءً صافيا، ثم تخيّل الرسول عليه الصلاة والسلام راويا وهو يسقي ذلك الزرع اليابس فاخضرّ للتّو وصار خِصْبا غضّ النبات. وثمة يتجلى أن هذه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الصورة البيانية التي رسمها الشاعر لأقوى وأروع في نفس القارئ مما لو قال: محبة النبي تنفع العباد، وتسبب لهم الحياة السعداء في الدارين. وذلك لما فيها من سياق مشحون بالخيال. ومنها قوله:

بَلْ هُو مغناطيسه الجذّاب مَنْ جَذَبَ القلوبَ لحضرة الخَلَّاق

وبالنظر الدقيق إلى هذا البيت يبدو أن الشاعر يرمي فيه إلى وصف مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأهمية اتباع سننه وهديه، وتأثير ذلك في وصال العباد إلى حضرة الله. لكنه عدل عن هذا التعبير التقريري الذي لا تتجلى فيه الفكرة إلى تعبير مشحون بالخيال علما منه بفعاليته وتأثيره القوي في نفس المتلقي، وما يبعثه الروعة والإعجاب في ذهنه. ومن ثم رسم لوحة بيانية تخيّل فيها العباد أجساما حديدية وفولاذية، ثم تخيّل الرسول الكريم مغناطيسا وهو يجذبها نحوه فطفقت تنجذب إليه. ومن هنا يبدو أن هذه الصورة التي رسمها الشاعر لأروع في ذهن المتلقي وأوضح بيانا مما لو قال: الرسول المصطفى ذو مكانة رفيعة، واتباع سننه وهديه يوصل العباد إلى حضرة الله. وذلك لتسخير المعنى للخيال، وما يؤدي إليه ذلك من تلمّس الصلة القوية بين المشبه، وهو الرسول الكريم الذي أيّده الله بالمعجزات التي يقول أحد الشعراء المادحين في تصاريف صاحبها:

فَنُحَاسِي إِنْ لَطَفْتَ بِهِ صار إِبْرِيزًا مِن الذَّهَبِ[٤٤]

والمشبه به، وهو المغناطيس الذي يتسم بقوة جذب الأجسام الحديدية والفولاذية نحوه، أو حملها، أو تحريكها. ومنها قوله:

وشكى البَعِيْرُ له وسبَّحتِ الْحَصَى في كَفِّهِ المِدْرَار بالإنفاق

إن مراد الشيخ عتيق في هذا البيت هو وصف جود الرسول المصطفى وكرمه. غير أنه لما علم ما بين التعبيرين التقريري والخيالي من بون في إبراز الفكرة في أوضح وأروع وجه؛ استخدم اللاحق دون السابق، فعقد صورة بيانية شبّه فيها كفّ الرسول الشريفة -التي هي من باب إطلاق الجزء ويراد به الكل -بالمطر الغزير، لجامع الجود والكرم في كلٍّ. ومعنى ذلك أنه كما كان المطر يعم الأرض بكرمه، ويحييها بجوده، فتنبت الزروع، وتخضر الأعشاب والأشجار، وتمتلئ البحار والأنهار؛ كذا كان الرسول يعم الناس بعطائه وفضله، والعالَم برحمته. وثمة يبدو أن هذا التصوير الذي عقده

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الشاعر لأوضح بيانا، وأروع في ذهن المتلقي مما لو قال: الرسول المصطفى كريم جواد. وذلك لما فيه من تسخير المعنى للخيال، وصيرورته من المعنوي المعقول إلى المحسوس المبصر. ومنها قوله:

وهــو الصـراط المستقيـم محمــد ماحي الضـلال بنـوره البــرّاق

يتعمد الشاعر في هذا البيت إلى وصف منزلة النبي صلوات الله وسلامه عليه وأهمية ما جاء به من الرسالة والهدي المبين، وتأثيرها في إنقاذ العباد من ظلام الكفر إلى نور الإيمان. لكنه لما أحسّ بفعالية التعبير الخيالي في أداء المعنى في أوضح صورة وأشدها تأثيرا في بعث الروعة والبهجة في النفس؛ مال إلى توظيفه فشبّه الرسول المصطفى وما جاء به من الرسالة بالصراط المستقيم والنور، لجامع الإضاءة والهداية في كلٍّ، والكفر والشرك بالضلال، لجامع الغواية والهلاك في كلٍّ. ومعني ذلك أنه كما يصل كل من سار على الدرب السوي إلى الغاية، وتتجلى الآفاق سرعان ما سطع عليها نور النهار؛ كذا يصل العباد إلى رحمة الله، ويظفر باتباع رسوله، ويهتدي إلى نور الإيمان بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. وثمة يبدو أن هذه الصور أروع تعبيرا وأوضح بيانا مما لو قال: اتباع الرسول نافع، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه يدخل العباد الجنة ويبعدهم من النار، لما فيه من إفساح مجال تخيل الفكرة للخيال وتصيرها من المعنوي إلى المحسوس المبصر.

ب- الخاتمة: خلاصة البحث ونتائجه وتوصيته:

أ. خلاصة البحث:

تصدى هذا المقال لدراسة قافية الشيخ أبي بكر عتيق "مفتاح الأغلاق في مدح حبيب الخلّاق" لاكتشاف قيمتها الفنية لما في ذلك من تعمق فهم المتلقي لها شكلا ومضمونا، وتذوّق جمالها الأدبي أكثر. وتناول في التمهيد حديثا سريعا عن مكانة المديح النبوي في الأدب العربي والحفاوة التي كان ينالها عبر العصور التاريخية. ثم تعرض لحياة الشيخ عتيق فتبين أنه من مواليد أوائل القرن العشرين في أسرة صوفية متعلمة في مدينة كتشنا بجمهورية نيجيريا، وممن استوطنوا مدينة كنو وتعلم على فطاحل شيوخها حتى تبحّر وأصبح عالما كبيرا، وشيخا كاملا في الطريقة التجانية. وكان مفكرا إسلاميا جليلا في المستوى الوطني، وصاحب إنتاجات علمية وأدبية في مختلف الفنون والعلوم. وعرض

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الباحث نصوص القصيدة القافية فشرح بعض ألفاظها، ومنه إلى شرح الإطار العام لها، ثم انصرف بعده إلى دراسة متأنية لنصوص المدحة ورصد جمالها الفني شكلا ومضمونا.

ب. نتائج البحث:

من النتائج العلمية التي حققها هذا البحث ما يلي:

أ- إن قافية الشيخ أبي بكر عتيق "مفتاح الأغلاق في مدح حبيب الخلّاق" مفعمة بالقيم الفنية المختلفة بعضها متعلق بالمضمون والآخر بالشكل.

ب- وأنها من حيث بناؤها متماشية مع تقاليد الآثار الأدبية الكاملة ومنقسمة إلى ثلاثة أجزاء؛ وهي المقدمة، والتخلص إلى المدح، والخاتمة. ومن حيث الأفكار والمعاني فمتراوحة بين الشعور الديني والصوفي.

ت- وأثبت البحث أن القافية تمتاز ببعض القيم الفنية خصوصا براعة الاستهلال، وحسن التخلص والمقطع، وصدق العواطف وقوّتها، ودقة الألفاظ وإيحاؤها، وجودة التراكيب وحسن السَّبْك، وروعة الأخيلة وإصابتها وغيرها من القيم الفنية التي أشير إليها خلال الدراسة.

ث- وحقق أن الشيخ أبا بكر عتيق من فطاحل العلماء التقليديين الذين عاشوا في القرن العشرين في نيجيريا، وممن لعبوا دورا محمودا في مسار الحركة الأدبية العربية فيها.

ج. توصية البحث:

يقترح هذا البحث ما يلي:

ب- تقديم بحوث مكثفة فيما تبقّى من نتاج الشيخ أبي بكر عتيق الشعري لاكتشاف قيمه الفنية المختلفة.

ت- تقديم بحوث أخرى فيما تبقى من ظواهر لغوية وأدبية مختلفة في قافية الشيخ أبي بكر عتيق لاكتمال هذا الجهد وإبراز قيمتها وجمالها الفني بصورة أوسع.

ث- الاهتمام بدراسة نتاج علماء نيجيريا شعرا ونثرا لما فيه من إحياءٍ لتراثهم الأدبي العربي، وتشجيعٍ لهم بالمواصلة بالإنتاج الأدبي القيم، وإظهارٍ لإسهاماتهم في مستوى عالمي.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الهوامش والمراجع:

١. قدم الطالب سنوسي أحمد سُوْرَنْطِنْك هذا البحث لقسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو -نيجيريا عام ٢٠٠٥م، تكملة لمتطلبات الحصول على درجة الليسانس في اللغة العربية.

٢. نسب المعلم محمد الأمين عمر هذه القصيدة إلى بحر الرجز لكنها في بحر الكامل -كما أشير في البحث. انظر: عمر، محمد الأمين، (١٩٨٨): الشيخ أبو بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخُلَّان، مصر، مط/الزهراء للإعلام العربي، ص: ١٦٩.

٣. Paden, John N. (1972), Religion and political culture in Kano, London, University of California press, Ltd. pp. 99-١٠٠.

والمقابلة الشفهية مع الخليفة الحاج التهامي أبي بكر عتيق في بيته صباح يوم الثلاثاء ٢٠١١/١٢/٢٠م.

٤. المقابلة الشفهية مع الخليفة الحاج التهامي أبي بكر عتيق في بيته صباح يوم الثلاثاء ٢٠١١/١٢/٢٠م. وعمر، محمد الأمين: المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

٥. المرجعان السابقان، ص: ١٥-١٨.

٦. إطراقي: السكوت لحيرة أو خوف أو نحوهما. الأوراق: جمع ورق، وهو ما يكتب أو يطبع عليه من الكاغد. مجمع اللغة العربية، (٢٠٠٤)، المعجم الوسيط، ط/٤، حرفا (الطاء) و(الواو)، مادتا: (طرق) و(ورق)، مصر، مط/مكتبة الشروق الدولية، ص: ٥٥٦ و١٠٢٦.

٧. أثنى: من الثناء؛ ما تصف به الإنسانَ من مدْح أو ذم وخصّ بعضهم به المدح. الأخلاق: جمع الخَلِيْقة أي الطبيعة. ابن منظور، محمد بن مكرم، (٢٠٠٣): لسان العرب، مج/١ و٣، ط/مراجعة ومصححة، حرفا: (الثاء) و (القاف)، مادتا: (ثنى) و(خلق)، القاهرة، مط/دار الحديث، ص: ١٢٢ و١٩٧. وفي هذا البيت إشارة إلى الآية الكريمة:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. سورة: القلم، الآية: ٤.

٨. تَشَا: أصلها تشاء بالهمزة فحذفت لاستقامة الوزن. الخلّاق: من صفات الله تعالى ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغيره، ومعناها: هو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة. المرجع السابق نفسه، مج/٣، حرف: (القاف)، مادة: (خلق)، ص: ١٩٥.

٩. الأغلاق: جمع الغَلَق؛ ما يُغْلَق به الباب ويفتح، والمراد به القلوب المغلقة بظلام الكفر. المرجع السابق، مج/٦، حرف (الغين)، مادة: (غلق)، ص: ٦٥٨. وخضر، أبو بكر عتيق، (١٩٧٢): مجموع أربع كتب: الحل والإطلاق لإشارات مفتاح الأغلاق في مدح حبيب الخلاق، مصر، مط/مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص: ٢٠٢.

١٠. قبضة النور الإلهي: رمز إلى النور المحمدي. قاسم الأرزاق: إشارة إلى الحديث الشريف: "أنا أبو القاسم: الله يُعْطِي، وأنا أَقْسِم". عبد الرحمن بن الكمال السيوطي: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، باب: (حرف الألف)، ص: ٢٠٠.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[١١] . أصل الأصول: رمز إلى الحقيقة المحمدية. السبّاق: من السبق؛ القُدْمَة في الجري وفي كل شيء، والمراد به أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام. ابن منظور، المرجع السابق، مج/٤، حرف (السين)، مادة: (سبق)، ص: ٤٨٢. وخضر، أبو بكر عتيق، المرجع السابق نفسه، ص: ٢٠٤.

[١٢] . المراد بالعين الأولى: المرآة، وبالثانية: ذات الله تعالى. طلمسه: سره المكتوم. الغوث: الإعانة والنصرة. الخفاق: مِنَ الخَفَق؛ الاضطراب والتحرك. مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، حرفا: (الغين) و(الخاء)، مادتا: (غوث) و(خفق) ص: ٦٦٥ و٢٤٧. وخضر، أبو بكر عتيق، المرجع السابق، ص: ٢٠٥.

[١٣] . الأرماق: جمع الرمق، أي النظر إلى الشيء. المخفي عن الأرماق: رمز إلى الحقيقة المحمدية. المرجعان السابقان، حرف: (الراء)، مادة: (رمق)، ص: ٣٧٣ و٣٩٧.

[١٤] . مغناطيس: حجر يجذب الإبر ونحوه من خفيف الحديد لخاصة فيه. مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، حرف: (الميم)، مادة: (مَغْطَس)، ص: ٨٧٩.

[١٥] . سر التجلي: المراد به هو موضع التنازلات الرحمانية ومهبطها. سرُّ سرِّ إلهه: المراد به معدن الأسرار الربانية. خضر، أبو بكر عتيق، المرجع السابق، ص: ٢٠٨-٢٠٩.

[١٦] . الشفاعة: سؤال الخير من الغير للغير؛ شفاعة المولى عبارة عن عفوه. الوسيلة: في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء، قيل: هي هنا الشفاعة، وقيل: منزلة من منازل الجنة. البيجوري، إبراهيم بن محمد، (١٩٣٩): تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ط/الأخيرة، مصر، مط/مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص: ١١٦. وعياض بن موسى: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (تزييل): الشمني، أحمد بن محمد: مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، ج/١، قسم: (السيرة والشمائل)، المكتبة الشاملة، http://www.shamela.ws، الإصدار/٣، ص: ٥٦. اللوا: أصله اللواء بالهمزة فحذفت لاستقامة الوزن وهو مقبول.

[١٧] . الباهرات: جمع الباهر، أي الغالب. الأعراق: جمع العرق، أي أصل كل شيء. مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، حرفا: (الباء) و(العين)، مادتا: (بهر) و(عرق)، ص: ٧٣ و٥٩٦.

[١٨] . وثاق: ما يُشدُّ به كالحبل وغيره. المرجع السابق نفسه، حرف: (الواو)، مادة: (وثق)، ص: ١٠١٢.

[١٩] . المدرار: الكثير الدرّ للمذكر والمؤنث، أي السّح والصب. يقال: "سحابٌ مدرارٌ" أي كثير السَّحِّ. و"عين مدرار" أي كثيرة الدمع. المرجع السابق، حرف: (الدال)، مادة: (درّ)، ص: ٢٧٩.

[٢٠] . يُقرَأ هذا البيت: (لما دعا الأشجار نحوه...) باختلاس الواو الناشئة بعد إشباع حركة الضمير في (نحوه) لاستقامة الوزن. والاختلاس هو: إشباع الحركة للضرورة الشعرية، أي أن يُلغى حرف العلة الساكن الواقع بعد حركة. الاعناق: السرعة. التونجي، محمد، (١٩٩٩):

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

المعجم المفصل في الأدب، ط/٣، ج/١، حرف: (الهمزة)، مادة: (الاختلاس)، بيروت -لبنان، مط/دار الكتب العلمية، ص: ٤٢. ومجمع اللغة العربية: المرجع السابق، حرف: (العين)، مادة: (عنق)، ص: ٦٣١.

[٢١]. قتادة: هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري الأوسي. كان من الرماة المشهورين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت معه يوم الفتح راية بني ظفر. توفي بالمدينة وهو ابن ٦٥ سنة. الإملاق: الافتقار. الزركلي، خير الدين بن محمود (٢٠٠٢): الأعلام، ج/٥، ط/١٥، (نشر): دار العلم للملايين، ص: ١٨٩. ومجمع اللغة العربية، المرجع السابق، حرف: (الميم)، مادة: (ملق)، ص: ٨٨٥.

[٢٢]. المهراق: المنصب. مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، ج/٢، حرف: (الهاء)، مادة: (هرق)، ص: ١٠٢٣.

[٢٣]. القرص: خبز صغير مبسوط مدوّر. الفتّاق: من الفتق؛ الشق. المرجع السابق نفسه، حرفا: (القاف) و(الفاء)، مادتا: (قرص) و(فتق)، ص: ٧٢٦ و٦٧٢.

[٢٤]. السنا: الضوء الساطع. الحجب: ج/الحجاب أي الستر. استطراق: من الطرق؛ القرع. يقال: "طرق الباب" إذا قرعه. المرجع السابق، حروف: (السين) و(الحاء) و(الطاء)، مواد: (سنا) و (حجب) و (طرق)، ص: ٤٥٧ و١٥٦ و٥٥٥.

[٢٥]. الأحداق: جمع الحدقة، وهي السواد المستدير وسط العَيْن. المرجع السابق، حرف: (الحاء)، مادة: (حدق)، ص: ١٦١.

[٢٦]. الدهاق: من الدهق؛ الامتلاء. المرجع السابق، حرف: (الدال)، مادة: (دهق)، ص: ٣٠٠.

[٢٧]. الاستخفاق: من الخفق؛ الاضطراب والتحرك. المرجع السابق، حرف: (الخاء)، مادة: (خفق)، ص: ٢٤٧.

[٢٨]. سورة: القلم، الآية: ٤.

[٢٩]. سورة: النور، الآية: ٣٥.

[٣٠]. اليسوع، لويس معلوف، (١٩٨٦): المنجد في اللغة والأعلام، ط/٢٨، حرف: (الراء)، مادة: (رمق)، بيروت، مط/دار المشرق، ص: ٢٨٠.

[٣١]. الحلبي، علي بن برهان الدين، (د.ت)، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ج/٢، مط/دار المعرفة، ص: ٥٤٢.

[٣٢]. مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، ج/٢، حرفا: (الفاء) و(الميم)، مادتا: (فقر) و(ملق)، ص: ٧٣٠ و٩٢٣.

[٣٣]. العسكري، (د.ت): الفروق اللغوية، (تحق): القدسي، جسام الدين، بيروت، مط/دار الكتب العلمية، ص: ١٤٥.

[٣٤]. سورة: البقرة، الآية: ٢٧٣.

[٣٥]. العسكري، أبو هلال، المرجع السابق نفسه، ص: ١٤٦.

[٣٦]. مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، حرف: (الفاء)، مادة: (كفى)، ص: ٧٩٣.

[٣٧]. المرجع السابق نفسه: حرف: (الشين)، مادة: (شبع)، ص: ٤٧٠.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٣٨]. عياض بن موسى، المرجع السابق، ج،١، ص: ٢٠١.

[٣٩]. سورة: ص: الآية: ٥.

[٤٠]. الإيضاح بعد الإبهام: هو إيراد المعنى في صورتين مختلفتين، الأولى: مبهمة مجملة، والثانية: موضحة مفصلة. عباس، فضل حسن، (٢٠٠٩): البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني، ط/١٢، الأردن، مط/دار النفائس، ص: ٥٠٠.

[٤١]. الجمع مع التقسيم: جمع أمور متعددة تحت حكم واحد، ثم تقسيمها، أو تقسيمها ثم جمعها. المراغي، أحمد مصطفى، (١٩٨٢): علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، ط/١، بيروت، مط/دار الكتب العلمية، ص: ٣٩٦.

[٤٢]. مراعاة النظير: الجمع بين أمرين، أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد. الهاشمي، أحمد، (٢٠٠٠)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت -لبنان، مط/دار الفكر، ص: ٣١٥.

[٤٣]. كمال الانقطاع: هو أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء، أو أن تتفقا، ولكن ألا يكون بينهما جامع ولا رابط. عباس، فضل حسن، المرجع السابق: علم المعاني، ص: ٤٣٣.

[٤٤]. كبر، محمد الناصر، (د.ت): سبحات الأنوار من سحبات الأسرار، ط/٢، لَاغُوسْ -نيجيريا، (نشر): الكنتي، محمد المشهود، ص: ٥٩. النحاس: عُنْصر فِلِزّيّ قابلٌ للطرق، يوصف عادة بالأحمر لقرب لونه من الحمرة. لطفْتَ: من اللطف؛ الرفق والرأفة بالشيء، والمراد التّحويل. إبريز: ذهب خالص. يقال: "ذهبٌ إبريزٌ" أي القطعة منه. الذهب: عُنْصر فِلِزّيّ، أصفر اللون. وزنه الذَّرّيّ ٢,١٩٧، وعدده الذَّرّيّ ٧٩، وكثافته ١,٩٤. مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، حروف: (النون) و(اللام) و(الهمزة) و(الذال)، مواد: (نحس) و (لطف) و(الإبريز) و(ذهب)، ص: ٩٠٧ و٨٢٦ و٢ و٣١٣.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

النهر الطافح للبيب الرَّابح للشيخ عبد القادر التالكي عرض وتقديم

إعداد:
طاهر يحيى
و أ.د. آدم محمد جبريل
قسم الدراسات العربية جامعة ميدغري

ملخص

هذه المقالة المعنونة: "النهر الطافح للبيب الرابح" للشيخ عبد القادر التالكي عرض وتقديم" تهدف إلى دراسة شخصية التالكي وعرض كتابه المذكور ليتجلى للقارئ مضمونه ومنهجه ومصادره ومكانته العلمية، وقد نهجت المقالة منهج االوصفي التحليلي، واعتمد الباحث فيها على نسخة مخطوطة لكتاب: "النهر الطافح للبيب الرابح" كمصدر أولي، وبعض البحوث التي قدمت حول التالكي وانتاجاته مع مقابلة بعض الشخصيات التي لها صلة بالموضوع كمصادر ثانوية.

Abstract

This paper titled "*al-Nahr al-Tafih li al-Labib al-Rabih:* view and presentation" aims to introduce the book written by Sheikh Abdulqadir Bin Muhammad Bello Al-Taliki (1333-1417 A.H / 1911-1995 A.D) ho spent lived in Gashua Town of Yobe State Nigeria. Many has written on Al-Taliki's works but this book was left behind. The primary source of data is the manuscript of "Al-*Nahr Al-Tafih li Al-Labib Al-Rabih*" and interviews with related personalities. The secondary data will be obtained through the classical and modern text books in the field of Arabic linguistics and philology, the book contributed a lot in the field of Arabic philology, and serves as a major reference to Arabic scholars and students. The manuscript contains about 228 pages, and comprises 135 chapters. in it he discussed a lot of issues which include: the origin and

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

development of languages in general and Arabic in particular; the borrowing of words into Arabic and ways of identifying them, substitution in words, proverbs and so on.

المقدمة

يعد التالكي من جهابذة العلماء في شمال الشرقي نيجيريا المهتمين بالكتابة، له تأليفات كثيرة تربوا على عشرين مؤلَّفًا بعضها في مجال الأدب وبعضها في مجال النحو وبعضها في مجال التوحيد وبعضها في مجال الفقه وبعضها في مجال فقه اللغة وعلومه. وكتاب "النهر الطافح للبيب الرابح" من إنتاجاته في فقه اللغة، تهدف هذه المقالة إلى دراسة شخصية التالكي وكتابه المذكور ليظهر مساهمته في مجال فقه اللغة، وسيعالج المقالة النقاط الآتية إن شاء الله:

- شخصية التالكي (نسبه وحياته)
- حياته الثقافية.
- نشاطاته العلمية.
- إنتاجاته
- كتاب "النهر الطافح للبيب الرابح (موضوعه ومضمونه ومنهج تأليفه ومراجعه)

شخصية التالكي (نسبه وولادته)

هو أبو أحمد، عبد القادر بن محمد بلّو[١]بن عبد الله بن محمد الملقب بحماري (Hammare) بن دَابُو غُونْدُ، بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بَايَرُو، ينتمي أجداده إلى أسرة فلانية من منطقة تسمى دلول بايرو (Dallol Bayero) في أرض فُوتَ تُورُو.[٢](Futa-toro) بالصنغاي في القرن السادس عشر الميلادي، فاتجهت إلى السودان الغربي وحلت مناطق مختلفة حتى وصلت إلى منطقة حَطِيجِيَا[٣]واستوطنت هناك.[٤]وكانت والدته الحاجة خديجة بنت محمد آجي، المشهور بالورع والتقوى بين علماء عصره.[٥]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

كانت ولادة التالكي في يوم الخميس الخامس عشرة من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٢هـ، الموافق ١٩١٢م، في مدينة حَطِيجِيَا.[٦] فنشأ تحت حجر والديه الكريمين وترعرع بين يديهما، فربياه تربية حسنة. هاجر به والده من حَطِيجِيَا إلى قرية مجاورة لها تسمى تالكو[٧](Taliko)، وهو في السن الخامس من العمر، وقضى طفولته فيها فمارس الحياة الريفية البدوية التي ساعدت في تقوية عضلاته الجسمية وذكائه الفطري[٨]

حياته الثقافية.

نشأ التالكي في بيت علم، فكان أبوه حافظا للقرآن الكريم وأديبا وفقيها ومحَدِّثا، تعلم على يديه القرآن الكريم وحفظه في سن مبكرة، ثم تصدى إلى دراسة مبادئ كتب الفقه، واللغة والأدب، فقرأ عليه كتاب الأخضري، والعشماوي، والمقدمة العزية، والرسالة لأبي زيد القيرواني، وتخميس الوسائل المتقبلة –العشرينيات-، فمعلقات الشعر الجاهلي السبع، ومقامات الحريري وغير ذلك من الكتب، كما حفظ بعضا من قصائد الشيخ عثمان بن فودي وعبد الله بن فودي قبل أن يبلغ الخامسة عشر من العمر.[٩]

ثم أخذ عصا التسيار فطاف البلاد ونزل على نخبة من العلماء فتزود منهم العلوم والمعارف التي ساعدته في تكوين شخصيته العلمية إضافة إلى ما أخذه من أبيه، ومن أبرز العلماء الذين أخذ عنهم: الشيخ علي غَمَاوَا، والشيخ عبد الله غَبَارِي في أَزَرِ والشيخ محمد أَبَرِي (Abare) في حَطِيجِيَا.[١٠] والشيخ محمد سلغا في كانو، وابنه الشيخ محمود سلغا.[١١] ومنهم أيضا: الشيخ صالح معلم أبوبكر، والشيخ معلم علي، والشيخ معلم شو الملقب بمودبو، والشيخ أبوبكر يابو، والشيخ أبوبكر محمد بيكا، والشيخ إبراهيم ظافي[١٢](Tsafe)..... وغيرهم.

هذا؛ إن المتتبع لحياة التالكي العلمية يدرك أنه زار أماكن مختلفة في شمال نيجيريا لتحصيل مراده المعرفي، وبقدرة الله تعالى قد وُفِّقَ بجمع معلومات كثيرة في الفنون العربية والإسلامية المختلفة، وقد ساعده على ذلك ذكائه الفطري، إذ يقال أنه قلَّما يقرأ كتابا ولم يحفظه.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

نشاطاته العلمية:

بعد أن طاف التالكي البلاد فجمع العلوم وتمكَّن فيها؛ -وهو لم يتجاوز من العمر ست وثلاثين سنة- اتخذ مدينة غَشُوَ مسكنا له ومحلا لنشر الدعوة الإسلامية وعلومه، ففتح بها معهدا عِلميًّا وعكف على التدريس فيه ليل نهار، إلتَفَّ حوله عدد كبير من الطلبة من مختلف الأنحاء ولازموه حتى تمكنوا في العلم، فمنهم من عاد إلى قريته بعد تحصيله على العلم ومنهم من سكن غَشُوَ. ولقد اشتهر معهده بتدريس فنون العلم المختلفة، ومن بينها: علم اللغة، وعلم الفقه، وعلم الكلام، وعلم المنطق، والحديث وعلومه، والتفسير وعلومه، والأدب، وعلم النحو، وعلم الصرف، وعلم البلاغة، وعلم الحساب، وعلم الرمل، وعلم الفلك، وعلم التصوف[١٣]

ولقد تخرج من هذا المعهد عدد كبير من العلماء النابغين في العلم، ومما هو جدير بالذكر أن خريجي هذا المعهد ساروا على نهج أستاذهم، فيقومون بالدعوة والإرشاد، إضافة إلى التعليم، وقد جاهدوا في تأسيس الزوايا الصوفية والمعاهد العلمية في أقاليم غَشُوَ"[١٤]وغيرها من البلدان. ومن يبنهم: ابنه وخليفته الحاج أحمد، والحاج يوسف محمد (يوسف باشا)[١٥]، والسيد الحاج محمد غمبو المتوفى في سنة ٢٠٠٧م، والسيد الحاج إبراهيم غمبو، والسيد معلم محمد شُوَ الساكن في دماتر، والسيد معلم عمر ببربري[١٦]والسيد الحاج عمر نَدِيجِي أُمْغُوَرْ كُوكَ غَشُوَ (Unguwar kuka)، والسيد معلم بَعَادِلِي المتوفى في سنة ٢٠٠٨م. والسيد معلم هارون.... وغيرهم كثيرين. علاوة على ذلك كله؛ فقد كان للشيخ مدرستان إحداهما لتدريس القرآن وتحفيظه، وأوقات الدراسة فيها ثلاث مرات يوميا، الوقت الصباحي والوقت النهاري ثم الوقت المسائي أو الليل. كما كان له مدرسة إسلامية نظامية حديثة، تقوم بمهمة تدريس الدروس الإسلامية والعربية على النظام الحديث، وكل ذلك على نفقة الشيخ التالكي.[١٧]

إنتاجاته:

رأى التالكي من الواجب عليه أن يقوم بمحاولات أخرى يرجع إليها اللاحقون، فلذلك ألف كتبا كثيرة في العلوم المختلفة، التي نور بها المكتبة العربية النيجيرية، -مع فَقْدِ بعضها في عهد المؤلف وبعضها من بعده-، وأول مُؤَلَّف له

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

هو قصيدته المسماة بـ"تحفة الخلان" لكن للأسف الشديد ضاعت هذه القصيدة. ولقد ذكر الباحثون أن التالكي بدأ التأليف قبل الثلاثين من العمر وتوقف عنها بعد الستين.[١٨]

قسم الباحثون إنتاجات التالكي إلى علمية، وأدبية، وصوفية، ولغوية، وسيقسم الباحث هذه الانتاجات على حسب موضوعاتها، إلى: لغوية، أدبية، عقائدية وصوفية، ووعظية، وإرشادية، وفقهية، وصرفية، وعروضية. وإليك ذكر هذه الإنتاجات:

أ. **إنتاجاته اللغوية:** ومن مؤلفاته في هذا المجال: النهر الطافح للبيب الرابح، والعقد الفريد فيما يحتاجه المريد، وقصيدة بعنوان "للعسل أسماء" .

ب. **مؤلفاته الأدبية:** ومن مؤلفاته في هذا المجال: تهنئة الوراد في مدح خير العباد، وديوان التالكي في مدح الشيخ أحمد التجاني، وتخميس قصائد الغوث، وقصيدة طاب نيل المرام، وروضة الفقراء في ذكر صفات خير الأنبياء، وقصيدة عش تحت ظل مورق الأغصان، ومنظومة سما لك شوق، ونفحات الملك الغني في السياحة في أرض بماكو، وقصيدة كفاني ما ألاقي من غرام، وقصيدة إن قيل لي ما تشتكي، وقصيدة رحلة العنس، وقصيدة بدأت نظمي.

ت. **مؤلفاته الصوفية والعقائدية:** ومن بين مؤلفاته في هذا المجال: تحبير النقول في معاني أصحاب العقول، وتبيين ورد ختمنا الإمام الحسيني أحمد التجاني،[٩] وتسنيم الجنان في ورد شيخنا أحمد التجاني،[١٠] وأرجوزة في التوسل بأسماء الله الحسنى،[١١] والروح الروحانية في هذه الجثة الجثمانية،[١٢] وروضة الفقراء في ذكر صفات خير الأنبياء.[٢٣]

ث. **مؤلفاته في الوعظ والارشاد:** ومن مؤلفاته في هذا المجال: تنبيه الساهي وتذكير الناسي، وتنبيه المتغافل وتحذير المتجاهل، والعصا على رأس من طغى وعصى، وتحذير علماء السوء، والخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة، وشرح منظومة الخصال للذنوب المتقدمة والمتأخرة، وتنبيه العوام على تضييع الصيام، والكذب مغضوب، وتنبيه المريدين.[٢٤]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ج. **مؤلفاته الفقهية:** ومن مؤلفاته في هذا المجال: كتاب مسائل العدة، وإنفاذ العدة في شرح مسائل العدة، وكتاب الكبائر.

ح. **مؤلفه في الصرف: له قصيدة في علم التصريف**، هي منظومة على بحر الرجز، ألفها التالكي في عام١٣٧٠هـ الموافق ١٩٤٠م، تقع في مائة واثنين وستين ١٦٢ بيتا، ، قسمها إلى أقسام عدة، عالج فيها بعض مباحث علم الصرف، كأبنية المزيد، وأبنية المصادر، وأبنية المبالغة، وأبنية الكثرة، وغير ذلك من المباحث.

خ. **مؤلفه في العروض:** ومؤلفه في هذا المجال هو: منهل البلغاء ومركز العلماء في علم العروض. هذا الكتاب لم يعثر عليه الباحث.

وفاته:

فقد لبّى التالكي دعوة ربه سبحانه وتعالى في يوم الأربعاء التاسع من ذي الحجة سنة ١٤٢٥هـ، الموافق بالعاشر من شهر مايو سنة ١٩٩٥م، وصادف ذلك يوم عرفة، ودفن يوم عيد الأضحى بمدينة غَشُوَ، اللهم ارض عنه واكرم منزله واجعل جنة الفردوس مأواه بجاه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. آمين.

النهر الطافح للبيب الرابح: موضوعه ومضمونه

هذا الكتاب منظوم على بحر الرجز، سماه المؤلف بـ"النهر الطافح للبيب الرابح" وموضوعه هو فقه اللغة، وقد صرّح بذلك المؤلف في كلماته الإفتتاحية للكتاب حيث يقول في البيت التاسع:

وَبَعْدُ: هَذِ النَّهْرُ فِي اللُّغَاتِ ** جَمَعْتُهَا فِي كُتُبِ الثِّقَاتِ

انتهى من تأليف الكتاب في يوم الخميس الرابع من شهر الله رجب سنة ١٣٨٣هـ، ويحتوي الكتاب على ألفين وستمائة وثلاثة بيت (٢٦٠٠)، موزعة في مائة وستة وثلاثين (١٣٦) موضوعا، تختلف الموضوعات فيما بينها طولا وقصرا، فأطول الموضوع هو: ذكر الألفاظ التي لا تستعمل إلا في النفي، وفيه مائة وثلاث عشرة بيتا (١١٣)، وأقصرها

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الموضوعات ذوات البيت الواحد، وهي: ذكر ما يفرد ويثنى ولا يجمع، وذكر ما يفرد ويجمع ولا يثنى، وفعلاء جمع فعلة، وذكر ما اتفق في جمعه على فعول وفعال.

إفتتح الكتاب بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى الذي أنعم على الإنسان، فجعله ناطقا متميزا عن غيره من المخلوقات، وجعل بني آدم على قبائل ولغات مختلفة ليتعارفوا فيما بينهم، وفضل اللغة العربية على جميع لغات العالم، فجعلها لغة لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأنزل كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما صرح بذلك القرآن بنفسه:ﱡ □ □ □ □ □ □ □ نى ني □ ير □ □ ين □ □ ىٍ ؟[٢٥]وهو يقول:

حَمْدًا لِمَنْ عَلَّمَنَا الْبَيَانَا ** بِفَضْلِهِ وَأَلْهَمَ التِّبْـــيَانَا[٢٦]
وَخَلَقَ الأَلْسُنَ وَاللُّغَاتِ ** لِحِكَمٍ فِي الْقَصْدِ بَالِغَاتِ
وَوَضَعَ الأَلْفَاظَ لِلْمَعَانِي ** وَأَظْهَرَ الأَسْرَارَ فِي الْمَبَانِي

واختتمه بقوله:

أَحَدُ السِّبَاعَيْنِ كَذَا اللَّحْمَيِن ** وَاليُسْرَيْنِ وَكَذَا الوَجْهَـيْنِ
وَالهَاجَيَيِن المَوتَتَيِن هَـــذِي ** مَقَالُهُمْ رَيْعَيِن خُذْ إِنْفَـاذِي
عَامَ ثَلاَثٍ وَثَمَـانِينَ كَـمُل ** ثَلاَثَ مِائَةٍ بَعْدَ أَلْفٍ اِشْتَمَل
مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيِّ الأَعْـظَمِ ** سَيِّدِنَا مُحَـــــمَّدٍ مُكَرَّمِ
وَءَالِهِ وَصَحْبِهِ الأَطْـــهَارِ ** اَلحَامِلِينَ لُغَــةَ الأَسْرَارِ[٢٧]

والكتاب مخطوط بخط مغربي، على أوراق حمراء طولها خمس وعشرون سنتميتر مربع وعرضها اثنان وعشرون سنتميتر مربع، وتتراوح أسطر الصفحات فيما بين ثمانية وأحد عشرة سطرا، وعدد صفحاته مأتين وثمان وعشرين (٢٢٨).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

والملاحظ في عنوان الكتاب أن التالكي قلّد العلماء القدامى في تسمية كتابه بالنهر، لكونه يحفل بين طياته علوم العربية المختلفة، فيجذب عقول الناس إلى الكتاب فيحاولون التعرف على ذخائره، وممن سبقه في ذلك أبو حيان، الذي أطلق اسم تفسيره ببحر المحيط، والفيروز آبادي، الذي أطلق على معجمه اسم قاموس المحيط، والصاغاني، الذي أطلق على معجمه اسم العباب الزاخر، والصاحب بن عباد الذي أطلق على معجمه اسم المحيط في اللغة، وعبد الله بن فودي الذي أطلق على كتابه اسم البحر المحيط في النحو، وغير ذلك. ومن الفنون اللغوية التي تناولها التالكي في الكتاب:

تاريخ نشأة علم اللغة

تناول التالكي في هذا الكتاب موضوعات كثيرة تمتُّ بصلة إلى نشأة اللغة الانسانية وتطورها، فقد عرَّف اللغة لغويا واصطلاحيا، يقول في ذلك:

وَحَدُّهَا تَصَرُّفُ الأَصْوَاتِ ** لِكُلِّ مَا مِنَ الْمُعَبَّرَاتِ
تَصْرِيفُهَا مِنْ فُعلَةٍ لَغَوْتُ ** وَأَصْلُهَا كَـكُرَةٍ قَـلَوْتُ
لِذَا أَتَى فِي جَمْعِهَا لُغَاتُ ** كَذَا لُغُولَ وَكَمَا ثُبَاتُ[٢٨]

ويقول في واضع اللغة:

هَلْ هِيَ تَوْقِيفٌ وَوَحْيٌ شُهِرَا ** أَمِ اصْطِلاَحٌ وَتَوَاطُؤٌ جَرَا[٢٩]

ويقول في ذكر المتواتر والآحاد:

اَلنَّقْلُ إِمَّا أَنْ تَجِي تَوَاتُرَا ** أَوِ الأَحَادِي، فَثُبُوتُهُ تُرَا
تَوَاتُرٌ ذَي لُغَــةُ الْقُرْآنِ ** وَسُنَّةٍ فِي أَوْضَحِ الْبَيَانِ
أَوِ الْكَلاَمِ الْعَرَبِيِّ النَّاصِعِ ** فَذَاكَ قَطْعِيٌّ بِلاَ تَنَازُعِ[٣٠]

وفي فن الصرف يقول التالكي في القلب:

هَلْ إِنَّهَا لُغَاتُ أَوْ إِلْغَازُ ** أَوْ إِنَّهَا قَلْبٌ لِكَيْ يُمْــتَازَ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فَخُذْ مِثَالاً لِمَقَالِهِمْ جَبَذْ ** فِي لُغَةٍ وَقَلْبُهُ أَتَـى جذَبْ

أَطْيَبَهُ أَيْطَبَهُ مَقْلُوبُ ** رَبَضْ رّضَبْ عَنْ جَنْبِهِ مَسْحُوبُ[٣١]

ويقول في ذكر صيغ المبالغة:

فَسَاقُ، غَدُر، نحوه غَدّار ** غَدُور معطير كما مِعْطَار

وهُمَزة ولُمَـزَة مَلُـــولَة ** عَلاَّمة رَاوِيَة مَغْلُــولَة

وفي فن المعجم والدلالة:

هناك أبواب كثيرة تناولها التالكي في هذا الكتاب، تتمثل في ثروة اللغة العربية وكثرة معانيها، فيقول مثلا في ذكر جملة من الفروق الدلالية بين الألفاظ ذات المعنى الواحد:

نَاتِ بِذَا البَابِ مِنَ الفُـــرُوقِ ** مِنَ المَعَانِي لِذَوِ التَّـــوْفِيقِ

وَفِي الأَمَالِي[٢]الوِرْثُ فِي المِيرَاثِ ** وَالإِرْثُ فِي الحَسَبِ فَخُذْ أَبحَاثِ

سَدَى النَّدَى الرِّحْلَةُ الإِرتِـحَالُ ** وَالرِّحْلَةُ الـــوَجْهُ لَهُ مَجَالُ[٣٣]

يقول في ذكر ما ورد بحرفين وأصله واحد:

صُلْبٌ وَصُلْتٌ وَالْبَرَى مِنَ الثَّرَى ** وَالدَّبْرُ وَالدَّثْرُ لِمَالٍ ثَمَّرَى

أَلْبَبْتُ بِالْمَكَانِ مِنْ أَلْثَثْتُ ** وَالْكَرْثُ وَالْكَرْبُ هُمَا غَصَمْتُ

رَغَاثُ كَالرَّغَابِ فِي مَعْـنَاهُ ** وَكَنْتَـــحٌ وَكَنْثَـــحٌ تَرَاهُ[٣٤]

ويقول في الأمثال:

فالأمثال من الحكم اللغوية التي يستعملها العرب في أحاديثهم، ويتمثل حكمة الشعب وتاريخه، وهي الصورة الصادقة لحياة الشعوب والأمم، فيها خلاصة الخبرات العميقة التي تمرست بها الأمم عبر عهد بعيد من حياتها الحضارية.فقد عقد التالكي في هذا الكتاب بابا للأمثال، فيقول فيه:

يَا حَبَّذَا التُّرَابُ لَولاَ الذُّلَه ** خَرْقَاءَ وَجَدَتْ صُوفَهَا مَذَلَّه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَــخْ ** وَلاَ يَبِضُّ حــجَرُهُ فَيُرْسَخَا
اَلحُسْنُ أَحْمَرٌ لِمَــن أَرَادَه ** اَلعَيْرُ أَوقَى لِـدَمٍ مُــرَادَه

مكانة الكتاب العلمية

إن لهذا الكتاب مكانة علمية، ويظهر ذلك جليا في محاولة المؤلف من وضعه على أسلوب شعري مخالف لبقية كتب فقه اللغة القديمة في كون معظمها منثورا. ولكونه يحتوي على الذخائر اللغوية وثروتها عند العرب، فكان موسوعا للمفردات العربية، ومما زاد الكتاب قيمة علمية لدى طلاب العلم تقريبه البعيد، نظرا إلى تعسر وجود أمهات الكتب العربية والإسلامية في عهد الشاعر، وإما لعدم قدرة الطلاب من شرائها أو عدمها في الأسواق المحلية، وأخيرا إن قيمة هذا الكتاب العلمية من الجانب اللغوي لا تقل عن قيمة الكتب اللغوية القديمة والحديثة في هذا المجال.

وعلاوة على ذلك كله فقد كان الكتاب مرجعا أساسيا لطلاب العلم في هذه البلاد يظهر عبقرية المؤلف وزخيرته اللغوية والمعرفية وسعة اطلاعه على كتابات القدماء، إضافة إلى كونه علما من أعلام الأدب العربي النيجيري.

منهج التالكي في الكتاب

لقد اتبع التالكي في هذا الكتاب منهج العلماء اللغويين القدامى في تآليفهم، فافتتح الكتاب بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى، ثم الصلاة والتسليم على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ففي مقدمته ما يعرف ببراعة الاستهلال أوحسن الإفتتاح، حيث أنه أشار إلى بغيته من تأليف الكتاب وموضوعه ليأخذ بيد القارئ إلى الكتاب، اسمعه يقول:

وَخَلَقَ الأَلْسُنَ وَاللُّغَاتِ ** لِحِكَمٍ فِي الْقَصْدِ بَالِغَاتِ
وَوَضَعَ الأَلْفَاظَ لِلْمَعَانِي ** وَأَظْهَرَ الأَسْرَارَ فِي الْمَانِي
عَلَّمَ آدَمَ جَمِيعَ الأَسْمَاءِ ** إِذْ كُلُّ لَفْظٍ فَإِلَيْهِ يُنْمَا
أَظْهَرَ شَرَفَ اللُّغَةَ الْعَرَبِي ** وَفَضْلَهَا فِي حَقِّهَا الْمَرْعِيّ[٣٥]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

فقد أشار التالكي جليا في هذه الأبيات إلى أن مؤلَّفه هذا يتحدث عن علم اللغة العربية وبيان أسرارها وشرفها بين لغات العالم. ثم بعد ذلك دخل في الحديث عن الكتاب فقسمه إلى عناوين مختلفة، فبدأ بتعريف اللغة أولا، ثم واضعها، ثم أصلها، ثم الغرض من وضعها ..... وعلى ذلك رتب الموضوعات على نهج العلماء القدامى، إذ تجد أنه يتحدث عن موضوع من موضوعات اللغة وينتقل إلى موضوع آخر، ثم يعود إليه فيما بعد، فمثلا عندما يتحدث عن الصرف ذكر أبوابا مثل: باب الإبدال والتناوب من غير لثغ، فباب معرفة القلب، ثم انتقل إلى البلاغة فذكر باب ذكر المشترك، فباب معرفة الأضداد، فباب المترادف، ثم رجع بعد ذلك إلى الصرف، فذكر: باب نوع آخر من الإبدال، ثم عاد مرة ثانية إلى البلاغة، فذكر باب معرفة العام والخاص، فباب العام الذي أريد به الخصوص ..إلخ. والتالكي يعرض اختلافات العلماء في القضية ثم يرجح بعضها تارة وأخرى يتركها هكذا، فمن أمثلة ذلك قوله:

تَفَاوُتاً تَفَاوِتاً لِمَصدَرٍ ** شَذَّ وَمَع شُذُوذِهِ الفَتْحُ حَرِ

ويقول في واضع اللغة:

هَلْ هِيَ تَوْقِيفٌ وَوَحْيٌ شُهِرَا ** أَمِ اصْطِلاَحٌ وَتَوَاطُؤٌ جَرَا [٣٦]

ويقول في وضع الألفاظ بإزاء الصور:

هَلْ وَضْعُهَا حَتْمٌ إِزَاءَ الصُّوَرِ ** فِي الذِّهْنِ أَوْ مَاهِيَةِ التَّصَوُّرِ

وَمَذْهَبُ الإِمَامِ فَخْرُ الـدِّينِ ** لِأَوَّلٍ أُيِّـــــدَ بِالْيَقِينِ

وَقَالَ بِالثَّانِي أَبُــو اِسْحَاقَ ** وَاخْتِيرَ عِنْدَ الْبَعْضِ اسْتِحَاقَا [٣٧]

كما يخص بابا لإيراد الكلمات التي جاءت على صيغة واحدة، فمثلا عقد بابا في ذكر فَعالٍ المبني على الكسر، فقال:

وَقَالَ فِي تَالِيفِهِ الصَّــغَانِي** ذَوَاتُ كَسْرٍ فِي بِنَا المَبَانِي

هُنَّ ثَلاَثِينَ بُعَــيْدَ المِأَةِ ** وَزَادَ فِي جُمْهُرَةِ الْقَيْظَةِ

هَاكَ نَعَاءٍ وَشَتَاتٍ وَذَبَابِ ** مِنْهُ حَمَادٍ وَرَصَادٍ وَضَرَابِ

يذكر في الكتاب مصادره التي استعملها في كتابه، فمثلا يقول في كلماته الافتتاحية:

وَبَعْدُ؛ هَذِ النَّهْرُ فِي اللُّغَاتِ ** جَمَعْتُهَا فِي كُتُبِ الثِّقَاتِ [٣٩]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ويقول في باب ما جاء على تفعال:

وإِنْ تُرِدْ إِسْمًا فَقُلْ تِفْعَالِ ** أَوْ مَصْدَرًا مِنْهُ فَقُـلْ تَفْعَالِ
ذَكَرَهُ الضَّرِيرُ فِي الصِّحَاحِ ** مَا لأَبِي عَمْرٍو مِنَ الإِفْصَاحِ
نَقَلْتُهُ فِي مُزْهِرِ السُّـــيُوطِي ** حَافِلَةً جَاءَتْ بِلاَ تَفْـرِيطِ

كما كان يكثر ذكر الشواهد والأمثلة في كل باب عالجه، حتى يشعر القارئ كأنه يذكر جميع المفردات المتكوبة تحت النقطة المتحدثة عنها، فمثلا: في باب ذكر ما جاء من صفات النساء من غيرها؛ ذكر أربعمائة وتسعة عشر (٤١٩) مثالا، وفي باب الإتباع وما لها من اللغات؛ ذكر ثلاثمائة وخمسة وستين (٣٦٥) مثالا، وفي باب نوع آخر من الإبدال؛ ذكر مأتين وستين (٢٦٠) مثالا، وفي باب ذكر الألفاظ التي لا تستعمل إلا في النفي؛ ذكر مأتين وسبعين (٢٧٠) مثالا، وفي باب ذكر المعَرَّب؛ ذكر مائة وسبع وتسعين (١٩٧) مثالا، وفي باب جملة من الفروق؛ ذكر مائة وأربع وأربعين (١٤٤) مثالا..

وأما في ختام الكتاب فقد اتبع التالكي ما يعرف بحسن الختام أو حسن التخلص، إذ نجده اختتم بذكر سنة انتهائه من الكتابة والصلاة والتسليم على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، يقول:

عَامَ ثَلاَثٍ وَثَمَـانِينَ كَمُل ** ثَلاَثَ مِائَةٍ بَعْدَ أَلْفٍ اِشْتَمَل
مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيِّ الأَعْظَمِ ** سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ مُـــــكَرَّمِ
وَءَالِهِ وَصَحْبِهِ الأَطْـــهَارِ ** اَلحَامِلِينَ لُغَةَ الأَسْـــرَارِ[٤١]

الخاتمة

توصلت هذه المقالة إلى نتائج أهمها:

- أن التالكي من العلماء المهتمين بالكتابة في شمال الشرقي نيجيريا، عاش في منطقة غَشُوَ من أوئل القرن العشرين إلى أواخر التسعينات منه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

- له إنتاجات كثيرة منها: "النهر الطافح للبيب الرابح" نظم فيه كتاب "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" للسيوطي، واستفاد بكثير من مؤلفات فقه اللغة القديمة.
- عالج فيه قضايا لغوية كثيرة، منها: الأصوات، والصرف، والنحو والدلالة وحتى الأمثال لم يتركه جانبا.
- يبدوا أن التالكي أمينا في تأليفه إذ يسند الآراء إلى أصحابها، ويذكر في بعض الأحيان مراجعه.
- كان لكتاب "النهر الطافح للبيب الرابح أهمية كبيرة لدى طلاب اللغة العربية ودارسيها في نيجيريا، لأنه مرجع منظوم في فقه اللغة

الهوامش والمراجع:

---

[١]- وقد ذكر الباحثون أن السبب في تسمية أبيه بمحمد بلّو هو، أن جده عبد الله معاصر للشيخ عثمان بن فودي، فذهب إلى صكتو لزيارة الشيخ عثمان فوديو، ولما وصل إليها وجد أن الشيخ قد توفي قبل وصوله بأيام قليلة، فقابل خليفته أمير المؤمنين محمد بلّو، وبعدما دار الحوار بينهما تنبأ الأمير لجد التالكي قائلا: بأنه ترك زوجته حامل وستلد ابنا ذكرا يكون آخر ما تلده، فأرجو أن تسمي هذا المولود باسمي –محمد بلّو-. وبعد عودة جده من السفر أنجبت زوجته طفلا ذكرا فسمى المولود باسم محمد بلّو، وصدقت تنبآت الأمير بأن كان محمد بلو هو آخر ما ولدته هذه المرأة. محمد مي أبوبكر، **ديوان "تهنئة الوراد في مدح خير العباد" للشيخ عبد القادر التالكي، مسح عام وتقويم.** بحث تكميلي مقدم إلى كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو-كانو، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، سنة ١٩٩٣م.

[٢] - محمد الأول عيسى عبد المؤمن، "**التالكي وانتاجه الشعري**" بحث قدمه إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغري، للحصول على شهادة الليسانيس في اللغة العربية، سنة ١٩٨٧م، ص: ١٥

[٣] - هي عاصمة إحدى حكومات المحلية في ولاية جِغَاوَا، نيجيريا –حاليا.

[٤] - محمد الأول عيسى عبد المؤمن، المرجع السابق والصفحة نفسها

[٥] - الفلاتي، أحمد عثمان، **الشيخ عبد القادر التالكي: حياته وشعره.** بحث تكميلي مقدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو –كانو، للحصول على درجة الليسانيس في اللغة العربية، سنة ١٩٩٠م، ص١٩. ومحمد ثالث طنلادي، **دلالات المورفيمات الزائدة في الأفعال الثلاثية الزائدة في ديوان تهنئة الوراد في مدح خير العباد للشيخ عبد القادرالتالكي دراسة تحليلة**، بحث تكميلي مقدم إلى

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلّو، زاريا، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، ٢٠١٦م، ص١٣.

[٦] -الفلاتي،المرجع السابق، ص٢٠، وطنلادي، المرجع السابق،ص١٣

[٧] - - كانت هذه القرية تجاور حَطِيجِيَا في الجنوب الشرقي، وتقع الآن تحت حكومة جاكسكو المحلية في ولاية يوبي.

[٨] - التالكي، عبد القادر بن محمد بلو، **تبيين ورد ختمنا الإمام الحسيني أحمد التجاني**، ص١-٢، مخطوط

[٩] - محمد الأول، عيسى عبد المؤمن، المرجع السابق، ١٦

[١٠] - يوسف عبد الله يوسف، **ديوان التالكي في مدح الشيخ أحمد التجاني: تحقيق وتعليق عروضي**. بحث تكميلي مقدم إلى كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي صكتو، للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، سنة ٢٠١٤م، ص١٥

[١١] - طنلادي،محمد ثالث، المرجع السابق، ص١٥

[١٢] - هي إحدى حكومات المحلية في ولاية زمفرا، نيجيريا، كانت على طريق المرور إلى صكتو.

[١٣] - محمد مي أبوبكر، المرجع السابق، ص٢١، وماهر هارون ماهر، جماليات الصورة الشعرية في ديوان التالكي في مدح الشيخ أحمد التجاني.بحث تكميلي مقدم إلى كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغر، للحصول على درجة الدكتوراه في الدراسات العربية سنة ٢٠١٥م، ص٤٤.

[١٤] - الفلاتي، أحمد عثمان، المرجع السابق، ص٢٥.

[١٥] - جاء من قرية جاكسوكو بولاية يوبي ولازم التالكي لمدة طويلة، ثم عاد إلى بلدته فأسس معهدا هناك، وتوفي في عام ١٩٩٩م.

[١٦]- هو من قبيلة كانورية، التحق بمعهد التالكي، ولازمه مدة طويلة، ثم استوطن قرية سابون غري بولاية يوبي، وبها توفي في عام ٢٠٠٦م.

[١٧]- الفلاتي، أحمد عثمان، المرجع السابق، ص٢٦.

[١٨] - محمد مي أبوبكر، المرجع السابق، ص٣١.

[١٩] - محمد مي أبوبكر، المرجع السابق، ص٣٤

[٢٠] - محمد الأول عيسى عبد المؤمن، المرجع السابق، ص٢٧.

[٢١] - محمد مي أبوبكر، المرجع السابق، ص٣٦.

[٢٢] - المرجع السابق، ص٣٥.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

[٢٣] - المرجع الستبق والصفحة.

[٢٤] - ماهر هارون ماهر، المرجع السابق، ص٥٧.

[٢٥] - سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ – ١٩٥.

[٢٦] - التالكي، عبد القادر بن محمد بلو، **النهر الطافح للبيب الرابح**. ص١، مخطوط.

[٢٧] - المرجع نفسه، ص٢٢٨.

[٢٨] - التالكي، المرجع السابق، ص٣.

[٢٩] - المرجع نفسه، والصفحة.

[٣٠] - التالكي، المرجع السابق نفسه، ص١١.

[٣١] - المرجع السابق، ص٥٤

[٣٢] - أي كتاب: الأمالي لأبي علي القالي.

[٣٣] - التالكي، المرجع السابق، ص١٨٣.

[٣٤] - التالكي، المرجع السابق، ص٣٧.

[٣٥] - التالكي، المرجع السابق، ص٢.

[٣٦] - التالكي، المرجع السابق، ص٣.

[٣٧] - المرجع السابق، ص٥

[٣٨] - أي كتاب: **جمهرة اللغة**، لأبي بكر ابن دريد.

[٣٩] - التالكي، المرجع نفسه، ص٢.

[٤٠] - يعني كتاب: **الصحاح في اللغة** للجوهري.

[٤١] - التالكي، المرجع السابق، ص٢٢٨.

المراجع:

- القرآن الكريم

- التالكي، عبد القادر بن محمد بلّو، **النهر الطافح للبيب الراح**. مخطوط، يوجد النسخة بمكتبة الباحث.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

- إبراهيم عبد الله رفيدة، **معنى التعريب في فكرنا اللغوي القديم وضوابطه، وصور منه**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الأعداد (٨١-١٠٢)، ج٦٢.

- محمد الأول عيسى عبد المؤمن، "**التالكي وانتاجه الشعري**" بحث قدمه إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغري، للحصول على شهادة الليسانيس في اللغة العربية، سنة ١٩٨٧م.

- الفلاتي، أحمد عثمان، **الشيخ عبد القادر التالكي: حياته وشعره**. بحث تكميلي مقدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو –كانو، للحصول على درجة الليسانيس في اللغة العربية، سنة ١٩٩٠م.

- محمد مي أبوبكر، **ديوان "تهنئة الوراد في مدح خير العباد" للشيخ عبد القادر التالكي، مسح عام وتقويم**. بحث تكميلي مقدم إلى كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو-كانو، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، سنة ١٩٩٣م.

- تكر إسماعيل، **الشكوى في شعر عبد القادر التالكي**. بحث قدمه إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغري، للحصول على درجة الليسانيس في اللغة العربية، سنة١٩٩٨م.

- عثمان عبد الله غمبو، **شعر الرثاء عند الشيخ عبد القادر التالكي: دراسة تحليلية لقصيدة تعزية الإخوان"**، بحث قدمه إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغري للحصول على درجة الليسانيس في اللغة العربية، سنة ٢٠٠٨م.

- إبراهيم خليل، **الشيخ عبد القادر التالكي ومساهماته في علم اللغة، دراسة نموذجية لكتاب: النهر الطافح للبيب الرابح"** بحث قدمه إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغري، للحصول على درجة الليسانيس في اللغة العربية، سنة ٢٠٠٨م.

- أحمد عثمان الفلاتي، **الشيخ عبد القادر التالكي وانتاجاته الأدبية** بحث قدمه إلى شعبة اللغة العربية قسم الديانات والفلسفة، جامعة جوس، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، سنة ٢٠١٠م.

- محمد الثاني علي، **ديوان التالكي في مدح الشيخ الصمداني أبا العباس سيدي أحمد التجاني: دراسة تحليلية**. بحث قدمه إلى كلية الدراسات العليا، شعبة اللغة العربية، قسم الديانات والفلسفة، جامعة جوس، سنة ٢٠١٢م.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

- ماهر هارون ماهر، **جماليات الصورة الشعرية في ديوان التالكي في مدح الشيخ أحمد التجاني**.بحث تكميلي مقدم إلى كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغر، للحصول على درجة الدكتوراه في الدراسات العربية سنة ٢٠١٥م.

- يوسف عبد الله يوسف، **ديوان التالكي في مدح الشيخ أحمد التجاني: تحقيق وتعليق عروضي**. بحث تكميلي مقدم إلى كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، جامعة عثمن طن فوديو، صكتو، للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، سنة ٢٠١٤م.

- ثاني أبوبكر عبد الله، **فن المديح النبوي لدى الشيخ عبد القادربن محمد بلّو التالكي النيجيري: دراسة أدبية تحليلية لديوانه (تهنئة الوراد في مدح خير العباد)"**، بحث تكميلي قدمه إلى عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة بخت الرضا، السودان، للحصول على الدرجة الدكتوراه في اللغة العربية، سنة ٢٠١٥م.

- محمد ثالث طنلادي، **دلالات المورفيمات الزائدة في الأفعال الثلاثية الزائدة في ديوان تهنئة الوراد في مدح خير العباد للشيخ عبد القادرالتالكي دراسة تحليلة**. بحث تكميلي مقدم إلى كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلّو، زاريا، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، سنة ٢٠١٦م.

- إبراهيم أبوبكر موسى، **مظاهر الإنحراف اللغوي في ديوان التالكي (تهنئة الوراد في مدح خير العباد) دراسة أسلوبية أدبية"** بحث تكميلي قدمه إلى كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلّو زاريا، للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، سنة ٢٠١٨م.

- يُوسُفَارِي، بِلُّو مصطفى، **قواعد التصريف لعبد القادر التالكي، دراسة وتحليل**، بحث تكميلي قدمه إلى كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية جامعة بايروا، كنو، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، سنة٢٠١٨م.

المقابلات الشفهية:

- ماهر هارون ماهر، محاضر بقرية اللغة العربية، إنغالا، مقابلة أجراها الباحث معه في بيته بميدغري، ٢٠١٧\٤\٢٤م في الساعة الخامسة مساء، ويوم ٢٠١٧\٥\١٨م في الساعة الرابعة ونصف مساء.

- الحاج أحمد بن الشيخ عبد القادر التالكي، مقابلة أجراها الباحث معه في بيته، بحارة مَنْغَلْ، غَشُوَ، ٩:٠٠ صباحا، ٢٠١٨\١٠\٢٨م.

- المعلم عبد القادر، حفيد الشيخ مقابلة أجراها الباحث معه بزاويته بغَشُوَا، ١١:٢٠ صباحا، ٢٠١٨/١٠/٢٨م.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

- الشيخ طيب يُسُفَارِي، مقابلة أجراها الباحث معه بزاويته بيسفاري، ١٠:٢١ صباحا، ٢٠١٨\١٠\٣١م.

- الشيخ أمين يُنُسَارِي، مقابلة أجراها الباحث معه بزاويته بيُنُسَارِي، ١٠:٢١ صباحا، ٢٠١٨\١٠\٣٠م.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

همزية الشاعر أبجده أبوبكر أبه النوح في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم "دراسة تحليلية"

إعداد:
عبد الكافي عثمان البشير
قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية كلية محمد غوني للشريعة والقانون والدراسات الاسلامية ميدغري
ومحمد خاله جده
قسم اللغة العربية جامعة ميدغري
و إدريس محمد صالح
قسم اللغات،شعبة اللغة العربية جامعة كاشاري الفيدرالية

ملخص المقالة

هذه المقالة التي بعنوان:همزية الشاعر أبه جده ابوبكر ابه النوح في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم دراسة تحليلية،هي عبارة عن محاولة من الباحثين على تسليط الضوء عن شاعر من شعراء مدينة غمبورو انقالا المشهورين بالعلم والورع،بل ومن اشهر العلماء المعاصرين الذين ساهموا وما زالوا يساهمون في مجال انتاج الشعر العربي،وتحتوي الدراسة على تعريف المدح لغة واصطلاحا،ويقدم الباحثين ترجمة وجيزة عن حياة الشاعر، وعرض لقصيدة من قصائده في المدح وشرحها وتعليق عليها،وخاصة فيما يتعلق بالالفاظ والتعابير من حيث القوة والجزالة والسهولة واللين مما اكسبها لونا من القوة والجمال،وعند الوقوف على بعض الخصائص الفنية التي اوردها الشاعر يلاحظ أن شعره قد حظي بالخصائص الآتية:الأفكار والأسلوب وصدق العاطفة،فان هذه المميزات قد ساعدت على اظهار ما في هذه القصيدة من الجمال الفني على اجمل وجه.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ABSTRACT
This work titled “hamziyya of the poet abba jidda abubakar abba nauh in eulogy of the prophet Muhammad (S.A.W),analytical studay.the reserchers tried to shed light on a poet of gamboru ngala a famous and most popular scholars in this generation who played and one still playing a vital role in Arabic poetry, this studay defines eulogy,the reserchers also gives short biography of the poet his birth where he grew up and his work in the field of knowledge,also attached a poems in eulogy,studied and comment on it,attempts have been made to high light the acthetic and stylistic characteristics cited in work studied.So thes eulogistic works have to be excellent work that retain the artistic values of Arabic poetry.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

لقد اعتنى علماء مدينة غَمْبُورُو إنغالا بدراسة اللغة العربية وفنونها كوسيلة للتفقه في الدين وتوسيع آفاقهم العلمية والمعرفية، فالعربية فيها قديمة قدم الإسلام، ومن ثم، فإنها تزخر بتراث أدبي كبير، الأمر الذي لفت انتباه الباحثين للبحث والغوص في بحاره بغية التعريف به واستخراج لآلئه كي يطلع عليه الآخرون ويدركوا قيمته وإسهامه في توسيع رقعة الثقافة العربية ، وعليه فإن هذه إضافة أخرى ومحاولة جديدة في هذا الميدان يتقدم بها الباحثان تحت عنوان:

يعد الشاعر أبجده ابوبكر أبه النوح من فحول مدينة غَمْبُورُو إنغالا المشهورين بالعلم والورع والتقوى، بل ومن أشهر العلماء المعاصرين الذين ساهموا وما زالوا يساهمون في مجال إنتاج الشعر العربي. وإن لإنتاجاته الشعرية دورا كبيرا في نشر الثقافة العربية وتطويرها في منطقة كانم برنو عامة ومدينة غَمْبُورُو إنغالا خاصة، وذلك لأنه قرض الشعر بأغراض شتى، يخلّد به مادة أدبية قيمة ينتفع بها دارسو اللغة العربية والمهتمون بأمرها.

فهذه الدراسة تقف عند بعض إنتاجات الشاعر أبجده أبوبكر أبه النوحمركزة على همزيته المديحية، ومحللة إياها تحليلاً أدبياً. وعلى هذا تشتمل المقالة بعد المقدمة على النقاط التالية:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

التعريف بالشاعر.

تعريف المدح لغة واصطلاحا.

عرض القصيدة وشرحها.

أفكار القصيدة.

العاطفة.

الأسلوب.

الخاتمة.

التعريف بالشاعر:

مولده ونشأته:

هو الشاعر أبجده أبوبكر عبد الله الملقب أبه النوح، كان أبوه وجده ممن ذاع صيتهما في الإقراء والتجويد والبراعة في قراءة القرآن الكريم، وكانت أسرته على عمومها تتصف بالأخلاق الفاضلة وحب العلم والتدين. ولد الشاعر بمدينة غمبورو إنغالا، بحارة زاوية الشيخ الشريف عثمان البشير عام ١٩٨٤م، وهي قلعة نضال ومنارة علمية شهيرة، منذ الستينيات.[١]

نشأ الشاعر في حجر والده المقرئ الغوني أبوبكر أبه النوح، وكان ممن اشتهروا بالقراءة والإقراء في منطقة إنغالا، فاعتنى به والده منذ صغره حيث رباه تربية إسلامية دينية علمية، فقد حفظ القرآن الكريم حفظا متقنا ولم يتجاوز العشرين من عمره، واستفاد من خبرة والده وورعه وتواضعه وتقواه، فشب على الورع والأخلاق الحميدة الفاضلة، وحب القراءة والاطلاع، فكان يختلف إلى الكتاتيب وإلى حلقة والده العلمية في المساء.[٢]

حياته العلمية:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

بدأ الشاعر حياته العلمية بمسقط رأسه بمدينة غمبورو إنغالا، وتلقى تعاليمه الأولية على يد والده المقرئ الغوني أبوبكر أبه النوح، واستمر بعد قراءة القرآن الكريم في كعادة سكان البلد في تعلم الكتب العلمية السهلة فبدأ بكتاب الأخضري والعشماوي والمقدمة والعزية في الفقه، والأربعين النووية في الحديث، والتحفة والجزرية في التجويد، والياقوتة الفريدة في التصوف، ثم شرع في قراءة الكتب المطولة في شتى العلوم والفنون، وتجول في بلدان كثيرة من أجل تحقيق مأربه حيث ارتحل إلى مدينة ميدغري وأنجمينا وغيرها.[٣]

واخذ بعض العلوم على يد الشيخ الشريف عثمان البشير، والشيخ عثمان عبد الله يحيى، والشيخ عبد الكريم يحيى، والشيخ عبد الرحمن حسن أحمد وغيرهم.[٤]

أثاره العلمية:

لقد تمكن الشاعر بعون الله وتوفيقه من قرض الدواوين والقصائد الشعرية العديدة، منها:

١- ديوان تحفة الإخوان في مدح سيد الأكوان، مخطوط بمكتبة المؤلف.

٢- ديوان انشراح الصدر في مدح المصطفى البدر، مخطوط بمكتبة المؤلف.

٣- ديوان روضة الأكياس في مدح مولانا الشيخ إبراهيم إنياس، مخطوط بمكتبة المؤلف.٥

٤- قصيدة المجد التالد في مدح الشيخ الوالد.

٥- قصيدة رفع الشكوى إلى عالم السر والنجوى،في الاستغاثة والتوسل.٦

المدح لغة واصطلاحا:

كلمة مدح في اللغة : أي أثنى على الشيء بماله من الصفات ٧

والمدح عند النقاد هو : تعبير الشاعر عن الإعجاب بالممدوح وإبراز الصفات الخَيِّرَة والأخلاق النبيلة والخصال الحميدة التي يتحلَّى بها الممدوح .٨ وذكر ابن منظور في اللسان: المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء.٩

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

عرض القصيدة وشرحها:

مناسبتها: قالها الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم إظهاراً للوداد فيه والشوق إليهومطلعها:

الله نور سمائه	والنور من أسمائه
لولا وجود حبيبه	وأمين وحي سمائه
لا كانت الدنيا ولا ال	أخرى ولا من مائه
هو أصل كل الخلق بل	هو سر نقطة بائه
نور الوجود وسرهم	والكل من نعمائه
والشمس مشرقة به	والبدر ضاء بسنائه
رسل الإله جميعهم	نالوا المنى بهائه
أصل الأصول وسيد	الكل من عليائه
للخلق طراً والد	والكل من أبنائه
سر الخلائق كلهم	من محض فضل عطائه

افتتح الشاعر قصيدته هذه بذكر الله والثناء عليه، ووصفه بأنه منور سمائه، والنور من أسمائه تعالى، ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أنه خلق نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وببركته أوجد الدنيا والآخرة وأوجد جميع المخلوقات، فلولاه صلى الله عليه وسلم لما وجدت الدنيا ولا الآخرة، ولا جميع الخلق، فهو أصل كل المخلوقات لأنها مخلوقة من نوره صلى الله عليه وسلم،فالرسول صلى الله عليه وسلم هو نور الكون، وهو روح الوجود، وجميع الكائنات من بركته صلى الله عليه وسلم .

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وكذلك يذكر الشاعر ويصف أن نور الشمس مستمد من نوره صلّى الله عليه وسلم، وهكذا البدر ضاء بمدد من نوره عليه الصلاة والسلام، والرسل عليهم الصلاة والسلام ما نالوا ما نالوه من الخيرات والأسرار إلا من بركته صلى الله عليه وسلم .

ثم كرر الشاعر أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أصل كل الخلائق وهو سيدها وإمامها وجميعها نالت ما نالته من بركته صلى الله عليه وسلم، وهو والد وأب لجميع الخلائق وهم أبناؤه، وسر جميع الخلائق من خالص عطائه عليه الصلاة والسلام. ثم قال :

سعدت به السعداء في الـ ... أرضين بل وعلائه
مفتاح باب الهدا ... يـة حبذا بلقائه
إن الفضائل كلها ... محصورة في هائه
والكل يعلم أنه ... ذو رفعة لعلائه
أهل المحبة كلهم ... حازوا العلا بفنائه
توراة موسى فيه مد ... ح الحب خير ورائه
وكذاك إنجيل لعيـ ... سى فيه وصف ثنائه
الله فضله على الـ ... أخيار من أمنائه
لولاه ما خلق امرؤ ... والكون في أحشائه
الرتبة العليا له ... والكل تحت لوائه

أي: لم ينل السعداء ما نالوه من السعادة الدنيوية والأخروية في السماوات والأرضين إلا ببركته صلى الله عليه وسلم، فهو مفتاح باب الهداية والسعادة، فمرحباً ونعم ما أنعم الله به علينا من بعثته وإرساله إلينا .

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ثم استمر في مدحه ووصفه وذكر أن الفضائل والمزايا والخيرات والبركات والأسرار والنفحات كلها محصورة في ذاته صلى الله عليه وسلم ، والكل من المخلوقات يعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم صاحب قدر ومكانة سابقة عند الله سبحانه وتعالى لا يدانيه أي مخلوق في العلا والمقام، فقد جاء ذكره وثناؤه في توراة موسى عليه الصلاة والسلام، وكذلك في إنجيل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، فالله سبحانه وتعالى فضله وميزه على جميع الأخيار من عباده رسلاً وأنبياء وملائكة وأولياء وصالحين، ولولاه صلى الله عليه وسلم ما خلق الله أي أحد، وجميع الكون من حقيقته صلى الله عليه وسلم، وهو صاحب الرتبة والمقام العالي فوق الخلائق، وكلهم تحت لوائه وقيادته وسيادته عليه الصلاة والسلام .

ثم قال :

رحمان عبدك فارحمن ... بالعلم نور ضيائه
ضوء تضيء به البلا ... وكذاك مع زملائه
ما دام يمدح أحمدا ... بكمال وصف ثنائه
ثبت إلهي حجتي لولا جمالك سيدي ... هب لي كمال رضائه
نال الرسول السر في الـ ... ما نيل شربة مائه
وهب الصلاة بدونها ... معراج مع إسرائه
رب العباد بجاهه ... يمتاز أهل شقائه
هب لي مقاماً دائماً ... وكماله وحبائه
كل الكمالات انتهت ... بدوامه وبقائه
لا منتهى لعلائه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ثم دعا الشاعر مولاه سبحانه وتعالى الرحمن أن يهبه العلم والنور والهداية، ويكشف عنه الظلم والبلايا رحمة منه حتى تصير ضياء وبركات ، ودعا لأحبابه وإخوانه معه في هذا الدعاء، متوسلا بمدحه للنبي صلى الله عليه وسلم بكمال الوصف والثناء ، ثم دعا أيضاً أن يثبت الله حجته عند السؤال، وأن ينيله كمال رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويذكر الشاعر أن كل ما ناله من الخيرات حتى شربة الماء من كرمه صلى الله عليه وسلم فلولاه ما نال شيئاً دنياً وأخرى، ثم أشار إلى أنه صلى الله عليه وسلم فرضت الصلوات الخمس لأمته خلال إسرائه ومعراجه إلى الذات العلية، فيا خسارة وشقاء من ضيعهن!!

ثم استمر الشاعر في الدعاء لنفسه ودعا رب العباد أن يهبه ويعطيه مقاماً ومكانة دائمة بدوامه وبقائه تعالى بجاه نبيه صلى الله عليه وسلم وكماله وحبائه، فالنبي صلى الله عليه وسلم حاز كل الكمالات لا منتهى لسموه وعلائه عند الله فالمتوسل به لا شك سينال ما يرجوه ويتمناه من ربه تعالى ، ثم قال:

مقصور همة إشتكى ... من دائه لدوائه
شافي عبيدك فاشفه ... وقة شرور عدائه
كنز البرية سيدي ... جد لي بنور جلائه
النور نور المصطفى ... والكل من أجزائه
هادي العباد بأسرهم ... لطريق نيل رضائه
فالحمد لله الذي ... برأ الورى لبلائه
يا ذا الشفاعة فاشفعن ... فينا بيوم لقائه
هذا المقام فكلنا ... نرجو سلام قضائه
الكل يرجو أحمدا ... لا يلتفت لسوائه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

مختـــــــاره وخليلـــه وصفـــي أهـــل صفـائه

وفي هذه الأبيات يشكو الشاعر قصور همته في إقامة الدين وطاعة مولاه عز وجل، ويرجو زوال دائه بشفاء الله الذي لا يشفي من جميع الأمراض إلا هو، يلح داعيا أن يقيه المولى من شرور أعدائه .

ويتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم كنز البرية وسيد الأولين والآخرين ويرجو أن يجود له بالنور الذي يجلي عنه جميع الأمراض بما فيها قصور الهمة، فالنور كله في الحقيقة نور المصطفى عليه الصلاة والسلام، وجميع أجزاء الأنوار من نور كليته صلى الله عليه وسلم ، وهو هادي جميع العباد ومرشدهم بنوره إلى الطريق المستقيم الذي ينالون به رضوان الله تبارك وتعالى.

وبعد ذلك يستغيث الشاعر بالنبي صلى الله عليه وسلم ويطلب منه الشفاعة لأنه هو صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة ، والمقام المحمود مقامه، وكلنا في ذلك اليوم نرجو السلامة من قضاء الله، الكل يرجو شفاعة أحمد عليه الصلاة والسلام لا يلتفت إلى غيره، إذ لا يملك أي أحد أن يطلب الشفاعة من الله إلا هو في ذلك اليوم ، لأنه مختار الله وخليله وخير أصفيائه، ثم قال :

صير عبيـــدك منهـم واجعلـه أهـــل ولائـه
بارك لـــه فـــي كل مـا أعطيت مـــن آلائـه
اللـــه صـــل وسلمـن للحب مـع خلفـــائه
حـق الثنـــاء لآلـــه ولصحبـه ونســـائه

وأخيراً، اختتم الشاعر هذه القصيدة سائلا مولاه أن يجعله من أصفيائه وأهل ولايته، وأن يبارك له في كل ما أعطاه من النعم والخيرات ، ثم صلى وسلم للحبيب المصطفى مع خلفائه وآله وصحابته ونسائه أجمعين .

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

فالقصيدة اشتملت على ذكر الله والثناء على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والتوسل والاستغاثة به والختام بالصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحابته ونسائه أجمعين .

أفكار القصيدة:

الفكرة : هي العملية التي تنتج عن إعمال الفكر أو التفكير العقلي وجمعها قد يكون على أفكار أو فكر،[١٠] والفكر بالتذكير: هو النشاط المتولد من مختلف العمليات العقلية في الإنسان دون غيره من سائر الكائنات.

وعادة ما يتصل الفكر في النقد الأدبي بالمضمون أو المحتوى الذي يشتمل عليه العمل، وغالباً ما تقاس القيمة الشعورية بقيمة ما يحتويه من هذا الفكر المضموني.[١١]

والأفكار التي احتواها مضمون هذه القصيدة المختارة للدراسة - والتي تم شرحها سابقا - كلها ذات قيمة رائقة، يمكن أن ترتقي بشعر صاحبنا إلى القيم الشعورية التي تستحق التقدير والإجلال والإعجاب، حيث كانت ذات طابع إنساني وديني، لا ترمي إلا إلى الأهداف النبيلة والشريفة، وسوف يقوم الباحثين بالإشارة إلى الأفكار العامة لهذا النموذج المختار ليوضح قيمتها.

ويمكن حصر الأفكار العامة في القصيدة فيما يلي:

أ- الرسول صلى الله عليه وسلم هو حبيب الله وأمين وحي سمائه ولولاه لما كانت الدنيا ولا الأخرى وهو أصل كل الموجودات .

ب- الرسول صلى الله عليه وسلم هو ضياء ونور تستضيء به كل الموجودات .

ت- التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم فيه سر لقضاء كل الحوائج من الله سبحانه وتعالى.

ث- مدح الرسول صلى الله عليه يجلب المحبة للعبد منه صلى الله عليه وسلم .

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

العاطفة:

العاطفة هي: الحالة الوجدانية التي تتميز بالاستقرار والدوام، وبعدم العنف والثورة اللذين يميزانها عن الانفعال ويترتب على وجود هذه الحال: الميل إلى الشيء أو الانصراف عنه.[١٢] والعاطفة عنصر هام في الدراسة التحليلية للعمل الأدبي، فبها نحس من الأديب قوة شعره ومحاولته في نقل انفعالاته الهادئة إلى سامعيه، وهي قد تكون صادقة مقبولة، وذلك إن طابقت مشاعر الأديب لما هو عليه من عقيدة وذوق وتجربة، وإلا فزعم باطل مرفوض في الدائرة الأدبية .

فالصدق المتطلب هو مطابقة القول لعقيدة الأديب وذوقه فقط، وألا تكون العاطفة كما تسمى بالعاطفة المسرفة.

وبالنظر إلى القصيدة نجدها قد امتازت بصدق العاطفة وحرارة الشعور والإحساس، فهي ليست إلا تعبيراً صادقاً عن ما يختلج في قلبه من المشاعر والأحاسيس نحو الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه ، آملاً فيه الخير والبركة، ولم يقم بهذه الأمداح ليقال أنه شاعر، أو لقصد التكسب وهكذا، بل بصدق الشعور والعاطفة وحسن الطوية وذلك حيث قال:

أصل الأصول وسيد الكل من عليائه	
للخلق طراً والد والكل من أبنائه	
سر الخلائق كلهم من محض فضل عطائه	
سعدت به السعداء في الـ أرضين بل وعلائه	
مفتاح باب الهدا ية حبذا بلقائه	
إن الفضائل كلها محصورة في هائه	

فمن أمعن النظر في معاني هذه الأبيات يدرك أن الشاعر قد انغمس في بحر الحب الحقيقي لذات الرسول الشريفة مما جعله يصفه بهذه الأوصاف الجليلة من أنه أصل الأصول وسيد للكل، وهو والد لجميع الخلق، والجميع من

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أبنائه، والفضائل كلها محصورة في حقيقته، هذه المعاني لا يتفطن إليها إلا ذوو المشرب الخاص في محبة النبي صلى الله عليه وسلم، والذين غمرت محبته صلى الله عليه وسلم قلوبهم حتى صارت لهم معانٍ ومصطلحات خاصة في وصفه صلى الله عليه وسلم .

فهذه الأبيات تظهر فيها حرارة العاطفة وصدقها عند الشاعر الذي أظهر فيها أنه وصلت به المحبة إلى حد الفناء في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وصاحب الذوق السليم يدرك ما لهذه المعاني من قيمة وجمال وتأثير في النفس.

الأسلوب:

من معاني الأسلوب في اللغة: الطريق.[١٣] وفي الاصطلاح هو : الطريقة التى يعبر بها الأديب (الشاعر) – (الناثر) عما يدور في نفسه من أفكار ومشاعر.[١٤]

فالأسلوب الذي ابتعه الشاعر أبجده أبوبكر أبه النوح في قصيدته أسلوب سهل، لم يكن عن تكلف في عواطفه وأفكاره وألفاظه.

فألفاظه ومعانيه جذابة لشرف موضوعه وصدقه في انفعالاته، ويرى الباحثين أنه تأثر إلى حد كبير بأسلوب المتقدمين من الشعراء في الجاهلية، وبأساليب كبار شعراء الإسلام ورجال التصوف بحسه المرهف الذي استطاع أن يجمع شتات العلوم والمعارف.وذلك حيث يقول:

مقصور همة إشتكى من دائه لدوائه
شافي عبيدك فاشفه وقه شرور عدائه
كنز البرية سيدي جد لي بنور جلالة

ويتميز الشاعر بالوصف الدقيق لمراتب ومكانات الشخصية التي يمدحها دون التعرض لوصف أشكاله إلا نادراً وذلك حيث قال:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الرتبة العليا لـــــه والكل تحت لوائه
رحمان عبدك فارحمن بالعلم نور ضيائــه
ضوء تضيء به البلا وكذاك مع زملائه
ما دام يمدح أحمدا بكمال وصف ثنائه
لولا جمالك سيدي ما نيل شربة مائه

أما عاطفته تجاه ممدوحه فإنها تمتاز بحقيقة صدق العاصفة وحرارة الشعور، ووحدة الإحساس ويتجلى ذلك في قوله:

سعدت به السعداء في ال أرضين بل وعلائه
مفتاح باب الهـــــدا ية حبذا بلقائه
إن الفضائل كلـــها محصورة في هائه
والكل يعلم أنـــــه ذو رفعة لعلائه

وأما جانب الخيال فالصدق الفني فيها قوي، وذلك يمثل عمق الشاعر وتفكيره ويلمس ذلك في قوله:

رحمان عبدك فارحمن بالعلم نور ضيائه
ضوء تضئ به البلا وكذاك مع زملائه
لولا جمالك سيدي ما نيل شربة مائه

والمتتبع للقصيدة يدرك أن نهايتها جاءت سعيدة طيبة فيها ثناء الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه دلالة واضحة على تأثيره الديني حيث يقول:

الله صل وسلمن للحب مع خلفائه
حق الثناء لآله ولصحبه ونسائه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

وهكذا يتضح للقارئ من خلال هذه الشواهد التي أوردها الباحثين أن الشاعر يعبر عن معانيه بألفاظ عربية عريقة يستخدمها في الأماكن الملائمة ويضع كل شيء في محله وذلك يدل على قدرته الشعرية ورسوخ قدمه في هذا المجال.

وخلاصة القول: إن أسلوب الشاعر أسلوب سهل ممتع وجذاب يتسم بشرف الألفاظ والمعاني، ويتماشى مع طبيعة سكان بيئته.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه وصل الباحثين إلى نهاية هذه الدراسة،ولعل ما اوردوه من الصفحات السابقة كفيلة بنفض الغبار إسهامات عالم من علماء غمبورو انقالا في تطور الأدب العربي عالى وجه العموم،وفن المدح على وجه الخصوص،وذلك من خلال التتبع لقصيدته في المدح النبوي،فإن اول ما تناوله الباحثين بعد المقدمة، ترجمة حياة الشاعر، ثم تعريف المدح لغة واصطلاحا، كما تطرقا الى شرح القصيدة وقاما بعرض أفكار القصيدة، وهي صور للخصال المحمودة والأخلاق النبيلة التي يتصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم من كرم وجود وغيرها. وبالنظر إلى عاطفة الشاعر فنجدها قد امتازت بصدق العاطفة وحرارة الشعور والإحساس، فهي ليست إلا تعبيراً صادقاً عما يختلج في قلبه من المشاعر والأحاسيس نحو الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه وسلم، آملاً فيه الخير والبركة، ويلاحظ أن أسلوب القصيدة سهل. ولم يصدر الشاعر عن تكلف في عواطفه وأفكاره وألفاظه. فألفاظه ومعانيه جذابة لشرف موضوعاته وصدقه في انفعالاته..

الهوامش والمراجع:

١-عبد الكافي عثمان البشير،**الكوكب المنير في تاريخ نشأة زاوية الشيخ محمد البشير**، مخطوط، ص؟؟؟.

٢- عبد الكافي عثمان البشي، المرجع السابق، ص:٥٣

٣-أبوبكر محمد عثمان (الدكتور)، **نخبة من العلماء العرب في غمبورو إنغالا وآثارهم العلمية ما بين ١٩٦٠-١٩٩١م**، (د.ت) ، ص:٦٧.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

٤-جده حسن محمد، **الشعر الصوفي لشعراء مدينة غمبورو انغالا**، بحث تكميلي مقدم لقسم الدين والفلسفة بجامعة جوس، للحصول على درجة الماجستير في الدراسات العربية،٢٠١٧م، ص: ٣٩.

٥-الحاج أبوبك إمام (القاضي)، **مذكرة نور الهدى في نشأة الزاوية**، (مخطوط)، ص؟؟؟

٦- موسى كليم القالي،علماء غمبورو وإنتاجاتهم الادبية،بحث تكميلي مقدم لنيل شهادة الليساني لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية،جامعة ميدغري،١٩٩٢م. ص: ٧٧

٧- سعيد حسين عمر مقبول وعبد المجيد محمد زكي، **الأدب والنصوص والبلاغة**للمرحلة الثانية، ج/١ ك/ ٣، ٢٠٠١، ص: ٥٥

٨- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، طبعة؟؟؟ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٣، مادة مدح ص: ٢٧

٩- الشريف، محمد مهدي، **معجم مصطلحات علم الشعر العربي**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص :١٢١ .

١٠- المرجع السابق نفسه، ص : ١٢٢ .

١١- مجدي وهبة، وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، الطبعة الثانية ، مكتبة لبان، بيروت، ١٩٨٤م ، ص : ٢٤٢ .

١٢- الفيروزأبادي، مرجع سابق مادة سلب، ص: ٤٦٦

١٣- عبد الغني، أيمن أمين، **الكافي في البلاغة** ، دط ، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠١١م ص: ٤١٤

١٤-ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ط/٥، دار الجيل ببيروت، ١٩٨١م، ص: ١٤٥.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

أحمد أويلينجي وإعماله حروف المعاني الثّنائية في قصيدته "المدح": دراسة نحوية بلاغية

إعداد:

بولاجوكو عبد الوهاب أفولبي [١]

ملخص البحث

تعدّ كثرة حروف المعاني من مميّزات اللّغة العربية ومزاياها بين بقية اللّغات لتناوب معانيها الّتي قد لا يتسنّى فهمها للدارسين بسهولة إلاّ بعد تفكير عميق طبقًا لمقتضى السياق النصي. فهذا كلّه دليل على أصالة العربيّة وصحّتها. هذه الحروف بكل أنواعها: الأحادية، والثنائية، والثلاثية، والرباعية، والخماسية، كثيرة الفوائد والأهمية في الجملة العربية. ولأنّ اللّغة العربية تعتمد صحّة معاني جملها كثيرًا على حروف المعاني لما تسهم فيها من الأدوار الإيجابية والتي تحكم عليها بالصحّة أو غيرها، يدرس هذا البحث إعمال الثنائية من هذه الحروف دراسة نحوية بالالتفات إلى أسرارها البلاغية في قصيدة "المدح" للشيخ أحمد أويلينجي.

ABSTRACT

One of the characteristics that distinguishes Arabic from the other World Languages is it's numerous prepositions and diversity of their Meanings and contextual usage according to the nature of the passage so, it therefore adds to its beauty and confirms it's originality & authenticity because of being a crucial part of sentence construction. The Arabic prepositions are of many utilities and forms as they can be grouped into

[١] 07056479846 bolwatej4real2014@gmail.com

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

singular, dual, triple, quadruplet and so on. But due to the fact that Arabic Majorly depends on the meanings of those prepositions as they play a very great positive role in authenticating the originality of the text by their diversed meanings which might not be easily accessed until after a thorough or technical study. This paper therefore, studies the Syntactical & Rhetorical usage of the dual prepositions in Qasīdah (Poem) of Ahmad Awelenge titled “Al-Madh” (Eulogy) in order to access the originality of the work and scholarship of the author.

مقدمة

من الخصائص التي تميّزت بها اللغة العربية عن غيرها من لغات العالم كثرة حروفها وتعدّد معانيها وتوجيهها لمعاني النصوص والكلام، فكان تعدّد معاني الحروف من أسرارها وجمالها، لكونها عضوًا مهمًّا في تكوين الجمل والكلام. ففي اللغة العربية أحيانا يوجد حرف واحد تتغيّر معانيه طبقًا لما يراد به من معنى في الكلام، فقد تصل معاني حرف واحد إلى العشرات كما كانت الحال في الحروف: "اللام"، و"من" و"الباء" وغيرها من حروف المعاني، وتارة يتضمّن بعض هذه الحروف معنى حرف آخر.

هذا، يمكن تصنيفها إلى الأحادية، والثنائية، والثلاثية، والرّباعيّة، والخماسية. ولما كانت مقاصد التراث العربي على اختلاف أنواعه مبنيًّا معظمه على معاني حروفه لكون هذه الحروف تمثّل جانبا مهمًّا من جوانب اللغة العربية، لما لها من دقة المعاني، وغزارة الاستعمالات المتنوّعة، وقد لا يتسنى للدارس أو متذوق العربية التنبّه لها بسهولة إلا بعد كدّ وجهد كبير لمعرفة معنى حرف أو إدراك حكم له في سياق الكلام، يرى الباحث النظر فيه والبحث عن حقيقة إعمالها في قصيدة الشيخ أحمد الشيخ أويلينجي.

نبذة عن حياة الشّاعر

اسمه:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

هو أحمد التيجاني أويلينجى المختلف في تاريخ ولادته عند المؤرخين، فمنهم من يرى أنه ولد سنة ١٨٩١م[١]، ومنهم كذلك من قال إنّ ولادته كانت في سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٧م[٢] في مدينة شاكي الواقعة تحت منطقة أوكي أوغن بولاية أويو في جنوب نيجيريا الغربي لأبوين كريمين هما محمد مصطفى وحواء أوجوأولابي (Ojuolape)، وإن كان جده حبيب حلاّ بأسرة ساروميّ في مدينة إلورن، ثمّ هاجر إلى مدينة شاكي واستطونها بعد أن طال الاغتراب وعفت ملامح الانتساب بأسرة ساروميّ في مدينة إلورن.

نشأته:

ترعرع الشيخ أحمد أويلينجى تحت كنف أبيه مصطفى الذي كان طبّالا، فتعلّم منه ابنه ضرب الطّبل في شيبوبته إضافة إلى مهارته خبرته كما تعلّم علم الزّراعة التي تعلمها عند جده (أبي أمّه). ويذكر أن جده هذا غير مسلم غنيّ، وكان تحت رعايته العديد من العبيد الّذين يساعدونه في عمليّته الزّراعيّة، فعلّم حفيده أحمد الزّراعة لتدريبه على روح الجدّ في كسب الأموال والأرزاق، ورغبة في وراثته بممتلكاته.

مشايخه:

اتّسم بالأخلاق الحميدة مما اكتسبه من أمه حواء منذ أن كان رضيعًا، ثم من جدّه من جهة الأم وإن كان هو غير إسلامي الدّين إلا أنه إسلامي الأخلاق والمروءة كعادة الأفارقة في تربية الأطفال الصّغار تحت كنف الكبار، ذلك لأنهم (الأفارقة) كانوا يحترمون ويبجّلون ذوي المروءة والأخلاق الحميدة كالعلماء والمشايخ في المجتمع[٣] ممزوجة بالجميع، أسهمت صورة التّربية، إظهاره، دعمت تقوية مهاراته والمواظبة.

أما من حيث التّنشئة، فيبدو أن الشيخ محبّ للعلم وأهله، وإن كان قد نشأ تحت رعاية الإنسان غير إسلامي العقيدة والفكرة، فما منعه ذلك من الدّراسة القرآنيّة بمشيئته.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

بدأ الشيخ أويلينيجي قراءة القرآن الكريم في العاشرة من عمره عند ألفا (Alfa) موسى بحارة إسالي أونكيكي (Isale Onikeke)[٤] بمدينة شاكي قرب بيت جدّه الذي كان يسكن معه، ومع أنّ أستاذه موسى صديق لجدّه إلاّ أنّ أحمد كان يتوارى عن مراه عند الذّهاب إلى الأستاذ ذلك، لأن الجدّ لا يرضى بتعلّمه القرآن والدّراسات الإسلاميّة للمخالفة بينها وبين عقيدته اللإسلامية، وإن كان قد تعجب من ذلك بعد ومع ذلك تمكّن من إنهاء قراءة القرآن الكريم خلال سنتين وزيادة، وإن كان فيه النّظر، لأنّ التّعلّم والتّعليم في ذلك العصر ضئيل في المنطقة الت نشأ فيها الشّيخ بالمقارنة إلى يومنا هذا.

ألحق القدر أحمد أويلينجي بالعلامة الإمام محمد الأول أولايوولا أولوري (Imam Olayiwola Olore) بمدينة إسيين الّذي كان صديقًا لأستاذه الأول موسى (الإمام السّادس لجامع مدينة شاكي)[٥]. تشوق أويلينجي بالإلتحاق بالإمام محمد الأول بواسطة نجابة حبيبه جمعة أكيبي (Akepe) الّذي كان يتعلّم عند الإمام الأول المتوفى سنة ١٩٤٢م فأخبر الأستاذَ موسى (أستاذه الأوّل) بتقدم في دراساته العربيّة والإسلاميّة عنده، فلمّا رأى الأستاذ موسى نشاطه ورغبته الشّديدة في العلم، استأذن جدّه في إطلاق سراحه لطلب العلم عند الشيخ محمد الأول أولاييولا بمدينة إسيين فرضي بذلك قسرًا، وهو ابن ١٣-١٥ من العمر.

مكث أحمد عند أستاذه العلامة أوولايوولا بإسيين عشر سنوات، فدرس كثيرا من العلوم العربية والإسلاميّة من تفسير القرآن، والفقه، والحديث، وعلم أصول الحديث، والصّرف، والنّحو، وما إلى ذلك[٦]. ويحكى أنه كان طالبًا نجيبًا تعجب الأستاذ نجابته وتفوّقه على زملائه، فعيّنه الأستاذ أستاذًا مساعدًا بين زملائه المتعلّمين.

كانت بين أويلينيجي وبين صديقة جمعة أكيبي (Akepe)، والحاج بشرى أولاغنبي (Olagunju)، زمالة علميّة، وإن كانا من ساداته عند الشيخ، إلاّ أنّه تفوّق عليهم فيما بعد بتعيينه أستاذًا مساعدًا بين بقيّة الزملاء. أما عند أستاذه موسى بحارة إسالي أونكيكي بمدينة شاكي. فلم تذكر المراجع أنه كانت بينه وبين بعض زمالة علمية كما يبدو الباحث.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ويذكر أن له عدّة أعمال علمية إلا أن الباحث لم يحصل على أكثر من كتاب واحدٍ، وهو كتاب: "**نفائس القلوب في مآثر المحبوب**" بخطّ تلميذه: أبوبكر أبارغدوما سنة ١٤٠٢هـ، والذي أخذت منه هذه القصيدة.

أما من الناحية الاجتماعية فالشيخ متزوج وأب له أولاد. وتوفي رحمه الله في لاغوس يوم السّبت لعشر خلون من ذي الحجة بعد العيد الأضحى سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م،[٧].

نصّ القصيدة:

أمن تعجب مـا دارت التـــــوابع ** وقفت من خير في الناس الجواميـع
دع ذا فسل الهموم عنك ايتهـــــا ** صـــدرا وروحا فتعهـــا القنائيـع
عجبـــا لهذا الأمير فـــــي عطيته ** إنّ عطيـــاته قدمًـــا طبـــائيـع
ابن الأمير أمير المـــــؤمنين كذا ** أجداده الأمـــــراء هم أجـــاميـع
أكرمتنـي يـــــا أمير المؤمنين ندا ** يؤتيك ربك مـــا فيه القنـــائيـع
يقمّصنك كمـــــا قمّصتنـي حلّة ** من الجنّات ومـا فيه الرّصـــائيـع
لا غرو أن يشبه الشبل بـــاللّيث على** حـــــال به طرق اللّيث يلاميـــــع
شبّهت باوّا شعيب التو فـــي خلق ** وخلق وندى يصفـــي المصـــانيـع
ولا رأى مثله الراؤوف فـــي الكـرم ** ولا روى عنه الرّاؤول المطـــاليـع
وراثه المجـد من أصل لأصل لـــه ** والدّولة وألغني كـــلّ أواســـيـــع
وأنت بحـــر زخرًا أمواجه خضمًـا ** وليس يلغـى لك المثل المـــراديـع
كلّ الأمير لسواك أنت بحـــر النّدى ** هم مخـــاضيح ثغاب جراشـيـــع
سوى النّبـــيّ الذي ليس له مـثل ** من الأنـــــــام عطايـــاه متابيع
والسّادة الرّحمـــاء من أصـــاحبه ** شيب وشبّـــــــال ثبّات مرافـيـع

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

والأولياء الكرام العبّـــاد الزّهـــد ** بلاغ الغـــايات هـــم فضل رفائيع
وأنت السّحوب السّماح من الهبّـــة ** والنّـــــاس كـــلّ داخيل بقائيع
فكنت أشكر مـــن شكر الورى كلّهم ** إن شكروا التّـــائلين هم مقـانيع
شكري بما في السّمـــاوات العلى كلهم** والأرض لك بمـا فيك منـــافـــيع
جزاك الله جزاء وافيًـــــا كافيًـــا ** سـبق نـــداك وءاتيه مواقـــيـــع
وليس قحطل يكفيني بالشكر الّـــذي** أكرمتنـــــي وغواديهـــا الدّوافيع
ورامسـات الرياح في مواطنهـــــا ** من الفلا والعترى فيها المشـــافيع
ومـــا ضياء النهار تكشف ظلمًـــــا ** وما دجى الليل ما فيها المقـــاسيع
وكـــلّ مكفهر سحـــاب مـــاطرة ** وكلّ يخموم سموم متـــــابيـــع
سمحًا فداء لك الأقوام كلّـــــهم ** وكلّ أموالهم نـــالت الأصابـــيـــع
لو كان حمدا وشكر يخلـــدان الورى** ليخلدانـــك منّـــــي واليوافـيـع
فـــلا تلاقيك بوسى وبكى وغـــــزى ** هنا سوى وهنـا ذاك مطـــالـيـع
فـــلا تزال بنعمى وغنّى وكفـــــــى ** عليا وحسنى كـذا نهى كوانـيـــع
لا يتركنك إلى أيد العدا أبـــــــدا ** الله ربّك لا يبدو المخـــــاديـع
ولا إلـى من الذين لا أمـــــانتهم ** مأمونة والـذين هم مقـــاميـــع
ولا إلـى من الّـــــذين لا تقى لهم ** ولا إلـى من بأيديهم جواميـــــع
ولا إلـى الحـارضين لا قنـــاع لـهم ** ولا إلـى من بأشرار مسامـــيـــع
ولا إلـى من شكوك فـــي قلوبـهم ** وفـي نفوسهم ضرا مطـــاليـــع
ينجيـك ربك من شر الأنـــام ومن ** كيد الحســـاد الّـذين هم مراويع
إنسا وجنا وشيطانًـــــا وحزبـهم ** من الدواب فتبعد السّـــوافـيـع
من شـــرّ دهر ومن شرّ الدّرامـجة ** كذا السيائر مـا ثارت النواقيـــع

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ثـــمّ الصّـــلاة والتّسليم مـوبدة ** على النبي الّـــذي منه الشّـرائيـع
والآل والصّحب والأزواج والأمـــة ** مـــن بعد أولاده كـــل مجـاميـع

المضمون الإجمالي للنص:

موضوع القصيدة هو "المدح". إلا أنّ الشاعر افتتح القصيدة في البيتين الأولين بما يشبه مميزات الشّعر الجاهلي من البدء بذكر الأطلال والاعتزاز بالنّفس، ثمّ دخل في مدح أمير المؤمنين وذكر فضائله الفذّة الّتي جعلته نادر الأمثال فلذلك شبّهه بالشبل في المخبر مثل الأسد. فقد مدحه طويلا ودعا له بالحفظ والمغفرة والنّجاة من شرور الأعداء حتى أنهى القصيدة بالصّلاة على النبي وأصحابه، وأولاده، وأزواجه عادة. تقليدًا لشعراء العصر العباسي حين كثرت المدائح النبوية الشعرية فكانت القصائد تبدأ وتختم بالصلاة على النبي والاستشفاع به، والتوسل بجاهه نتيجة للظروف العصيبة التي كان يعيشها المسلمون آنذاك وخاصة بعد تّفرّق مر الخلافة العباسية وسقوط بغداد في أيدي التتار، إذ أحس المسلمون بالحظ، فصرفهم هذا عن العمل والجهاد إلى الاستغراق الصوفي والتأملات الرّوحية، والإسراف في الدّعاء دون عمل وحركة تخلصهم.

دراسة إعمال حروف المعاني الثنائية في القصيدة:

فالكلمات التي تحتها خطّ في النّصّ السّابق عبارة عن حروف معان ثنائيّة وهي: مِنْ، و"في"، و"عنْ"، و"يا"، و"إنْ" الشرطية، و"ما" النافية، و"لوْ"، و"لا"، و"أنّ" النّاصبة للمضارع. وقد وردت هذه الحروف لأكثر من معنى، وهذه المعاني تبرز عبر دراسة تلك الحروف واحداً تلو آخر.

١- **الحرف "مِنْ"**

فبالنظر إلى المواضع التي وقعت فيها "مِنْ" الجارة يلاحظ أنّها جاءت لخمسة معان هي:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

١. **التّبعيض**: وهو المعنى "الذي تقدّر فيه "مِنْ" شيئا ببعض من نوعيته الكلية، مثل قولك: "أكلت من الطعام" وقرأت من القرآن، "فهذا الذي يفرّق "منْ" هذه من التي تفيد بيان الجنس[٨]" كما سيأتي من معانيها. فبإمعان النظر في أقوال الكاتب في النص مثل: **"سوى النبي الذي ليس له مثيل مِن الأنام"**...إلخ، وقوله: **"أمِن تعجب ما دار السّوابيع"**، يفهم معنى التبعيض بـ"منْ". ففي الجملة بعض الكاتب النبي الذي لا مثيل له من الأنام، إذ كان هذا النّبي بعضًا من الأنام، إلاّ أنّه جعله بعضًا وجزء مستقلا منهم لما كان له من المزايا النّبويّة والبشريّة الشّريفة، وكذلك الحال في الجملة الثّانية حيث جعل الكاتب ما دار السّوابيع من أنواع التّعجب أي منه، فلذلك حلّت "منْ" محلّ التّبعيض.

٢. ويفهم من معانيها في النّصّ معنى **الاستعلاء** وهي التي يفهم منها معنى "على"[٩] نحو قوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ ...﴾ [الأنبياء:٧٧]، أي على القوم. وقد جاء هذا المعنى في موضع من النّصّ هي حيث يقول الكاتب: "وقفت من خير في الناس" أي عليه، ذلك لأن "وقف" فعل لازم لا يتعدّى إلا بحرف جرّ "على"، ولو تعدّى بحرف آخر فإنّما هو رؤية معنوية في صورة لفظية مثل "في"، و"منْ"، ولأنّ معنى الوقوع على شيء...وهي المعنى الذي يناسب السّياق لما تعجب به من رؤية خير الناس.

٣. وتأتي بعد هذا، لـ**"بيان الجنس"** الّذي يشبه إلى حدّ كبير "مِنْ" التبعيضية لولا أنها تقدّر بتخصيص الشيء دون غيره[١٠] كأن تقول مثلاً: قبضت رطلا من قمح، واشتريت خاتمًا من حديد. فبالنّظر في هذه النّصوص: **"والسادة الرّحماء كلّ من صحبه"**، وقوله: **"ورواميات الرياح في مواطنها من الفلا والقرى"**، ولتحقيق هذا بيّن الكاتب نوع السّادة الرّحماء الذين استثناهم والنبي من الضحاضيح والسّذجاء في الإمارة والسّيادة، فقال: "من صحبه" بياناً لجنس هؤلاء السّادة الرّحماء الكرماء، وهذا بيان جنس يناسبهم، قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ [الفتح:٢٩]. وكذا تكون "مِنْ" بيانًا للجنس في الجملة الأخيرة، لأنّ الفلا والقرى من جنس مواطن راميات الرياح، وإن كان غيرهما من المواضع يصلح بأن يكون من ضمن مواطن رميات الرّياح، إلا أنّ ذكرهما بيان لجنس المواطن.

٤. تردّ "من" أيضا **"ابتداء الغاية"** في المكان، كأن يقال: أخذت الكتاب من الجامعة إلى السّكان، ويقول تعالى: ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ...﴾ [الجاثية:١٠]، وقوله: ﴿... مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...﴾ [الأحزاب:٥٣]. وعلى هذا النحو قول الكاتب:

يقمّصنك كما قمّصتني حلة ** من الجنان وما فيه الرّصائع.

فمن في البيت ابتداء للغاية، إذ المقصود أن يقمّص الله ممدوحه بحلّة أصلها من الجنان لا غير.

٥. أما المعنى الأكثر ورودًا في النص هو **المجاوزة** أو **المزاولة** كما سماها المالقي[١١]، وهي التي تكون بمعنى "عن" مثل: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول تعالى: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [القريش:٤]، أي عن الجوع وعن الخوف. ومن نصوص هذا المعنى قوله: وراثة المجد من أصل لا أصل له، ينجيك ربك من شرّ الأنام ومن كيد الحساد....، من شرّ دهر ومن شرّ الدرامجة.

وقوله:

لو كان حمد ولا شكر يخلدان الورى ** ليخلدانك منّي واليوفيع.

فلحلول "منْ" محلّ "عنْ" في كل من النصوص السابقة تعتبر بمعنى المجاوزة، فيقال: ينجيك ربّك من شرّ الأنام ومن كيد الحساد، أي: يبعدك عن شرّهم وكيدهم، وكما يبعدك عن شرّ دهر وشرّ الشياطين.

ويقال: لو كان حمد وشكر يخلدان الورى**ليخلدانك منّي واليوافيع أي ليخلدك حمد وشكر اللذان صدرا عنّي.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

٢- **الحرف "في"**

وردت "في" في أكثر من موضع في النّصّ كما أشار إلى ذلك التّشخيص إلاّ أنّها جاءت بمعنى واحد أصليّ وهو الوعاء الظّرفيّة المكانيّة[١٢] على سبيل المجاز فيوجد من أمثلته قوله: "ولا رأى مثله الراؤون في الكرم، شكري بما في السّماوات العلى كلهم"، و"ما دجى الليل ما فيها المقاسيع"، ولا إلى من شكوك في قلوبهم وفي نفوسهم ضرّ مطاليع فبمعنى "في" في جميع النّصوص ما كان إلا وعاء ظرفية مكانية.

٣- **الحرف "عن"**

وردت "عنْ" في النص مرتين وكلتاهما كانتا بمعنى المزايلة أو المجاوزة كما يرى البصريون[١٣]، أولاهما قول الكاتب: ولا رأي عنه الرّاؤون المطاليع، وثانيتهما قوله أيضا: دع ذا فسل الهموم عنك أيتها. فهي في تينك الجملتين كالتي في قوله تعالى: ﴿... عَفَا اللَّهُ عَنْكَ...﴾ [التوبة:٤٣]، وقوله: ﴿... وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا...﴾ [آل عمران:١٩٣].

٤- **الحرف "يا"**

تثبت الدقة المتناهية أنّ "يا" لم ترد في النص غير مرّة واحدة، ولم يكن معناها إلاّ النّداء أو التّنبيه الّذي هو معناها الحقيقي الوحيد كما يلاحظ هذا في قوله: **"أكرمتني يا أمير المؤمنين ندا"**، فقد نادى الكاتب أمير المؤمنين للتّنبيه والاستماع إليه حتّى نصب كلمة "أمير" الّتي هي مضاف إلى مضاف إليه "المؤمنين".

٥- **الحرف "إنْ" الشرطيّة**

وردت "إنْ" في النص جوابًا شرطيًّا في الموضع الوحيد الذي جاءت فيه وهو: "إنْ شكروا التأليف هم مقاميع" فظاهر النص يبدي أنّ "إنْ" شرطيّة لا غير، إلاّ أنّ الجزاء يخالف الشّرط في كون الأوّل اسمًا، والآخر فعلا ماضيًّا.

٦- **الحرف "ما" النّافية**

النظر الدقيق في موضع "ما" في النص يؤكّد أنّها لم تكن إلا لنفي في قول الكاتب:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وما ضياء النهارتكشفنْ ظلماء ** وما دجى الليل ما فيها المقاسيع.

أي: ليس ضياء النّهار بمستطيع أن يكشف الظلم، وكذلك دجى الليل، فهذا نفي تام لا غير.

٧- **الحرف "لو" الشرطية**

معنى هذه "لو" الشّرطية هو الامتناع بمنزلة "إنْ"، إلاّ أنّها لم تجزم كما يجزم بـ"إنْ"، فتفسير معناها بهذا المعنى إنما كان في الجملة الواجبة لأنها الأصل، والنفي داخلة عليها فمثاله في النص على هذا المعنى قوله:

لو كان حمد وشكريخلدان الورىليخلدانك منّي واليوافيع.**

ففي هذا معنى الامتناع إذ كان ممتنعًا إخلاد الحمد والشّكر الورى.

٨- **الحرف "لا" النافية**

لا يعدو معنى "لا" النافية، في هذا النص على معنى مقسّم إلى معنيين. فالمعنى الأوّل هو النّفي بمعنى "لم"، إذ جاء المنفي على صورة الفعل الماضي بمعنى "لم" بقوله: ولا رأى مثله الراؤون في الكرم، وجاء المنفي في المعنى الثّاني على معنى الماضي بصورة المضارع ومعناها هنا النّفي للمستقبل وهو الدّعاء، كما يتّضح هذا في قول الكاتب: **فلا تلاقيك بوسى، وبكى، وغزى**، وقوله: فلا تزال **بنعمى وغنى** وكفى، وقوله: **لا يتركنك إلى أيدي العدا أبدًا**. وقوله:

ولا إلى من الذين لا تقى لهم ** ولا إلى من بأيديهم جواميع.

٩- **الحرف "أنْ" النّاصبة للفعل المضارع**

معنى "أنْ" في هذا النّصّ الاستقبال لدخولها على المضارع ونصبها إيّاه، إذ لا تتخصّص بالمستقبل إلاّ بدخولها عليه[١٤]، وقد تعيّن هذا في قول الكاتب: "لا غرو أن يشبهَ الشّبل باللّيث"، وعلى حدّ ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ...﴾ [آل عمران:٧٩].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

الخاتمة

اعتنى هذا البحث بدراسة إعمال حروف المعاني الثنائية عند الشيخ أحمد أويلينجي من خلال قصيدته "المدح " منعرجا إلى البحث عن معاني هذه الحروف في القصيدة وأصالتها لمناسبة النصوص التي وردت فيها . ويلاحظ عناية الشاعر الفائقة اهتمامه الجليّ الأثر باستعمال هذه الحروف استعمالا مناسبا قدر الإمكان سواءا في معانيها الأصلية أما الفرعية.

وقد يرجع سبب إعمال كثير من هذه الحروف في معانيها الفرعية إلى مقتضى السياق النصي، إذ أنّ دوافع الاستعمال تقتضيها الظروف والأحوال، ولكلّ مقام مقال، ولكلّ رجال، وليست قاعدة "مطابقة الكلام المقتضى الحال مع فصاحته البلاغية" فيما يصدره الأديب وينتجه ببعيدة.

هذا، وليس بغريب العثور في كلّ عمل إنساني على ما قد يخالف المألوف من القواعد اللّغوية، كما يوجد ذلك عند المؤلف وخاصة في معظم ألفاظ القافية وبعض مفردات أخرى من حيث زيادة حرف أو نقصانه، وهذه المخالفة قد يرجع سببها إلى الأديب المنتج نفسه نتيجة الاستعجال أو الارتجال وقت إعداد عمله وتقديمه للعالم، أو تصرف النساخ، أو قلة الإمكانيات المتوفرة لطباعة العمل ونشره، ذلك لأنّ المفهوم من مقدمة الكتاب الذي نشرت فيه هذه القصيدة أن طالبه: الشيخ أبوبكر أبارغدوما الإلوري هو الذي جمعه وقدمه للتّوزيع نيابة عن شيخه المؤلف. وقد تكون غير ذلك من الأسباب.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

الهوامش

١- عبد الرحيم حمزة، **حماة الثّقافة العربيّة الإسلاميّة من طغيان الثّقافة الإنكليزية المسيحية في نيجريا**، أغيغي-لاغوس، مطبعة الثّقافة الإسلامية بدون ذكر الطبعة، ١٩٨٦م، صـ:٢٤.

٢- Abdus-Samiʿi Oluwatoyin Arikewuyo, Contribution of Shaykh Ahmad Tijani Aweleje to the Development of Islam in Yoruba Land, A Research Essay Submitted to the Department of Religious Studies, Faculty of Art, University of Ilorin, Pg.1, 1990.

٣- عبد الرحيم حمزة، **المرجع السابق**، صـ:٢٥.

٤- Abus-Samiʿi O Arikewuyo, Pg. 10.

٥- Abus-Samiʿi O Arikewuyo, Pg. 12.

٦- Abus-Samiʿi O Arikewuyo, Pg. 14.

٧- عبد الرحيم حمزة، **المرجع السابق**، صـ:٣١.

٨- عبد الرحيم حمزة، **المرجع السابق**، صـ:٢٧.

٩- الإمام ابن هشام الأنصاري، **مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت-المكتبة العصرية، ط/١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، جـ/١، صـ:١٦٣.

١٠- الإمام أحمد عبد النور المالقي، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: د/ أحمد الخراط، دمشق، دار العلم،صـ:٣٨٩.

١١- الإمام أحمد عبد النّور المالقي، **المرجع نفسه**، والصفحة نفسها.

١٢- ابن هشام الأنصاري، **المرجع السابق**، صـ:١٩١.

١٣- الحسن بن قاسم المرادي، **الجني الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، صـ:٦١.

١٤- علي بن محمد النّحوي، **كتاب الأزهية في علم الحروف**، تحقيق: عبد المعين الملّوحي، دمشق-مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط/٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، صـ:٥٩.